

The Islamic University–Gaza
Deanship of Research and Gradaduate Studies
Faculty of Religion Basics
Master of Hadith and Sciences



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
ماجستير الحديث الشريف وعلومه

الجودة في ضوء السنة النبوية

(دراسة موضوعية)

Quality in the light of the Prophet's sunnah

(An objective study)

إعدادُ الباحثِ

عمر عودة خليل الهندي

إشرافُ

الدكتور/ محمد رضوان أبو شعبان

قُدِّمَ هَذَا الْبَحْثُ اسْتِكْمَالاً لِمَتَطَلِّبَاتِ الْحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ

فِي (الحديث الشريف وعلومه) بِكُلِّيَّةِ (أصول الدين) فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

أكتوبر/ 2017م - محرم/ 1439هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الجودة في ضوء السنة النبوية

(دراسة موضوعية)

Quality in the light of the Prophet's sunnah

(An objective study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل -أو أي جزء منها- لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

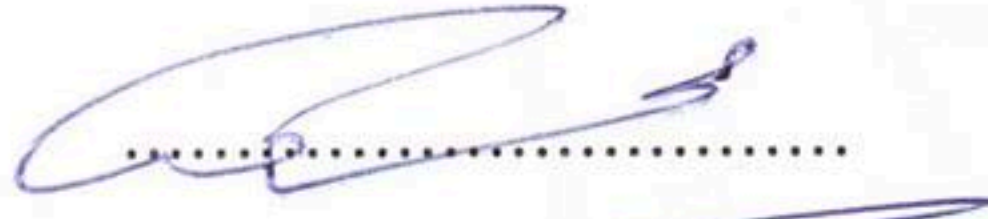
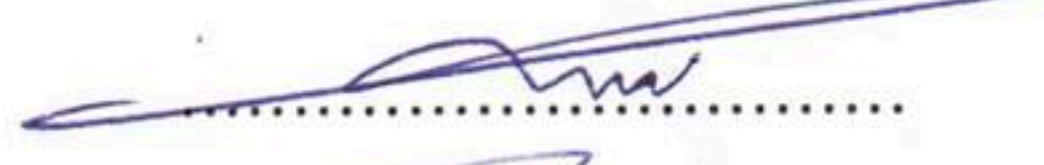
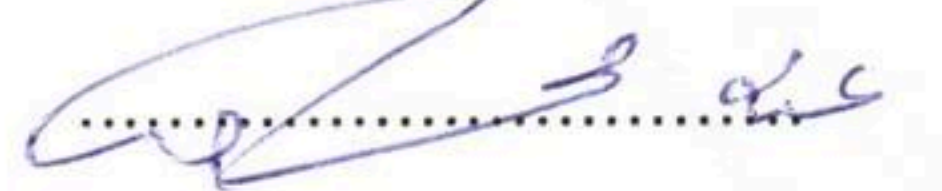
Student's name:	عمر عودة خليل الهندي	اسم الطالب:
Signature:	عمر الهندي	التوقيع:
Date:	٢٠١٧/٠٧/٢٣ م	التاريخ:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ عمر عودة خليل الهندي لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم الحديث الشريف وعلومه وموضوعها:

الجودة في ضوء السنة النبوية (دراسة موضوعية)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم السبت 23 محرم 1439هـ، الموافق 2017/10/14م الساعة الثانية ظهراً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

	مشرفاً و رئيساً	د. محمد رضوان أبو شعبان
	مناقشاً داخلياً	د. زكريا صبحي زين الدين
	مناقشاً خارجياً	أ.د. عبد الجبار أحمد سعيد

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم الحديث الشريف وعلومه. واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا



أ.د. مازن اسماعيل هنية



ملخص الرسالة

التجويد والإتقان أساس فيما يحبه الله ﷻ من العمل، فبالإحسان يرتقي المسلم بخلقه الإيماني، ولذا؛ فإنه لزاماً على الإنسان تحري الإتقان.

هدف الدراسة: هدفت في دراستي إلى إرساء قواعد الجودة في الحياة العملية للمسلم، بما يحقق القبول عند الله ﷻ.

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي للأحاديث، ومن ثم الاستنباطي التحليلي.

قسم الباحث بحثه إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة، كل فصل من الفصول اشتمل على ثلاثة مباحث، وتحدثت في المبحث الثالث عن آثار الجودة، أما التمهيد فاشتمل على مفهوم الجودة في اللغة والاصطلاح، والأسس التي تركز عليها الجودة، وما يتعلق بها من ألفاظ اللغة، واختتمت التمهيد ببيان أهميتها في الممارسة العملية.

والفصل الأول، كان بعنوان الجودة في العقيدة والأخلاق، أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان الجودة في العبادات والمعاملات، والفصل الثالث كان بعنوان الجودة في الدعوة والإعلام، وأما الفصل الرابع والأخير فكان بعنوان الجودة في السياسة وإدارة الدولة .

➤ أهم نتائج الدراسة:

- 1- تجويد العقيدة انطلاقة لتجويد حياة المسلم.
- 2- الجودة تظهر من المسلم في العبادات والمعاملات.
- 3- نجاح الدعوة لا يكون إلا بإعلام قوي يدعمها.
- 4- السياسة والإدارة تعتمدان على الذكاء والفتنة.

➤ أهم توصيات الدراسة:

- 1- كل مطلب من المطالب يحتاج إلى دراسة مستقلة مستفيضة تكتب فيه رسالة.
- 2- دراسة سيرة النبي السياسة وتطبيقها.
- 3- التطعيم السياسي للمناهج الدراسية بما يتناسب مع المراحل التعليمية.

ABSTRACT

Perfection and mastery is a basic requirement in the deeds praised by the Almighty Allah. By the virtue of perfection, Muslim individuals could strengthen their faith. Therefore, it is mandatory on man to look for perfection and implement it in his/her deeds.

Study Aim: The aim of this study is to establish the rules of quality in the practical life of Muslim individuals, so as to achieve Allah's acceptance.

Study Methodology: The researcher relied on the inductive method implemented on the related Hadiths. This was followed by the analytical deductive method.

The researcher divided this research into an introduction, four chapters, and a conclusion. Each chapter included three topics. The third topic highlighted the effects of quality. The introduction included the linguistic and applied concepts of quality, the foundations on which quality is based, the related terminology, and quality importance in practice.

The first chapter tackled the issue of quality in creed and ethics. The second chapter investigated quality in the fields of worships and transactions. The third chapter highlighted quality applications in da'wah and media. Finally, the fourth chapter investigated quality in the fields of politics and state administration.

➤ **Main results of the study:**

1. Perfection of faith is a start point for the improvement of Muslim life.
2. Quality should be reflected in Muslim practice of worships and transactions.
3. The success of da'wah is only achievable through a reliable supportive media.
4. Policy and management depends on intelligence and acumen.

➤ **Main recommendations of the study:**

1. Each topic raised in this study requires an extensive separate thesis.
2. To study and implement the political aspects in the biography of the Prophet, may Allah's peace and blessings be upon him.
3. The most important political aspects should be included in the curricula of the different educational stages.

قال تعالى:

﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[النمل: ٨٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾

[النحل: ٩٠]

الإهداء

إلى من اقتديت بهديه الشريف، وذرفت العيون شوقاً لرؤياه، الحبيب المصطفى محمد ﷺ.

إلى وصية النبي ﷺ، ولا أجد ما أصفها به، وإن عُصت في بحار اللغة ونقبت بين صدقاتها، إلى التي لم أعرف في الدنيا غيرها حبيبة وصديقة ورفيقة، "حبيبي أمي"، ثم إلى روح الرجل الذي أحببته ولم أره، وتمنيت أن يشهد هذه اللحظات "أبي الحبيب" -رحمه الله- من تزينت رسالتي باسمه، ثم إلى الروح التي أعيش بها وفيها، ومنها نبضي، الحاضرة الغائبة.

ثم إلى وحيدتي وسندي ومن أشدُّ به أزرِي، أخي عثمان ثم زوجته الغالية.

إلى زوجتي الكريمة، وإلى ثمرة فؤادي وقلدة كبدي -عصفوريّ وحبيبيّ- خالد ورياض.

إلى أمي الحبيبة (خالتي نسرِين).. أم عمار، وإلى روح الحبيب خالي رياض -رحمه الله.

إلى أمي الغالية فادية، والجدّة أمونيرا، والأخ أبو أحمد العملة وزوجه الكريمة أم أحمد، وإلى دولة الكويت الشقيق، التي ما عرفناها إلا سندياً لفلسطين وأهلها.

إلى روح أستاذ الأساتذة العالم الشهيد المحدث د. نزار ريان، من شرفت بأن تتلمذت على يدي أقرانه وتلاميذه، وإلى رفاقي الشهداء: أشرف، رمضان، خالد، وإسماعيل شمالي.

إلى أساتذتي ومعلمي في مدرسة ذكور المغازي الابتدائية (عبد الله أبو شاويش، صبري ونصري مصلح)، وأساتذتي في مدرسة الصلاح، وعلى رأسهم زوج عمتي المرحوم -بإذن الله- جمعة عسفة، وإلى الطاقم التدريسي، وعلى رأسهم حبيب القلب والأخ الكبير (خالد المشاركة) أبو أسامة"، وإلى أساتذتي في كلية الدعوة الإسلامية جميعاً.

إلى أصدقائي جميعاً وأخص: زكريا، أحمد، نائل، رامي، باسم، أكرم، حازم، وإلى إخواني في المكتب الإعلامي ويمثلهم الأخ أبو عمرو، وفي وزارة الأوقاف ويمثلهم الأخ أبو معاذ.

إلى خالي الحبيب الأب الحاني (نهاد)، إلى أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي، وإلى أخواتي الحبيبات (بثينة وهبة ووصال وريم وأزواجهن الكرام)، وإلى أمي وأخواتي في الرضاعة.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع.

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، فالشكر مما يوجب الزيادة من الله ﷻ، فلله الحمد من قبل ومن بعد على ما آتاني من العلم، فشرّفني أن أكون تلميذاً على يديّ شيخي وأستاذي الدكتور/ محمد أبو شعبان الذي أتقدم منه بالشكر الجزيل تقديراً لما بذله معي من جهد، فإنه ما فتئ أن يوجه إليّ النصيح، فكان بمثابة الأب الحريص على ولده، فله مني كل الشكر والعرفان، سائلاً الله منتهً عليه بطول العمر والبركة في العلم.

كما أتقدم بخير ما يُشكر به المسلم ثواباً، فأقول لأساتذتي في الجامعة الإسلامية الذين كان لهم الفضل أيضاً في توجيهي في اختيار عنوان الرسالة، وعلى رأسهم شيخي الفاضل الدكتور/ رأفت نصار وصاحب القلم السيال وعملاق الحديث الموضوعي الدكتور/ زكريا زين الدين، وإلى أساتذتي جميعاً في كلية أصول الدين ممثلة بعميدها الأستاذ الدكتور/ رياض قاسم، وأخص منهم أساتذتي في قسم الحديث الشريف ممثلاً برئيسه الدكتور/ نهاد الثلاثيني، ورئيسه السابق الدكتور/ محمد المظلوم، فأقول لهم جميعاً، جزاكم الله خيراً.

كما أقدم عظيم الشكر إلى عضوي لجنة المناقشة، لما بذلاه من عناء دراسة لإبداء الملاحظات التي تتقحها وتزيدها زنةً وحسناً، فضيلة الأستاذ الدكتور/ زكريا زين الدين، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد الجبار سعيد .. حفظهما الله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل من العمّ الفاضل الأستاذ/ صالح الحمارنه "أبي عمار" زوج خالتي الذي قام بتدقيق هذه الرسالة لغوياً، وأثرها بملاحظاته اللغوية والبلاغية.

والشكر موصول أيضاً إلى أساتذتي في كلية الدعوة الإسلامية ممثلة برئيس التعليم الشرعي في وزارة الأوقاف الدكتور/ شكري الطويل، والطاقم التدريسي وعلى رأسهم معلمي الأول لكتاب الله ﷻ الأستاذ/ عمر المناعمة، فأسأل الله ﷻ أن يجعله من خير خلقه بما جاء عن عثمان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"^(٢)، وختاماً أشكر أهلي وإخواني وكل من دعمني في إتمام رسالتي، والحمد لله رب العالمين.

الباحث/

عمر عودة خليل الهندي

ذو القعدة ١٤٣٨هـ، يوليو ٢٠١٧م

(١) [إبراهيم: ٧] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَصَائِلِ الْقُرْآنِ/بَابُ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، ص: ١٢٨٣، رقم الحديث ٥٠٢٧].

فهرس الموضوعات

المحتويات

أ	إقرار
ب	ملخص الرسالة
ت	ABSTRACT
ث	قال تعالى:
ج	الإهداء
ح	شكر وتقدير
خ	فهرس الموضوعات
١	الإطار العام للدراسة
٢	بسم الله الرحمن الرحيم
٢	مقدمة:
٥	أولاً: أهمية الموضوع
٥	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
٥	ثالثاً: أهداف الدراسة
٥	رابعاً: منهج الدراسة
٧	خامساً: الدراسات السابقة
٨	سادساً: خطة البحث
٩	سابعاً: الخاتمة
١٠	ثامناً: الفهارس
١١	التمهيد
١٢	أولاً: مفهوم الجودة لغةً واصطلاحاً
١٨	ثانياً: الألفاظ ذات الصلة ووجه العلاقة
٢٤	ثالثاً: أسس الجودة
٣٠	رابعاً: أهمية الجودة في الإسلام وحثه عليها

٣٣	الفصل الأول: الجودة في العقيدة والأخلاق
٣٤	المبحث الأول: الجودة في العقيدة (الإيمان)
٣٤	تمهيد:
٣٦	المطلب الأول: الجودة في الإيمان بالله ﷻ
٥٦	المطلب الثاني: الجودة في الإيمان بالملائكة
٦٥	المطلب الثالث: الجودة في الإيمان بالكتب السماوية
٨١	المطلب الرابع: الجودة في الإيمان بالرسل والأنبياء
٩٠	المطلب الخامس: الجودة في الإيمان باليوم الآخر
٩٩	المطلب السادس: الجودة في الإيمان بالقضاء والقدر
١٠١	خلاصة المبحث:
١٠٤	المبحث الثاني: الجودة في الأخلاق
١٠٤	تمهيد:
١١١	المطلب الأول: الجودة في الأخلاق مع الله ﷻ
١١٨	المطلب الثاني: الجودة في الأخلاق مع النبي ﷺ
١٢٨	المطلب الثالث: الجودة في الأخلاق مع النفس
١٣٧	المطلب الرابع: الجودة في الأخلاق مع المسلمين
١٤٢	المطلب الخامس: الجودة في الأخلاق مع أهل الكتاب
١٤٦	المطلب السادس: الجودة في الأخلاق مع الحيوان والنبات
١٤٨	خلاصة المبحث:
١٤٩	المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في العقيدة والأخلاق
١٤٩	تمهيد:
١٥٠	المطلب الأول: آثار تطبيق الجودة في العقيدة
١٥٥	المطلب الثاني: آثار تطبيق الجودة في الأخلاق
١٦٠	خلاصة المبحث:
١٦١	الفصل الثاني: الجودة في العبادات والمعاملات

١٦٢	المبحث الأول: الجودة في العبادات
١٦٢	تمهيد:
١٦٤	المطلب الأول: الجودة في الطهارة
١٦٧	المطلب الثاني: الجودة في الصلاة
١٧٥	المطلب الثالث: الجودة في الزكاة والصدقة
١٨٣	المطلب الرابع: الجودة في الصيام
١٨٩	المطلب الخامس: الجودة في الحج والعمرة
١٩١	خلاصة المبحث:
١٩٢	المبحث الثاني: الجودة في المعاملات
١٩٢	تمهيد:
١٩٤	المطلب الأول: الجودة في المعاملات المالية (البيع والصرف)
١٩٦	المطلب الثاني: الجودة في معاملات الأحوال الشخصية (النكاح)
٢٠٠	المطلب الثالث: الجودة في معاملات التوثيق (الشهادة والبيّنة)
٢٠٣	المطلب الرابع: الجودة في معاملة الوالدين وبرهما
٢٠٦	المطلب الخامس: الجودة في معاملة الأرحام
٢٠٩	خلاصة المبحث:
٢١٠	المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في العبادات والمعاملات
٢١٠	تمهيد:
٢١١	المطلب الأول: آثار تطبيق الجودة في العبادات
٢١٣	المطلب الثاني: آثار تطبيق الجودة في المعاملات
٢١٥	خلاصة المبحث:
٢١٦	الفصل الثالث: الجودة في الدعوة والإعلام
٢١٧	المبحث الأول: الجودة في الدعوة
٢١٧	تمهيد:
٢٢٠	المطلب الأول: الجودة في أسس شخصية الداعية
٢٢٣	المطلب الثاني: الجودة في صفات الداعية

٢٣١	المطلب الثالث: الجودة في فقه الداعية
٢٣٥	المطلب الرابع: الجودة في فهم الواقع ومناسبة المقال
٢٣٨	المطلب الخامس: الجودة في سياسة تبليغ الدعوة
٢٤٨	خلاصة المبحث:
٢٤٩	المبحث الثاني: الجودة في الإعلام
٢٤٩	تمهيد:
٢٥٠	المطلب الأول: الجودة في أساسات الإعلام النبوي
٢٦١	المطلب الثاني: الجودة في وسائل الإعلام
٢٦٥	المطلب الثالث: الجودة في أساليب الخطاب الإعلامي
٢٧٣	المطلب الرابع: الجودة في الإعلام الحربي (العسكري)
٢٨٢	المطلب الخامس: الجودة في الإعلام الأمني
٢٨٦	المطلب السادس: الجودة في الإعلام السياسي
٢٨٩	خلاصة المبحث:
٢٩٠	المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في الدعوة والإعلام
٢٩٠	تمهيد:
٢٩١	المطلب الأول: آثار تطبيق الجودة في الدعوة
٢٩٣	المطلب الثاني: آثار تطبيق الجودة في الإعلام
٢٩٥	خلاصة المبحث:
٢٩٦	الفصل الرابع: الجودة في السياسة وإدارة الدولة
٢٩٧	المبحث الأول: الجودة في السياسة
٢٩٧	تمهيد:
٣٠٠	المطلب الأول: الجودة في أصول السياسة النبوية
٣١٢	المطلب الثاني: الجودة في القيم الإجرائية القيمية في السياسة
٣١٨	المطلب الثالث: الجودة في تقدير المصالح والمفاسد السياسية
٣٢٥	المطلب الرابع: الجودة في فقه القدرة والاستطاعة السياسية
٣٣٣	المطلب الخامس: الجودة في المفاوضات السياسية (صلح الحديبية نموذجًا)

٣٤٦ خلاصة المبحث:
٣٤٧ المبحث الثاني: الجودة في إدارة الدولة
٣٤٧ تمهيد:
٣٤٩ المطلب الأول: أصول الإدارة الإسلامية
٣٥٣ المطلب الثاني: الجودة في التخطيط الإداري النبوي
٣٦٧ المطلب الثالث: الجودة في التنظيم الإداري النبوي
٣٧٦ المطلب الرابع: الجودة في التوجيه الإداري النبوي
٣٨٠ المطلب الخامس: الجودة في الرقابة الإدارية النبوية
٣٨٥ المطلب السادس: الجودة في إدارة العلاقات الدولية (نموذجًا)
٣٩١ خلاصة المبحث:
٣٩٢ المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في السياسة وإدارة الدولة
٣٩٢ تمهيد:
٣٩٣ المطلب الأول: آثار تطبيق الجودة في السياسة
٣٩٦ المطلب الثاني: آثار تطبيق الجودة في إدارة الدولة
٣٩٧ خلاصة المبحث:
٣٩٩ الخاتمة
٣٩٩ أولاً: النتائج
٤٠٠ ثانيًا: التوصيات
٤٠١ الفهارس العامة
٤٠٢ أولاً: فهرس المصادر والمراجع
٤٢٣ ثانيًا: فهرس الآيات القرآنية
٤٣٤ ثالثًا: فهرس الأحاديث النبوية
٤٥٣ رابعًا: فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم
٤٥٣ ١- فهرس الرواة
٤٥٦ ٢- فهرس الأعلام

الإطار العام للدراسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... أَمَا بَعْدُ؛

يَقُولُ ﷺ: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»^(١).

"الإسلام" .. هذه الأمانة التي حملها الله ﷻ للأنبياء والمرسلين، وهي الوصية التي أوصى الله بها أنبياءه -عليهم السلام- ، وأوصى الأنبياء بها أبناءهم وأقوامهم فقال الله تعالى: «وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةٍ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»^(٢).

ولذلك كانت ملة إبراهيم ﷺ أجود ملة في التجرد وإتقان العبودية لله وحده لا شريك له بالإخلاص، وقد فسّر ابن كثير -رحمه الله- هذه الآية بقوله ﷺ: " يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ وَأُحْدِثُوهُ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، الْمُخَالَفِ لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، إِمَامِ الْحَنَفَاءِ، فَإِنَّهُ جَرَدَ تَوْحِيدَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَمْ يَدْعَ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا أَشْرَكَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ سَائِرَ قَوْمِهِ، حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ، فَقَالَ: «قَالَ يَقَوْمٌ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِلَيَّ وَجْهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»^(٣).

والحبيب محمد ﷺ كانت الجود شاعره في كل أعماله وأقواله، والإتقان والإحسان أساسه الذي يبني عليه ماله، كما أن الصحابة الكرام ﷺ جودوا أعمالهم اقتداءً به ﷺ، والمسلمين من بعدهم ساروا على هديه، فالله ﷻ يحب إتقان عبده للعمل والإجادة فيه، سواء أكان هذا العمل

(١) [آل عمران: ١٠٢].

(٢) [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

(٣) [الأَنْعَامُ: ٧٨-٧٩].

دنيويًا، أو أخرويًا، بل ويحبُّ ربُّنا معاليَ الأمور وأشرفها، ويكره سَفَاسِفَهَا، فالمسلم لا يرضى ولا يقنع إلا إذا كان عمله غايةً في الجودة والإتقان والإبداع والإحسان، خاليًا من أي نقصٍ أو زللٍ، فلا يوجد إنسانٌ كاملٌ بغيرِ نواقصٍ .

لقد كان النبي ﷺ يحبُّ أن يكونَ الإتقانُ والإحسانُ في كلِّ شيءٍ من أمورِ الدنيا والدِّينِ امتثالًا لما أمر الله سبحانه، بأن جعلَ الإحسانَ في كلِّ شيءٍ، حتى في القتلِ والدَّبْحِ الذي تزهقُ فيه الروحُ وتخرجُ إلى بارئها، فقد جاءَ عند مسلمٍ في صحيحه، عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قال: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"^(١).

ومن هذا فإنَّ الإسلامَ يولي اهتماماً واضحاً جلياً للجودة في الأمورِ كلها دينيةً كانت أو دنيويةً .

ولمَّا كانت الجودةُ أساساً يبني عليه قبولُ العملِ وتقييمُ الإنجازِ، جاءَ اختياري لهذا العنوانِ لهذه الدراسةِ الموضوعيةِ التي تحملُ عنوانَ: "الجودةُ في ضوءِ السنةِ النبويةِ"؛ ليبرزَ الجودةَ والتميزَ في جوانبِ ديننا المحكمِ وحياتِ نبيِّنا ومعلمنا محمدٍ ﷺ، من خلالِ كلامِ ربِّنا ﷺ وسنتِهِ ﷺ، وصحابتهِ ﷺ .

دينُ الإسلامِ الحنيفِ هو دينُ التميزِ، والجودةِ، والإبداعِ في مجالاتِ الحياةِ كلها بدءاً بالعقيدةِ فالأخلاقِ والعباداتِ والمعاملاتِ والدعوةِ، والإعلامِ، والسياسةِ، وإدارةِ الدولةِ الإسلاميةِ في اقتصادها وأمنها وجيشها وعلاقاتها مع الدولِ المجاورةِ، وكلِّ أمورِ المعاشِ، والمعادِ، قال الله ﷻ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢) .

ولستُ أزعُمُ أنني قد جمعتُ كلَّ ما يتعلقُ بالموضوعِ في الجوانبِ كلها؛ إذ لن يكفي هذا البحثُ لحصرها، فاجتهدتُ على أن أجمعَ في هذا البحثِ بين خيري الدنيا والآخرةِ ضمنَ تسلسلِ

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانَ/بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ، مج ٢/٩٤٠-٩٤١، رقم الحديث ١٩٥٥] .

(٢) [النمل: ٨٨] .

خطبي التي أقدّمها بين أيديكم بشقيها الديني والديني، بدءاً بالجودة في العقيدة وانتهاءً بإقامة دولة إسلامية تجوّد حياة الناس وفق مراد الله ﷻ، فإن كنتُ أجدتُ وأحسنْتُ فهوَ توفيقُ الله وفضله، وإن كنتُ أخطأتُ أو زللتُ فعذري ما قالَ الأولُ:

وما أبرئ نفسي إنني بشرٌ أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدرُ

وما نرى عذراً أولى بذلي زللي من أن يقولَ مُقرأً إنني بشرٌ !

وأخيراً، فإنَّ بحثي ينقسمُ إلى تمهيدٍ وأربعة فصولٍ، حيثُ ينقسمُ كلُّ فصلٍ إلى ثلاثةٍ مباحثٍ وكلُّ مبحثٍ يتكوّنُ من خمسةٍ أو ستةٍ مطالبٍ عدا المبحثُ الثالثُ فإنَّه يتكوّنُ من مطلبين.

ولكلِّ فصلٍ عنوانُهُ المُستقلُّ بذاته، كما أنَّ المطالبَ لها عناوينٌ فرعيةٌ تكونُ على عدةٍ أشكالٍ منها: (أولاً وثانياً..، ٣، ٢، ١..) أو يُرمزُ للعناوينِ الفرعيةِ بِعَلَامَاتٍ تَرَقِيمٍ تُمَيِّزُهَا كَمَا الْآتِي: (*، -)، وَقَدْ رَاعَيْتُ الْوُضُوحَ فِي إِبْرَازِ الْعُنَاوِينِ مِنْ خِلَالِ إِبْرَازِ اللَّوْنِ الَّذِي يُمَيِّزُ الْعُنَاوَانَ عَنْ غَيْرِهِ.

والله ﷻ أسألُ جودةً في هذا البحثِ، وإحساناً، وإتقاناً، وعوناً، وتوفيقاً، وسداداً، وإخلاصاً لوجهه الكريم.

أولاً: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية الموضوع في النقاط التالية:

١. حاجة المسلم ليتعرف على السبيل الذي به يُتَقَنَّ وَيُجَوِّدُ به عمله، ومعرفته بأن الله يحب إتقان العمل.
٢. مكانة الجودة عند النبي ﷺ وتأثر الصحابة بها وأهميتها في أحوال الدنيا والآخرة .
٣. الجودة والإحسان عنصران أساس في كل نسك الحياة .

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١. نفع المسلمين؛ ببيان ماهية الجودة وكينونتها في الحياة .
٢. بيان أهمية الجودة في الأعمال والأقوال وفق مراد الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ .
٣. تعلق الموضوع بالجانب الشرعي والجانب الإداري الذي يسيّر حياة الناس .
٤. رغبتني في خدمة مجالي العملي في الإعلام قسم "التحرير الصحفي"، والإدارة والسكرتاريا والتنمية البشرية .

ثالثاً: أهداف الدراسة

١. ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ .
٢. تحقيق إضافة علمية بمفهوم جديد إلى ثنايا المكتبة الإسلامية .
٣. إظهار شمولية السنة النبوية وكمالها في مخاطبة كل جوانب الحياة .
٤. جمع الروايات المقبولة التي توضح مفهوم الجودة في السنة النبوية .
٥. تقويم سلوك المسلم وفق الهدي النبوي .
٦. إثراء المكتبة الحديثية بموضوع معاصر .

رابعاً: منهج الدراسة

اتبعت المنهج الاستقرائي ثم الانتقائي في جمع الروايات، والمنهج الاستدلالي الذي يُبنى على قواعد التأمل والاستنباط في فهم دلالات النصوص النبوية ومعانيها.

• المنهج في الجمع والترتيب والشرح

١. انتقيت الأحاديث المقبولة مما استقرته في كتب السنة خاصة الكتب الستة والتوسع إذا اقتضت الحاجة بما يلبي وفي بفصول ومباحث ومطالب خطة الرسالة .
٢. استدلت بالآيات القرآنية عند الحاجة إليها، مع التعليق عليها باختصار بالاستعانة بكتب التفسير .
٣. اكتفيت بذكر الشاهد من الحديث متعدد الفوائد والشواهد الطويل .
٤. اكتفيت بذكر الراوي الأعلى للحديث في متن الرسالة .
٥. ذكرت سند الحديث للرواة في غير الصحيحين لدراسته، أما ما كان في الصحيحين فلا أدرسه فقد تلتقت الأمة أحاديث الصحيحين بالقبول .
٦. استعنت بأقوال العلماء في كتب الشروح، وذكر الفوائد المستتبطة أحياناً .
٧. أوضحت غريب الحديث، من خلال الرجوع لكتب الغريب والمعاجم، مع الضبط بالشكل لضبط اللفظ والمعنى .

• المنهج في التراجم للرجال

١. لم أترجم لمشاهير الصحابة، ولا لرواة الصحيحين.
٢. توسعت في الترجمة للراوي الذي فيه اختلاف في توثيقه أو فيه علة، من كتب التراجم الأخرى، مع الترجيح بين أقوال العلماء وإزالة العلة ما أمكن.

• المنهج في التخريج

١. لا أخرج الحديث في الصحيحين وأكتفي بعزوه إلى مصدره فقط .
٢. وضع أسانيد الأحاديث في الهامش مع دراستها عدا أحاديث الصحيحين .

• المنهج في التوثيق

١. عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، في الحاشية.
٢. عزوت الأحاديث الشريفة إلى مظانها من كتب السنة وذكرت اسم الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث.
٣. فصلت في التعريف بالكتب من حيث (مؤلف الكتاب والطبعة ودار النشر) إلى قائمة المصادر والمراجع.

• المنهج في التعارض والاختلاف

أزلت التعارض الظاهري أو الاختلاف بين الأحاديث حال وُجد.

• المنهج في غريب البلدان والأعلام

عرّفت بالأماكن والبلدان الغريبة بالرجوع إلى الكتب المتخصصة، وترجمت للأعلام غير المشهورين .

• المنهج في الحكم على الإسناد في الأحاديث في غير الصحيحين

- حكمت على الإسناد الوارد في الحديث، من خلال دراسة الحكم على الرواة.
- وخلال المتابعات والشواهد الواردة في تخريج الحديث للرواة ما دون درجة الثقة.

خامسًا: الدراسات السابقة

١. "الجودة في ضوء القرآن والسنة النبوية" (دراسة موضوعية)

هو بحث محكّم مقدم من الدكتور/ رأفت منسي نصار، أستاذ الحديث الشريف المساعد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة للعام ٢٠١٥ م .

حيث اشتملت الدراسة على توضيح مفهوم الجودة وأسسها وأهميتها في ضوء القرآن والسنة، متطرفة إلى ذكر بعض العناوين المتعلقة بالجودة وهي:

١. الجودة في العبادات والمعاملات.
 ٢. الجودة في العلاقات الاجتماعية.
 ٣. الجودة في الشخصية عند الشباب.
 ٤. جودة التخطيط والتنظيم في إدارة الأزمات.
٢. الجودة الشاملة في التعليم .. تعريفها وأهميتها ومبادئها وأهدافها
- مقال قصير للكاتب أمجد قاسم .. موجود على شبكة الانترنت.

٣. إدارة الجودة الشاملة .. مفهومها وأسلوب إرسائها

عبارة عن بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الحادي والعشرين للتعليم الإعدادي في مملكة البحرين من إعداد البروفيسور الدكتور رياض رشاد البنا .

٤ . مفاهيم أساسية عن الضبط الشامل للجودة وإدارة الجودة الشاملة

عبارة عن عرض تقديمي PPT للدكتور محمد عيشوني، يتحدث عن الجودة في الجانب التقني .

ملاحظة: والدراسات السابقة كلها - عدا الدراسة الأولى - لم تتناول الجودة في السنة النبوية موضوع بحثي، أما الدراسة الأولى فتناولت الموضوع بصورة موجزة في مجالات محدودة .

سادساً: خطة البحث

وتشتمل خطة البحث على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس .
أما المقدمة فتشتمل على أهمية الدراسة وأسباب اختيار الموضوع وأهداف الدراسة ومنهج الباحث في الدراسة ، والدراسات السابقة وأخيراً خطة البحث .

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: مفهوم الجودة لغةً واصطلاحاً .

ثانياً: الألفاظ ذات الصلة ووجه العلاقة .

ثالثاً: أسس الجودة .

رابعاً: أهمية الجودة في الإسلام وحثه عليها .

الفصل الأول

الجودة في العقيدة والأخلاق

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجودة في العقيدة .

المبحث الثاني: الجودة في الأخلاق .

المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في العقيدة والأخلاق .

الفصل الثاني

الجودة في العبادات والمعاملات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجودة في العبادات .

المبحث الثاني: الجودة في المعاملات .

المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في العبادات والمعاملات .

الفصل الثالث

الجودة في الدعوة والإعلام

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجودة في الدعوة .

المبحث الثاني: الجودة في الإعلام .

المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في الدعوة والإعلام .

الفصل الرابع

الجودة في السياسة وإدارة الدولة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الجودة في السياسة.

المبحث الثاني: الجودة في إدارة الدولة.

المبحث الثالث: آثار تطبيق الجودة في السياسة وإدارة الدولة.

سابعًا: الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات التي خلصتُ إليها .

ثامناً: الفهارس

لقد احتوى بحثي على مجموعة من الفهارس، وهي كآآتي:

١. فهرس الموضوعات.
٢. فهرس المصادر والمراجع.
٣. فهرس الآيات القرآنية.
٤. فهرس الأحاديث النبوية.
٥. فهرس الأعلام والرواة المترجم لهم.

التمهيد

أولاً: مفهوم الجودة لغةً واصطلاحاً

لقد امتنَّ الله ﷻ على الأمة الإسلامية أن جعل العربية لغة القرآن، وجعل اللبنة الآخرة في صرح الأنبياء محمدًا ﷺ من العرب، ولذا كان لزاماً علينا أن نرقى بلغتنا القويمة في تأصيل ما نرنو الوصول إليه .

فأبين في مستهل بحثي أصل كلمة الجودة في اللغة والاصطلاح على النحو التالي:

أ- الجودة في اللغة

جَوَدَ: الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ النَّسْمُحُ بِالشَّيْءِ، وَكَثْرَةُ الْعَطَاءِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ جَوَادٌ بَيْنَ الْجُودِ، وَقَوْمٌ أَجْوَادٌ، وَالْجَوْدُ: الْمَطَرُ الْعَزِيزُ، وَالْجَوَادُ: الْفَرَسُ الدَّرِيعُ^(١) وَالسَّرِيعُ، وَالْجَمْعُ جِيَادٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتُ الْجِيَادُ﴾^(٢)، ووجه الدلالة: "ذلك أنه لما

عرضت على سليمان ﷺ الخيل الجياد سبق الصافنات أي: التي من وصفها الصفون، وهو رفع إحدى قوائمها عند الوقوف، وكان لها منظر رائع وجمال معجب، خصوصاً للمحتاج إليها كالمملوك، فما زالت تعرض عليه حتى غابت الشمس في الحجاب فألهته عن صلاة المساء وذكره"^(٣) .

وَالْمَصْدَرُ الْجُودَةُ، فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: فَلَانَ يُجَادُ إِلَى كَذَا، فَكَأَنَّهُ يُسَاقُ إِلَيْهِ^(٤)، وَأَمَّا جَادَ الْمَتَاعُ جَبُودٌ فَقِيلَ مِنْ بَابِ قَالَ أَيْضًا وَقِيلَ مِنْ بَابِ قَرَّبَ وَالْجُودَةُ مِنْهُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ فَهُوَ جَيِّدٌ وَجَمَعُهُ جِيَادٌ^(٥) .

(١) الدَّرِيعُ : وَالذَّرِيعُ السَّرِيعُ وَرُزْنَا وَمَعْنَى وَتَدَّرَعَ فِي كَلَامِهِ أَوْسَعَ مِنْهُ . الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج/٢٠٨) .

(٢) [ص: ٣١] .

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧١٢) .

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج/٤٩٣)، الفراهيدي، العين (ج/١٦٩) .

(٥) الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج/١١٣) .

والجَوْدَةُ: العَطَشَةُ، جَيِّدٌ يُجَادُ، فهو مَجُودٌ: عَطِشٌ، أو أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ، وَالنُّعَاسُ^(١) .
قال ذو الرمة^(٢): تَظَلُّ تَعَاظِيَةٌ إِذَا جِيْدَ جَوْدَةٌ *** رُضَابًا كَطَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ الْمَعْسَلِ^(٣)
وقال الباهلي^(٤): وَنَصْرَكَ خَاذِلٌ عَنِي بَطِيءٌ *** كَأَنَّ بَكْمَ إِلَى خَذَلِي
جُودًا^(٥)

جَوَدَ : جَادَ يَجُودُ، جُدٌّ، جَوْدَةٌ وَجُودَةٌ، فهو جَيِّدٌ، جَادَ الْعَمَلُ: حَسُنَ، عَلَا مَسْتَوَاهُ "العمل
في غاية الجودة والإتقان - جاد المتاع: صار جيدًا نفيسًا"، وجَادَ الرَّجُلُ: أَتَى بِالْحَسَنِ مِنَ الْقَوْلِ
أو الفعل "شخصٌ جَيِّدٌ"^(٦).

ب- الجودة في الاصطلاح

إن مصطلح الجودة مصطلح متقدم -قديم- ومعاصر، له استخداماته في كثير من
المجالات الحياتية، سواء على صعيد الأمور الدينية أو الدنيوية، وقد ورد في مفهوم الجودة في
الاصطلاح عددٌ من التعريفات، وردت حسب السياق الذي يستخدم فيه المصطلح .
فعرّفها الجرجاني^(٧) بما يقرب من المعنى اللغوي فقال: "الجود: صفة، هي مبدأ إفادة ما ينبغي
لا بعوض، فلو وهب واحد كتابه من غير أهله، أو من أهله، لغرض دنيوي أو أخروي، لا يكون
جودًا"^(٨) .

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص ٢٧٥) .

(٢) ذو الرمة: أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن، الشاعر المشهور
المعروف بذو الرمة، أحد فحول الشعراء. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج ٤/١١) .

(٣) ابن السكيت، إصلاح المنطق (ص ٢٣٣) .

(٤) الباهلي: هو الحسين بن الضحاك بن ياسر البصري ، الملقب بـ (الخليع) بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام
بعدها الياء المنقوطة من تحتها بائتين وفي آخرها العين ، وهذا لقب أبي علي الحسين بن الضحاك بن ياسر
البصري الخليع الشاعر الباهلي، سمي بذلك لخلاصته ومجونه وهزله، وهو مولى باهلة، خراساني الأصل من
البصرة سكن بغداد، وكان ينادم الخلفاء دهرا طويلا. السمعاني، الأنساب (ج ٥/١٨٦) .

(٥) ابن السكيت، إصلاح المنطق (ص ٢٣٣) .

(٦) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ١/٤١٧) .

(٧) الجرجاني ت(٨١٦هـ): علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني. الزركلي: الأعلام
(ج ٧/٥٧) .

(٨) الجرجاني، التعريفات (ص ٧٩) .

وعرفها بتعريف عام محمد قلجعي وحامد قنبيبي فقالوا: "إتقان الصناعة , High quality , goodness"^(١).

وعرفها إبراهيم طه العجلوني بتعريف عام أيضاً في ورقته البحثية فقال: "هي الدلالة على حُسن الموصوف بالجودة، إذا استوفى شرائط معينة في كل مجالات الحياة..."^(٢).

كما عرفها محمد عيشوني بتعريف صناعي فقال: "ملائمة المنتج للاستعمال في الغرض المخصص له بدرجة ترضي المستهلك"^(٣).

وتضمنت المواصفة القياسية الدولية لمصطلحات الجودة إصدار عام ١٩٩٤ بتعريف الجودة تعريفاً صناعياً آخر باعتبارها: "مجموعة الخواص والخصائص الكلية التي يحملها المنتج أو الخدمة وقابليته لتحقيق الاحتياجات والرضاء أو المطابقة للغرض "Fitness For Use"، والصلاحية للغرض "Quality is Fitness for use"^(٤).

ت - العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ومناقشة التعريفات

يرتبط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي لمصطلح الجودة -ووفق التعريفات الاصطلاحية لها- بكافة المجالات التي تعد الجودة أساساً لكل مجال منها، وبعد التحقيق في العلاقة بين المعنيين وجدت أن معانيها تدل على حُسن الأداء للأقوال والأفعال وإتقانها وفق ما يتطلبه العمل وطالبه، ويندرج تحت هذا المعنى ما يلي:

- ١- الجود والكرم وحسن العطاء.
- ٢- التسامح في الشيء واللفظ فيه.
- ٣- التأني والرفق في الأداء.
- ٤- تجويد الأداء بإخراجه بأحسن حلة.

(١) قلجعي و قنبيبي، معجم لغة الفقهاء (ص ١٦٩) .

(٢) العجلوني، إدارة الجودة الشاملة في الإسلام (ص ٧)، بتصرف .

(٣) عيشوني، ضبط الجودة (ص ٢) .

(٤) المنتدى العربي لإدارة الموارد البشرية (المواصفة القياسية الدولية لمصطلحات الجودة) .

وأرى من بين هذه التعريفات تعريف (المواصفة القياسية الدولية لمصطلحات الجودة) حيث أنه تعريف شامل دقيق في كل ما تتطلبه الجودة من الأقوال والأفعال، حيث يبين علاقة الجودة بمواصفات العمل، وتعلق أيضاً بمدى تحقيق هذا العمل على الوجه المطلوب، وأخيراً تعلق بمدى رضى وقبول طالب العمل لهذه الخدمة أو المنتج وصلاحياتها للاستهلاك .

- أما التعريفات الأخرى فقد اقتصرت على بيان جزء متعلق بالجودة وإغفال أخرى على النحو التالي:
- **تعريف الجرجاني:** أتى بالصفة على نحو الفعل فقط ولم يتطرق إلى القول أو منتج أو خدمة .
- **تعريف محمد قلجى وحامد قنبي:** اقتصر على بيان الجودة في صفة الإتقان، وفي باب الصناعة .
- **تعريف إبراهيم طه العجلوني:** اقتصر على الوصف بالجودة وفق شروط لم يوضحها في تعريفه .
- **تعريف محمد عيشوني:** اقتصر في التعريف استيفاء شرط رضا المستهلك فقط.

- **خلاصة مقارنة التعريفات:** ونخلص من هذه المفارقة إلى تعريف الجودة: هي تحري الأداء الجيد المتقن، والعطاء الواسع المستمر، عند أداء أي عمل، أو التلطف بأي قول؛ ليكون محسناً، مبدعاً، مجوداً وفق مراد الشارع الحكيم من غير عيب أو نقص.
- **تعريف الباحث:** وأرى التعريف المختار للجودة فأقول: "هي أداء شيء -قول أو عمل أو اعتقاد- بإجادة، وفق صفات وهيئات محسنة ومتقنة تُعَبَّرُ، تنال رضا رب الشيء، وتشبع حاجة الطالب".

ث- أنواع الجودة

لا تقتصر الجودة على جانب معين في الحياة، فهي مصطلح شامل لكل أمور الحياة سواء الاعتقادية، أو القولية أو العملية، وقد اختار الباحث لكتابة بحثه عدداً من أنواع الجودة، هي عناوين رئيسة في أصول الدين وفروعه وأصول الحياة وفروعها أيضاً، مقتصرًا عليها في بحثه ذكراً لا حصراً، وهذه مقدمة لفصول البحث ببيانها والتعريف بها .

الفصل الأول أتحدث فيه عن باب عظيم من أبواب الدين؛ -بل الركن الأساس فيه-، ألا وهو العقيدة والأخلاق ، وهما ما بدأ بهما النبي ﷺ دعوته؛ فأسس بهما لإقامة الدولة انطلاقاً من مكة لإقامتها في المدينة.

فالجودة في العقيدة: هي الإيمان الجازم قصداً وقولاً وعملاً بأنواع التوحيد الثلاثة - الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات- ، وفق الصفة المتقنة على منهج النبي ﷺ، من غير شائبة شرك، وسأتحدث فيها عن أركان الإيمان الستة .

والجودة في الأخلاق: هي تحري اتباع هدي النبي ﷺ في أخلاقه، وامتنالاً لإجابة أم المؤمنين عائشة ؓ حين سُئلت عن خلقه ﷺ فقالت: "إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ"^(١).

أما الفصل الثاني فقد تضمن ما كان جُلهُ أحكاماً وتشريعات في الحياة المدنية والتي تتمثل في بابين من أبواب الدين، العبادات والمعاملات .

فالجودة في العبادات: هي أداء ما أمر الله ﷻ من أقوال وأفعال يُتقرب بها إلى الله ﷻ بإجادة وإتقان على هيئة مُحَسَّنَةٍ في سبيل نيل رضا الله، وسأتحدث فيها عن أركان الإسلام.

والجودة في المعاملات: أداء ما عليه من حقوق العباد وأخذ ما له من حقوق، بإحسان بلا ضرر ولا ضرار .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ، مج ١/٣٣٦، رقم الحديث ٧٤٦] .

أما الفصل الثالث فيشتمل على إتقان النبي ﷺ لأداء ما حُمِّلَ من أمانة تبليغ دعوة الله ﷻ، والأساليب التي استخدمها وأعانتها على أدائها بإتقان؛ فيما كان الحظ الأوفر لإجادة استخدام الإعلام، ودوره في إبراز الإسلام ونشر فكر دعوته ﷻ .

والفصل الرابع وأُتحدث فيه عن الجودة والإحسان في إدارة شؤون الخلق وتيسير مصالحهم، وأساس الإتقان في العلاقة التي تُبنى بين الدول وفق مصطلح العلاقات الدولية أو السياسة الخارجية، وتقديم الإسلام السياسي (السياسة الشرعية)^(١) على العلمانية^(٢) والليبرالية^(٣) .

هنا أقف لأبين سبب ترتيب الفصول على هذا النحو، والحكمة من هذا الترتيب؛ فالنتسلسل النبوي في الدعوة - وهو السبب الرئيس - بدءً بسريتها في مكة كمرحلةٍ للتأسيس العقدي والنفسي، ومروراً بالهجرة المظفرة؛ إلى حيث تُثبَّت أوتاد خيمة الإسلام ومن ثمَّ بناء المسجد الذي تنطلق منه الأحكام والتشريعات، مُبيناً أساليب النبي ﷺ وطرقه في تبليغ الدعوة، مُركِّزاً اهتمامي على الإعلام ودوره في نشر الإسلام، وصولاً إلى إقامة البنين المرصوص (الدولة الإسلامية)، والتي باشر النبي ﷺ من خلالها سياسته الداخلية في إدارة الرعية وتدبير شؤونهم، وبأشراً أيضاً سياسته الخارجية في تحقيق مصالح الناس وفق أمر الله وحكمه .

(١) السياسة الشرعية: هي تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ودفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة أو أصولها الكلية وإن لم ينفق وأقوال الأئمة المجتهدين. خلاف، السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية (ص ٢٠) .

(٢) العلمانية: يطلق هذا الفكر في اللغة الإنجليزية (Secularism) وتعني اللادينية أو الدنيوية، غير أنها اشتهرت باسم العلمانية ولعل ذلك كان مقصوداً بغية إظهارها بمظهر يجعلها مقبولة بين المسلمين . أبو النجا، العلمانية - الليبرالية - الديمقراطية - الدولة المدنية في ميزان الإسلام (ص ٧) .

(٣) الليبرالية: هي وجه آخر من وجوه العلمانية، وهي تعني في الأصل الحرية، غير أن معتققيها يقصدون بها أن يكون الإنسان حرّاً في أن يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه، وعابد هواه، غير محكوم بشريعة . أبو النجا، العلمانية - الليبرالية - الديمقراطية - الدولة المدنية في ميزان الإسلام (ص ١٦) .

ثانياً: الألفاظ ذات الصلة ووجه العلاقة

ارتبط مصطلح الجودة في الإسلام بمفردات ومفاهيم ذات علاقة، ولعلّ من أبرز هذه المعاني (الإتقان والإحسان) فنصل في كل مفردة على حده:

أ- الإحسان

• الإحسان في اللغة: ضد الإساءة .

وهو: فعل ما ينبغي أن يفعل من الخير^(١)، وجاء عند أبي الحسين الرازي أن الإحسان اسم مشتق من الفعل (حَسَنَ) الحاء والسين والنون أصل واحد. فالحسن ضد القبح^(٢)، والإحسان: ضد الإساءة، وهو محسن ومحسان^(٣) .

أحسنَ الشَّخْصُ: فعل ما هو حَسَنٌ، ضدَّ أساء ﴿إِنَّ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(٤)، أحسنت: أجدت - اتَّقِ شَرًّا من أحسنت إليه - قد أحسنت إليَّ وأنعمت: زدت عليَّ الإحسان^(٥) .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٦) فالإحسان مرتبة عليا، حيث إن العدل أن تضع ما عليك وتأخذ ما لك، أما الإحسان فهو مرتبة أعلى من العدل؛ فالإحسان أن تعطي أوفر مما عليك وأن تأخذ أقل من حظك، لذا كان المحسن في درجة أسمى .

(١) الجرجاني، التعريفات (ص ١٢) .

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج ٥٧/٢) .

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص ١١٨٩) .

(٤) [الإسراء: ٧] .

(٥) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ١/ ٤٩٧) .

(٦) [النحل: ٩٠] .

والإحسان يقال على وجهين^(١):

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً.

فالناس أبناء ما يحسنون، منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة.

• الإحسان في الاصطلاح:

يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السياق الذي يرد فيه؛ فإذا اقترن الإحسان بالإيمان كان المراد به الإشارة إلى المراقبة، وحسن الطاعة وهذا هو الذي فسره النبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"^(٢).

أما إن ورد الإحسان مطلقاً دون أن يكون مقترناً بالإسلام والإيمان؛ فإن المراد به فعل ما هو حسن، والحسن وصف مشتق من الحسن الذي يراد به اصطلاحاً؛ كما يقول الجرجاني: "ما يكون متعلق المدح في العاجل، والثواب في الآجل"^(٣).

والإحسان كتبه الله على كل شيء خلقه في الكون، فأبدع الله ﷻ صنعه وأتقنه وحسنه، حتى جعل التأمل في ما حسن مما خلق الله، عبادة؛ فكان الإحسان في ما لا يتصور أنه بحاجة للإحسان؛ فعن شداد بن أوس، قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَعْنَاقَكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ"^(٤).

(١) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ج ١/٢٣٦).

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ص: ٢٣، رقم الحديث ٥٠].

(٣) حسان، الإحسان (ص ١١).

(٤) سبق تخريجه، (ص ٣).

- والحسن أيضا عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وهو ثلاثة:
- مستحسن من جهل العقل، ومستحسن من جهة الهوى.
- ومستحسن من جهة الحس.
- وقيل الحسن كون الشيء ملائما للطبع كالفرح، وكون الشيء صفة كمال كالعلم وكون الشيء يتعلق به المدح كالعبادة.

والحسن لمعنى في نفسه عبارة عما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في ذاته كالإيمان بالله وصفاته، والحسن لمعنى في غيره ما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في غيره كالجهاد فإنه لا يحسن لذاته لأنه تخريب بلاد الله وتعذيب عباده وإنما حسن لما فيه من إعلاء كلمة الله وإهلاك أعدائه (١) .

قال المناوي: "إسلام ظاهر يقيمه إيمان باطن يكمله إحسان شهودي" (٢) (٣) .

وقال الراغب: "فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان أحدهما الإنعام على الغير، والثاني إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما محمودا، أو عمل عملا حسنا، وإحسان الشيء عرفانه وإيقانه" (٤) .

قال ابن طباطبا العلوي (٥):

فيا لائمي دعني أعالى بقيمتي فقيمة كل الناس ما يحسنونه (٦)

-
- (١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٤٠) .
- (٢) إحسان شهودي: بمعنى أن تشاهد الله حال تعبدك له ﷻ في كل وقت وحين؛ فالإحسان يستغرق الدين كله. حسان، الإحسان (ص ١٢) .
- (٣) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص ٤٠) .
- (٤) المصدر السابق / نفسه .
- (٥) ابن طباطبا العلوي ت (٤٧٨هـ): هو يحيى بن محمد الشريف أبو المعمر ابن طباطبا العلوي ، كان نحويا أدبيا فاضلا يتكلم مع ابن برهان في هذا العلم، أخذ عن علي بن عيسى الربعي وأبي القاسم الثمانيني. الحموي، معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (ج٦/٢٨٢٨) .
- (٦) الأندلسي، العقد الفريد (ج٢/٨٤) .

ب- الإِتقان

• الإِتقان في اللغة: ضد الرداءة .

التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما إحكام الشيء، والثاني الطين والحمأة، فالقول الأول أتقنت الشيء أحكمته. ورجل تقن: حاذق، وابن تقن: رجل كان جيد الرمي يضرب به المثل، قال: يرمي بها أرمي من ابن تقن^(١) .

تقن: التَّقْنُ: رسابة الماء في الربيع، وهو الذي يجيء به الماء من الخثورة، وتَقَّنُوا أرضهم أي أرسلوا فيها الماء الخائر لتجود، والإِتقانُ: الإِحكام^(٢)، وتقن: هو إحكام على وجه الدقة والضبط^(٣) .

وأَتَقَّنَ العَمَلَ^(٤): أحكمه، أجاده، ضبطه "أتقن عددًا من اللغات"، فقال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَّنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٥) .

وللإِتقان علاقة وثيقة في كلمة التقنية الحديثة، حيث أن كلمة تَقْنِيَّة هي:

- ١ - اسم مؤنث منسوب إلى تقن: "تعد المعاهد التقنية خبراء تقنيين في مختلف الحقول".
- ٢ - مصدر صناعي من تقن: أسلوب أو فنية في إنجاز عمل أو بحث علمي ونحو ذلك، أو جملة الوسائل والأساليب والطرائق التي تختص بمهنة أو فن "تقنية القصة/ الرواية/ البناء- يتميز العصر الحديث بتقدم التقنيات في مختلف الميادين"، وعلم التقنية: التكنولوجيا، علم الصناعة^(٦) .

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج١/٣٥٠) .

(٢) الفراهيدي، العين (ج٥/١٢٩) .

(٣) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٢٩٥) .

(٤) المصدر السابق / نفسه .

(٥) [النمل: ٨٨] .

(٦) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٢٩٦) .

• الإِتْقَانُ فِي الْإِصْطِلَاحِ:

قال الجرجاني: "الإِتْقَانُ: معرفة الأدلة بعلمها، وضبط القواعد الكلية بجزئياتها؛ وقيل: الإِتْقَانُ معرفة الشيء بيقين" (١).

الإِتْقَانُ: الإِحْكَامُ (٢)، أي أداء العمل برفق ودقة وتأنٍ، حتى يُخْرَجَ الْقَوْلُ أَوْ الْعَمَلُ بِحَبْكِ مَجُودٍ لَا عَيْبَ فِيهِ، فَهُوَ مِمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ فِيمَا يُحِبُّ اللَّهُ ﷻ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُقِنَّهُ" (٣).

(١) الجرجاني، التعريفات (ص ٩).

(٢) الفراهيدي، العين (ج ٥/١٢٩).

(٣) [أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى الموصلي، مسند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ج ٧/٣٤٩، رقم الحديث ٤٣٨٦].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُصْعَبٌ، حَدَّثَنِي بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١/٢٧٥)، وأخرجه البيهقي في الشعب (٧/٢٣٢)، وأخرجه في المطالب العالية (٧/١٩٧)، ثلاثتهم من طريق مصعب بن عبد الله الزبيري، بمثله. وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق محمود بن غيلان بمثله (٧/٢٣٣). كلهم عن بشر بن السري به بمثله .

• ترجمة الرواة/

- رواه ثقات، عدا أن فيه:

▪ مصعب بن ثابت: قال فيه، "لين الحديث". ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٣٣)، وقال ابن حبان في الضعفاء: انفرد بالمناكير عن المشاهير، فلما كثر ذلك منه استحق مجانبته حديثه. ولما ذكره في "الثقات" قال: قد أدخلته في الضعفاء وهو ممن أستخير الله تعالى فيه، وقال أبو حاتم: صدوق كثير الغلط ليس بالقوي، قال عنه النسائي في الكبرى: ولم يتركه يحيى القطان. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٨٣/٣)، وقال ابن أبي حاتم: إذا أجابوا في الرجل "بلين الحديث"، فهو ممن يكتب حديثه، وينظر فيه اعتبارا . ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٢/٣٧).

قال الباحث: هو صدوق كثير الغلط، حيث أنني أعتمد قول ابن أبي حاتم في كتابته حديثه، واعتباره.

• وجه العلاقة:

جَوَدَ العملَ: أتقنه وأحسن صنُعه "جَوَدَ صنُعته^(١)، فالجودة تأتي لغة بمعنى التحسين، والإجادة هي الحُسْنُ، والتجويد هو تحسين الشيء وإخراجه بصورة حسنة، ووجه العلاقة بين الجودة والإحسان أنهما لا ينفصلان، فكل جيد حسن، والإحسان هو المبالغة في الجودة.

وسيتضمن بحثي الأحاديث التي تشتمل على لفظ الجودة الصريح واشتقاقاته، إضافة إلى متعلقاته من الألفاظ ذات الصلة كالإحسان والإتقان وغيرهما من صيغة المبالغة ك (أحسن، أحبُّ، أبر البر ..) إلخ .

وفيه:

▪ مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت، وهو صدوق عالم بالنسب. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٣٣).

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن ابن معين : ثقة، وذكره ابن حبان في "الثقات". ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤/٨٥)، وقال الذهبي: ثقة، غمز للوقف. الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/٢٦٨).
قال الباحث: هو صدوق، لعله الغمز في الوقف، ووقي أي في خلق القرآن.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن لغيره. وله شواهد.

قلت: وسأل حمزة بن يوسف السهمي أبا الحسن الدارقطني الإمام، فقال له: إذا قلت: "فلان لين" أيش تريد به؟ قال: لا يكون ساقطاً متروك الحديث، ولكن مجروحاً بشيء لا يسقط عن العدالة. ابن الصلاح: علوم الحديث (ص ١٢٥) .

قال الشيخ حسين سليم أسد معلقاً في الموضوع نفسه بقوله: إسناده لين. كما حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/١٠٦)، وقال: وله شاهد يقويه بعض القوة من حديث قطبة بن العلاء بن المنهال عن أبيه، عن عاصم بن كليب عن كليب بن شهاب الجرمي مرفوعاً .

وقال أيضاً: "وإن كان في سند البيهقي مصعب بن ثابت فيكون المناوي قد أبعد النجعة حيث لم يدل الحديث به بل بالثقة المتقن، - أي ببشر بن السري - .

(١) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٤١٧) .

ثالثاً: أسس الجودة

الجودة أساس في كل شيء، لذلك فإن لها أسساً وركائز تُدعمها، وقد استنتجتُ أسس الجودة وهي ثنتان فيما يظهر من الشيء الموجود سواء أكان قولاً أو عملاً .

أ- الأساس الأول: الجودة في القصد

الجودة في القصد -أي إخلاص النية- بتهديبها علماً، وإبرامها عزمًا، وتصفيتها حالاً.

وإن هذا الأساس جاء متمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(١)، قال ابن رجب الحنبلي^(٢): "الإخلاص شرط لحصول الثواب في جميع الأعمال؛ فإن الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى"^(٣) .

وقد جاءت السنة المطهرة حافلة بالأحاديث التي توجب الإخلاص في القول والعمل وتؤكد عليه، وتحذر من الرياء وتبين أنه محبط للعمل، وأشهرها حديث عمر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"^(٤) .

هذا الحديث الذي بدأ الإمام البخاري به جامعه، وقد ظهرت الحكمة من البدء بهذا الحديث في التنبيه إلى تصحيح النية من كل امرئ في أي عمل يتقرب به إلى الله تعالى وإلا كان سبباً في هلاك صاحبه ووروده النار .

(١) [البينة: ٥] .

(٢) ابن رجب الحنبلي ت (٥٧٩٥هـ): عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين. الزركلي، الأعلام (ج٣/٢٩٥) .

(٣) ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٣/٣٢٢) .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي/باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ص: ٧، رقم الحديث [١] .

كما بين الإمام البلقيني^(١)، فيما نقله عنه تلميذه الإمام ابن حجر ملخصاً، فقال: " قال رضي الله عنه: بدأ البخاري بقوله: كيف بدء الوحي، ولم يقل: كتاب بدء الوحي؛ لأن بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي، قلت (بعني ابن حجر): ويظهر لي أنه إنما عراه من باب؛ لأن كل باب يأتي بعده ينقسم منه فهو أم الأبواب فلا يكون قسيماً لها، قال: وقدمه؛ لأنه منبع الخيرات، وبه قامت الشرائع وجاءت الرسالات^(٢) .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ^(٣): أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدَّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ، فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأْتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ"^(٤).

فينبغي إخلاص العمل لله ﷻ ليتحقق الشطر الأول من علامة جودته وإحسانه .

(١) البلقيني ت (٨٠٥ هـ): هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ وتوفي بالقاهرة. الزركلي، الأعلام (ج ٦/٥) .

(٢) ابن حجر، هدي الساري (ص ٤٧٠-٤٧٤).

(٣) نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: هو ناتل بن قيس، جذامي كان من عمال ابن الزبير، ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه. ابن عساکر، تاريخ دمشق (مج ٦١/٣٧٣)، النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٣/٥٠) .

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ/بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، مج ٢/٩١٩، رقم الحديث ١٩٠٥] .

ولإخلاص درجات^(١)، فيقول الإمام ابن قيم^(٢): وَمِنْ مَنَازِلِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣) **الدرجة الأولى: مَنْزِلَةُ الْإِخْلَاصِ**، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)، وإلى هذين المعيارين أشار الفضيل بن عياض^(٥)^(٦)، حيث قال في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٧)، فلا يزال العبد بخير، ما إذا قال: قال الله، وإذا عمل، عمل الله؛ قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا، لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا: لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٩)، فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾^(١٠)، وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله .

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج ٢/٨٨) .

(٢) ابن قيم ت (٧٥١ هـ): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر (ج ٤/٣٦٦)، رقم ١٥٣١ .

(٣) [الفاحة: ٥] .

(٤) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

(٥) الفضيل بن عياض ت (١٨٧ هـ): أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الزاهد المشهور. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج ٤/٤٧) .

(٦) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج ٢/٨٨، ٨٩) .

(٧) [هود: ٧] .

(٨) [الكهف: ١١٠] .

(٩) [النساء: ١٢٥] .

(١٠) [الفرقان: ٢٣] .

الدرجة الثانية^(١): الخجل من العمل مع بذل المجهود، وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

هذه ثلاثة أمور "خجله" من عمله، وهو شدة حياته من الله؛ إذ لم ير ذلك العمل صالحاً له، مع بذل مجهوده فيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} أَهْوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: "لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أُو: لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ - وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ"^(٣).

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج ٢/٩٦، ٩٥).

(٢) [المؤمنون: ٦٠].

(٣) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، كتاب الزهد/بَابُ التَّوَقُّي عَلَى الْعَمَلِ، ج ٢/١٤٠٤، رقم الحديث ٤٢٣١].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ سَعِيدِ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الترمذي في سننه من طريق سفيان بن عيينة بنحوه (٣٢٧/٥)، وأخرجه الحميدي في مسنده بنحوه (٢٩٨/١)، وأخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده من طريق وكيع بنحوه (٩٤١/٣)، وأخرجه أحمد في مسنده من طريق وكيع (٤٦٥/٤٢) ومن طريق يحيى بن آدم بنحوه (١٥٦/٤٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق محمد بن سابق بمثله (٤٢٧/٢)، كلهم عن مالك بن مغول به .

وأخرجه البزار في مسنده من طريق عبيد الله بن عمير بمثله مختصراً (٢٠٣/١٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق رجل بنحوه (٣١٥/٨)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط من طريق أبي هريرة الدوسي بنحوه مختصراً (١٩٨/٤)، وأخرجه البيهقي في الشعب من طريق محمد بن سابق ووكيع به بنحوه (٢١٣/٢)، كلهم عن أم المؤمنين عائشة ؓ .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

وقال بعضهم: إني لأصلي ركعتين فأقوم عنهما بمنزلة السارق أو الزاني، الذي يراه الناس، حياءً من الله سبحانه .

فالمؤمن: جمع إحساناً في مخافة وسوء ظن بنفسه، والمغرور: حسن الظن بنفسه مع إساءته.

الثاني: توفير الجهد باحتمائه من الشهود، أي يأتي بجهد الطاقة في تصحيح العمل، محتمياً عن شهوده منك وبك.

الثالث: أن تحتمي بنور التوفيق الذي ينور الله به بصيرة العبد، فتري في ضوء ذلك النور أن عملك من عين جوده لا بك، ولا منك.

فقد اشتملت هذه الدرجة على خمسة أشياء: عمل، واجتهاد فيه، وخجل، وحياء من الله ﷻ، وصيانة عن شهوده منك، ورؤيته من عين جود الله ﷻ ومنه.

قال: **الدرجة الثالثة**^(١): إخلاص العمل بالخالص من العمل، تدعه يسير سير العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم، حرّاً من رق الرسم، قد فسر الشيخ مراده بإخلاص العمل بالخالص من العمل بقوله: تدعه يسير سير العلم وتسير أنت مشاهداً للحكم.

ومعنى كلامه: أنك تجعل عملك تابعا لعلم، موافقا له، مؤتما به، تسير بسيره وتقف بوقوفه، وتتحرك بحركته، نازلاً منازلها، مرتوياً من موارده، ناظراً إلى الحكم الديني الأمري، متقيداً به، فعلاً وتركاً، وطلباً وهرباً، ناظراً إلى ترتب الثواب والعقاب عليه سبباً وكسباً، ومع ذلك فتسير أنت بقلبك، مشاهداً للحكم الكوني القضائي، الذي تتطوي فيه الأسباب والمسببات، والحركات والسكنات، ولا يبقى هناك غير محض المشيئة، وتفرد الرب وحده بالأفعال، ومصدرها عن إرادته ومشيئته، فيكون قائماً بالأمر والنهي فعلاً وتركاً، سائراً بسيره، وبالقضاء والقدر، إيماناً وشهوداً وحقيقة، فهو ناظر إلى الحقيقة قائم بالشرعية.

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج ٢/٩٦) .

ب- الأساس الثاني: الصواب

وهو أن يكون على هدي النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وروى أبو هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قوله: "كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَا أَبِي؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي"^(٢).

(١) [آل عمران: ٣١].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ/بَابُ الْإِفْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ص: ١٧٩٨، رقم الحديث ٧٢٨٠].

رابعاً: أهمية الجودة في الإسلام وحثه عليها

إنَّ الجودةَ مفهومٌ أصيلٌ في الإسلام، حثَّ عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، فكانت الجودة أساساً يبني عليه ومعياراً ومقياساً يقاسان به -وفق أسسها-، وفي ذلك يقول الله ﷻ في خلقه: «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ»^(١)، فكل شيء عنده بقدر وكل شيء عنده بميزان، وفي ذلك يقول ﷻ: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»^(٢)، ومن يتأمل خلق الله ﷻ فلا يرى خلاله خلافاً، بل لا يجد فيه فتقاً^(٣) ليرتق^(٤).

ووصف الله ﷻ خلقه فقال: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ»^(٥).

والجودةُ في خلقِ الله ﷻ شملت كل الكون، فإنه ﷻ بديع السماوات والأرض متقن صنعهما قال تعالى: «بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٦)، فلا عيب، ولا نقص، في خلق الله -أحكم الحاكمين-، فربُّ العالمين أبدع الخلق، وجعل كلمة (سبحان الله) تقال للإعجاب بما خلق وهي في أصلها تنزيه الخالق ﷻ عن النقائص .

وكذا الأمر إذا ما تحدثنا عن إبداع الله، وعظيم صنعه، في خلق الإنسان، وتصويره، في أحسن وأبهى صورة، بتسلسل الخلق بدءاً بخلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقية، ثم من مُضغَةٍ مخلَّقة، وغير مخلَّقة، ثم يستوي إنساناً كاملاً مُبدعاً في أحسن تقويم وأجوده، قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

(١) [النمل: ٨٨] .

(٢) [القمر: ٤٩] .

(٣) الفُتْقُ: شقُّ عصا الجَمَاعَةِ. والفُتْقُ: الصَّبْحُ. ابن فارس، مقاييس اللغة (ج ٤/٤٧١) .

(٤) الرَّتْقُ: الرَّتْقُ لحم الفتق وإصلاحه، يقال: رتقت فتقه حتى ارتتق . الفراهيدي، العين (ج ٥/١٢٦) .

(٥) [الملك: ٣] .

(٦) [البقرة: ١١٧] .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(١)، ولا يقف إبداع البديع ﷺ عند خلق السماوات والأرض، أو خلق البشر، فيظهر إبداع الله في القرآن الكريم، فقد أبدع وأحكم كتابه، فآياته تحدى فصحاء العرب، وأرباب البلاغة، وأهل البيان، على أن يأتوا بمثله، أو بعشر آيات، أو بسورة من مثله، فما استطاعوا، وزدوا خائبين؛ فهو كتاب أحكمت آياته، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾^(٢).

أما النبي محمد ﷺ -الذي لا ينطق عن الهوى- فإنه يحث على الجودة في الأمور كلها، بل وزيادة على ذلك- أنه حث على الإحسان في إقامة حد القتل قصاصاً، ولذا فإن ما نراه اليوم من تمثيل وتشويه في القتل سواء أكانوا مسلمين أو غير ذلك؛ لا يجوز شرعاً فيقول الإمام النووي^(٣): "وقوله ﷺ (فأحسنوا القتل)، عامٌ في كل قتل من الذبائح والقتل قصاصاً وفي حد، ونحو ذلك وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام والله أعلم"^(٤).

أما البهائم التي تذبح فالمسلم مطالب بالإحسان إليها حال الذبح، فيقول الإمام النووي أيضاً: "أما القتل -فبكسر القاف- وهي الهيئة والحالة وأما قوله ﷺ فأحسنوا الذبح فوقع في كثير من النسخ أو أكثرها فأحسنوا الذبح بفتح الذال بغيرها وفي بعضها الذبحة بكسر الذال وبالهاء كالقتلة وهي الهيئة والحالة، أيضا قوله ﷺ (وليحد) هو بضم الياء يقال أهد السكين وحددها واستحددها بمعنى وليرح ذبيحته بإحداذ السكين وتعجيل إمرارها وغير ذلك، ويستحب أن لا يحد السكين بحضرة الذبيحة وأن لا يذبح واحدة بحضرة أخرى ولا يجرها إلى مذبحها"^(٥).

(١) [المؤمنون: ١٢-١٤].

(٢) [هود: ١].

(٣) النُّووي ت (٦٧٦هـ): يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته. الزركلي، الأعلام ج (١٤٩/٨).

(٤) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٣/١٠٧).

(٥) المصدر السابق نفسه.

إن الإسلام دين الإبداع والإتقان، فعلى مر التاريخ الإسلامي لم يرفض الإسلام فكرة يطرحها مسلم فيها نهضة الأمة وصدق دين الحق في كل جوانبه، فأطلق الإسلام للعقل البشري التفكير والتفكير الراقي الناضج الذي يرقى بصاحبه ليرقى بالأمة .

هنا يتطلع المسلم للمعالي من الأمور وأشرفها، وليس يقنع أبداً بالدون، أو يرضى بالقليل، فالراضي بالدون دنيء، والمسلم لا يكون إلا مبدعاً، مجيداً، متطلعاً إلى المعالي، متشوقاً إليها، ومن روائع هذه الكنايات التي خلع عليها العصر طابعه في الرمز قول أبي القاسم الشابي:

إذا ما طمحت إلى غاية ... ركبت المنى وخلعت الحذر

ولم أتجنب وعر الشعاب ... ولا كبة اللهب المستعر

ومن لا يحب صعود الجبال ... يعيش أبد الدهر بين الحفر^(١)

ولنتحقق الجودة في حياة الإنسان، وتصبح منهاجاً في حياته، فلا بد أن يكون لديه مبدأ الرقابة الذاتية، وأن يستشعر مراقبة الله ﷻ له في السر والعلانية، وإنما يتحقق ذلك بسمو مبدأ الإحسان فذلك هو الغرس المثمر لكل خير .

(١) تقديم أحمد بسج، ديوان أبو القاسم الشابي (ص ٧٠) .

الفصل الأول

الجودة في العقيدة والأخلاق

المبحث الأول الجودة في العقيدة (الإيمان)

تمهيد:

العقيدة الإسلامية أبسط العقائد فهماً وتطبيقاً، فهي الأساس الذي يُبنى عليه الإيمان، وهي الدعامة الراسخة في قلب المؤمن، منها ينطلق العبد لله؛ ليرتقي من الإسلام إلى الإيمان، ومن الإيمان إلى الإحسان، فينال رضا المولى ﷺ، حين يُجودُ أقواله وأفعاله على نور من الله ﷻ، قاصداً بها وجهه ﷻ .

هنا يقف المسلم! ليتدبر مفهوم العقيدة، وكيف له أن يسمو بعقيدة صافية نقية؟!، بل كيف له أن يحظى بإيمان غير منقوص؟!، وكيف له أن يحصن نفسه من أي شائبة شرك أو إلحاد؟ .

لذا؛ كان لزاماً على المسلم أن يعرف ماهية الجودة في العقيدة الإسلامية، حتى يكون مسلماً ومسلماً تسليماً كاملاً بإيمانه، ومُجوداً لما يعتقد بالله ﷻ وما أمر أن يؤمن به .

قال أبو حنيفة^(١) رضي الله عنه: الفقه في الدين لأفضل من الفقه في الأحكام، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير، قال أبو مطيع: قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه، قال أبو حنيفة: "أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنة والحُدود واختلاف الأمة واتفاقها"^(٢) .

(١) أبو حنيفة ت (١٥٠ هـ): أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماة الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات . ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج ٥ / ٤٠٥) .

(٢) أبو حنيفة، الفقه الأكبر (ص ٨٢) .

فمعرفة الله ﷻ كنزٌ حقٌّ لمن اتقاه، ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بالتقوى، التي تُبنى على طاعة الله، وقد قال طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ^(١): «التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عذاب الله»^(٢).

أما الإيمان وهو اللفظ الذي سأستخدمه بدلاً من لفظ العقيدة وقد اخترته عنواناً لكل مطلب من المطالب؛ فالإيمان هو اللفظ القرآني الذي عرضه الله ﷻ في مقررات الإيمان في كتابه الكريم، فهو المصطلح المحبب للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَرَزَقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾^(٣)، وهو اللفظ اللطيف الذي فيه سمة الرقي والرفعة؛ فالعقائد مختلفة ولكن الإيمان واحد، وكلمة الإيمان أبلغ في المعنى وأشرفُ ظلاً وأدل على المقصود من الكلمات الأخرى، فما أن تذكر الإيمان، إلا وقد شعرت بالثقة والأمان والاطمئنان.

(١) طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ العنزي بفتح المهملة والنون بصري صدوق عابد رمي بالإرجاء من الثالثة مات بعد التسعين . ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٨٣) رقم ٣٠٤٠ .
(٢) ابن تيمية، الإيمان (ص ١٣٢) .
(٣) [الحجرات: ٧] .

المطلب الأول

الجودة في الإيمان بالله ﷻ

إن أعظم درجات الإيمان، الإيمان بالله، فهو السبيل إلى النجاة والاستقامة والهداية فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، والله ﷻ هو المستعان وحده لا شريك له في الهداية، فكل مسلم طائع، في كل يوم يمضي من حياته يسأل الله الهداية والاستقامة في صلاته، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢).

فالإيمان بالله هو: الاعتقاد الجازم بوجود الله، وأنه المستحق للعبادة وحده وأنه المدبر لشؤون عباده، متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن النقائص .

والإيمان بالله ﷻ له شعبٌ وأفضل شعبه التوحيد، الذي يُنزّه فيه الله ﷻ عن الشريك، ومن تمام الجودة والإحسان في الإيمان بالله ﷻ أفراد الله ﷻ بالعبادة فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ"^(٣).

فأما الجودة في الإيمان بالله فإنها متمثلة بالتوحيد، الذي به يفتح باب الإسلام للمرء بقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) بوابة الإسلام، ويصل بها إلى مدارج التوحيد، ويرقي مراقبي العبودية، فهو بموجبها يعترف لله ﷻ بالربوبية والألوهية ولمحمد ﷺ بالرسالة، بل هي الأساس الذي يبني عليه الإيمان -إن تحققت شرائطه-، فيقول الإمام النووي: "وقد نبه النبي ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته"^(٤)؛ وإنما كان فضلها بأن يشهد العبد بأن الله وحده هو المستحق للعبودية، فتصرف جوارحه وقواه إلى التسبيح والتهليل والتمجيد لله ﷻ وحده .

(١) [التغابن: ١١] .

(٢) [الفاحة: ٥-٦] .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الإيمانِ/بابُ شعبِ الإيمانِ، مج ١/٣٨، رقم الحديث ٣٥] .

(٤) [النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢/٤)] .

وشُعب الإيمان تتوالى مترتبة على صحة بعضها البعض، فإن جود الإنسان إيمانه بكلمة التوحيد بتحقيق شروطها رقى إلى درجة الإحسان التي هي أسمى درجات الجودة في التوحيد، بل وتعلق قلبه بخالقه المستحق للعبادة وحده، والإجادة في التوحيد إنما تأتي بالإخلاص وهو الأساس الأول للجودة^(١) .

وكلمة التوحيد العظيمة لها شروط تقتضي الجودة في الإيمان بها، كيف لا؟! وهي مفتاح الجنة، وما من مفتاح إلا وله أسنان، قِيلَ لَوْهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ^(٢): أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: "بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحُ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتُحَّكَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ"^(٣)، وإنما الأسنان للمفتاح هي شروط كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وقد عدّها العلماء سبعة، وإليك الشروط بأدلتها من القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة^(٤) متمثلة بالآتي:

١- العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، علماً ينافي الجهل بها فعن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"^(٥).

ولذا؛ فإن التجويد في العلم بمعناها من خلال البحث عن هذا المعنى، لا الركون إلى علم سمعه ولم يفقهه .

٢- اليقين المنافي للشك، وذلك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمات يقيناً جازماً، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا

(١) تم بيان الأساس الأول للجودة/ راجع صفحة ١٤ .

(٢) وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ت (١١٤ هـ): وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ بْنُ كَامِلِ بْنِ سَيْحٍ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، الصَّنَعَانِيُّ. الْبَخَارِيُّ، التَّارِيخُ الْكَبِيرُ (ج٨/١٦٤).

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجَنَائِزِ/بَابُ مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ص ٣٠٠] .

(٤) الصلابي، أركان الإيمان (ج١/٢٢-٢٤) .

(٥) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، مَج ٣٤/١، رقم الحديث [٢٦] .

يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١)، وقال لأبي هريرة ؓ أيضاً: "مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ"^(٢)، وتحقق اليقين لا يكون إلى بتحقيق بلوغ درجة الإحسان والتخلق بخلق المراقبة، الذي يصرف الشك بأحقية الله ﷻ بالعبودية وحده لا شريك له .

٣- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان، وقد ضرب النبي ﷺ لنا مثلاً واضحاً في ذلك، فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قَالَ: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ"^(٣)، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ،

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، مج ٣٤/١، رقم الحديث ٢٧].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، مج ٣٦/١، رقم الحديث ٣١].

وللحديث قصة أذكرها هنا: عن أبي هريرة ؓ، قَالَ: كُنَّا فُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَرَعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوْلَ مَنْ فَرَعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَارِ، فَذُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ أَبَا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رِبْعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِنْرِ خَارِجَةٍ - وَالرَّبِيعُ الْجَدُولُ - فَاحْتَقَرْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَرَعْنَا، فَكُنْتُ أَوْلَ مَنْ فَرَعَ، فَاتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَقَرْتُ كَمَا يَحْتَقِرُ النَّعْلُبُ، وَهُوَ لَاءِ النَّاسِ وَرَائِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَأَعْطَانِي نَعْلِيهِ، قَالَ: «أَذْهَبَ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»، فَكَانَ أَوْلَ مَنْ لَقِيَ عُمَرَ، فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلَانِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: هَاتَانِ نَعْلَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَنِي بِهِمَا مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ، فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ نَدْيِي فَخَرَرْتُ لِاسْتِي، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً، وَرَكِبَنِي عُمَرُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى أُنْثَرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيَْتُ عُمَرَ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِهِ، فَضَرَبَ بَيْنَ نَدْيِي ضَرْبَةً خَرَرْتُ لِاسْتِي، قَالَ: ارْجِعْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُمَرُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، وَأُمِّي، أَبْعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَنْكَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا، فَخَلَّهْمُ يَعْمَلُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَخَلَّهْمُ».

(٣) نَقِيَّةٌ: أي فكان البعض منها أرضاً خصبة نقيّة من الحشرات والديدان، التي تفتك بالزرع. قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (ج ١٧٩/١).

وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ^(١)، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَقَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانُ^(٢) لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فُقِعَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ^(٣).

فإنّ إيمان الإنسان بالله هو ثمرة لإحسانه، فمن قبل بمقتضى هذه الكلمة قولاً وعملاً، فإن ذلك ينعكس على حياته، فيتعلق قلبه بالله ﷻ، وتترجم جوارحه ما في قلبه، فتكون مفادة الله ﷻ فيما أمر، منتهية عما نهى .

٤- الانقياد لما دلت عليه المنافي^(٤) لترك ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٦)، أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بقلوبكم {وَأَسْلِمُوا لَهُ} بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، -كما في هذا الموضع-، كان المعنى ما ذكرنا، وفي قوله {إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئاً، {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ} مجيئاً لا يدفع {ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}^(٧) .

-
- (١) أَجَادِبُ: صلاب الأرض التي تمسك الماء فلا تشربه سريعاً. ابن منظور: لسان العرب (ج ١/٢٥٦).
- (٢) قَيْعَانُ: الْقَاعُ الْمُسْتَوِي مِنَ الْأَرْضِ وَرَادَ ابْنُ قَارِسَ الَّذِي لَا يُنْبِتُ. الحموي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج ٢/٥١٩).
- (٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ص: ٣٢، رقم الحديث ٧٩].
- (٤) الانقياد: ومعناه أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنها الحق. ابن باز، تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام (ص ٢٣).
- (٥) [الزمر: ٥٤].
- (٦) [النساء: ١٢٥].
- (٧) [السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٢٧)].

٥- **الصدق المنافي للكذب**، وذلك بأن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه موقناً، فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ، -ومُعَادُ رَدِيفُهُ^(١) عَلَى الرَّحْلِ-، قَالَ: "يَا مُعَادُ بْنُ جَبَلٍ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ^(٢)، قَالَ: "يَا مُعَادُ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ"^(٣).

فأبلغ ما يُرَقِّي المؤمن بإيمانه الصدق الذي هو منافٍ للكذب، فليس المؤمن بالكذاب، فلا يمكن أن يجتمع الإيمان والنفاق في قلب المؤمن، بل إن أعظم ما يُتقن به الإيمان هو الصدق مع الله اعتقاداً وقولاً؛ حتى يترجم ذلك عملاً بجوارحه.

٦- **الإخلاص**، وهو تصفية العمل لصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^(٤)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ"^(٥).

فالإخلاص هو إتقان العبادة وتجويدها وفق مراد الشارع الحكيم من غير شائبة شرك.

٧- **المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه**، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها وبغض ما ناقض ذلك، وأجود ما قال النبي ﷺ في ذلك ما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ

(١) رَدِيفُهُ: الرَّدِيفُ الَّذِي تَحْمِلُهُ خَلْفَكَ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ تَقُولُ أُرْدِفْتُهُ إِزْدَافًا وَارْتَدَفْتُهُ. الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج ١/٢٢٤) .

(٢) لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ: أي ساعدت طاعتك مساعدة، بعد مساعدة، وإسعادا بعد إسعاد، ولهذا ثنى، وهو من المصادر المنصوية بفعل لا يظهر في الاستعمال. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٢/٣٦٦) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ مَنْ حَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا، ص: ٤٥، رقم الحديث ١٢٨] .

(٤) [الزمر: ٢] .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ الْجِرْصِ عَلَى الْحَدِيثِ، ص: ٣٧، رقم الحديث ٩٩] .

يُقَدِّفَ فِي النَّارِ"^(١)، وإجادة الجودة فيما يطبقه المؤمن في حبه لله ﷻ والإيمان به، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"^(٢).

ومحبة الله ﷻ لا تتم إلا بمحبة ما يحبه وكره ما يكرهه وطريق معرفة ذلك هو اتباع الرسول ﷺ ومحبته، فمحبة الله تستلزم محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته. فهذه الشروط من حققها وأتقنها وجوَّدها وعمل بها، وتحرى أن يجانب ما يناقضها فقد أجاد في الإيمان بالله ﷻ بل، كان من المخلصين، الذين هم أولياء الله ﷻ.

وإن الجودة في الإيمان بالله ﷻ باكتشاف روح كلمة (لا إله إلا الله) وسرها، اللذان يحملان في طياتهما سرَّ العلاقة بين العبد وربِّه، فمن كُشف له هذا السرُّ الإلهي العظيم، تحقق في قلبه الإيمان غير منقوص؛ فتكون العبادة في كل أمر من أمور حياة المؤمن لا تُوجه إلا لله، فإن صَلَّى لله، وإن صام لله، وإن حجَّ لله، وإن أعطى لله، وإن أمسك لله، وإن قاتل لله، وإن تعلَّم لله، وإن والى لله، وإن تبرأ لله، وإن أحسن وجودَ لله، وإن أطعم لله، وإن أحب لله، وإن أبغض لله .

والأعظم من ذلك أن يرقى بإيمانه إلى إجلال الله وتعظيمه والخوف منه ورجائه، فإن أناب أو رغب أو رهب فذلك كله لله، ولا يتوكل إلا على الله، ويلجأ إلا لله، ولا يتنزل إلا لله، ولا يعتز إلا بالله، ولا يستعين إلا بالله، ولا يتقرب بالطاعة إلا لله، ولا يحقق العبودية إلا لله وحده .

فجاء عند أحمد في مسنده عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِبَطْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: مَا لِي أَرَاكَ قَدْ شَعِثْتَ وَاعْبَرَزْتَ مُنْذُ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ لَعَلَّكَ سَاءَكَ يَا طَلْحَةَ إِمَارَةُ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ، إِنِّي لِأَجْدِرُكُمْ أَنْ لَا أَفْعَلَ ذَلِكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنِّي لِأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ عِنْدَ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/باب خلاوة الإيمان، ص: ١٤، رقم الحديث ١٦].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحب هذه المحبة، مج ٤٠/١، رقم الحديث ٤٤].

حَضْرَةَ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَ رُوحَهُ لَهَا رَوْحًا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " فَلَمْ
أَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا، وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِهَا، فَذَلِكَ الَّذِي دَخَلَنِي، قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُهَا، قَالَ: فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ، قَالَ: فَمَا هِيَ؟ قَالَ: هِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا لِعَمِّهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ طَلْحَةُ: صَدَقْتَ (١) .

(١) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ/ مُسْنَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ/ مُسْنَدُ عُمَرَ
بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، ج ٣١٩/١، رقم الحديث ١٨٧] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ مُجَالِدٍ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

• تخريج الحديث/

أخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه (٤٠٤/٩)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بمثله (١٣/٢)، وأخرجه
والبزار في مسنده بنحوه (١٥٠١/٣) ثلاثتهم من طريق عبد الله بن نمير به.
وأخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه مختصراً (٤٠٢/٩)، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (٣٦٤/١)،
من طريق عامر الشعبي، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد به بمثله (٣٢٤/٢). كلهم عن جابر بن
عبد الله ﷺ .

وله شواهد من طرق أخرى أسردها:

أخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه مختصراً (١٢٤٧/٢)، وأخرجه البزار في مسنده بنحوه (١٥٠/٣)،
وأخرجه والنسائي في سننه الكبرى بمعناه مختصراً (٤٠٤/٩)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بنحوه
مختصراً (١٤/٢)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بنحوه مختصراً (٤٣٤/١)، وأخرجه الطبراني في
معجمه الكبير بنحوه مختصراً (٣٠٤/٢٤)، كلهم من طريق سعدى المريية.
وأخرجه النسائي في سننه الكبرى بمعناه (٤٠٣/٩)، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (٨/٣)، وأخرجه
أبو يعلى في مسنده بنحوه (٢٢/٢)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بنحوه (٥٠٢/١)، أربعتهم من طريق
يحيى بن طلحة.

• ترجمة الرواة/

- رواه ثقات، عدا:

- مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ: مُجَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَمِيرِ الْهَمْدَانِيِّ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَدْ تَغَيَّرَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ. ابْنُ حَجْرٍ،
تقريب التهذيب (ص ٥٢٠).

قال البخاري: صدوق. وقال الساجي: قال محمد بن المثنى: "يحتمل حديثه لصدقه". ابن حجر، تهذيب
التهذيب (٢٥/٤)، قال الذهبي: ضعفه ابن معين. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب
الستة (٢٤١/٤)، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة. الذهبي، سير أعلام النبلاء

- والجودة في الإيمان بالله ﷻ تستلزم الإيمان بأربعة أركان أساسية لتحقيق العبودية :
 - ١- الجودة في الإيمان بوجود الله ﷻ .
 - ٢- الجودة في الإيمان بانفراد الله ﷻ بالألوهية .
 - ٣- الجودة في الإيمان بالربوبية .
 - ٤- الجودة في الإيمان بأسماء الله وصفاته .

ولا يمكن أن يجود الإيمان ويتحقق إلا باجتماع هذه الأمور الأربعة من غير نقصان إحداها، وإلا لم يصح الإيمان وانتقض .

وتجويد الإيمان بهذه الأمور الأربعة إنما يكون بفقهها، واعتقادها بالقلب وقولها باللسان وترجمتها بالجوارح في أداء الأعمال والعبادات وفق مراد الله ﷻ، وعلى هدي نبيه ﷺ، واتباعاً لفهم من عاصر النبي ﷺ من الصحابة ﷺ ومن بعدهم التابعين رحمهم الله تعالى .

وإنما تستقى الأركان الأربعة لتحقيق العبودية لله ﷻ من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) .

(ج٦/٢٨٦)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد (٢/٣٢٤)، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به ، يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل. مغطاي: إكمال تهذيب الكمال (١١/٧٠). قال الذهبي: مشهور صاحب حديث على لين فيه. الذهبي: ميزان الاعتدال (ج٣/٤٣٨). وقال ابن سعد: قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْقَطَانَ: "مَا كُنْتُ أَشَاءُ أَنْ يَقُولَ لِي مَجَالِدٌ مِنْ حَدِيثٍ مِنْ رَأْيِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ إِلَّا فَعَلَ"، وقد روى عنه يحيى بن سعيد القطان مع هذا. ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج٦/٣٣٦) .
قال الباحث: هنالك اضطراب في الحكم على الراوي عند النسائي، كذلك هناك اختلاف بين النقاد في حمل حديثه أو تركه، فأقول أن الرواي صدوق يخطئ يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل.
سمعه ابن نمير قبل اختلاطه، فقال العلاني: اختلط بأخرة، وممن روى عنه بعد اختلاطه أبو أسامة.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن.

له متابعات من طريق عامر الشعبي، وله شواهد أخرى، وقد ثبت سماع ابن نمير منه قبل اختلاطه.

(١) [الفاحة: ٢-٥] .

فقولنا (الحمد لله رب العالمين) إقرار بوجود الله ﷻ وصولاً إلى توحيد الربوبية وأنه رب كل شيء ومليكه، وأما قولنا (مالك يوم الدين) فهو إقرار بالأسماء والصفات وتوحيده ﷻ بها بإقرار اسمه المالك، وأما قولنا (إياك نعبد وإياك نستعين) فهو إقرار بألوهية ربنا ﷻ وأنه وحده المستحق للعبادة لا شريك له، حيث إن في الآية تخصيصاً مقدماً بـ (إياك)، والبلاغة فيها أنه لا يقصد غيرك بالعبادة أو الاستعانة.

قال الشيخ السعدي^(١): "أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك، وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده"^(٢).

أولاً: الجودة في الإيمان بوجود الله ﷻ

إن أول ما يجود الإنسان به إيمانه بالله ﷻ، هو أن يعتقد بوجود الله ﷻ عقلاً وحساً وفطرة، منقاداً إلى ذلك شرعاً .

فأما دلالة العقل، فإن الإنسان بإعماله لعقله والتفكير في الكون وما به من مخلوقات يجود، إيمانه بوجود الله ويثبت لنفسه بأن هذا الكون العظيم وما فيه من كائنات لم يكن ليوجد صدفة ولا يمكن للكائنات أن توجد نفسها بنفسها، فيقول الإمام ابن عثيمين^(٣): ("فإن قلت: وجدت بنفسها، فمستحيل عقلاً ما دامت هي معدومة؟ كيف تكون موجودة وهي معدومة؟! المعدوم ليس بشيء حتى يوجد، إذاً لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها وإن قلت: وجدت صدفة، فنقول: هذا يستحيل أيضاً، فأنت أيها الجاحد، هل ما أنتج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها، هل وجد هذا صدفة؟! فيقول: لا يمكن أن يكون، فكذلك هذه الأطيوار والجبال

(١) السعدي ت (١٣٧٦ هـ): ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. الزركلي، الأعلام (ج ٣/٣٤٠).

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٩).

(٣) ابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي. ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج ١/٩).

والشمس والقمر والنجوم والشجر والجمر والرمال والبحار وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة أبداً".

ويقال: إن طائفة من السُّمَنِيَّةِ^(١) جاؤوا إلى أبي حنيفة -رحمه الله-، وهم من أهل الهند، فناظروه في إثبات الخالق عز وجل، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاؤوا، قالوا: ماذا قلت؟ أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرسدت في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حاملون.

قالوا: تفكر بهذا؟! قال: نعم، قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يُعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتتصرف؟! هذا ليس معقول! قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه، وقيل لأعرابي من البادية: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ .

وأما دلالة الحس والمشاهدة على وجود الله، فإن الإنسان يدعو الله ﷻ، يقول: يا رب! ويدعو بالشيء، ثم يستجاب له فيه، وهذه دلالة حسه، هو نفسه لم يدع إلا الله، واستجاب الله له، رأى ذلك رأي العين"^(٢) .

ففي البخاري دليل للدلالة الحسية فيما جاء عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، أنه سمع أنس بن مالك، يذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله: هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيننا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: "اللهم اسقنا، اللهم اسقنا" قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحب، ولا قرعة ولا شيئاً وما بيننا وبين سلع من

(١) السُّمَنِيَّة، بضم السين وفتح الميم، فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ وتُنكر وقوع العلم بالإخبار. ابن منظور، لسان العرب (ج ٢٢/١٣) .

(٢) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج ١/٥٦-٥٧) .

بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ الثُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ
 أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ،
 وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وَأَنْقَطَعَتِ
 السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ
 عَلَى الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأُودِيَةِ^(١) وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ"، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ، وَحَرَجْنَا نَمْشِي
 فِي الشَّمْسِ قَالَ شَرِيكَ: فَسَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ قَالَ: "لَا أَدْرِي"^(٢).

فهذا الرجل أتى يسأل النبي ﷺ الدعاء بأن ينزل الله المطر فدعا النبي ﷺ فاستجاب الله
 ﷻ له، فذلك دليل حسي مشاهد من الناس عامة على وجود الله ﷻ وإجابة عباده .

وأما دلالة الفطرة التي هي أصل في كل مخلوق لله ﷻ في هذا الكون، فإن أصحاب
 الفطرة السليمة الذين لم تتحرف فطرتهم يستدلون على وجود الله ﷻ بها، فلو تأملت حال الناس
 حين تُلَّمُّ بهم المصائب لوجدتهم ينظرون إلى السماء وتشخص أبصارهم إلى حيث استوى الله
 ﷻ على عرشه في السماء السابعة، هذه النظرة التي يلجأ إليها الناس إنما هي مغروسة بفطرتهم
 التي فطرهم الله عليها لما خلقهم ﷻ .

(١) الْآكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأُودِيَةِ:

- الْآكَام: قال ابن البرقي: هو التراب المجتمع، وقال القزاز: هي التي من حجر واحد، وقال الخطابي: هي
 الهضبة الضخمة، وقيل: الجبل الصغير، وقيل: ما ارتفع من الأرض. العيني، عمدة القاري شرح
 صحيح البخاري (ج٧/٥٩) .

- الْأَجَام: الأجام الأشجار والحوائط، وقال الكرمانى: الأجم جمع أجمة وهي الغيضة. وقال الجوهرى: هو
 حصن بناه أهل المدينة من الحجارة وهو الصواب. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري
 (ج٢١/٣٠٥) .

- الظراب: قال القزاز: هو جبل منبسط على الأرض، قالوا: أصل الظراب ما كان من الحجارة أصله ثابت
 في جبل أو أرض حزنة، وكان أصله الثاني محدودا، وإذا كانت حلقة الجبل كذلك سمي ظريا. العيني،
 عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج٧/٦٠) .

- الأودية: والمراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري
 (ج٧/٦٠) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِسْتِسْقَاءِ/بَابُ الْإِسْتِسْقَاءِ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، ص: ٢٤٥، رقم الحديث
 . [١٠١٣]

فإن أجاد الإنسان في فهم هذه الأدلة الثلاثة على وجود الله ﷻ فإنه سيُقاد مسلماً بالأدلة والدلالة الشرعية؛ بل وتظهر الجودة في الإيمان بوجود الله ﷻ جليةً بعد أن ينقاد للأدلة الشرعية معتقداً بها، لا يدخل لقلبه شك بها مهما أثار المبطلون شبهاتهم وبرهنوها بأسحارهم.

ثانياً: الجودة في الإيمان بانفراد الله ﷻ بالألوهية

إن انفراد الله ﷻ بالألوهية لهو حق لله ﷻ على عباده، وقد عرّف الشيخ ابن عثيمين توحيد الألوهية بقوله: "هو إفراد الله عز وجل بالعبادة؛ ألا تكون عبداً لغير الله، لا تعبد ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شيخاً ولا أمماً ولا أباً، لا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله ﷻ وحده بالتأله والتعبد، ولهذا يسمى: توحيد الألوهية، ويسمى: توحيد العبادة، فباعتبار إضافته إلى الله هو توحيد ألوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة"^(١).

وهذا الحق لله إن لم يُجوّده المسلم كاد أن يقع في الشرك، ولذا؛ فإن أعظم توحيد لله ﷻ وأحق توحيد حقه أن يجوّد هو توحيد في ألوهيته ﷻ، فمن هذا التوحيد تشتق أنواع التوحيد الأخرى، وهو الباب الذي يدخل منه المسلم إلى الإسلام بقوله لفظ الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)^(٢)، فعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟"، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟"، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ"^(٣).

ويظهر من تعريف الشيخ ابن عثيمين لتوحيد الألوهية بيان مراد النبي ﷻ في حديث معاذ رضي الله عنه، بإظهار الجودة الحقيقية لتوحيد الألوهية والتي يكمن سرها في إفراد الله ﷻ في العبادة والإخلاص له في السريرة والعلانية، فلا يكون أمر العبادة كله إلا لله ﷻ.

(١) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص ١٧).

(٢) تقدم شرحها وبيانها (ص ٢٠).

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ص: ١٨٢٠، رقم الحديث ٧٣٧٣].

ولتحقق الجودة في توحيد الألوهية فإنه على العباد معرفة الله ﷻ وأداء حقه عليهم، فتكون الجودة في ذلك بالخلاص من الشرك وشوائبه، وإزالة حب الدنيا من القلوب، وجعل محبة الله ﷻ، ورسوله ﷺ مقدمة على كل حب دونهما، والإخلاص في القصد والوجهة في كل له ﷻ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ" (١).

ولا يمكن للمسلم أن يجد حلاوة الإيمان -وهي ثمرة الجودة فيه-، حتى يتقن حبه لله ﷻ وحبه لرسوله ﷺ، وأن يحسن إيمانه ببغضه للكفر والكافرين وحبه للإسلام والمسلمين، وألا يوالي غير الله ﷻ وأوليائه، وأن يتبرأ من أعداء الله ﷻ من الكفار والمشركين، بذلك يجد حلاوة الإيمان ويتحقق معنى العبودية لله ﷻ في توحيد الألوهية، قال ابن بطال (٢) في معنى وجود حلاوة الإيمان: "فهو استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فيما يُرضي الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا، رغبة في نعيم الآخرة، الذي لا يبديد ولا يفنى، وروي عن عتبة (٣) الغلام أنه قال: كابدت الصلاة عشرين سنة، ثم تلذذت بها باقي عمري" (٤).

ولحلاوة الإيمان روح يجدها المسلم كلما جود قربه من الله ﷻ فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا" (٥).

(١) سبق تخريجه، (ص ٤٠).

(٢) ابن بطال ت (٤٤٩ هـ): العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطلال البكري القرطبي ثم البنسي ويعرف بابن اللجام. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج ١٨/٤٧)، رقم ٢٠.

(٣) عتبة الغلام: هو عتبة بن أبان بن صمعة من عباد أهل البصرة وزهادهم ممن جالس الحسن وأخذ هديه في العبادة ودله في التقشف روى عنه البصريون الحكايات ما له حديث مسند صحيح يرويه . ابن حبان، كتاب الثقات (ج ٧/٢٧٠)، رقم ١٠٠١٧.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري لابن بطال (ج ١/٦٦).

(٥) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، مج ١/٣٧، رقم الحديث ٣٤].

قال القاضي^(١) عن حديث "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ": "هذا الحديث بمعنى الحديث المتقدم (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ﷻ رباً وبالإسلام ديناً و بمحمد ﷺ رسولاً)، وذلك أنه لا يصح المحبة لله ﷻ ورسوله ﷺ حقيقة، وحب الآدمي في الله ﷻ ورسوله ﷺ وكرهه الرجوع إلى الكفر، إلا لمن قوي بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته"^(٢) .

وقال القاضي أيضاً: "والحب في الله من ثمرات حب الله"^(٣)، فمن تجويد توحيد الألوهية ينطلق العبد لإتقان توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في أسمائه وصفاته العلى.

لذلك كان لزاماً على المسلم أن يعرف الله ﷻ في ألوهيته ابتداءً، ويتضح هذا في عقيدة أهل السنة والجماعة بالتالي: "يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، (توحيد الألوهية) بدليل الكتاب والسنة والإجماع"^(٤) .

ثالثاً: الجودة في الإيمان بالربوبية

توحيد الربوبية: وهو "إفراد الله ﷻ في أمور ثلاثة: في الخلق والملك والتدبير"^(٥)، وقد فطر الله ﷻ العباد على ذلك التوحيد، الذي يعرف العبد به عِظَمَ ربه ﷻ، ويقر في نفسه طائعاً بهذا التوحيد .

وإنما يُجَوِّدُ توحيد الربوبية بالإقرار التام لله ﷻ بأنه خالق كل شيء، وأنه ﷻ ليس له كفؤ في هذا الكون، وأنه ﷻ هو المتصرف في شؤون عباده، المدبر لها أحسن وأجود تدبير، ولذا كان هذا التوحيد مناط اتفاق بين الخلق أجمع، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

(١) القاضي عياض ت (٤٥٤هـ): القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٣/٤٨٣)، رقم ٥١١ .

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٢/١٣) .

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٢/١٣) .

(٤) الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (مج١/٨٨) .

(٥) ابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ص ١٤) .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ^(١)، وقد أثبت النبي ﷺ لله ﷻ القدرة على الخلق وبدئه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ^(٢) يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، وَبَتَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ"^(٣).

أما الخلل في توحيد الربوبية فيبينه الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٤)، فالله ﷻ يبين أن الكفار يعترفون بخالقهم ﷻ بل ويقرون به، ولكنهم ما أشركوا بالله ﷻ إلا ليجعلوا هذه الآلهة التي تعبد من دونه وساطة بينهم وبين الله ﷻ وشفعاء لهم عنده، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(٥)، ولذلك فإن إتيان وتجويد توحيد الربوبية يتمثل في الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ ليس له كفؤ البتة، وأنه ﷻ هو القادر على كل شيء لا نداء له، وأن الله يدبر أمور الكون وحده لا شريك له، ولا منازع في الملك والتدبير .

إن عِظَمَ تجويد الإيمان بتوحيد الربوبية يتجلى في التدبر والتفكر في خلق الله ﷻ، الأمر الذي يقرر في النفس أن الخالق واحد لا شريك له، والمدير العليم لا شريك له، والملِكُ على كل ذلك واحد لا شريك له، والتأمل في الكون والخلق صغيره وكبيره، قويه وضعيفه، ضاره ونافعه،

(١) [العنكبوت: ٦١] .

(٢) الْمَكْرُوهُ: قوله ﷻ (خلق المكروه يوم الثلاثاء) كذا رواه ثابت بن قاسم قال وهو ما يقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض وكل شيء يقوم به صلاح شيء فهو تقنه ومنه إتيان الشيء وهو إحكامه قلت ولا منافاة بين الروايتين فكلاهما خلق يوم . النووي: صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٧/١٣٣) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ/بَابُ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ وَخَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مج ٢/١٢٨٥، رقم الحديث ٢٧٨٩] .

(٤) [يوسف: ١٠٦] .

(٥) [الزمر: ٣] .

يبعث في النفس تعظيم الحكيم الذي أتقن كل شيء فأبدع في خلقه؛ فإن حلت في النفس الأناة تدبراً، صار القلب منقاداً إلى توحيد الرب -جل وعلا-، من غير شائبة شرك أو شك .

بل إن الأعظم من ذلك خلو القلب من الشرك، هو استقرار حب الله ﷻ فيه، فمن أحب الله ﷻ، ذل وخضع وانكسر وانقاد له، وهذه هي الثمرة المرجوة والتي تظهر في تجلي إتقان العبودية لله ﷻ خالصة .

رابعاً: الجودة في الإيمان بأسماء الله وصفاته

ومعناه: إفراد الله تعالى بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبتته، ونفي ما نفاه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل^(١) .

ومن هنا فإني أشير في بداية حديثي عن الجودة في الإيمان بالأسماء والصفات إلى نقاط أساسية وهي حقائق يجب على الإنسان أن يعلمها ولا يغفلها وهي:

- حواس الإنسان هي السبيل الوحيد إلى إدراك الوجود من حولنا .
- كل حاسة من هذه الحواس محدودة كماً وكيفاً .
- اتساع الكون واختلاف كنهه بما لا يدع مجالاً للشك، بأن هنالك خلقاً لله في هذا الكون لا ندركه بحواسنا .
- إنكار أي شيء في هذا الكون لا يكون إلا بدليل -شرعي أو علمي- قطعي .
- الإقرار بأن العقل حاسة لها حدود في الإدراك .

فانطلاقاً من هذه الحقائق والمسلمات، يبدأ تجويد الإنسان لإيمانه بتوحيد الأسماء والصفات ممثلاً قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) .

(١) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص ٤٠) .

(٢) [الأنعام: ١٠٣] .

ومن ذلك، فإن الجودة في الإيمان بأسماء الله وصفاته تثبت بالتنقيد بما جاء في كتاب الله ﷺ وسنة رسوله ﷺ، فلا يخلق المسلم لله اسماً أو صفة لم تُذكر في القرآن ولا في السنة، ولا يشبه الله ﷻ بخلقه، فكل مخلوق لا كمال له، والله ﷻ منزه عن النقائص، والآية السابقة تثبت أن لحواس الإنسان حدوداً، بل تبين عظم الخالق ﷻ، وإن قصدنا تحقيق الجودة في هذا الإيمان، فذلك ما يجب أن نقر به مدعين لله ﷻ طائعين له، مؤمنين بما نتلوه في كتابه من قوله ﷻ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(١).

والتجويد في الإيمان بالأسماء والصفات يتمثل في امتثالها عبادة يتقرب بها العبد إلى الله، فعن عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَفْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقَوْلِ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "سَلُّوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟"، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ"^(٢).

ووجه ذكر هذا الحديث في هذا الباب؛ لأنها سورة تشتمل على توحيد الله وصفاته الواجبة له وعلى نفي ما يستحيل عليه من أنه لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد وتضمنت ترجمة هذا الباب أن الله واحد وأنه ليس بجسم؛ لأن الجسم ليس بشيء واحد بل هو أشياء كثيرة مؤلفة، ففي نفس الترجمة الرد على الجهمية في قولها إنه تعالى جسم، والدليل على استحالة كونه جسماً أن الجسم موضوع في اللغة للمؤلف المجتمع، وذلك محال عليه ﷻ؛ لأنه لو كان كذلك لم ينفك من الأعراض المتعاقبة عليه الدالة بتعاقبها عليه على حدثها لفناء بعضها عند مجيء أضعافها، وما لم ينفك من المحدثات فمحدث مثلها، وقد قام الدليل على قدمه ﷻ، فبطل كونه جسماً^(٣)، ففي إثبات أسمائه؛ إثبات صفاته لأنه إذا ثبت أنه حي مثلاً فقد وصف بصفة زائدة على الذات وهي صفة الحياة ولولا ذلك لوجب الاقتصار على ما ينبئ عن وجود الذات فقط وقد

(١) [الشورى: ١١] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ص: ١٨٢١، رقم الحديث ٧٣٧٥] .

(٣) ابن بطلال، شرح صحيح البخاري لابن بطلال (ج ١٠/٤٠٢) .

قال ﷺ: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ»^(١) فنزه نفسه عما يصفونه به من صفة النقص ومفهومه أن وصفه بصفة الكمال مشروع^(٢).

أما الفرق بين الأسماء والصفات، فيكمن في أن الأسماء مشتقة من الصفات، فالأسماء تدل على الذات، والصفات تدل على معان قائمة بالذات، وهذه المعاني القائمة بالذات هي الصفات^(٣).

ومن قَصَدَ اتِّبَاعَ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْإِيمَانِ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَجُودَ أَعْمَالَهُ أَيْضاً، فَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ الْعِبَادَ عَلَى تَجْوِيدِ هَذَا الْإِيمَانِ بِالْإِعْتِقَادِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ .

فأما الاعتقاد: فعن أبي هريرة ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"^(٤).

فالإحصاء لأسماء الله ﷻ المشتقة من الصفات العلى لله ﷻ - والذي يأتي هنا بمعنى الحفظ والإحاطة فهماً وعملاً - هو من تمام التجويد في الاعتقاد، وما كان هذا الإحصاء سبيلاً إلى الجنة إلا بتجويده وحسن فهمه، بل وإتقانه عملاً.

وأما تجويد الإيمان بالأسماء والصفات قولاً: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ"^(٥).

فالحلف بالله قولٌ يجوّد العبد به إيمانه الراسخ بأسماء الله ﷻ وصفاته، بل ويحقق العبودية الحقّة السليمة من الشرك متوجهاً بذلك إلى الله راجياً رضاه؛ ولذا كان الله ﷻ ولياً

(١) [الصفات: ١٨٠] .

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١٣/٣٥٧) .

(٣) الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (ج ١/٦٤) .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، ص: ١٨٢٥، رقم الحديث ٧٣٩٢] .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، ص: ١٨٢٦، رقم الحديث ٧٤٠١] .

لأوليائه في أمور حياتهم كلها، بل يصبح المسلم لا يخطو خطوة إلا وهو في معية الله، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (١) .

قال بدر الدين العيني (٢): "ينبغي أن يفهم من هذا التجرد لله تعالى والانتقاع إليه والإعراض عن غيره، وصفاء القلب وإخلاص الحركات له" (٣) .

وأما تجويد الإيمان بالأسماء والصفات فعلاً: فإنه يتمثل بالتخلق والعمل بما في هذه الصفات من أخلاق، وأذكر خلقاً منبثقاً من هذه الأسماء والصفات كان ﷺ يتخلق به عملاً ألا وإنه خلق الرحمة، فالرحمة صفة لله ﷻ من اسمه الرحيم، والتجويد في ذلك يكمن في إنزال خلق الرحمة منزل الفعل؛ فيرحم الإنسان من هو أضعف منه، والرحمة لا تكون إلا من الأقوى، فيرحم الرجل طفله وزوجه، ويرحم والديه عند الكبر، ويرحم الضعفاء والفقراء، ويرحم مخلوقات الله ﷻ الضعيفة سواء كانت حيواناً أو نباتاً، وتمثل هذا الخلق عند الحبيب محمد ﷺ في قصته مع أنين الجذع، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، يقول: "كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْفُوفًا عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ تَخْلِ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَوْمُهُ إِلَىٰ جِدْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صَنَعَ لَهُ الْمَنْبِرَ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِدْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ (٤)، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَتَتْ" (٥) .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرِّقَاق/بَابُ التَّوَاضُّعِ، ص: ١٦١٧، رقم الحديث ٦٥٠٢] .

(٢) بدر الدين العيني ت (٨٥٥ هـ): هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي: مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. الزركلي، الأعلام (ج٧/١٦٣) .

(٣) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج١٦/١٧٦) .

(٤) العشار: اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها، وبعضها ينتظر نتاجها، العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ج١/٤٤٠، ٦٥٣) .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ المَنَاقِبِ/بَابُ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ص: ٨٨٣، رقم الحديث ٣٥٨٥] .

وقد مثلَّ صوت الجذع بأصوات العشار عند فراق أولادها، وهو حنين الجماد^(١)، حيث أنه ﷺ رحم هذا الجذع فمسح عليه حتى سكت أنينه، وهذا من تمام تجويد الإيمان بأسماء الله وصفاته إنزال النبي ﷺ هذه الصفة لله منزل الفعل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وِلْدَانِهَا، خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ"^(٢).

والرحمة بالإنسان الذي كرمه الله ﷻ أولى، ومن تمام رحمة الله بالخلق، أن بعث النبي ﷺ رحمة للعالمين فقال ﷺ: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»^(٣)، فالجودة في الإيمان بالله ﷻ يكون تمامها باتباع ما أمر الله ﷻ به والانتهاه عما نهى عنه، بل والإيمان المطلق بكل ما أمر المسلم أن يؤمن به، وهو الهدى النبوي الذي سار عليه أهل السنة والجماعة، اتباعاً لقوله ﷻ: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^(٤)، ومن ترتيب هذه الآية لأركان الإيمان أنتقل إلى بيان الجودة في الإيمان بالملائكة -عليهم السلام - .

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج٦/٢١٧) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ: جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، ص: ١٥٠٦، رقم الحديث ٦٠٠٠ .

(٣) [الأنبياء: ١٠٧] .

(٤) [البقرة: ٢٨٥] .

المطلب الثاني

الجودة في الإيمان بالملائكة

أولاً: الجودة في الإيمان بوجود الملائكة -عليهم السلام-

إن الملائكة الكرام -عليهم السلام-، مخلوقات عظيمة خلقها الله ﷻ من نور، مصداقاً للحديث الذي رواه أم المؤمنين عائشة ؓ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"^(١).

وهذه المخلوقات عالم غيبي، لهم صفاتهم وهيئاتهم التي جبلهم الله ﷻ عليها، ولكل منهم عمل موكلٌ به.

وقد اتصلت حياة الإنسان قبل أن يخلقه الله ﷻ بالملائكة، حين أخبر الله ﷻ الملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة، وكأن الله ﷻ يُعَلِّمُهُمْ بأن لكم الآن عملاً توكلون به مع هذا المخلوق؛ فكان الاتصال الوثيق مذ أن يُكوَّن في بطن أمه علقة حتى يولد، وفي أثناء الحياة، وبعدها عند الموت، ولذا كان لزوماً على الإنسان أن يُجوِّد إيمانه بالملائكة باعتقاد وجودهم .

وتجويد الإيمان بوجود الملائكة -عليهم السلام- يكون بتحقيق المراد من وجودهم في حياته، والاعتقاد بما وُكِّلوا به من أعمال كلِّفهم الله ﷻ بها، من غير شك في أي أمر ثابت في القرآن الكريم أو سنة النبي ﷺ، عن أحوالهم وأعمالهم وحكمة خلقهم .

ثانياً: الجودة في الإيمان بحكمة خلق الملائكة في بعض أعمالهم المُوكَّلة لهم:

إن أعمال الملائكة تتجه أول ما تتجه إلى عبادة الله ﷻ، وترقية الحياة، وتنظيم أمر هذا الوجود، وإقامة معالم النظام، وهي تعمل دائماً على التأليف والتجميع والتنسيق، وهداية الإنسان إلى الحق، ودعاء الله ﷻ أن يغفر له سيئاته ويحفظه منها^(٢).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الزُّهُدِ وَالرِّقَاقِ/بَابُ فِي أَحَادِيثَ مُنْفَرَّةٍ، مج ٢/١٣٦٤، رقم الحديث ٢٩٩٦] .

(٢) سيد سابق، العقائد الإسلامية (ص ١٣٩) .

من أعمال الملائكة:

١ - الطاعة والعبادة والتسبيح

إن الملائكة الكرام -عليهم السلام- قد سبق خلقهم خلق بني آدم عليه السلام، وقد كان الله تعالى حكمة من خلقهم وهي الطاعة التي لا يشوبها عصيان، وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)، فكانت سمة الانقياد والطاعة التي يرضى الله عنهم بها، بارزة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، فمن تجويد الإيمان بالملائكة أن تستحضر طاعتهم وانقيادهم لله تعالى وخوفهم منه وعدم عصيانه، فيمثل المسلم هذه الطاعة في أوامر الله التي أمره بها على الوجه الذي يرضيه عنه، فلا يفعل ما يغضب الله أو يسخطه عليه من المعاصي .

وتجويد الإيمان بالملائكة الكرام يكون بأخذهم أسوة وقدوة في طاعتهم لله تعالى، فهم مجبولون على العبادة والتسبيح فيقول تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٣)، فهم يتلذذون بطاعة الله تعالى لا يملون منها، ومن جميل الإيمان بالملائكة أن نعتقد بأن هذه الطاعة والانقياد إنما هي مما جبلهم الله عليه فقد جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِحَبْرَيْلَ: "أَلَا تَرَوُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَرَوُنَا؟"، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]^(٤).

فمن تجويد الإيمان بهم الانقياد لطاعة الله طواعية بلا استكبار ولا رياء متمماً لكمال ذلك بالإخلاص .

(١) [التحريم: ٦] .

(٢) [النحل: ٤٩-٥٠] .

(٣) [الأنبياء: ١٩-٢٠] .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ/بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ص: ٧٩٦، رقم الحديث ٣٢١٨] .

٢ - حفظ الإنسان والاستغفار له

من أبرز أعمال الملائكة التي وكلهم الله ﷻ بها حفظ الإنسان، وهو الأمر الذي لربما تغافل عنه ونسيه الكثير من الناس فقال ﷺ: ﴿لَهُرُّ مُعَقَّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(١)، قال الزمخشري^(٢): "يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ هُما صفتان جميعاً، وليس مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي: من أجل أن الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة علي ﷺ وابن عباس ﷺ وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: يحفظونه بأمر الله، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب، بدعائهم له ومسألتهم ربه أن يمهلهم رجاء أن يتوب وينيب"^(٣)، وحفظ الإنسان بالملائكة من أمر الله ﷻ، كما ذكر الزمخشري هو دعائهم له، ومما يؤيد هذا القول ما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، نَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحْدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ"^(٤)، ولذلك فإن من تمام الإيمان بهم وإحسانه؛ أن نعتقد أن كثيراً من ذنوبنا وخطايانا لا يعاقبنا الله ﷻ بها بفضل استغفار الملائكة الكرام -عليهم السلام-، ودعائهم لنا، وهذا إن دل فإنما يدل على عظيم حب الملائكة عليهم السلام للمؤمنين.

وهذا الحب من الملائكة ينقلنا للحديث في باب آخر من إتقان الإيمان بهم؛ بأن نعمل ما تحب الملائكة وأن ننتهي عما تبغضه، فأفعالنا هي مقياس استحضارنا لوجود الملائكة بيننا اعتقاداً، بل والتخلق بما نؤمر به من أخلاق عظيمة يعلمنا إياها حبيبتنا محمد ﷺ، فالملائكة - كما ذكرت آنفاً- تحب الخير للمؤمنين، وقد جاء في الحديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ، قَالَتْ: قَالَ

(١) [الرعد: ١١].

(٢) الزمخشري ت (٥٣٨ هـ): العلامه، كَبِيرُ الْمُعْتَزَلِيَّةِ، أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب "الكشاف" و"المفصل"، رحل، وَسَمِعَ بَيْعَدَادَ مِنْ نَصْرِ بْنِ الْبَطْرِ وَغَيْرِهِ. الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، رقم ٩١.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ص ٥٣٥).

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَإِنْتِظَارِ الصَّلَاةِ، مج ١/٢٩٨، رقم الحديث ٦٤٩].

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ، أَوْ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ" (١).

فالملائكة -عليهم السلام- هنا يثنون على كلام الخير ويسألون الله إجابة دعاء الداعي .

٣ - كتابة أعمال الناس

إن الملائكة يحبون أن يستمعوا لذكر الله ﷻ، ولذا كان من جميل الإحسان في الإيمان بهم، أن يُحسَّن الذي يذكر الله ذكره، وأن يُعَجَّل الساعي إلى الله ﷻ سعيه، استحضاراً لوجود الملائكة الذين يرفعون أسماء الأوائل حضوراً لله ﷻ، وأن يجود الذي يُعَلِّمُ الناس الخير تعليمه، فقد جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأَ الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ" (٢) .

أما مقام مُعَلِّمِ الناس الخير فيظهر جلياً في آخر الحديث، حيث أن الملائكة -عليهم السلام- إذا انتهت من كتابة حضور الجمعة، طَوَّأَ الصحف وجلسوا يستمعون للإمام وهو يخطب، فكان حقُّ على الإمام أن يجود علمه وتأهله لارتقائه مقاماً رفيعاً مستحضرراً وجود الملائكة واستماعهم لما يقول، ولذا؛ يجب أن يكون لمنبر الجمعة إجابة تليق بمكانته عند الله ﷻ، فهو ليس كغيره من الأماكن، واستحضر وجود الملائكة مستمعين يستلزم على مُعَلِّمِ الناس الخير أن يُعَدَّ نفسه جيداً لذلك .

٤ - القيام بأعمال مخصوصة بهم بما يُرْقِي الحياة وينظم الكون

الله ﷻ قد خلق الملائكة وجعل لهم أعمالاً مخصوصة بهم، موكلون بها منقادون إلى تنفيذها طواعية بلا كلل أو ملل أو استكبار، فقد جعل الله ﷻ الملائكة منتشرين في هذا الكون

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجَنَائِزِ/بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَرِيضِ وَالْمَيِّتِ، مج ٤٠٩/١، رقم الحديث ٩١٩] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ/بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ص: ٧٩٥، رقم الحديث ٣٢١١] .

ينظمون سيره، فمنهم من وُكِّلَ بأمر في السماء ومنهم من وُكِّلَ بأمر في الأرض ومنهم من وُكِّلَ بأمر مشتركة بين السماء والأرض .

وأذكر مثلاً على كل نوع من هذه الأعمال التي وُكِّلوا بها -عليهم السلام- وكيف يُجَوِّد الإيمان بالملائكة من خلالها:

أولاً: أعمال الملائكة في السماء

إن الأعمال التي وُكِّلَ الله ﷻ بها الملائكة في السماء كثيرة، منها ما أخبرنا الله ﷻ بها في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ، ومنها ما استأثر بها في علم الغيب عنده .

مثالها: الاصطفاف بانتظام في تسبيح الله وعبادته وتنفيذ أوامره .

فالملائكة -عليهم السلام- يصطفون عند الله ﷻ في صفوف منتظمة -لا اعوجاج فيها ولا نقص-، فعن جابر بن سمرة، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَدْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ^(١)؟ اسْكُنُوا^(٢) فِي الصَّلَاةِ" قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَأْنَا حَلَقًا^(٣) فَقَالَ: "مَالِي أَرَاكُمْ عَزِينَ^(٤)" قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟" فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: "يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ"^(٥).

ولذا؛ فإن تجويد الإيمان بالملائكة في هذا المقام بأن يتعلم المسلم منهم النظام والانتظام، فهم منظمون في عباداتهم، والنبي ﷺ حث المسلمين على ذلك بقوله "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّونَ" كما تصف

(١) أَدْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ: وهي التي لا تستقر بل تضطرب وتتحرك بأدنانها وأرجلها والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام مشيرين إلى السلام من الجانبين. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٤/١٥٣) .

(٢) اسْكُنُوا: اترك رفع اليدين عند الركوع . ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٩/٥٠١) .

(٣) حَلَقًا: جَمْعُ حَلَقَةٍ . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٤/١٥٣) .

(٤) عَزِينَ: أَي مُتَفَرِّقِينَ جَمَاعَةً جَمَاعَةً . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٤/١٥٣) .

(٥) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ/بَابُ الْأَمْرِ بِالسُّكُونِ فِي الصَّلَاةِ، وَالنُّهْيِ عَنِ الْإِسْرَارَةِ بِالْيَدِ، وَرَفْعِهَا عِنْدَ السَّلَامِ، وَإِثْمَامِ الصُّفُوفِ الْأُولَى وَالتَّرَاصُّ فِيهَا وَالْأَمْرُ بِالْإِجْتِمَاعِ، مج ١/٢٠٣، رقم الحديث ٤٣٠] .

الملائكة عند ربها"، وقد بين النبي ﷺ عظم إقامة الصفوف في الصلاة وأنها من تمامها فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلَاةِ"^(١).

فالأولى بالمسلم أن يقتدي بالملائكة الكرام تجويداً للإيمان بهم، وأن يتحرى أن يعبد الله ﷻ بما يحب الله أن يرى عليه الملائكة -عليهم السلام-، وكذلك أمر النبي ﷺ هنا أن اتباع الإمام فيما يفعل في الصلاة على الترتيب الذي بينه ﷺ، فيه الالتزام الواضح الجلي بالنظام وتعويد النفس عليه بلا مخالفة ولا اختلاف .

وفي الحديث أيضاً أمر بتنفيذ أمر الإمام بدقة وانتظام، وهذا ديدن الملائكة الكرام في تنفيذ أوامر الله ﷻ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ"^(٢).

وهذا يدل على دقة التزام الملائكة الكرام في تنفيذ أمر الله ﷻ، وهو الأمر الذي ينبغي على المسلم أن ينفذ إليه في تنفيذه لما أمر الله ﷻ بالعباد به، حتى يُجَوِّدَ به إيمانه بالملائكة، بأخذهم قدوة في ذلك .

ثانياً: أعمال الملائكة في الأرض

كذلك فإن الأعمال الموكلة بها الملائكة في الأرض، منها ما عرفناها ومنها ما لم نعرفها، وهي أعمال تُوكَلُ بها الملائكة -عليهم السلام- في الأرض وحسب .

مثالها: شهود الملائكة للصلاة وتأمينهم مع الإمام .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَذَانِ/بَابُ: إِقَامَةُ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ، ص: ١٧٩، رقم الحديث ٧٢٢] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا"، مج ١/١١٢، رقم الحديث ١٩٧] .

إن شهود الملائكة الصلاة عند المؤمنين لهو عمل أرضي محض، وكُلوا به من الله ﷻ فهذا عملهم الذي لا يستكبرون عن عبادة ربهم به، وفي حضورهم للصلاة مع المؤمنين ميزة تختص بها صلاة الجماعة، ومن تجويد الإيمان بهم أن يستحضر المسلم فضل وجودهم في صلاة الجماعة وحضورها، كذلك بحضورهم يُؤمّنون خلف الإمام، ومن وافق ممن حضر الصلاة تأمّينه تأمّين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه فعن أبي هريرة ؓ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمُّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينِ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ - وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: آمِينَ"^(١).

فتجويد الإيمان بالملائكة في هذا المقام، بأن وجود المسلم عبادته بتحري الثواب الذي يحصل عليه من وجود الملائكة الكرام في حياته، بل إن استشعاره لوجود الملائكة في صلاته يجعله أكثر خشوعاً وإتقاناً للصلاة كما يحب الله ﷻ .

ثالثاً: أعمال الملائكة المشتركة بين السماء والأرض

من الملائكة من وكّله الله ﷻ -كما ذكرت آنفاً- بأمر في السماء، ومنهم من وكّل في الأرض ومنهم من وكّل بأمر تماماً مشترك بين السماء والأرض .

مثالها: (جبريل ؑ) رسول الله في السماء فينادي أهل السماء، ورسول الله إلى الأرض ينتزل بالرسالات .

إن الله ﷻ جعل لكل ملك عملاً يوكل إليه ، ومما وكّل الله ﷻ به جبريل ؑ أن ينادي بأمره في أهل السماء دون غيره من الملائكة -عليهم السلام-، وهذا الأمر هو ديدن الملوك العظام -ولله المنل الأعلى- أن يكون لهم وزير يبلغ الرعية بأوامره، ورب العزة ملك الملوك الذي ليس كمثلته شيء، تعالى جده وتبارك اسمه -وهو غني عن الخلق- اتخذ جبريل ؑ وزيراً لأهل السماء ووزيراً لأهل الأرض فعن أبي هريرة ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَانِ/بَابُ جَهْرِ الْإِمَامِ بِالتَّأْمِينِ، ص: ١٩٢، رقم الحديث ٧٨٠].

نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ" (١).

فمن تجويد الإيمان بالملائكة -وهي مخصوصة بكل ذي رعية يرعاها- أن ينظم الراعي من يسوس رعيته وينظم شؤونها ويعينه على سؤسها حيث يكون أميناً على ما يرعاه، كما حال الملائكة مع جبريل عليه السلام.

والله ﷻ قد سمى جبريل عليه السلام في كتابه الكريم بالأمين فقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٢)، فهو عليه السلام أمين على أهل السماء بإبلاغهم رسائل ربهم، فهذا من عمله الذي وُكِّلَ به في السماء، أمين لأهل الأرض من الأنبياء والمرسلين على وحي الله ﷻ، وهذا من عمله الذي وُكِّلَ به في الأرض وهو النزول بالوحي كما في الآية آفة الذكر، ولم يلقب جبريل عليه السلام بالأمين إلا لصدقه في إيصال الرسالات للأنبياء والمرسلين، فقد استأمنه الله ﷻ على هذه الرسالات، وما كان منه إلا أدائها على الوجه الذي يحبه الله ﷻ كاملة غير منقوصة، بل إن جبريل عليه السلام كان يتفقد حال الرسالات مع الأنبياء ومن ذلك مدارسته للقرآن مع النبي ﷺ فعن ابن عباس، قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ" (٣).

فيلزم الإنسان من إيمانه بالملائكة اتباع هديهم في طاعة الله ومعاملتهم مع الله ﷻ، ويُجَوِّدُ إيمانه بهم من خلال التزام خلق الأمانة في أداء عباداته التي كلفه الله ﷻ بها، بأن يؤديها على أكمل وجه يقبله الله ﷻ من العباد.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ/بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ص: ٧٩٥، رقم الحديث ٣٢٠٩].

(٢) [الشعراء: ١٩٣-١٩٤].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ/كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟، باب ٥، ص: ٩، رقم الحديث ٦].

وخلص القول في تجويد الإيمان بالملائكة، أن نُجَوِّدَ إيماننا بهم إجمالاً وتفصيلاً، إجمالاً: في طاعتنا وانقيادنا لأوامر الله ﷻ من غير شائبة عصيان، وتفصيلاً: بكل ملك من الملائكة يوكله الله بعمل مخصوص به، في أن نتخذه قدوة لنا في أداء ما شابه ذلك من أعمالنا.

وخير ما نتخذه منهاجاً في تجويد إيماننا بالملائكة -عليهم السلام- ما جاءنا من وصف انقيادهم لله ﷻ في القرآن الكريم المحفوظ من التحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

(١) [الحجر: ٩].

المطلب الثالث

الجودة في الإيمان بالكتب السماوية

قال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

إن الله ﷻ أنزل للناس عقيدة تقوم حياتهم وتقوم عليها الفطرة السليمة، من لُدن آدم ﷺ وصولاً وختاماً بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي جاء بخاتمة الشرائع، شريعة الإسلام القويم، المصلحة لكل زمان ومكان.

فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢).

وحيث إن الشرائع اجتمعت كلها على ديانة واحدة تدين بها كل الأمم منذ الخليقة، ألا وهي ديانة توحيد الله ﷻ فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّتِ^(٣)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"^(٤).

يقول العيني: "ودينهم واحد، أي: التوحيد دون الفروع للاختلاف فيها، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾^(٥)، ويقال: دينهم أي: أصول الدين وأصول الطاعات واحد،

(١) [البقرة: ١٣٦].

(٢) [الشورى: ١٣].

(٣) إِخْوَةٌ لِعَلَّتِ: هم الأخوة لأب من أمهات شتى. العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ١٦/٥٠).

(٤) [صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/باب قول الله ﷻ لو أنكز في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها]، ص: ٨٥٣، رقم الحديث ٣٤٤٣.

(٥) [المائدة: ٤٨].

والكيفيات والكميات في الطاعة مختلفة^(١)، وأما قوله ﷺ: "أمهاتهم شتى" أي شرائعهم متنوعة، ومناسبة للزمان الذي نزلت فيه هذه الشريعة على قوم المرسل من الله ﷻ، قال العيني: "ومعناه: أن أصولهم واحدة وفروعهم مختلفة يعني: أنهم متفقون فيما يتعلق بالاعتقادات المسماة بأصول الديانات كالتوحيد وسائر مسائل علم الكلام، مختلفون فيما يتعلق بالعمليات وهي الفقهيات"^(٢).

وقد تعددت الكتب السماوية بشرائعها نزولاً على الأنبياء والمرسلين، فمنها ما علمنا ومنها ما لم نعلم، ومنها ما جاء بشريعة جديدة تختلف عن سابقتها، ومنها ما جاء متمماً لشريعة سابقة أو ناسخاً لبعض ما فيها، كما جاء عيسى ﷺ بالإنجيل ناسخاً لبعض ما في التوراة التي جاء بها موسى ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^(٣)، فنؤمن بالكتب السماوية إجمالاً وبما جاء فيها أنه منزل من عند الله ﷻ.

وأما التفصيل في تجويد الإيمان بالكتب فسيكون في القسم الأول منها، فما أنزل الله من كتب سماوية على قسامين:

أولاً: محفوظ من التحريف

إن أعظم الكتب السماوية ما جاء مهيمناً عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٤)، قال ابن عباس رضي الله عنهما:- "المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله"^(٥)، فالكتاب هو القرآن الكريم الذي ختمت به الرسالات، وهو الكتاب السماوي الفريد الذي سلم من التحريف، وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وقد أثبت الله ﷻ الحفظ من التحريف لكتابه الكريم فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج١٦/٥١).

(٢) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج١٦/٥٠).

(٣) [آل عمران: ٥٠].

(٤) [المائدة: ٤٨].

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن/باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، ص: ١٢٧٣].

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(١)، وهذه عقيدة ندين بها الله ﷻ، فعَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ»، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «كَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ» -يَخْشَى أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ-، «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ»، أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ، أَنْ تَقْرَأَهُ «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ» يَقُولُ: أُنزِلَ عَلَيْهِ: «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ» أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ»^(٢)، ومن ذلك يظهر أن القرآن الكريم محفوظ بالسنة النبوية أيضاً، وهي المفسرة والمبينة لما فيه من آيات، فمن تجويد إيماننا بالقرآن الكريم ألا نرتاب من أنه محفوظ من الله ﷻ، بأن حُفِظَ في الصدور بحفظ النبي ﷺ وحفظ أصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وحُفِظَ في السطور لما جمعه عثمان بن عفان ؓ بين دفتي المصحف.

- **القرآن الكريم:** هو كلام الله ﷻ المعجز، المنزل على النبي محمد، باللفظ العربي، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس^(٣).

كذلك فإن تجويد إيماننا بالقرآن يستلزم تجويدنا التصديق لما جاء به النبي ﷺ، وأنه ﷺ بلغ ما أنزل إليه ربه ﷻ حقاً، فعَنْ عَائِشَةَ ؓ، قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُنزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَّبَ»، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ {الآية^(٤)}. .

- وتجويد إيماننا بالقرآن الكريم يكون على أربع مراتب تتمثل في (التلاوة، الفهم، الحفظ، فالعمل):

١- التلاوة: وهي المتمثلة في قراءة القرآن وتلاوته على الوجه الذي علم النبي ﷺ أصحابه ﷺ إلى أن نُقِلَ إلينا بالتواتر عنه ﷺ، كذلك الاجتهاد في تعلمه .

(١) [الحجر: ٩] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}، ص: ١٢٥١، رقم الحديث ٤٩٢٨] .

(٣) الزحيلي، التفسير المنير (ج ١/١٣) .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}، ص: ١١٣٥، رقم الحديث ٤٦١٢] .

وقد حث النبي ﷺ أصحابه ﷺ على التنافس في تلاوة القرآن والتسابق إلى الله ﷻ، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ" (١).

قال النووي: "قوله ﷺ الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران وفي الرواية الأخرى (٢) -وهي رواية البخاري-، وهو يشتد عليه له أجران، السفارة جميع سافر ككاتب وكتبة، والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله وقيل السفارة الكتبة، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة، والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه، قال القاضي: "يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقا للملائكة السفارة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى قال ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم"، وأما الذي يتتعتع فيه فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران؛ أجر بالقراءة وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته، قال القاضي وغيره من العلماء: "وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفارة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم" (٣) انتهى .

فيظهر أن الماهر بالقرآن هو من اعتنى بنفسه على ما يعينها من علم التجويد وأحكامه فجودها وحسنها، حتى أصبح مجوداً مجيداً لتلاوة القرآن، وهذا الذي يتحقق به تجويد الإيمان بالقرآن الكريم في تحسين تلاوته وإجادتها .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضل الماهر في القرآن، والذي يتتعتع فيه، مج ١/ ٣٥٩، رقم الحديث ٧٩٨] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب يوم يفتح في الصور فتأتون أفواجا] زمزأ، ص: ١٢٥٤، رقم الحديث ٤٩٣٧] .

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٦/٨٤) .

ولا يقتصر تجويد الإيمان على حُسْنِ التلاوة وحسب؛ وإنما من تجويد الإيمان بالقرآن أن يُحَسِّنَ القارئُ صوته في تجويده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَا أَدِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَدِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَعَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ"^(١).

فالتغني بالقرآن يكون بتحسين الصوت به وتجميله والجهر والصدح به، ليسمعه من كان له قلب فيرقّ ويتعظ مما فيه من آيات وعبر، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يسمع القرآن من غيره من الصحابة رضي الله عنهم؛ لما في تغنيهم وتجويد أصواتهم بالقرآن من عذوية يتلذذ عند سماعها السامع، ويتأمل في معانيها المتدبر، فجمال صوت قارئ القرآن ينقلك من التفكر في ملذات الدنيا وشهواتها إلى التفكر في آيات الله وإعجازها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَفْرَأُ عَلَيَّ" قَالَ: قُلْتُ: أَفْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ: "إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي" قَالَ: فَفَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١]، قَالَ لِي: "كُفَّ - أَوْ أَمْسِكَ -" فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ"^(٢)

قال القاضي: "أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها قال أبو عبيد والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق قال واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ولأن ذلك سبب للركة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه قلت قال الشافعي في موضع أكره القراءة بالألحان وقال في موضع لا أكرهها قال أصحابنا ليس له فيها خلاف وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود وإدغام ما لا يجوز إدغامه ونحو ذلك وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغيير لموضوع الكلام"^(٣).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، مج ٣٥٦/١، رقم الحديث ٧٩٢].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ/بَابُ الْبُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، ص: ١٢٨٩، رقم الحديث ٥٠٥٥].

(٣) (النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٦/٨٠).

وامتدح النبي ﷺ ذوي الأصوات الجميلة من الصحابة الكرام ﷺ، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِرْمَارًا مِنْ مَرَامِيرِ آلِ دَاوُدَ" (١).

وفي عصرنا اليوم اشتهر علم المقامات الموسيقية^(٢) الذي يُتعلَّم ويُدرَّس في مدارس وكليات متخصصة لمن أراد أن يُجوِّد تلاوته لكتاب الله ﷻ ويتغنى به، وفي ذلك أجر وثواب عظيم من الله ﷻ لمن تغنى بالقرآن فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ"، وَزَادَ غَيْرُهُ: "يَجْهَرُ بِهِ" (٣).

وقد أمر النبي ﷺ قارئ القرآن أن يزين القرآن بصوته وهذا من تمام إجادة الإيمان بالقرآن، فقال ﷺ: "زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ" (٤).

(١) [إسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَابُ اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، مج ١/٣٧٥، رقم الحديث ٧٩٣].

(٢) علم المقامات: عبارة عن تتالي لعلامات موسيقية وفق أبعاد معينة وقواعد موضوعة لتصنيف اللحن الموسيقي، الأمر الذي يسهل تعامل العازف مع الآلة وبالتالي مع المقياس الموسيقي. المصدر، [المقامات العربية الاصلية](#).

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، ص: ١٨٦٠، رقم الحديث ٧٥٢٧].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبِرَّةَ وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ"، ص: ١٨٦٤].

فائدة: هذا الحديث رواه البخاري معلقاً، وقد وصله البخاري نفسه في كتاب "خلق أفعال العباد"، فقال الإمام في شرحه: "باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة وصل المؤلف هذا الحديث من رواية سعد بن هشام عن عائشة ؓ في التفسير بغير هذا اللفظ ووصله مسلم بهذا اللفظ وحديث زينوا القرآن بأصواتكم وصله في كتاب خلق أفعال العباد وخارج الصحيح من حديث البراء بن عازب من طرق ووقع لنا بعلو في مسند الدارمي وأسندته أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ورواه ابن أبي داود في المصاحف من حديث ابن عباس ورويناه في الأول من حديث ابن السماك من حديث ابن مسعود موقوفاً". ابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص ٧٥).

ومن ذلك حثُّ على التجويد والترتيل عند تلاوة كتاب الله ﷻ، وإن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة .

وبمجموع هذه الأحاديث النبوية الشريفة، نستنتج أنه على المسلم أن يسعى لأن يُجود تلاوته لكتاب الله ﷻ بصوته لما في ذلك من تجويد للإيمان بالقرآن الكريم وتعظيم له على الوجه الذي كان النبي ﷺ يعلم أصحابه ﷺ .

٢- الفهم: وهو ركن أساس في تجويد إيمان المسلم بالقرآن الكريم، فتلاوة من غير فهم لن تؤدي إلى عمل مقبول.

يقول الدكتور صلاح الخالدي: "وإن فهم القرآن إنما هو من نعم الله عليه، ومن منته وأفضاله، وأن هذا الفهم والتلقي والتدبر والتفسير إنما هو فتوحات من الله عز وجل، يفتح بها على من يشاء من عباده، عندما يكونون أهلاً لهذه الفتوحات، ووسطاً صالحاً لهذه الفيوضات، إن الفهم والتدبر والتفسير نور من الله سبحانه، ونور الله لن يصل إلى قلب مغطى بالحجب والموانع، وأنها هدايا من الله ورحمة منه، وهدايا الله لا يصلح لها العصاة، ورحمة الله لن تفتح لها قلوبهم" (١) .

ولذا؛ قدم الباحث الفهم على الحفظ، إذ (ليس كل حافظ بفاهم)، فالبحت عن معاني كلمات القرآن وفهم مراد الله في آياته من خلال ما فسره الصحابة ﷺ، ومن بعدهم المفسرون وفق هدي النبي ﷺ لهو من تجويد الإيمان بالقرآن، والقرآن الكريم يحتاج إلى تدبر آياته عند التلاوة لكي يتحقق المراد من عظةٍ للقلب وللنفس بكلام الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١)، وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ، قَالَ: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمَائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رُكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ رَبِّي

(١) د. صلاح الخالدي، مفاتيح للتعامل مع القرآن (ص ١٣٥) .

(٢) [محمد: ٢٤] .

العظيم"، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: "سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ" (١) .

وكان حذيفة رضي الله عنه يدعو المسلمين إلى تدبر كتاب الله صلى الله عليه وسلم وفهمه بالوقوف على مقاصد الآيات وإدراك معانيها، واغتنام حبل الوصال بين العبد و ربه صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والدعاء والثناء والرجاء والتذلل والخضوع والخشية والبكاء والإجلال والتعظيم والحمد والرضا والتبذل وغير ذلك مما يرقى بالروح إلى الملكوت الأعلى الله صلى الله عليه وسلم .

فصحابه النبي صلى الله عليه وسلم أدركت عقولهم أن قلوبهم هي ملاذهم من الله إليه صلى الله عليه وسلم لما تعلقت به، فكانوا لا يجاوزون الآية حتى يعقلوها بقلوبهم قبل عقولهم، فعن مسروق، قال: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أَنْزَلْتُ، وَلَا أَنْزَلْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيْمَ أَنْزَلْتُ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ" (٢) .

ومن فقه كتاب الله صلى الله عليه وسلم بفقهاء الصحابة رضي الله عنهم والسلف -رحمهم الله- وقى نفسه مما اختلف فيه الناس، وما اختلفت الأمة في أمورها إلا لسوء فهم آيات الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وما تبع هذه الفرقة من تناحر إلا لسوء فهم في ذلك.

وإن ما تمر به الأمة اليوم من أزمة فهم تؤدي بها إلى مهاوي الردى، لهو نتاج الاختلاف الذي وُلِدَ من سوء الفهم الذي رسخ في العقول، وما السبيل إلى النجاة من ذلك؛ إلا فهم السلف -رحمهم الله تعالى- الذين ترووا في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزلت آيات الله فعاصروها وعاشوها بمشاهدتها وأحداثها.

● لقد كان للفهم مكانة عظيمة في إتقان الصنعة، فالفاهم لكتاب الله هو:

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَابُ اسْتِحْبَابِ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، مج ١/٣٥١، رقم الحديث ٧٧٢] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَصَائِلِ الْقُرْآنِ/بَابُ الْقُرْآنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ص: ١٢٧٨، رقم الحديث ٥٠٠٢] .

هو المجدد المتقن الذي يقرأ آيات الله ﷻ وفق أحكام التجويد والوقوف بمقامات القراءة، فيظهرُ السرور في صوته عند آيات الجنة والنعيم، ويتباكى أو يبكي ما استطاع عند قراءة آيات العذاب والجحيم.

هو أيضا الفقيه والمفتي، الذي يصدر حكمه وفتواه بإنزال آيات الله منازلها ومقاماتها وفق ما أنزلت على النبي ﷺ في الأحكام والتشريعات.

وهو الحاكم والقاضي، القائم بأمر الله المطبق لشرع الله في كل أمر يصلح أمور العباد و ييسر أمور حياتهم من اقتصاد ومعاملات وأمن وتعليم، وغير ذلك.

فلولا الفهم الصحيح والسليم لمراد الله من آياته ومقصد النبي ﷺ في أحاديثه، ما استقام أمر المسلمين ولما اجتمعت الأمة ولا توحدت كلمتها، و لكن لما رسخ فهُم الراسخين في العلم على كتاب الله ﷻ ومن بعده سنة نبيه ﷺ، كمصدرين أساسين يُرجع إليهما في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، امتثالاً لأمر الله ﷻ في دعوته للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، كانت النتيجة أن استخلف الله عباده المحسنين في الأرض حين عملوا بما دعاهم إليه ربهم ﷻ ونبههم ﷻ، فمما جاء عند مسلم في صحيحه في باب حجة النبي ﷺ أن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَاطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ فِي حِجَّتِهِ فَقَالَ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللَّهِ»^(٢).

فَمَنْ فَهَمَ كِتَابَ اللَّهِ ﷻ اعْتَصَمَ بِهِ، وجعله دستوراً يردُّ إليه نفسه فيما شَجَرَ له في حياته، فيحْكَمَهُ ويرضَى بحكمه.

٣- **الحفظ:** هو المُرقي لصاحبه درجات عند الله ﷻ، وبه يرقى المسلم لأن يكون من أهل الله وخاصته .

(١) [النساء: ٥٩] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، مج ١/٥٥٦، رقم الحديث ١٢١٨] .

وإتقان الإيمان بالقرآن أيضاً يكون بحفظه في الصدور والتنافس في ذلك، وجبريل عليه السلام كان يعارض القرآن مع النبي ﷺ مرة كل عام، وعارضه إياه مرتين في العام الذي توفي فيه ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَرْحَبًا بِابْنَتِي" ثُمَّ اجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسْرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكْتُ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَتْ: فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُنْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تُبْضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسْرَّ إِلَيَّ: "إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي، وَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي"، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: "أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ" فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ (١) .

وقد حث النبي ﷺ الأمة على المسارعة إلى حفظ كتاب الله ﷻ والجِد في استذكاره ومدارسته، لأن القرآن يُنسى وينتقل من حافظه، كما تنتقل النعم -أي الإبل والبقر والغنم- بعقلها -أي بحبالها- إن لم يدارسه ويراجعه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِسْمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيْتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ هُوَ نُسِيٌّ، اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا" (٢) مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، مِنْ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا (٣) (٤) .

والحفظ علامة فارقة بين مسلم ومسلم في درجته عند الله ﷻ يوم القيامة، فكلما جود المسلم حفظه بإتقان كانت درجته أعلى عند ربه ﷻ، فمن التجويد في الإيمان بالقرآن، التنافس في حفظه وتثبيته في الصدور، فالله ﷻ رفع درجة الحفاظ المتقنين لكتابه بعلو مكانة كلامه

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ/بَابُ عِلْمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ص: ٨٩١، رقم الحديث ٣٦٢٢٣، ٣٦٢٢٤] .

(٢) تَفْصِيًّا: فَصَى الشَّيْءَ مِنْ الشَّيْءِ فَصِيًّا: فَصَلَهُ، وَتَفْصَيْتُ مِنَ الْأَمْرِ تَفْصِيًّا إِذَا حَرَجْتَ مِنْهُ وَتَخَلَّصْتَ. ابن منظور، لسان العرب (١٥٧/١٥٦، ١٥٦) .

(٣) الْعُقْلُ: الْحَبْلُ هُوَ الْعِقَالُ، وَالْجَمْعُ عُقْلٌ . ابن منظور، لسان العرب (ج ١١/٤٥٩) .

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا/بَابُ الْأَمْرِ بِتَعَهُدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيْتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيْتُهَا، مج ١/٣٥٦، رقم الحديث ٧٩٠] .

ﷺ، ويوم القيامة حين تجتمع الخلائق لتجزى كل نفس عما قدمت، يكون لأهل القرآن مكانة بما حملوا في صدورهم وبما وعوا في قلوبهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَفْرَأُ وَأَرْتَقِ وَرَتَّلُ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا"^(١).

(١) [النسائي: السنن الكبرى للنسائي، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ/بَابُ التَّرْتِيلِ، ج ٧/٢٧٢، رقم الحديث ٨٠٠٢].

- سند الحديث/ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو .

- تخريج الحديث/
أخرجه الترمذي في سننه بمثله (١٧٦/٥)، وأخرجه أبو داود في سننه بمثله (٧٣/٢)، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله (٤٠٣/١١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بمثله (٤٣/٣)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بمثله (٥٠٧/١٣)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بنحوه (٧٧/٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه (١٣١/٦)، وأخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه (٧٣٩/١).
كلهم من طريق سفيان الثوري .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه موقوفاً (١٣١/٦) من طريق زائدة بن قدامة .
وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بمثله (٥٠٨/١٣) من طريق قيس بن الربيع الأسدي .
والطبراني في "الكبير" (٥٠٨/١٣) من طريق حماد بن شعيب الحماني .
ثلاثتهم عن عاصم بن أبي النجود به .

- ترجمة الرواة/
- رواه ثقات، عدا:
- عاصم بن أبي النجود، قال فيه ابن حجر صدوق له أوهام وهو حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٨٥)، وقال الذهبي: وثق.
وقال النسائي: ليس به بأس. وقال ابن سعد: كان ثقة، إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه. وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال العجلي: كان صاحب سنة وقراءة، وكان ثقة، رأساً في القراءة، ويقال: إن الأعمش قرأ عليه وهو حدث، وكان يختلف عليه في زر، وأبي وائل. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة. وقال عنه أبو زرعة: ثقة. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث. قال ابن معين: ثقة لا بأس به، من نظراء الأعمش. وقال العجلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال أبو بكر البزار: لم يكن بالحافظ، ولا نعلم أحداً ترك حديثه على ذلك، وهو مشهور. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢/٢٥٠).

وإن ما ثبت في صدر المسلم من حفظ كتاب الله ﷻ يكون له مرقياً في الدرجات عند الله، حتى يصل بترتيله إلى آخر آية حفظها في صدره في الدنيا، قال الحافظ ابن حجر^(١): "وَيُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَبَالُ هَذَا النَّوَابِ الْأَعْظَمَ إِلَّا مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَأَتَقَنَ آدَاءَهُ وَقَرَأَتْهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ، فَإِنْ قُلْتُمْ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الصَّاحِبَ هُوَ الْحَافِظُ دُونَ الْمَلَاذِمِ لِلْقِرَاءَةِ فِي الْمُصْحَفِ، قُلْتُمْ: الْأَصْلُ فِيمَا فِي الْجَنَّةِ أَنَّهُ يَحْكِي مَا فِي الدُّنْيَا، وَقَوْلُهُ فِي الدُّنْيَا صَرِيحٌ فِي ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَلَاذِمَ لَهُ نَظَرًا لَا يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ لَا يُفَارِقُ الْقُرْآنَ فِي حَالَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ"^(٢).

وبهذا فإن الجودة -في الإيمان بالقرآن حفظاً- تستوجب على مُريدها أن يُجودَ القرآن بالمدارسة والتعاهد لكتاب الله تعالى واستذكاره .

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: صالح. وقال أيضاً: سئل أبي عن عاصم بن أبي النجود وعبد الملك بن عمير، فقال: قدم عاصم على عبد الملك عاصم أقل اختلافاً عندي من عبد الملك. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٣٤١/٦).
قال الباحث: الراوي صدوق، سيء الحفظ .

• الحكم على الإسناد/ إسناد حسن.

روي هذا الحديث من طريق عاصم واختلف على عاصم فرواه سفيان، وحمام بن شعيب الحماني، وقيس بن الربيع الأسدي عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وسفيان، وزائدة بن قدامة عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو موقوفاً، ورواية الحديث بالرفع لا تؤثر على رواية الحديث بالوقف لأن راويهما واحد وهو عاصم، ولا يوجد من خالف عاصم فقد رواه مرة بالوقف ومرة بالرفع، وهذا يعتبر دليل تثبت وأنه لم يهمل في هذا الحديث، وقد وثقه البعض وأشار البعض إلى سوء حفظه (الوهم) وما دام أنه قد رواه بروايتين متطابقتين كما ذكرت آنفاً بالوقف والرفع مرة مرة، فهذا يدل على عدم وهمه في هذا الحديث .

(١) ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ): أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد الكنايني العسقلاني الأصل، ثم المصري، الشافعي، قاضي القضاة شيخ الإسلام، شهاب الدين، أبو الفضل بن نور الدين، بن قطب الدين، بن ناصر الدين، بن جلال الدين. السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص ٤٥) .

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج٥/٣٢) .

٤- العمل: وهي أرقى وأرفع مراتب تجويد الإيمان بالقرآن، فإن تعمل بالقرآن تأسياً بالحبیب محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، لهي الدرجة التي يبلغها المحسنون المجودون لإيمانهم بكتاب ربهم.

إن النبي ﷺ كان خُلُقُهُ القرآن، والخُلُقُ إنما يُترجم بالمعاملة التي تستوجب العمل، فإنما الحياة معاملات بين الناس، وإن كتاب الله تعالى خير منهاج تقام وتقوم به حياة الناس، عن سعدُ بن هِشَامٍ، قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: "أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟" قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: "فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ" (١).

ولذا؛ فإن تجويد العمل بالقرآن يستوجب اتباع النبي ﷺ في كل أخلاقه التي يتعامل بها مع الناس كافة .

فالعمل بالقرآن يحتاج إلى مسلم ذي همة في تجويد خُلُقِهِ في التعامل مع الناس، ولذلك قَالَ القاري (٢): "عَرَفْنَا مِنْ أَصْلِ الدِّينِ أَنَّ الْعَامِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمُتَدَبِّرَ لَهُ أَفْضَلُ مِنَ الْحَافِظِ وَالتَّالِي لَهُ إِذَا لَمْ يَنْلُ شَأْنَهُ فِي الْعَمَلِ وَالتَّدَبُّرِ، وَقَدْ كَانَ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَحْفَظُ مِنَ الصَّدِيقِ وَأَكْثَرُ تِلَاوَةً مِنْهُ وَكَانَ هُوَ أَفْضَلَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِسَبْقِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَبِكِتَابِهِ وَتَدَبُّرِهِ لَهُ وَعَمَلِهِ بِهِ" (٣)، فكلام الطيبي صريح في أن العامل بكتاب الله درجته أعلى من التالي والحافظ المتدبر، فبه يكون تجويد الإيمان بالقرآن على الوجه الذي يحبه الله ﷻ، والذي سار عليه النبي ﷺ بأخلاقه في تحقيق الهدف من دعوة الله ﷻ .

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: "إِنَّا صَعُبَ عَلَيْنَا حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ بِهِ، وَإِنَّ مَنْ بَعَدَنَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمْ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَيَصْعَبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِهِ" (٤) ولذا؛ كان أحسن تشبيهه شبه به النبي ﷺ العامل بالقرآن أحسن وأجود عمل، تشبيهه له بالأترجة ذات الطعم الطيب

(١) سبق تخريجه، (ص ١٦) .

(٢) القاري ت (١٠١٤ هـ): علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملاء الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. الزركلي، الأعلام (ج ١٢/٥) .

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ج ٣٢/٥) .

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي (ج ٤٠/١) .

والريح الطيب، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالأُنْجَبَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ الَّذِي يَفْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنافِقِ الَّذِي لَا يَفْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ - أَوْ حَبِيبٌ - وَرِيحُهَا مُرٌّ"^(١).

وتجويد العمل بالقرآن يكون بالامتثال لما فيه من أحكام وتشريعات وتطبيقها على النفس، ثم نشرها بثقافة المعاملة والموعظة الحسنة، ويكون أيضاً بإسقاط الأخلاق واقعاً في حياته ومعاملاته.

ثانياً: الكتب المحرفة

أنزل الله صلى الله عليه وسلم على أنبيائه ورسوله صلى الله عليه وسلم كتباً يدعون قومهم بها، ويهدونهم بإذن الله إلى صراطه المستقيم، ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، إلا أن هذه الأقوام قد حرفت ما آتاهم ربه، فضلّت من بعده وأضلت من بعدها .

فالكتب السماوية المحرفة من الأقوام التي أنزلت عليهم بعد أن توفى الله صلى الله عليه وسلم أنبياءهم، إلى أن جاء عيسى صلى الله عليه وسلم فرفعه الله صلى الله عليه وسلم إليه لما أراد بني إسرائيل -المغضوب عليهم والضالين- أن يمكروا به، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا بِالْأَيْمَانِ أَلَيْسَ بِذَلِكَ نَسُفُهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾^(٢)، فقال في تيسير الكريم الرحمن: "رفع الله عبده ورسوله عيسى صلى الله عليه وسلم إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وبعوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله"^(٣)، هذه الكتب السماوية المحرفة إنما يكون تجويد الإيمان بها، بأن نعتقد بأنها محرفة غير محفوظة هيئتها التي نزلت بها، كما جاء في كتاب الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۚ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن/باب إنهم من راعي بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، ص: ١٢٩٠، رقم الحديث ٥٠٥٩].

(٢) [آل عمران: ٥٥].

(٣) [السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (ص ١٣٢)].

وَطَعَنًا فِي الدِّينِ^(١)، قال في تيسير الكريم الرحمن: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم، {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعاً، فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد ﷺ على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك^(٢) .

وكذلك بما جاء في سنة النبي ﷺ مُقَرَّاً، وأن نؤمن بما جاء فيها موافقاً لشريعة الإسلام وأقره كتاب ربنا ﷻ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَفْرَعُونَ النَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا}"^(٣) .

فتجويدنا لإيماننا بالكتب السابقة يكون وفق هدي النبي ﷺ، فإن بعض الأحكام والتشريعات إنما كانت موجودة مسبقاً، ولما جاءت شريعة الإسلام أقرتها وزادت عليها بما يحقق مصلحة العباد ومن ذلك ما جاء في البخاري أن مُجَاهِدًا، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَّةُ"، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ، وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى، فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} "قَالَ عَفُوٌّ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَّةَ فِي الْعَمْدِ" {فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} "يَنْبَغُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُؤَدَّى بِإِحْسَانٍ" {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} "مِمَّا كُتِبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ" {فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} "قَتَلَ بَعْدَ قَبُولِ الدِّيَّةِ"^(٤).

وخلاصة القول في ذلك، إن تجويد الإيمان بالكتب السماوية المحرفة يتحقق بتحقيق الاعتقاد السليم بأنها كتب سماوية أنزلها ﷻ كما أنزل القرآن، ولكن الفرق بين الكتب السماوية والقرآن، أنها حُرِّفَت على يدي الأقوام بعد وفاة أنبيائهم، وبقي القرآن محفوظاً من الله ﷻ إلى

(١) [النساء: ٤٦] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٨١) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا}، ص: ١٠٩٩، رقم الحديث ٤٤٨٥] .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ} إِلَى قَوْلِهِ {عَذَابٌ أَلِيمٌ}، ص: ١١٠٢، رقم الحديث ٤٤٩٨] .

يوم القيامة، فبذلك؛ نؤمن بما جاء موافقاً لما في كتاب الله تعالى وما جاء مُقرأً في سنة النبي ﷺ كما في الحديث أنف الذكر، وبغير ذلك فلا يكون إلا انحرافاً عقدياً عن مراد الله ﷻ وما أرسل به رسله وأنبياءه -عليهم السلام- .

المطلب الرابع

الجودة في الإيمان بالرسول والأنبياء

لقد أرسل الله ﷺ رسله وأنبياءه ﷺ برسالات وشرائع مختلفة ، كلها تدعو إلى توحيد الله ﷻ وحده لا شريك له، وأرسل مع كل رسول شرعاً جديداً، فالرسول مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد، والنبى هو المبعوث لتقرير شرع من قبله^(١)، وقد استخلف الله المرسلين ليلبغوا رسالاته، فاصطفاهم من أنقى الناس قلوباً وأخلصهم إيماناً وأقربهم مودة له ﷻ .

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا بإيمانه بالرسول والأنبياء، ومن أنكر الإيمان بهم كفر فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾^(٢)، ويقتضى تجويد الإيمان بالأنبياء والرسول -عليهم السلام- على سبيل الذكر لا الحصر، التالي:

- ١- عدم التفريق بين أحد منهم في الإيمان أو الرسالة .
- ٢- تجويد الإيمان يكون باتخاذهم قدوة .
- ٣- أن نعتقد بأن الله ﷻ قد اختار أنبياءه على علم عنده .
- ٤- أن نعتقد أن أرفع المقامات وأشرفها هو مقام النبوة .

أولاً: عدم التفريق بين أحد منهم في الإيمان أو الرسالة

لا يجوز للمسلم أن يفضل نبياً على نبي في الإيمان به أو بأنه صاحب رسالة تدعو إلى توحيد الله ﷻ، ومن فعل ذلك اعتقاداً عن علم لا جهالة به كفر، فقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

(١) الأشقر، الرسل والرسالات (ص ١٥) .

(٢) [النساء: ١٥٠-١٥١] .

وَمَا أَوْتِيَ التَّيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ^(١)، فإجادة الإيمان بإيجاب الإيمان على النفس بالأنبياء كلهم دون تفریق بينهم، ولا تفریق بما آتاهم الله ﷺ من رسالات وكتب، كذلك فإن من تجويد الإيمان عدم ازدراء نبي وتفضيل غيره من الأنبياء عليه، بل الواجب أن نتبع هدي النبي ﷺ في تعليمه لأصحابه ﷺ، فعن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، فَقَالَ: "مَنْ؟"، قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: "ادْعُوهُ"، فَقَالَ: "أَضْرَبْتَهُ؟"، قَالَ: سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَخْلِفُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، قُلْتُ: أَيَّ حَبِيثٍ، عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخَذْتَنِي غَضَبَةً ضَرَبْتُ وَجْهَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذْ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أُدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعَقَةِ الْأُولَى"^(٢).

قال الخطابي^(٣): "معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم وبفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم فإن الله سبحانه قد فاضل بينهم فقال ﷺ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾"^(٤)^(٥)، وقال القاضي عياض: "حكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم، أو كذبهم فيما أتوا به، أو أنكروهم وجحدهم، حكم نبينا محمد ﷺ"^(٦)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم

(١) [البقرة: ١٣٦].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْخُصُومَاتِ/بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الْإِشْحَاصِ وَالْخُصُومَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْيَهُودِ، ص: ٥٨١، رقم الحديث ٢٤١٢].

(٣) الخطابي ت (٣٨٨هـ): أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج٢/٢١٤).

(٤) [البقرة: ٢٥٣].

(٥) الخطابي، معالم السنن (ج٤/٣٠٩).

(٦) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج٢/١٠٩٧).

كلهم ومن سب نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء وفي استنابته نزاع^(١)، فبذلك؛ يكون تجويد الإيمان بالأنبياء والمرسلين وجعلهم في الإيمان سواء، دون تفریق . كما بيّن العلامة السعدي حقيقة الإيمان الوجوب اتباع الهدي فيها في الإيمان بالأنبياء والرسول، فقال: "فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلاً"^(٢) .

وفي لطيفة يذكرها الدكتور محمد راتب النابلسي فيقول: "ومن مقتضى الإيمان بالله أن يصدق الإنسان في كل ما يخبرنا الله عنه، هذا يقتضي الإيمان برسله الذين أخبر عنهم في كتابه، يعني إذا أنت آمنت بالقرآن الكريم على أنه كتاب من عند الله، يقتضي الإيمان بالقرآن الكريم أن تصدق بكل ما جاء فيه، فأنت لم تر سيدنا لوط، ولا سيدنا إبراهيم، ولا سيدنا عيسى، ولا سيدنا موسى، ولكن أخبار هؤلاء الأنبياء الكرام جاءت في القرآن الكريم، وأنت مؤمن بالقرآن الكريم، فإيمانك بالله أولاً، وبكلامه ثانياً، يقتضي أن تؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أخبر عنهم في القرآن الكريم، ثم إن الإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بجميع الأنبياء والرسول، عندنا استنباط لطيف جداً، أن الله عزّ وجل في بعض الآيات يقول: ﴿صُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا لِمَنْ جَبَلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَصُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٣)، فهذا المجتمع أو هذه الأمة أو هذه القرية قتلت هذا النبي، فلماذا جعل الله القتل جماعياً؟ لأنك إذا كفرت بهذا النبي فكأنما كفرت بالأنبياء كلهم، الأنبياء وحدة لا تتجزأ، إما أن تؤمن بهم جميعاً، وإن لم تؤمن بهم جميعاً فكأنك كفرت بهم جميعاً"^(٤) .

(١) ابن تيمية، الصفدية (ج ٢/٣١١) .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٨) .

(٣) [آل عمران: ١١٢] .

(٤) موقع ويب، موسوعة النابلسي، العقيدة الإسلامية - الدرس (٢٤-٦٣): الإيمان بالأنبياء والرسول، وبما أنزل عليهم، لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٢-٢٢، موقع الويب: [العقيدة الإسلامية -](#)

[الدرس \(٢٤-٦٣\) : الإيمان بالأنبياء والرسول ، وبما أنزل عليهم .](#)

ثانياً: تجويد الإيمان يكون باتخاذهم قدوة

إن الله ﷻ جعل النبي ﷺ إماماً للمسلمين، ليس في الشرع وحسب، وإنما كان ﷻ قدوة في كل شأن للمسلم في حياته، واتباع الرسل والأنبياء باتخاذهم قدوة وأسوة هي علامة حبهم؛ بل إنها من تجويد الإيمان بهم، وقد بين الله ﷻ أن من كان يرجوه فعلية بهدي نبيه ﷻ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١)، فهذه الآية أمر صريح من الله ﷻ بوجوب اتباع النبي ﷻ وأن ذلك من كمال إيمان المؤمن، حيث بدأ الآية بالأمر بالاتباع بحرفي توكيد في كلمة "لقد"، ثم أعقبه بالتخصيص في قوله "لكم"، وختم الآية بأول أركان الإيمان وهو الإيمان بالله وأخرها وهو اليوم الآخر، ليبين سبحانه أن اتباع الأنبياء من تجويد الإيمان بهم، وعن مجاهد، قال: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَسْجُدُ فِي ص؟ فَقَرَأَ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ} - حَتَّى أَتَى - {فَبِهَدَاهُمْ افْتَدَاهُ}، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: نَبِيُّكُمْ ﷻ مِمَّنْ أَمَرَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ^(٢).

فكلام ابن عباس -رضي الله عنهما- صريح في أن النبي ﷻ أمر أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء والرسل ﷺ في صبرهم وثباتهم، ونحن مأمورون أن نقتدي برسولنا الكريم محمد ﷺ، فمن تجويد إيماننا بهم أن نقتدي بهم كما اقتدى ﷻ، وهذه هي الحكمة من إرسال الله ﷻ الرسل من البشر؛ ليكون سهلاً على الناس أن يقتدوا بهم دون عناء، يقول سيد قطب: "إنها الحكمة الإلهية كذلك تبدو في رسالة واحد من البشر إلى البشر، واحد من البشر يحس إحساسهم، ويندوق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويعلم ضرورتهم وأثقالهم، ومن ثم يعطف على ضعفهم ونقصهم، ويرجو في قوتهم واستعلائهم، ويسير بهم خطوة خطوة، وهو يفهم ويقدر بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم، لأنه في النهاية واحد منهم، يرتاد بهم الطريق إلى الله، بوحى من الله وعون منه على وعناء الطريق! وهم من جانبهم يجدون فيه القدوة الممكنة التقليد، لأنه بشر منهم، يتسامى بهم رويدا رويدا ويعيش فيهم

(١) [الأحزاب: ٢١].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/باب {وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}، ص: ٨٤٧، رقم الحديث ٣٤٢١].

بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم، وأرادها منهم فيكون هو بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم، وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم ينقلونها سطرًا سطرًا، ويحققونها معنىً معنىً، وهم يرونها بينهم، فتهدو نفوسهم إلى تقليدها، لأنها ممثلة في إنسان ولو كان ملكا ما فكروا في عمله ولا حاولوا أن يقلدوه، لأنهم منذ البدء يشعرون أن طبيعته غير طبيعتهم" (١).

ثالثاً: أن نعتقد بأن الله ﷻ قد اختار أنبياءه وأعدهم على علم عنده

إن الله ﷻ لم يختار أنبياءه -عليهم السلام- جهالة بغير علم -حاشاه ﷻ-، وإنما كان اختيارهم على علم مسبق عنده ﷻ، فقد اختارهم من أنقى وأنقى الناس قلوباً، وأشرفهم نسباً وأرفعهم مكانة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢).

ولذا؛ فإن تجويدنا للإيمان بهم يكون أيضاً بالاعتقاد بأن الله اختارهم على علم عنده، وأن الله ﷻ يُعدهم لهذه الرسالة إعداداً فريداً عظيماً، فقال تعالى في حق موسى ﷺ: ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ (٣)، فهذه الصنعة التي صنع الله عليها موسى وأعدده فيها للنبوّة مذ أوحى سبحانه لأمه بأن تلقيه في اليمّ مروراً بتنتشنته في بيت فرعون إلى أن كلفه الله ﷻ بالرسالة والنبوّة.

كذلك كان إعداد النبي ﷺ ليحمل أمانة تبليغ الأمة، جاء عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه -يعني ظنّوه- فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: "وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ" (٤).

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج ٥/٢٥٥٣).

(٢) [الأنعام: ١٢٤].

(٣) [طه: ٤١].

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، مج ١/٨٧، رقم الحديث ١٦٢].

فقد جهزه الله ﷺ على يديّ جبريل عليه السلام ليحمل أمانة النبوة وتبليغ الرسالة، بتطهير قلبه من الغل والبغضاء والمعاصي، بإخراج حظ الشيطان من قلبه، حتى كان ﷺ رحمة للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

رابعاً: أن نعتقد أن أرفع المقامات وأشرفها هو مقام النبوة والرسالة المعصومة

إن الله ﷻ حين اصطفى من عباده رسلاً وأنبياءً فإنه ﷻ اصطفاهم بصفات قد انفردوا بها عن غيرهم من خلقه ﷻ، وإن أجلَّ خلقٍ يتصف به الرسل والأنبياء -عليهم السلام- (الأمانة)، وهي الركن الأساس في استحقاق شرف النبوة والرسالة.

وإن هذا الخلق متعلق بحقين لا ينفصلان عن بعضهما، فأولهما: ما يتعلق بحق الله ﷻ، وثانيهما: ما يتعلق بحق الناس، فحين يبلغ المرسلون رسالة ربهم ﷻ التي أوكلت لهم، حين يبلغونها للناس أداءً لحق الله ﷻ بإقامة الحجة على الناس للإيمان بالله ﷻ وحده لا شريك له، تحقيقاً للعبودية المتمثلة في أركان التوحيد الثلاثة وهي: (توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات)، حينها يتمثل قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، قال العلامة السعدي: "هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأندر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الريانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسالته، فلم يبق خيراً إلا دل أمته عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين، {وإن لَّمْ تَفْعَلْ} أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك {فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} أي: فما امتثلت أمره، {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} هذه حماية وعصمة من الله لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن

(١) [الأنبياء: ١٠٧].

(٢) [المائدة: ٦٧].

نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم" (١) .

فالأمانة التي حملها الأنبياء والمرسلون من تبليغ دعوة الله ﷻ أدوها بحقها، فحفظ الله لهم وعصمتهم من الناس مكفولة، كي لا يعيق دعوة الله عائق، وتجويد إيماننا يتمثل باعتقاد أنهم أدوا الأمانة دون نقصير فيها.

وقد أخبر النبي ﷺ أن خير الناس ممن طلعت عليهم شمس هذه الدنيا هم الرسل والأنبياء، فعن عليٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ" (٢).

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٩) .

(٢) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ/فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ج ٣٨/١، رقم الحديث ١٠٠] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَبُو شُعَيْبٍ صَالِحُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْوَاسِطِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُوسِ بْنُ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جَحِيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الترمذي في سننه وبنحوه (٦١١/٥) من طريق علي بن الحسين، ويمثله (٦١١/٥) من طريق داود، وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (٣٦/١) من طريق فراس، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (٤٠/٢) من طريق الحسن بن علي، كلهم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وأخرجه الترمذي في سننه (٦١٠/٥) من طريق الحسن بن الصباح البزار، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٧٣/٢) من طريق محمد بن أحمد البزار، والبعوي في شرح السنة من (١٠٣/١٤) طريق محمد بن الوليد القرشي، ثلاثهم بنحوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وأخرجه الهيثمي في موارد الظمان بمثله (١٠٨/٧) من طريق خنيس بن بكر عن مالك بن مغول .

• ترجمة الرواة/

- أَبُو جَحِيْفَةَ: وهب بن عبد الله بن مسلم بن جنادة بن حبيب بن سواة السوائي، ابن عامر بن

صعصعة، أبو جحيفة السوائي. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٩٠/٦) .

فيستتبط من ذلك أن الرسل والأنبياء في مقدمة الأمم أفضلية وسيادة، وأنهم الأرفع مقاماً في الدنيا والآخرة، فَيَجُودُ الإيمان بالرسل والأنبياء أيضاً بالاعتقاد أنهم أفضل الخلق قاطبة وأرفعهم مقاماً وأشرفهم نسباً، وغير ذلك من اعتقاد يخالفه، كالاتقاد بأن الأولياء والصالحين وغيرهم، هم أفضل من المرسلين مكانة فذلك كفر بواح.

قال ابن حزم الأندلسي^(١): "ولا خلاف بين المسلمين في أن جميع الأنبياء كل نبي منهم أفضل ممن ليس نبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر"^(٢).

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ عَبْدُ الْقُدُوسِ بْنِ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ، قال ابن حجر: قال أبو حاتم لا بأس به. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٦٠). وقال الذهبي: وثق. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (٦٦٠/١). وذكره ابن حبان في "الثقات". ابن حجر، تهذيب التهذيب (٦٠٠/٢).
قال الباحث: هو صدوق.

▪ صَالِحُ بْنُ الْهَيْثَمِ الْوَاسِطِيِّ: قال ابن حجر صدوق. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٧٤). قال ابن أبي حاتم: روى عنه علي بن الحسين بن الجنيد فقال: حدثنا صالح بن الهيثم الواسطي شيخ صدوق. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢٠٢/٢). وقال الذهبي: صدوق. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٤٩٩/١).
قال الباحث: هو صدوق.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن.

فيه صالح الواسطي أبو شعيب وعبد القدوس بن بكر بن خنيس صدوقان، وقد نص في مقدمة لسان الميزان (١٩٩/١) على أن المرتبة الرابعة عنده في الرواة المقبولين هي (الصدوق ، ولا بأس به ، وليس به بأس) . وقد ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة مصححاً للحديث .

(١) ابن حزم الأندلسي ت (٤٥٦هـ): أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموي، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده، وأصله من فارس، وجدته خلف أول من دخل الأندلس من آباءه. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج ٣/٣٢٥).

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج ٤/٩٧) .

وكمال الإيمان وتجويده يكون ابتداءً بالإيمان بالله ﷻ وانتهاءً باليوم الآخر، فما من نبي إلا ودعا قومه للإيمان باليوم الآخر، فقال تعالى: ﴿وَالِى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١)، فدعوة شعيب عليه السلام وإخوانه من الرسل والأنبياء ربطت الإيمان بالله تعالى وعبادته برجاء الآخرة، قال الإمام السعدي: "أي {و} أرسلنا {إلى مدين} القبيلة المعروفة المشهورة {شعيبًا} فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، والإيمان بالبعث ورجائه، والعمل له"^(٢).

(١) [العنكبوت: ٣٦] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٣٠) .

المطلب الخامس

الجودة في الإيمان باليوم الآخر

إن الله ﷻ لما أرسل رسله وأنبياءه -عليهم السلام- أذنهم بإبلاغ رسالته كاملة بحقها، وأداء هذه الأمانة غير منقوصة، فالأنبياء منذ بدء الخليقة من لدن آدم ﷺ، مروراً بإدريس ﷺ ونوح ﷺ وإبراهيم ﷺ، ومروراً بأنبياء بني إسرائيل من داود ﷺ وسليمان ﷺ وموسى ﷺ وعيسى ﷺ وإخوانهم الأنبياء جميعاً، وختاماً بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ دعوا أقوامهم للإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحُونَ وَالنَّصْرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، قال السعدي: "يخبر تعالى عن أهل الكتب من أهل القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر [والعمل الصالح] فمن آمن منهم بالله واليوم الآخر، فله النجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها، وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة"^(٢)، فيشير الإمام السعدي إلى أن حكم الإيمان باليوم الآخر هو حكم لسائر الأزمنة منذ أن أرسل الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولذا فإن الله ﷻ بيّن حال المؤمنين في حقيقة إيمانهم باليوم الآخر، فقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)، فبيّن الله ﷻ أن من صفات الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر مجودين لإيمانهم بعمق فهمهم، لا يمكن لهم أن يوادوا من حادّ الله ورسوله البتة .

وتجويد الإيمان باليوم الآخر يكون في محاور ثلاثة تتمثل في التجويد الاعتقادي، والتجويد القولي، والتجويد العملي .

فَيُجَوِّدُ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ اعْتِقَادًا، بَأَن يَعْتَقِدَ الْمُسْلِمُ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، فهو مما استأثره الله في علم الغيب عنده، فهو غيبي لا يدرك بحس ولا حساب وإنما الأمر

(١) [المائدة: ٦٩] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٩) .

(٣) [المجادلة: ٢٢] .

فيه لله ﷺ، فعن أبي هريرة، قال: كان النبي ﷺ باراً يوماً للناس، فأتاه جبريلُ فقال: ما الإيمان؟ قال: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث". قال: ما الإسلام؟ قال: "الإسلام: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان". قال: ما الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، قال: متى الساعة؟ قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراتها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تناول رعاها الإبل البهيم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله" ثم تلا النبي ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} الآية، ثم أدبر فقال: "رُدُّهُ" فلم يروا شيئاً، فقال: "هذا جبريلُ جاء يعلمُ الناسَ دينهم" قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان^(١).

فمن اعتقد أو قال في اليوم الآخر غير ما قال ربنا ﷺ في كتابه، أو ما نقل عن نبينا محمد ﷺ في ما صح من سنته، فإن ذلك من مفسدات الإيمان، فوجب الاعتقاد بأنه لا أحد من خلق الله ولا حتى الملائكة المقربون -عليهم السلام- ولا سيدهم جبريل ﷺ يعلم وقت قيام الساعة، ولذلك فإنه على المؤمن أن يجود إيمانه باعتقاده أن للساعة علامات وأمارات تُعرف بها وتحدث قبل قيامها وفق ما جاء في نص الحديث، فيؤمن بها معتقداً قريباً، ويؤمن بكل ما صح من حديث النبي ﷺ في هذه العلامات ومنها:

أولاً: العلامات الكبرى للساعة

وهي العلامات التي لم تحدث بعد، عن حذيفة بن أسيد الغفاري^(٢)، قال: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: "مَا تَذَكَّرُونَ؟" قَالُوا: نَذَكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: "إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرُونَ قَبْلِهَا عَشْرَ آيَاتٍ -فَذَكَرَ- الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ حُسُوفٍ: حَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَحَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَحَسْفٌ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"^(٣).

(١) سبق تخريجه، (ص ١٩) .

(٢) حذيفة بن أسيد الغفاري: حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة. الأصبهاني، معرفة الصحابة (٦٩١/٢)

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشرط الساعه/باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، مج ٢/١٣٢٧، رقم الحديث ٢٩٠١] .

فذلك إخبار بالغيب في حديث النبي ﷺ نؤمن به إيماناً قاطعاً، فلا يعلم ميعاد هذه العلامات سوى الله ﷻ، فهي أيضاً مما استأثر به في علم الغيب عنده، فلا ننكرها .

ثانياً: العلامات الصغرى للساعة

وهي كثيرة جداً وأذكر منها الثلاث الآتية:

١- عمارة المدينة، حيث تعمّر وتسكن ولا تتوقف حدودها إلى ما كانت عليه زمن النبي ﷺ بل تتعدى ذلك إلى أميال، فعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: "تَبْلُغُ الْمَسَاكِينُ إِهَابَ أَوْ يَهَابَ"^(١)، قال زهير: فُلْتُ لِسُهَيْلٍ: فَكَمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا مِيلاً^(٢).
وقد حدثت هذه العلامة وتوسعت حدود المدينة وسكنها الناس.

٢- الفتنة ونشوبها باقتتال أهل العراق، عن ابن عمر، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: "رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" يَعْنِي الْمَشْرِقَ^(٣).
وفي رواية أخرى أيضاً عن سالم بن عبد الله بن عمر، يقول: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلُكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبُكُمْ لِلْكَبِيرَةِ سَمِعْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا" وَأَوْماً بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ " مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ " وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُ: لَوْ قَتَلْتَ نَفْسًا فَجَبَّيْنَاكَ مِنَ الْعَمِّ وَقَتَلْنَاكَ فُتُونًا { [طه: ٤٠] }^(٤) .

وقد تحقق هذا الإخبار من النبي ﷺ بأن نشبت الفتنة من العراق، وبدأ قتال المسلمين فيما بينهم، أما في زماننا فقد بدأت الفتن مرة أخرى من العراق وكثر القتل والهرج في بلاد المسلمين بدءاً من العراق .

(١) إِهَابٌ أَوْ يَهَابٌ: مَوْضِعٌ يَقْرَبُ الْمَدِينَةَ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْهَا. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٨/٣١).
(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/بَابُ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ، مج ٢/١٣٢٨، رقم الحديث ٢٩٠٣].
(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/بَابُ الْفِتْنَةُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ، مج ٢/١٣٢٩، رقم الحديث ٢٩٠٥/٤٨].
(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/بَابُ الْفِتْنَةُ مِنَ الْمَشْرِقِ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ، مج ٢/١٣٢٩، رقم الحديث ٢٩٠٥/٥٠].

٣- نزول الفتن وكثرتها، وقد بين النبي ﷺ بعضاً منها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّهُ هُوَ؟ قَالَ: "الْقَتْلُ الْقَتْلُ"^(١).

وقد تحققت هذه العلامات فذهبت بركة الزمان حتى أصبح اليوم مثل البارحة، وقد قال ابن بطال: "هذا كله إخبار من النبي ﷺ بأشراط الساعة، وقد رأينا هذه الأشراط عياناً وأدركناها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقى بالشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل، وليس في الحديث ما يحتاج إلى تفسير غير قوله: "يتقارب الزمان" ومعنى ذلك، والله أعلم، تقارب أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله، وقد جاء في الحديث: "لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا، فإذا تساوا هلكوا" يعنى لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف لله يلجأ إليهم عند الشدائد، ويستشفى بآرائهم، ويتبرك بدعائهم، ويؤخذ بتقويمهم وآثارهم. وقال الطحاوي: قد يكون معناه في ترك طلب العلم خاصةً والرضا بالجهل، وذلك أن الناس لا يتساوون في العلم؛ لأن درج العلم تتفاوت، قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ وإنما يتساوون إذا كانوا جهالاً. قال الخطابي: وأما حديثه الآخر: "أنه يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كالיום، واليوم كالساعة"^(٢).

ثم إن الذي جَوَّد إيمانه باليوم الآخر اعتقاداً، صارت الدنيا آخر همه، وابتدر ذكره لهذا اليوم العظيم أكثر، فَيُجَوِّدُ إيمانه باليوم الآخر قولاً بذكر الله واللجوء إليه ﷻ فيما يتعلق باليوم الآخر من أمور، وأول هذه الأمور هو الموت، ومن بعده القبر -الذي هو أول منازل الآخرة-؛ فيستعيز بالله من عذاب القبر ومن فتنته، ويسأل الله الثبات عند السؤال، فقد كان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على تذكر القبر والاستعاذة من عذابه وفتنته، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجَزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا: إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، قَالَتْ: فَكَدَّبْنُهُمَا وَلَمْ أُنْعِمْ أَنْ أَصَدَّقَهُمَا، فَخَرَجَتَا وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَجُوزَيْنِ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الفتنِ/بابُ ظُهُورِ الْفِتَنِ، ص: ١٧٤٩، رقم الحديث ٧٠٦١].

(٢) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج ١٠/١٣).

مِنْ عَجْزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ دَخَلْنَا عَلَيَّ، فَرَعَمْنَا أَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَقَالَ: "صَدَقْنَا، إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ" قَالَتْ: "فَمَا رَأَيْتُهُ، بَعْدُ فِي صَلَاةٍ إِلَّا يَتَعَوَّدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" (١).

فيستنبط من حرص النبي ﷺ على الاستعاذة من عذاب القبر وفتنته أنه ما كان يغفل عن اليوم الآخر البتة، وأن تجويد الإيمان بتذكرة وذكر ما يتعلق به باللسان، كذلك فإن فتن الدنيا لهي أكثر ما يذكر المسلم الآخرة، فيتذكر المسلم أهوال يوم القيامة وفتنها، فيستعيذ بالله ﷻ منها، فكل ذكر لله ﷻ واستعاذة من أهوال هذا اليوم العظيم وسؤال الله الوقاية من فتنته هو من جميل تجويد الإيمان بهذا اليوم، وإن الاستعاذة من الفتن في الدنيا والآخرة لهي ديدن النبي ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ" (٢).

وهذا هو الدعاء المستحب في آخر الصلاة عند التشهد حيث إن أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيُسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ" (٣).

فإن تأملنا في مقصود النبي ﷺ من ذلك الكلام، فإننا نستنبط أنه ما قصد إلا إجابة الإيمان باليوم الآخر وكثرة الاستعاذة من فتته التي تسبقه والتي تكون فيه.

وإن الاعتقاد باليوم الآخر قولاً، يستوجب ترجمته عملاً، والأعمال هي التي تُترجم تجويد الإيمان باليوم الآخر حقاً، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ اسْتِحْبَابِ التَّعَوُّدِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، مج ١/٢٦٤، رقم الحديث ٥٨٦].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ/بَابُ التَّعَوُّدِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، ص: ٣٣٢، رقم الحديث ١٣٧٧].

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ، مج ١/٢٦٥، رقم الحديث ٥٨٨].

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَا أَعَدَدْتَ لَهَا" قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ،
وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ" (١).

وإن أبرز ما تجلى في الإعداد لليوم الآخر، هو زهد النبي ﷺ وعزوفه عن الدنيا ومتاعها،
فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ -، قَالَ: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَنْزَلَ فِي جَنْبِهِ،
فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَنْظَلَ
تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا" (٢).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ص: ١٥٤١، رقم الحديث
٦١٧١].

(٢) [الترمذي: سنن الترمذي، أَبْوَابُ الرَّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/بَابُ ٤٤، ج ٤/ ٥٨٨، رقم الحديث ٢٣٧٧].
• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكِنْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي الْمَسْعُودِيُّ
قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ.

• تخريج الحديث/

أخرجه ابن ماجه في سننه من طريق يحيى بن حكيم (١٣٧٦/٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه من
طريق الحسن بن يعقوب البخاري (٣٤٥/٤)، وأخرجه أحمد في مسنده من طريق وكيع بن الجراح
(٢٥٩/٧)، وأيضاً من طريق يزيد بن هارون (٢٤١/٦)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده من طريق أبي
بكر بن أبي شيبة (٤١٦/٨)، وأيضاً من طريق وكيع بن الجراح (١٤٨/٩)، وأيضاً من طريق يزيد بن
هارون (١٩٥/٩)، وأخرجه البزار في مسنده من طريق محمد بن معمر (٣٣٧/٤)، وأخرجه أبو بكر
بن أبي شيبة في مصنفه من طريق وكيع بن الجراح (١٨٥/١)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط
من طريق هاشم بن مرثد (١٢٢/٩)، وأخرجه الطيالسي في مسنده أيضاً (٢٢١/١)، كلهم عن
المسعودي به بنحوه .

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير من طريق روح بن الفرغ القطان (٢٠٠/١٠) عن عبد الله بن
حبيب السلمي عن ابن مسعود ﷺ، بنحوه مطولاً .

• ترجمة الرواة/

- رواه ثقات، عدا أن فيه:

▪ إِبْرَاهِيمَ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسِ بْنِ الْأَسْوَدِ النَّخَعِيِّ أَبُو عِمْرَانَ الكُوفِيِّ الفقيه ثقة إلا أنه يرسل كثيراً.
ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٩٥) .

قال ابن أبي حاتم: "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ الْهَسْبَجَانِيُّ سَمِعْتُ مُسَدَّدًا يَقُولُ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَأَصْحَابُنَا يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ سَمِعَ مِنْ عَلْقَمَةَ". ابن أبي حاتم، المراسيل (ج ١/٩)، ولكن هذا الكلام مردود بما جاء عند البخاري من تصريحه بالسماع من علقمة في أكثر من رواية، كما أن المزي نص على سماعه من علقمة "وذكر المزي فيما أخبرني عنه غير واحد أنه إذا قال عن شخص: روى عن فلان، يريد بذلك صحة سماعه منه، وقد زعم أن النخعي روى عن أبي عبد الله الجدلي، وعلقمة، ومسروق". مغلطاي، إكمال تهذيب الكمال (ج ١/٣١٤).

وقال أبو زرعة: "قال العلاءي هو أكثر من الإرسال وجماعة من الأئمة صححوا مراسيله وخص البيهقي ذلك بما أرسله عن ابن مسعود". ابن العراقي، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (ص ٢٠). كذلك لو أنه أرسل هذا الحديث عن ابن مسعود ﷺ فإنه يصح بتصحيح مراسيله عنه كما نص أبو زرعة آنفاً، وبما خص البيهقي إرساله عن ابن مسعود ﷺ، وبذلك يزال تضعيف إرساله في هذا الإسناد.

قال الباحث: إبراهيم سمع من علقمة بدليل الروايات التي عند البخاري، والتي فيها تصريح بالسماع وبذلك تزول علة (عدم السماع من علقمة).

■ **المسعودي:** عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي صدوق اختلط قبل موته وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٤٤). ليس هنالك مشكلة في سماع المسعودي وروايته عن غيره، ولكن العلة فيمن سمع منه، وروى عنه والكلام يطول في ذلك في ترجمة زيد بن حباب الذي روى عنه هذا الحديث.

وحكم يحيى بن معين وغيره بتوثيقه إلا أن الإمام أحمد ذكر أنه اختلط ببغداد وأن سماع من سمع منه هناك ليس بشيء قال ومن سمع منه بالكوفة فسماعه جيد، وقال ابن حبان في "تاريخ الضعفاء": كان المسعودي صدوقاً إلا أنه اختلط في آخر عمره اختلاطاً شديداً حتى ذهب عقله، وكان يحدث بما يحب، فحمل عنه، ولم يتميز فاستحق الترك ابن الكيال، الكواكب النيرات (ص ٢٨٦).

وقال العجلي: ثقة، إلا أنه تغير بأخرة، وقال ابن عيينة: ما أعلم أحداً أعلم بعلم ابن مسعود من المسعودي. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢/٥٢٣).

يقول ابن الكيال: "إن الإمام أحمد ذكر أنه اختلط ببغداد وأن سماع من سمع منه هناك ليس بشيء". ابن الكيال، الكواكب النيرات (ص ٢٨٦).

وزيد بن حباب كوفي، وقد نص ابن الكيال بقبول رواية الكوفيين عنه فقال: "تقبل رواية كل من سمع منه بالكوفة والبصرة قبل أن يقدم بغداد". ابن الكيال، الكواكب النيرات (ص ٢٩٣). وقال أبو حاتم: تغير قبل موته بسنة أو سنتين. العلاءي، المختلطين (ص: ٧٣).

قال الباحث: المسعودي صدوق، اختلاطه يضر فيمن سمع منه ببغداد.

(وسيتبين معنا الآن إثبات سماع زيد بن حباب من المسعودي قبل الاختلاط أم بعده).

وكذلك ما يرويه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث عند الشيخين رحمهما الله - البخاري ومسلم، والرواية هنا لمسلم- في قصة طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته، ففي سياق الحديث بعد أن استأذن عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم يقول -عمر رضي الله عنه:- "فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيَّ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَتَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِرَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ^(١)، وَمِثْلَهَا قَرَضًا^(٢) فِي نَاحِيَةِ الْعُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ^(٣)، قَالَ: فَأَبْتَدَرْتُ عَيْنَايَ، قَالَ: "مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِرَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَلِكَ قَيْصَرٌ وَكِسْرَى فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَصَفْوَتُهُ،

▪ زَيْدُ بْنُ حُبَابٍ: زيد بن الحباب أبو الحسين العكلي، أصله من خراسان وكان بالكوفة ورحل في الحديث فأكثر منه وهو صدوق يخطيء في حديث الثوري. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٢٢).

طلب العلم بعد الخمسين ومائة. -أي بعد عام ١٥٠هـ-. الذهبي، تاريخ الإسلام (٧٥/٥).
وقد وُلِدَ فِي حُدُودِ الثَّلَاثِينَ وَمِائَةٍ. الذَّهَبِيُّ، سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (٣٩٣/٩).
وقال الخطيب: وقدم بغداد، وحدث بها. البغدادي، تاريخ بغداد (٤٤٧/٩)، أي أنه أتاها بعد التلقي، وليس في رحلة الطلب، فيتبين أنه أتاها بعد موت المسعودي -رحمه الله-، وفي ذلك إثبات أنه سمع منه قبل الاختلاط بالكوفة وليس ببغداد. ثم إن الحديث ليس عن الثوري، فإنه لا خطأ في الحديث.
قال الباحث: صدوق .

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

(١) الصَّاعُ: الصاع خمسة أرتال وثلاث، بالحنطة من الرزين، وهو الذي يساوي العدس، وقال الداودي وغيره: معياره الذي لا يختلف أربع حفنات، بكفي الرجل المعتدل الخلقة. النجدي، حاشية الروض المربع (٢٢٢/٣)، -فقه حنبلي-، وهو أربعة أمداد، ويقدر الآن بثلاثة عشر كيلوجراما تقريبا. عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٣٣٥/٢) .

(٢) الْقَرَضُ: ورق السلم، يدبغ به الأدم، وتقول: قَرَضْتُهُ أَقْرَضْتُهُ قَرَضًا. والقارِضُ جامع. الفراهيدي، العين (ج ١٣٣/٥) .

(٣) أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ: وَهُوَ الْجِلْدُ الَّذِي لَمْ يَتِمَّ دَبَاغُهُ. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٠/٨٣) .

وَهَذِهِ خِرَازِنُكَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةَ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟، قُلْتُ: بَلَى^(١).

وقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على الإعداد للآخرة ببيان عظمها والعمل لها فعن المُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ، أَخِي بَنِي فَهْرٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَاللَّهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَابَةِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمِ تَرْجِعُ؟"^(٢).

فهذا حال النبي ﷺ، لا يلتفت إلى متاع الدنيا ولا إلى زخرفها، لأنه يعلم ورأى ما في الآخرة مما أعد الله لعباده المؤمنين .

فحريٌّ بالمسلم أن يجود إيمانه باليوم الآخر، فحين يعلم أمارات الساعة -التي نبأ بها النبي ﷺ أصحابه- ثم يرى وقوعها في زمانه، فإنه حري به أن يستعد لهذا اليوم؛ لتحقيق قربه، وأن يحسن من دنياه؛ ليدخر منها إلى أخراه، فيجود إيمانه بشقين، أما الأول فهو تجويد الشق الاعتقادي -بما ذكرته آنفاً-، وأما الثاني فهو تجويد الشق القولي المتصل بالعمل الذي به تكون نجاته، وألا يتكل في دنياه متكلاً على رجاه، متعذراً بقدر الله وقضائه .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الطَّلَاقِ/بَابُ فِي الْإِيْلَاءِ، وَاعْتِرَالِ النِّسَاءِ، وَتَحْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}، مج ٢/٦٨١، رقم الحديث ١٤٧٩] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مج ٢/١٣٠٨، رقم الحديث ٢٨٥٨] .

المطلب السادس

الجودة في الإيمان بالقضاء والقدر

قَضِيَ: الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِثْقَانِهِ وَإِنْفَادِهِ لِحَيْثِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢]، أَيْ أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ. ثُمَّ قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ: وَالْقَضَاءُ: الْحُكْمُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي ذِكْرِ مَنْ قَالَ: فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَيْ اصْنَعْ وَأَحْكَمْ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَاضِي قَاضِيًا، لِأَنَّهُ يُحْكَمُ الْأَحْكَامَ وَيُنْفِذُهَا^(١).

أن تسلّم الله ﷻ أمرك كله لهو من جميل تجويد الإيمان بالقضاء والقدر، ولكن؛ أن تأخذ بالأسباب ثم تتوكل على الله ﷻ في أمرك كله وتسلم إليه ما تؤول الأمور، فهو الدرجة العليا في تجويد الإيمان بقضاء الله ﷻ وقدره دون تواكل.

فالله ﷻ قد خلق كل شيء بقدر، لا ينقص ما قدر ولا يزيد إلا بأمره، فقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَقَّسِ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٣)، فهذه الآيات تدعونا لأن نجود إيماننا بتسليمنا بالقضاء والقدر دون اعتراض، ولكن يجب أن نعلم أنه يجب علينا أن نعمل لما قدره الله لنا، فهو الجودة المطلوبة في الإيمان بالقضاء والقدر وألا نتكل ونسلم فنركن لأنفسنا، فعن جابرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلْفَتَا الْآنَ، فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَيْمًا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: "لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ" قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ: "اعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ"^(٤).

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة (ج٥/٩٩).

(٢) [القمر: ٤٩].

(٣) [الشمس: ٧-٨].

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ القَدْرِ/بَابُ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، مج ٢/١٢٢٣، رقم الحديث ٢٦٤٨].

فالجودة في الإيمان بالقضاء والقدر تكون بما سلم به موسى ﷺ لما حاجه آدم ﷺ، ومن ذلك أن يؤمن المسلم أن القدر قد كتبه الله ﷻ على الخلائق قبل خلقها فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطينك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق" فقال رسول الله ﷺ: "فحج آدم موسى مرتين" (١).

إن الخلق ميسرون لما يعملون؛ بما قدموا وأعدوا لأنفسهم من عمل صالح أو غير ذلك، فعن عليّ ﷺ قال: قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتبت مقعده من النار، ومقعده من الجنة" قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: "اعملوا فكلُّ ميسرٍ لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء"، ثم قرأ: {فأما من أعطى وثقى وصدق بالحسنى} الآية (٢)، و تجويد إيماننا بالقضاء والقدر أن نعد له، بأن نجتهد في السير إلى ما يبسر الله لنا لنعمل على طاعته ﷻ، وألا يتعذر المرء عدم سلوكه طريق الهداية؛ أنه قد قدر عليه ذلك قبل أن يخلق، فكمال الإيمان يكون بإتمام ما ابتدأ به تجويداً من إيمانه بالله ﷻ -بأن تعتقد بأن كل شيء في هذه الدنيا مقدر من عند الله ﷻ-، وانتهاءً بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، فهو أجود الإيمان .

والإيمان بالقضاء والقدر هو إيمان بالغيب وتجويد الإيمان به هو تجويد للإيمان بالغيب، مصداقاً لقوله تعالى في وصف المؤمنين حقاً ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٣)، وبلاغة كتاب الله ﷻ تظهر في تقديم الإيمان بالغيب على الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اليوم الآخر غيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، فكان المؤمن بالغيب منساقاً طوعاً للإيمان باليوم الآخر.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/باب وفاة موسى وذكره بعد، ص: ٨٤٣، رقم الحديث ٣٤٠٩].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير/باب {فسئسره للعسرى}، ص: ١٢٦٠، رقم الحديث ٤٩٤٩].

(٣) [البقرة: ٣-٤].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ حَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي عَدِيٍّ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ عَدَاً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ" (١).

فكل ما ذكر النبي ﷺ في الحديث هو غيب على سبيل الذكر لا الحصر، فقد استأثر الله بعلوم كثيرة غير هذه الأمور عنده، فيجود الإيمان بالغيب بالرضا بما قدر الله ﷻ وما هو آت مع القدر من الله ﷻ.

وقد أثنى النبي ﷺ على الفأل الحسن، ونهى عن الطيرة وما يصحبها من تعطيل للرضا بالقضاء والقدر وسخط على ما قدر الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا طِيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ" قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ" (٢).

وكان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن، ويستبشر به، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا عَدْوَى وَلَا طِيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ" (٣).

وأعظم تجويد للإيمان بالقضاء والقدر هو تجويد حسن الظن بالله ﷻ، لأن الله عند ظن العبد به، فيوقن المسلم يقيناً جازماً أن الله ﷻ له عند ظنه به ﷻ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي" (٤).

خلاصة المبحث:

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس في القلب، الذي يبني عليه ركائز وعماد الإيمان، فإن كان ذلك الأساس قد جُودَ ضربه في الأرض ودُعِمَ حتى استقر -بقوة الصلة بالله ﷻ-، كانت

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الاستِسْقَاءِ/بَابُ: لَا يَدْرِي مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ إِلَّا اللَّهُ، ص: ٢٥٢، رقم الحديث ١٠٣٩].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الطَّبِّ/بَابُ الْفَأْلِ، ص: ١٤٥٧، رقم الحديث ٥٧٥٥].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الطَّبِّ/بَابُ الْفَأْلِ، ص: ١٤٥٧، رقم الحديث ٥٧٥٦].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لِيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ، ص: ١٨٥٢، رقم الحديث ٧٥٠٥].

ركائز العماد التي تبنى عليه ثابتة لا تحيد ولا تميل مع ما يصيبه -أي القلب- من فتن الدنيا، ولذلك كان أول ما يتعلم الصحابة ﷺ، كانوا يتعلمون الإيمان، ثم يتعلمون القرآن، فعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَرَاوِرَةٌ^(١)، "فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا"^(٢).

(١) حَرَاوِرَةٌ: العُلامُ الحَرَوْرُ وَذَلِكَ إِذَا اشْتَدَّ وَقْوِي . ابن فارس، مقاييس اللغة (ج٢/٥٥) .
 (٢) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، المقدمة باب (٩)/بَابُ فِي الْإِيمَانِ، ج ١/٢٣، رقم الحديث ٦١] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ نَجِيحٍ، وَكَانَ ثِقَةً، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

• تخريج الحديث /

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير بمثله (١٦٥/٢) و بمثله موقوفا مختصرا (١٥٨/٢)، وأخرجه ابن منده في الإيمان (٣٧٠/١) كلاهما من طريق وكيع وأبي عامر العقدي، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان بنحوه (١٥٢/١) من طريق الحجاج بن نصير، ثلاثتهم عن حماد بن نجيح به بنحوه.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- حَمَادُ بْنُ نَجِيحٍ اختلف فيه هل هو صدوق أم ثقة؟.

قال ابن حجر: حماد بن نجيح الإسكافي السدوسي أبو عبد الله البصري صدوق. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ١٧٨). وقال فيه الذهبي: ثقة. الذهبي، الكاشف (ج١/٣٥٠). وقال أحمد بن حنبل: ثقة مقارب الحديث. وقال أبو حاتم: لا بأس به ثقة، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة. ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج١/٤٨٥)، وذكره ابن حبان في الثقات (ج٦/٢٢٠) .
 قال الباحث: هو ثقة، لأن حديثه قريب من حديث الثقات .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

فقد جَوَّدَ النبي ﷺ تأسيس الإيمان في قلوبهم، ثم علمهم أحكام دين الله وشرعه المرادة من القرآن، فكانت سنته ﷺ شارحة ومبينة لأحكامه ﷺ في كتابه، فلما عرفوا الله بالعقيدة السليمة بقلوبهم، جعلوا شرعه منهاجاً لحياتهم.

ختامًا: إن أعظم ما يتخلق العبد به هو تجويد حسن خلقه مع الله ﷻ، فالعقيدة لا تنفك عن الأخلاق البتة، بل إن العقيدة عبادة خُلُقِيَّة بين العبد و ربه، بها يمجد العبد الله ﷻ في نفسه، وبها يُجَوَّد انقياده وخضوعه وتذللُّه لرب العزة ﷻ، فلا ينفك عن ذكره، ولا ينقطع عن تعظيمه، وكل ذلك الإتيان في الاعتقاد لابد وأن يترجم به الاتصاف بالأخلاق الربانية عملاً في كل شأن من حياته، فَيُجَوَّدُ العبد أخلاقه عملاً بما أخبر النبي ﷺ عن خيار الناس، فعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"^(١).

وختامًا فإن الأخلاق ركائز الأعمال، وعليها يكون القبول ما دام العمل مخلصاً لله ﷻ.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/باب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ، ص: ١٥١٢، رقم الحديث [٦٠٣٥].

المبحث الثاني الجودة في الأخلاق

تمهيد:

إن العقيدة الإسلامية التي عبرنا عنها بلفظ الإيمان لا تتفك عن الأخلاق البتة، فقرن النبي ﷺ بينها وبين الأخلاق العظيمة التي يَتَنَكَّبُهَا المسلم لكمال إيمانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ" (١).

وإن أجود الأخلاق قاطبة هو خلق الحياء الذي خصه النبي ﷺ بالذكر هنا، وفي رواية عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ" (٢).

وللإمام النووي كلام جميل عن ذلك الخلق الأجود فقال: "وقال القاضي عياض وغيره من الشراح إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم فهو من الإيمان بهذا ولكونه باعنا على أفعال البر ومانعا من المعاصي وأما كون الحياء خيرا كله ولا يأتي إلا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله- أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازا لمشابهته الحياء الحقيقي وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق" (٣).

(١) سبق تخريجه، (ص ٣٦) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم ، كِتَابُ الإِيمَانِ/بَابُ شُعْبِ الإِيمَانِ، مج ٣٨/١، رقم الحديث ٣٧] .

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٥/٢) .

ولقد برزت رسالة النبي ﷺ ودعوته بالأخلاق، فقد كان جوهر دعوته الخلق الحسن، وإن
أعمل ما قال النبي ﷺ في الأخلاق، ما جاء عند البزار، عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال:
"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"^(١).

(١) [البزار: مسند البزار - البحر الزخار، مُسْنَدُ أَبِي حَمْرَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ/الققعاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن
أبي هريرة، مج ١٥/٣٦٤، رقم الحديث ٨٩٤٩].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رِزْقٍ الْكَلَوَازِي، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ،
عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ عَنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

• تخريج الحديث/

أخرجه أحمد في مسنده من طريق عبد العزيز بن محمد بنحوه (٥١٢/١٤)، وأخرجه البخاري في الأدب
المفرد بلفظه (ص: ١٠٠)، وأخرجه البزار في مسنده بهذا اللفظ (٣٦٤/١٥)، وأخرجه الطحاوي في شرح
مشكل الآثار بنحوه (٢٦٢/١١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه (٦٧٠/٢)، والبيهقي في السنن
الكبرى بلفظه (٣٢٣/١٠)، كلهم عن أبي صالح به .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ ابن عجلان: هو محمد بن عجلان المدني صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة من
الخامسة مات سنة ثمان وأربعين . ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٩٦).

إن ما اختلط على محمد بن عجلان هو من أحاديث سعيد عن أبي هريرة وأحاديث سعيد عن أبيه
عن أبي هريرة، قال ابن حبان: "قال أبو حاتم ؓ: وقد سمع سعيد المقبري من أبي هريرة، وسمع
عن أبيه عن أبي هريرة فلما اختلط على ابن عجلان صحيفته ولم يميز بينهما اختلط فيها وجعلها
كلها عن أبي هريرة ، وليس هذا مما يوهي الإنسان به لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيحة؛ فما
قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة فذاك مما حمل عنه قديما قبل اختلاط صحيفته
عليه، وما قال عن سعيد عن أبي هريرة فبعضها متصل صحيح وبعضها منقطع لأنه أسقط أباه
منها فلا يجب الاحتجاج عند الاحتياط إلا بما يروي الثقات المتقنون عنه عن سعيد عن أبيه عن
أبي هريرة ، وإنما كان يوهي أمره ويضعف لو قال في الكل؛ سعيد عن أبي هريرة فإنه لو قال ذلك
لكان كاذبا في البعض لأن الكل لم يسمعه سعيد عن أبي هريرة فلو قال ذلك لكان الاحتجاج به
ساقطا على حسب ما ذكرناه". ابن حبان، كتاب الثقات (ج٧/٣٨٦) .

قال الباحث: هو صدوق، وهذا الإسناد ليس عن سعيد عن أبيه، ولذلك يكون ليس مما اختلط عليه.

▪ عبد العزيز: عبد العزيز بن محمد بن عبيد الدراوردي أبو محمد الجهني مولاهم المدني صدوق كان يحدث من كتب غيره فيخطئ. قال النسائي حديثه عن عبيد الله العمري منكر. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٥٨).

عبد العزيز بن محمد له توثيق ضمنى في قول المزي: روى له البخاري مقرونا بغيره. وقال أحمد بن أبي مريم، عن ابن معين: ثقة حجة. قال مصعب الزبيري: كان مالك يوثق الدراوردي. وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن يوسف بن الماجشون والدراوردي، فقال: عبد العزيز محدث، ويوسف شيخ. ووثقه العجلي. وقال ابن حبان في "الثقات": وكان يخطئ. وقال أبو زرعة: سيء الحفظ، فرما حدث من حفظه الشيء فيخطئ. ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج ٢/٥٩٢).
قال الباحث: هو صدوق، يخطئ إن حدث من كتب غيره.

▪ مُحَمَّد بن رزق الكلوازي: محمد بن رزق الله، أبو بكر الكَلَوْدَانِيّ وكان صدوقا. الذهبي، تاريخ الإسلام (١٢٢٦/٥)، قال الخطيب: وكان ثقة. البغدادي، تاريخ بغداد (١٩١/٣).
قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق الله الكلوذاني وهو ثقة. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج ٩/١٥).

قال الباحث: هو صدوق، لرجاحة الذهبي وتخصصه المباشر في النقد، قال السخاوي عنه: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر. السيوطي، ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٣٤٨).

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن.

قال ابن عبد البر في التمهيد: هذا الحديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي ﷺ، وقال أيضاً: "هذا حديث مدني صحيح". ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٣٣/٢٤-٣٣٤).

• مشكل الحديث: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"

هذا الحديث فيه إشكال، أزاله الطحاوي بقوله:

فكان معنى ذلك عندنا -والله أعلم- أن الله ﷻ إنما بعثه ليكمل للناس دينهم، وأنزل عليه مما يدخل في هذا المعنى، وهو قوله ﷻ: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }، فكانت بعثته إياه عز وجل ليكمل للناس أديانهم التي قد كان تعبد من تقدمه من أنبيائه بما تعبد به منها، ثم كملها ﷻ له بقوله: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }، والإكمال: هو الإتمام، فهو معنى قوله ﷻ: "بعثت لأتمم صالح الأخلاق"، أي: صالح الأديان، وهو الإسلام، وبالله التوفيق. الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج ١١/٢٦٢)، رقم ٦٨٥.

وإن الأخلاق ركائز الأعمال، وعليها يكون القبول ما دام العمل مخلصاً لله ﷻ، فأكمل المؤمنين إيماناً هم أحسنهم خلقاً، ولا بد للخلق من ممارسة عملية أو قولية يسبقها ممارسة عقدية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارَكُمْ خِيَارَكُمْ لِنِسَائِكُمْ" (١) .

(١) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مسند أبي هريرة، ج ١١٤/١٦، رقم الحديث ١٠١٠٦] .

• سند الحديث/ حدثنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة .

• تخريج الحديث/

- أخرجه الترمذي في سننه من طريق عبدة بن سليمان بنحوه (٤٥٧/٣)، وأخرجه أبو داود في سننه من طريق أحمد بن حنبل بمثله (٢٢٠/٤)، كلاهما عن محمد بن عمرو به .

- وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٥/٦) و (٢١٠/٥)، وأخرجه أحمد في مسنده (٤٧٨/١٦)، وأخرجه الدارمي في سننه (١٨٤٠/٣)، ثلاثتهم من طريق سعيد بن أبي أيوب الخزاعي بلفظه مختصراً، وأخرجه البزار في مسنده (٢٦٠/١١)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٦٠/١١) كلاهما من طريق أنس الليثي بنحوه، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن أبي أيوب الخزاعي بلفظه مختصراً أيضاً (٤٣/١)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبير من طريق يحيى الغافقي بلفظه مختصراً أيضاً (٣٢٣/١٠)، كلهم عن محمد بن عجلان عن أبي صالح ذكوان السمان عن أبي هريرة بنحو لفظه .

- وأخرجه أحمد في مسنده من طريق عبد الرحمن بن مهدي بمعناه مختصراً (٧٤/١٦) و بلفظ مختلف (٩٤/١٦)، ومن طريق وكيع بن الجراح بلفظ مختلف (١٧٠/١٦) و (١٧٣/١٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق هدبة بن خالد القيسي بلفظ مختلف (٢٩٣/١)، كلاهما عن حماد بن سلمة عن محمد بن زياد الجمحي عن أبي هريرة بنحو معنى لفظه .

- وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق حفص بن غياث بمثله مطولاً (٢١٠/٥) و بنحوه (٢١٠/٥)، وأخرجه من طريق محمد بن بشر بلفظه مختصراً (١٦٥/٦)، وأخرجه أحمد في مسنده من طريق ابن ادريس بمثله (٣٦٤/١٢)، وأخرجه البزار في مسنده بلفظه مختصراً (٣١٠/١٤) و بمثله مختصراً (٣١١/١٤)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله (٢٦١/١١)، كلاهما من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق ابن ادريس بنحوه (٣٣٣/١٠) و (٣٣٤/١٠)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق ابن ادريس بلفظه مختصراً (٢٢٧/٢)، ومن طريق يزيد بن زريع بمثله (٤٨٣/٩)، وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق عبد الوهاب بن عطاء الخفاف بلفظه مختصراً (٤٣/١)، كلهم عن محمد بن عمرو به .

فأشار النبي ﷺ إلى أن الخلق لا ينفك عن الاعتقاد، بل إنه جزء أساس فيه، وركيزة عليها
بيني ويتم كمال الإيمان، وقد عرّف الإمام ابن تيمية الإيمان بقوله: "اعلم يرحمنا الله وإياك: أن

-
- وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق جعفر بن عون بلفظ مختلف (٩٠/٧)، وأخرجه أحمد في مسنده من طريق ابن أبي عدي (١٤٦/١٢)، ومن طريق محمد بن سلمة (١٢٩/١٥)، وأخرجه البزار في مسنده من طريق جعفر بن عون (١٨٤/١٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق جعفر بن عون (٢٣٤/٢)، ومن طريق عبد الأعلى (٢٤٧/٧)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى من طريق جعفر بن عون (٥٢٠/٣)، كلهم عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمعناه مطولاً .
 - وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط من طريق حصين بن عبد الرحمن السلمي (٣٥٦ / ٤) عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه .
 - وأخرجه أحمد في مسنده من طريق يحيى بن إسحاق السيلحيني (٤١٨/١٤)، وأخرجه البزار في مسنده من طريق يزيد بن هارون (٢٥٨/١٦)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى من طريق الفضل بن دكين (٣٢٦/١٠)، ثلاثتهم عن البراء بن عبد الله عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة بمعناه مطولاً .
 - وأخرجه البزار في مسنده من طريق عطاء بن أبي رباح بنحوه مطولاً (١٩٥/١٦)، و من طريق محمد بن سيرين بنحوه (٢٢٨ / ١٧) عن أبي هريرة بنحوه .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:
- محمد بن عمرو، صدوق له أوهام . ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٩٩).
- وقال ابن عدي: له حديث صالح، وقد حدث عنه جماعة من الثقات، وأرجو أنه لا بأس به. وثقه ابن حبان، وقال: يخطئ. وقال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه، وهو شيخ. وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرة: ثقة. قال ابن معين: ثقة. وقال الحاكم: قال ابن المبارك: لم يكن به بأس. وقال ابن سعد: كان كثير الحديث يستضعف. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٦٦٢/٣) .
- روى له البخاري مقرونا بغيره ، ومسلم في المتابعات. المزي، تهذيب الكمال (٢١٢/٢٦) .
- قال الخليلي: يكتب حديثه ولا يحتج به. مغطاي، إكمال تهذيب الكمال (٣٠١/١٠).
- قال الباحث: هو ثقة يخطئ.

• الحكم على الإسناد/

- إسناد صحيح. حيث أن محمد بن عمرو لم يخطئ في الحديث وقد توبع من طريقين: محمد بن إبراهيم التيمي، وحصين بن عبد الرحمن السلمي.

الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح^(١)، فأكمل المؤمنين إيماناً ضمناً هم الذين يجودون اعتقادهم بالتخلق بآداب الاعتقاد والإيمان بالله ﷻ، وهي كثيرة، وإن أجود آداب وأخلاق الاعتقاد بالله ﷻ هو توحيده دون أن يشرك به شيئاً، لا شركاً أصغر ولا شركاً أكبر.

والحديث فيه لطيفة خُلقية، أشار إليها النبي ﷺ وهي: أن الأخلاق منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي.

فالأخلاق الظاهرة، هي التي يراها الناس عامة، فيكون فيها الظاهر للناس ويحكم على المسلم بها من خلال تعاملاته مع الناس.

أما الأخلاق الخفية، فهي التي لا يطلع عليها إلا الخصوص أو خصوص الخصوص، ويقصد بهم أهل بيت المسلم، كالأُم والأب والزوجة والأبناء والأخوة والأخوات، وبها يكون تجويد الأخلاق أولى.

أما اللطيفة الخُلقية فهي إشارة النبي ﷺ إلى الأخلاق الخفية، حيث أشار إليها ﷺ بقوله: "وَحِيَارُكُمْ حِيَارُكُمْ لِنِسَائِكُمْ"، وفي رواية قال ﷺ: "وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ"^(٢)، ومن ذلك يظهر أن الأخلاق يجب على المسلم أن يجودها في السر والعلن، فلا يكون ظاهره خلافاً لباطنه، فيظهر خلاف ما يبطن، فيدخل في باب من أبواب النفاق والعياذ بالله .

وقد أبرز النبي ﷺ حال المؤمن مع الأخلاق إجمالاً، بنفي صفات الفحش والبذاءة والظعن واللعن عنه، وبمفهوم المخالفة فإن على المسلم أن يتخلق بما ينقض هذه الأخلاق الذميمة التي يكره الله أن تكون في عباده المؤمنين .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبِذِيِّ"^(٣) .

(١) ابن تيمية، الإيمان (ص ٣٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (١١٩/١)، رقم الحديث ١٧٣، من طريق أبي قلابة عن عائشة ؓ .

(٣) [البخاري: الأدب المفرد، بابُ لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، ص: ١١٢، رقم الحديث ٣١٢] .

- سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ.

• تخريج الحديث/

أخرجه أحمد في مسنده بلفظ مقارب (٦٠/٧)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله (٢٩٦/٥) و بنحوه (٢٩٧/٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده بمثله (٢٠/٩) و (٢٥٨/٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن قيس بمثله (٤٢١/١)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بمثله (٢٥٥/١٠)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بنحوه (٥٧/١)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمثله (٣٢٥/١٠). كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن قيس .

وأخرجه الترمذي في سننه بمثله (٣٥٠/٤)، وأخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه بمثله (١٦٢/٦)، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله (٣٩٠/٦)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله مختصراً (٣٣٠/٤) و بنحوه مختصراً (١٧٧/٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده بمثله (٢٥٠/٩)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بمثله (٢٢٥/٢)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بنحوه (٥٧/١) و بنحوه مختصراً (٥٨/١)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بنحوه مختصراً (٤١١/١٠) كلهم من طريق علقمة بن قيس النخعي.

وأخرجه البزار في مسنده من طريق الأسود بن يزيد النخعي (١٧٦/٨).

كلهم عن عبد الله بن مسعود به.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- أبو بكر بن عياش .

أبو بكر بن عياش قد ساء حفظه لما كبر، وذلك لا يضر لما نقله ابن حبان فقال: "وكان يحيى القطان وعلي بن المديني يسيئان الرأي فيه، وذلك أنه لما كبر سنه ساء حفظه فكان يهم إذا روى، والخطأ والوهم شيئان لا ينفك عنهما البشر، فلو كثر خطؤه حتى كان الغالب على صوابه لا يستحق مجانبة رواياته فأما عند الوهم يهم أو الخطأ يخطئ لا يستحق ترك حديثه بعد تقدم عدالته وصحة سماعه" .

ابن حبان، كتاب الثقات (ج٧/٦٦٩).

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

المطلب الأول

الجودة في الأخلاق مع الله ﷻ

قال الجرجاني: " العبودية: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود"^(١)، إن أرقى خلق مع الله هو عبوديته المطلقة بتذلل وخضوع وانخفاض .

إن حُسْنَ الخلق مع الله ﷻ هي أرقى ما يعبد المسلم به ربّه ﷻ، وهي أجود العبادات القلبية التي يحفظ بها المسلم علاقته بالله ﷻ، فتجويد أدب المسلم مع الله ﷻ، هو صنيع العارفين بالله، المتقين له، وخير أدب مع الله هو تقواه، فهو خير الزاد من الدنيا للدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وتقوى الله ﷻ هي أكثر ما يدخل الناس الجنة مع حسن الخلق عن أبي هريرة ؓ قَالَ: سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: "تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ"، وَسئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: "الْفَمُّ وَالْفَرْجُ"^(٣) .

(١) الجرجاني، التعريفات (ص ١٢٣) .

(٢) [البقرة: ١٩٧] .

(٣) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب البرِّ وَالصَّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ، ٣٦٣/٤، رقم الحديث ٢٠٠٤] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الحاكم في مستدركه بمثله (٣٢٤/٤) من طريق سهل بن عثمان العسكري. وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (١٤١٨/٢)، وأخرجه البزار في مسنده بمعناه مختصرا (٩٨/١٧)، كلاهما من طريق عبد الله بن سعيد الأشج. وأخرجه ابن حبان في صحيحه بمثله (٢٢٤/٢) من طريق عثمان بن أبي شيبة. وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (١٤١٨/٢) عن هارون بن إسحاق الهمداني. وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله (٢٥٨/١١) من طريق يوسف بن يعقوب الصفار . كلهم عن عبد الله بن إدريس .

وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (١٦٥٨/٢)، وفي (١٩٠٩/٢) بنحوه مختصرا، و(٢٠٢٧ / ٢) بنحوه. وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (١٤١٨/٢). وأخرجه البزار في مسنده بمعناه مختصرا (٩٨/١٧)،

وتتعدد الآداب مع الله ﷺ ومنها التالي:

أولاً: تجويد النبي ﷺ لخلقه مع الله ﷻ

شهد الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بحسن الخلق، بل عَظَّمَ اللهُ شهادته، أن كانت شهادته ﷻ بعظم خلق النبي ﷺ، فَجُودَتْ فِي قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وقد برز تجويد النبي ﷻ لخلقه مع الله ﷻ في مواطن كثيرة، منها:

ما جاء في حديث شفاعة النبي ﷻ للخلق، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: 'فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذِنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقْعُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقَالُ: ارْزُقْ يَا مُحَمَّدُ، قُلْ تَسْمَعُ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ

و(١٠١/١٧)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله (٢٥٨/١١). وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بنحوه مختصراً (١٧/٩). كلهم عن يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الزعافري وأخرجه الطيالسي في مسنده بنحوه (٢٢٠/٤) من طريق عبد الله الأودي . كلهم عن أبي هريرة ؓ .

• ترجمة الرواة/

- رواه ثقات، عدا:

- يزيد بن عبد الرحمن .

قال ابن حجر: يزيد بن عبد الرحمن الأودي مقبول. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٦٠٣). وذكره ابن حبان في كتابه "الثقات". ووثقه العجلي. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤/٤٢١). قال الذهبي: وثق. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢/٣٨٦). قال الباحث: هو صدوق .

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

وقد توبع من طريق عبد الله الأودي. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب .

(١) [القلم: ٤] .

وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ" - قَالَ: فَلَا أُدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ - قَالَ "فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ". قَالَ ابْنُ عُيَيْنٍ فِي رِوَايَتِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: "أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ"^(١).

فيتجلى تجويد خلق النبي ﷺ مع ربه حين يستأذن على ربه ﷻ، وهذا من حسن امتثال النبي ﷺ لخلق الاستئذان وتعليم الصحابة ﷺ إياه، فلم يكن النبي ﷺ ليستغل مكانته عند الله ﷻ فيأذن لنفسه على الله، -حاشاه ﷻ- فهو الذي رياه الله ﷻ بالقرآن فكان خلقه القرآن، ثم يرقى النبي ﷺ عند الله ﷻ بتجويد خلقه لما يراه، بأن يخسر ساجداً خاضعاً ومتذللاً لله ﷻ، -وهو الذي أعزه الله وأحسن ذكره في الدنيا والآخرة- فلا يقوم ﷻ حتى يأذن الله ﷻ له وما أن يرفع رأسه إلا حامداً لله ذاكراً له ﷻ بما علمه.

كما أنه من عظم خلق النبي ﷺ أنه ينسب ما أوتي من حمد وذكر لله في هذا الموطن العظيم الذي اعتذر عنه كل الأنبياء -عليهم السلام- أنه علم علمه الله إياه، أي أن هذا الحمد ليس من عند النبي ﷺ وإنما هو علم من عند الله ﷻ .

وأدب النبي ﷺ لا يقتصر على الموقف الكائن يوم القيامة، فحياته ﷻ ملأى بالمواقف العظيمة في تعظيم الله ﷻ والتخلق بأحسن الأخلاق معه، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا، فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بِسُّ الْخَطِيبِ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ". قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: فَقَدْ غَوَى^(٢).

قال القاضي وجماعة من العلماء إنما أنكر عليه لتشريكه في الضمير المقتضي للتسوية وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه^(٣).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، مج ١/١٠٧، رقم الحديث ١٩٣].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الجمعة/باب تخفيف الصلاة والخطبة، مج ١/٣٨٦، رقم الحديث ٨٧٠].

(٣) (النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٦/١٥٩) .

وما أروع الحديث الذي يطيب للسامع بطيب فم المتحدث، فالنبي ﷺ يستحي أن يحدث جبريل عليه السلام بغيره فيه أذى من طعام مباح، فيمتنع النبي أدياً وتخلقاً عن أكل طعام مباح، قد وجد أن فيه ثوماً أو بصلاً وهو مما يتأذى من رائحته الملائكة الكرام -عليهم السلام-، عن جابر بن عبد الله، رعم أن النبي ﷺ قال: "من أكل ثوماً أو بصلاً، فليعتزلنا -أو قال: فليعتزل مسجداً- وليعتد في بيته"، وأن النبي ﷺ أتى بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال: "قربوها"، إلى بعض أصحابه كان معه، فلما رآه أكلها، قال: "كُلْ فَإِنِّي أَنَا جِي مَنْ لَا تُتَاجِي" وقال أحمد بن صالح: عن ابن وهب أتى ببدر -وقال ابن وهب: يعني طباقاً فيه خضرات- (١).

ثانياً: تجويد المسلم لخلقه مع الله ﷻ

إن أول أدب يتمثل به المسلم مع الله ﷻ هو حمده سبحانه على نعمة الإسلام، فهذه النعمة العظيمة حق لله ﷻ -وهو خالقنا- أن يمن علينا بالهداية إليها وإلى دينه الحق القويم.

قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢)، فخلق الحمد يقود المسلم إلى خلق الرضا بما وهبه الله ﷻ من نعم، وأعظم نعمة أنعم الله بها على الناس أن جعلهم مسلمين، فله ﷻ الحمد والمنة، ونسأله أن يستعملنا لدينه ولا يستبدلنا.

١- تجويد الخلق في توحيد الله ﷻ:

إن توحيد الله ﷻ يستلزم على المسلم أن يتحلى بأخلاق ترضي الله ﷻ، فتجويد الاعتقاد بالله لا ينفك عن الأخلاق -كما ذكرت-، فيترفع المسلم عن كل ما يجرح اعتقاده بالله أو يشوبه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: قال الله: "كذبني ابن آدم ولم

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/باب ما جاء في النوم الني والبصل والكراث، ص: ٢٠٩، رقم الحديث ٨٥٥].

(٢) [الحجرات: ١٧].

يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدًا، فَسُبْحَانِي أَنْ اتَّخَذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا" (١).

١- تجويد الخلق في دعاء الله ﷻ:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ، هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ" (٢).

فيعلم النبي ﷺ صحابته الكرام رضوا الله عنهم خفض الصوت تأدباً مع الله ﷻ بقوله ﷺ: "إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ"، قال الطبري: "في هذا الحديث من الفقه كراهية رفع الصوت بالدعاء وهو قول عامة السلف من الصحابة والتابعين" (٣)، وقوله ﷺ: "ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ" أي ارفقوا بها ولا تكلفوها فوق طاقتها قال ابن بطال: "فأراد: اكلفوا من العمل ما تطيقون وكان بالمؤمنين رحيمًا، ثم أعلمهم أن الله يعلم خفي كلامهم بالتكبير كما يسمع عاليه؛ إذ لا آفة تمنعه من ذلك؛ لأنه سميع قريب" (٤).

٢- تجويد الخلق عند الحضور إلى بيت الله ﷻ:

الطمأنينة أول الأخلاق تصدراً عند الحضور إلى المساجد فهي آمن الأماكن في الدنيا؛ لأنها بيوت الله ﷻ، ولما يحضر المسلم المسجد فإنه يتكرم بتخلقه بما يحبه الله ﷻ في بيته، فهذا البيت يحضره الملائكة المكرمون، بل ويستغفرون للذين آمنوا فهم الطائعون لربهم ﷻ.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ}، ص: ١٠٩٨، رقم الحديث [٤٤٨٢].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي التَّكْبِيرِ، ص: ٧٣٧، رقم الحديث [٢٩٩٢].

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج ٥/١٥٢).

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري (ج ٥/١٥١).

قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)، فإذا أتى المسلم المسجد قاصداً الصلاة فقد أرشده النبي ﷺ ليتخلق بخلق الطمأنينة، وقد عبر عنها النبي ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَأَتُوهَا تَمَشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"^(٢).

كما حث النبي ﷺ على الحفاظ على نظافة مكان الصلاة وتجويد مظهره بإزالة ما يؤدي المصلي الذي يكون ربه ﷻ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ، فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى"^(٣)، فمن الأدب مع الله ﷻ أن يكون المسلم مستشعراً إقبال الله ﷻ بوجهه عليه، فلا يعرضن عنه، أو يبصق قِبَلَ وَجْهِهِ وإنما إن كان ولا بد فيفعل كما أرشد النبي ﷺ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَبْرِقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ وَلَكِنْ عَنْ شِمَالِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ الْيُسْرَى"^(٤)، وهذا من تحري التحلي بالأخلاق مع الله ﷻ، وإن هذا التحري للتحلي بالأخلاق معه ﷻ، هو تجويد وتحسين لإتقان معاملة العبد مع الله ﷻ.

ولأن بيوت الله يحضرها الصالحون من البشر المتطهين لله ﷻ، والمحسنون لمظهرهم عند زيارة بيت الله ﷻ، والملائكة تطيب بما يطيب به الإنس وتتأذى مما يتأذون منه، فالملائكة ضيوف دائمون في بيت الله ﷻ، فمن تجويد الخلق مع الله ﷻ أن يترفع المسلم عما يؤدي

(١) [التحريم: ٦].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجُمُعَةِ/بَابُ الْمَشِيِّ إِلَى الْجُمُعَةِ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: رَفَاسَعُوا إِلَيَّ ذِكْرَ اللَّهِ]، ص: ٢١٩، رقم الحديث ٩٠٨.

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلَاةِ/بَابُ حَكِّ الْبِرَاقِ بِالْيَدِ مِنَ الْمَسْجِدِ، ص: ١١١، رقم الحديث ٤٠٦].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ/بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الْبُصَاقِ وَالنَّفْخِ فِي الصَّلَاةِ، ص: ٢٩٣، رقم الحديث ١٢١٤].

ضيف الله ﷺ، وإن الملائكة تتأذى من الثوم والبصل والكراث^(١)، فيستحب للمسلم ألا يأكلها عند حضوره بيت الله ﷺ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ، الثُّومِ، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكَرَاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ"^(٢).

٣- تجويد الخلق عند سماع كلام الله ﷺ:

جاء عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: "لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتَيْتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ"^(٣).

إن حسن الإنصات والاستماع من الآداب العظيمة التي حث عليها النبي ﷺ ولها مواطن كثيرة، منها موطن الاستماع والإنصات إلى كلام الله ﷺ إذا تلي من القارئ، فالنبي ﷺ استمع لأبي موسى الأشعري ﷺ دون أي يشعر، وإن دل ذلك فإنما يدل على الإنصات المصحوب بالسكينة والهدوء اللذين تحلى بهما النبي ﷺ حال سماعه للقرآن من صوت عذب، ويتمثل حسن الإنصات في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٤).

إن أجود الأخلاق مع الله طاعته ﷺ وطاعة رسوله ﷺ، والاستحياء من عصيان الله ﷺ، ومخالفة نبيه محمد ﷺ، لذلك خُلق الطاعة لله لا ينفك عن خلق طاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥)، فتجويد الأخلاق مع النبي ﷺ أساس في اتباعه، ومن تجويد الخلق في الطاعة أيضاً اتباع هديه ﷺ بفهم أصحابه ﷺ وسلف الأمة الذين ورثوا عن النبي ﷺ العلم ألا وإنهم العلماء .

(١) كراث: شجرة معمرة، أوراقها صغيرة، ونورتها عنقودية، وزهرتها خنثى. عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج٣/١٩١٨).

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ نَهْيِ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كَرَاثًا أَوْ نَحْوَهَا، مج ١/٢٥٣، رقم الحديث ٥٦٤].

(٣) سبق تخريجه، (ص ٧٠).

(٤) [الأعراف: ٢٠٤].

(٥) [الحشر: ٨].

المطلب الثاني

الجودة في الأخلاق مع النبي ﷺ

محمد ﷺ الذي شهد الله ﷻ له بحسن الخلق وعظم شهادته بوصفه لخلق النبي ﷺ بالعظيم، لهو أحق خلق الله ﷻ بتجويد الأخلاق معه أدباً و عرفاناً، فهو الذي سكنت محاسن الأخلاق فيه منذ صغره، فكانت تجهيزاً وإعداداً له ﷺ ليحمل رسالة ربه ﷻ، ليجد قبولاً بين أهله وعشيرته فلا يذم بنقص خلقٍ أو سوء خلقٍ، فحسن الله ﷻ وجود خلقه كما حسن وجود خلقه ﷻ، فحمل رسالة ربه ﷻ متمماً بها مكارم الأخلاق، عن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (١) .

إن تجويد الأخلاق مع النبي ﷺ مما يحتذى به في كثير من المواطن، وإن الأخلاق الكريمة تستوجب على المسلم أن يُقدَّر النبي ﷺ، فلا يكون بخيلاً على نفسه أو مع الحبيب محمد ﷺ فإذا ذُكر النبي ﷺ، صلى المسلم عليه وسلم كما علمنا ﷻ، فلم يتردد عن ذلك ولم ينقطع، فعن حسين بن علي بن أبي طالب ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ" (٢) .

(١) سبق تخريجه، (ص ١٠٥) .

(٢) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ/باب قول رسول الله ﷺ "رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ"، ج ٥٥١/٥، رقم الحديث ٣٥٤٦] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، وَزِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عَزِيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

• تخريج الحديث /

أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٢٩١/٧) و (٢٨/٩)، وأخرجه أحمد في مسنده مطولاً (٢٥٨/٣)، وأخرجه البزار في مسنده (١٨٥/٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٨٩/٣)، أربعتهم من طريق أبي عامر العقدي ، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى (٩ / ٢٨)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٤٧/١٢) وأخرجه الحاكم في مستدركه (٧٣٤/١)، ثلاثتهم من طريق خالد بن مخلد ، وأخرجه أحمد في مسنده أيضاً مطولاً من طريق أبي سعيد "عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد جردقة (٢٥٨/٣)،

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير من طريق يحيى بن عبد الحميد بمثله (١٢٧/٣)، كلهم عن سليمان بن بلال به بمثله .

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة به بمثله (٢٨/٩) عن علي بن أبي طالب.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ **عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:** عبد الله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب مقبول من الخامسة . ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣١٤) .
قال الذهبي: ثقة، أرسل عن جده. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٥٧٦/١) .
ذكره ابن حبان في "الثقات". وصحح الترمذي حديثه، والحاكم. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣٨٧/٢).

قال الباحث: ثقة يرسل عن جده.

▪ **عُمَارَةُ بْنُ عَزِيَّةَ:** عمارة بن غزية بن الحارث الأنصاري المازني المدني لا بأس به وروايته عن أنس مرسل من السادسة مات سنة أربعين. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٠٩).
قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن عمارة بن غزية ، فقال: ثقة. ذكره أبي عن إسحاق بن منصور ، عن يحيى بن معين قال: عمارة بن غزية صالح . قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عمارة بن غزية، فقال: ما بحديثه بأس كان صدوقا. سئل أبو زرعة عن عمارة بن غزية، فقال: مديني ثقة. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٣٦٨/٦) .

قال أحمد، وأبو زرعة: ثقة. وقال يحيى بن معين: صالح. وقال أبو حاتم: ما بحديثه بأس كان صدوقا. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال محمد بن سعد: كان ثقة كثير الحديث توفي سنة أربعين ومائة. وقال البرقاني عن الدارقطني: لم يلحق عمارة بن غزية أنسا، وهو ثقة. وكذا قال الترمذي: لم يلق أنسا. وذكره ابن حبان في "الثقات" في أتباع التابعين. وقال العجلي: أنصاري ثقة. وذكره العقيلي في "الضعفاء" فلم يورد شيئا يدل على وهنه. وقال ابن حزم: ضعيف. وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي فيما قرأت بخطه ما علمت أحدا ضعفه غيره ، ولهذا قال عبد الحق: ضعفه المتأخرون. ولم يقل العقيلي فيه شيئا سوى قول ابن عيينة: جالسته كم مرة فلم نحفظ عنه شيئا. فهذا تغفل من العقيلي إذ ظن أن هذه العبارة تليين، لا والله. انتهى . ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢١٢/٣).

قال الباحث: هو ثقة. لما جاء من بيان سبب تضعيفه، حيث أن التضعيف كان بغير حجة، ثم إن ابن حزم قوله غير معتبر كما غيره من النقاد، لتشدده، فيقول المحقق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في تحقيقه لكتاب الرفع والتكميل: "هذا أيضاً يضاف إلى ما كان ابن حزم يجمله من العلماء وكتبهم، ويهجم عليهم بالتجريح والتجهيل لجمله بهم، فيقع في أشد العنت والتعنت" .

وإن تجويد الصلاة على النبي ﷺ يكون بكثرتها، بل إن كانت هي الذكر كله فذلك خير، لما جاء عن أبي بن كعب، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ تُلْتَأُ اللَّيْلُ قَامَ فَقَالَ: "يَا أَبُهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ"، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: "مَا شِئْتَ"، قَالَ: قُلْتُ: الرَّبْعُ، قَالَ: "مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: النِّصْفُ، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قَالَ: قُلْتُ: فَالثلثين، قَالَ: "مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ"، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: "إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُعْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ" (١) .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح .

ولذلك شواهد من أقوال العلماء، قال المباركفوري: "وَيَقْوَى بِالْحَدِيثِ الْأَخْرَ الَّذِي رَوَاهُ بِن مَاجَةَ". المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (ج ٩/٣٧٣).
قال ابن حجر: "ولا يقصر عن درجة الحسن ومنها حديث من نسي الصلاة عليَّ خطيَّ طريق الجنة أخرج بن ماجه". ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١١/١٦٨) .
قال الترمذي: حسن صحيح غريب .

(١) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّفَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/باب ٢٣، ٤/٦٣٦، رقم الحديث ٢٤٥٧] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا هُنَّادٌ قَالَ: حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أَبِي بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ .

• تخريج الحديث/

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه مختصراً (٢/٢٥٣) و (٦/٣٢٥)، وأخرجه أحمد في مسنده بلفظه مختصراً (٣٥/١٦٥) وبنحوه مختصراً (٣٥/١٦٦)، كلاهما من طريق وكيع بنحو لفظه مختصراً. وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب من مسنده بمثله (١/١٨١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه بمثله (٢/٤٥٧) و بنحوه مختصراً (٢/٥٥٨)، كلاهما من طريق قبيصة بن عقبة بنحوه .
وأخرجه الحاكم في مستدركه من طريق عبد الله بن الوليد بنحوه مختصراً (٤/٣٤٣). كلهم عن سفیان الثوري به بنحوه .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ **عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ**: عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي أبو محمد المدني أمه زينب بنت علي صدوق في حديثه لين ويقال تغير بأخرة. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٢١).

أما عن تغيره بأخرة: فقال ابن المديني، عن ابن عيينة: رأيتَه يحدث نفسه ، فحملته على أنه قد تغير .

وأما في نقده جرحًا وتعديلاً:

قال **علي ابن المديني**: وكان يحيى بن سعيد لا يروي عنه، لم يدخله مالك في كتبه، كان ضعيفاً. قال **يعقوب بن أبي شيبه**: وابن عقيل صدوق، وفي حديثه ضعف شديد جدا. قال ابن عيينة: أربعة من قريش يترك حديثهم، فذكره فيهم، كان في حفظه شيء، فكرهت أن ألقه. قال **العجلي**: مدني تابعي جازئ الحديث. قال **أبو حاتم**: لين الحديث، ليس بالقوي، ولا ممن يحتج بحديثه، وهو أحب إلي من تمام بن نجيح، يكتب حديثه. قال **ابن خزيمة**: لا أحتج به لسوء حفظه. قال **الحاكم**: كان أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه يحتجان بحديثه، وليس بذاك المتين المعتمد. قال ابن عدي: روى عنه جماعة من المعروفين الثقات، وهو خير من ابن سمعان، ويكتب حديثه. قال **العقيلي**: كان فاضلاً خيراً موصوفاً بالعبادة ، وكان في حفظه شيء. قال **الساقي**: كان من أهل الصدق، ولم يكن بمنقن في الحديث، قال **ابن عبد البر**: هو أوثق من كل من تكلم فيه. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢/٢٢٤) .

قال **الترمذي**: صدوق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان أحمد وإسحاق والحميدي يحتجون بحديث ابن عقيل. قال محمد بن إسماعيل: وهو مقارب الحديث، قال **ابن معين**: ابن عقيل لا يحتج بحديثه، ضعيف الحديث، ليس بذاك، وقال **الفسوي**: صدوق في حديثه ضعف. **الذهبي**، سير أعلام النبلاء (٦/٢٠٤) .

قال **الباحث**: هو صدوق سيء الحفظ، يقارب حديث الثقات.

▪ **قَبِيصَةُ**: قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان السوائي أبو عامر الكوفي صدوق ربما خالف. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٥٣).

قال **عبد الرحمن**: سئل يحيى بن معين عن حديث قبيصة فقال: ثقة إلا في حديث الثوري ليس بذلك القوي. وقال أيضاً: سئل أبو زرعة عن قبيصة وأبي نعيم فقال : كان قبيصة أفضل الرجلين، وأبو نعيم أنقن الرجلين. وقال **عبد الله بن أحمد بن حنبل**: سمعت أبي ذكر قبيصة، وأبا حذيفة فقال: قبيصة أثبت منه جدا -يعني: في حديث سفيان- أبو حذيفة شبه لا شيء، وقد كتبت عنهما جميعاً. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٧/١٢٦).

والأدب مع النبي ﷺ يكون في كل الأحوال ومن ذلك:

١- أداء وتبليغ حديث النبي ﷺ الصحيح وتحري الصدق في ذلك:

لقد دعا النبي ﷺ حملة حديثه إلى أن يعوا ما يحملون حين يؤدون ويبلغون دعوة النبي ﷺ وإن محل التجويد في الخلق مع النبي ﷺ هو أعظم محل في هذا المقام، فإنما ذلك الذي يبلغ عن النبي ﷺ هو مبلغ عن الله ﷻ، وأدبه في التبليغ عن النبي ﷺ أدب في التبليغ عن الله ﷻ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ"^(١).

قال ابن معين: قبيصة ثقة في كل شيء إلا في حديث سفيان ، فإنه سمع منه وهو صغير . وقال النسائي: ليس به بأس . قال حنبل: قال أبو عبد الله: كان يحيى بن آدم عندنا أصغر من سمع من سفيان . قال: وقال يحيى: قبيصة أصغر مني بسنتين . قلت: فما قصة قبيصة في سفيان؟ فقال أبو عبد الله: كان كثير الغلط . قلت: فغير هذا؟ قال: كان صغيرا لا يضبط . قلت: فغير سفيان؟ قال: كان قبيصة رجلا صالحا ثقة، لا بأس به، وأي شيء لم يكن عنده؟ يذكر أنه كثير الحديث . وقال إسحاق بن سيار: ما رأيت أحفظ منه من الشيخ . قال النووي: كان ثقة صدوقا كثير الحديث عن سفيان الثوري . وذكره ابن حبان في "الثقات" . وقال هارون الحمال: سمعت قبيصة يقول: جالست الثوري وأنا ابن (١٦) سنة ثلاث سنين . ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣/٤٢٦) . قال الذهبي: حافظ عابد . الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٤/٣٨) .

قال الباحث: هو ثقة، ولا عبرة بتضعيفه عن هذه الدرجة، حيث أنه كما أورد ابن حجر في التهذيب عن هارون الحمال أنه جالس الثوري وهو ابن ١٦ سنة، وهذا سن لا يحمل على الصغر كما أورد النقاد، بل هو أحيانا سن بلوغ، وقد وثقه أغلي النقاد .

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

وقد صححه الحاكم في المستدرک، وقال عنه الترمذي حسن .

(١) [أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى الموصلي، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، ج ٩/١٩٨، رقم الحديث . [٥٢٩٦ .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَبُو حَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سِمَاكِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ

• تخريج الحديث/

أخرجه الترمذي في سننه بمثله (٣٤/٥) من طريق أبي داود الطيالسي، وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (٨٥/١)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله (٣٨٢/٥) من طريق غندر ريبب شعبة، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده بنحوه مختصراً (٦٢/٩) من طريق يحيى القطان، كلهم عن شعبة .

وأخرجه أحمد في مسنده من طريق إسرائيل بن يونس بنحوه (٢٢١/٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق إسرائيل بن يونس (٢٧١/١)، ومن طريق شيبان بن عبد الرحمن المؤدب (٢٧١/١)، و من طريق علي بن صالح بن حي (٢٦٨/١)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (١٦٩/٢)، و(٣٤٨/٧) من طريق سعيد بن سماك بن حرب، كلاهما بمثله عن سماك بن حرب.

وأخرجه الترمذي في سننه بنحوه مطولاً (٣٤/٥)، وأخرجه الحميدي في مسنده بنحوه مطولاً (٢٠٠/١)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله (٣٨٥/٥)، و(٣٨٥/٥)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بنحوه (٧٨/٢) أربعتهم من طريق عبد الملك بن عمير القبطي.

كلهم عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ؓ .

وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بنحوه مطولاً (٢٣٣/٥) من طريق الأسود بن يزيد النخعي عن عبد الله بن مسعود ؓ .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- سِمَاكِ .

هو سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي أبو المغيرة صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة وقد تغير بأخرة فكان ربما تلقن. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٥٥) .

قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق ثقة. وقال علي بن المديني: له نحو مائتي حديث وقال سماك بن حرب أدركت ثمانين من أصحاب النبي ﷺ وكان قد ذهب بصري فدعوت الله فرد علي بصري. ابن الكيال، الكواكب النيرات (٢٣٧/١).

قال الباحث: هو ثقة. الرواية ليست عن عكرمة، ثم إنني أعتمد قول يعقوب ابن أبي شيبة: "ومن سمع من سماك قديماً مثل شعبة وسفيان فحديثهم عنه صحيح مستقيم" المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ج ١٢٠/١٢)، والحديث من رواية شعبة .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

فتجويد الخلق مع النبي ﷺ بتحري المسلم نقل ما سمع على الوجه الذي سمعه، وقد جاء في روايات أخرى قوله ﷺ: "فَحَفِظَهَا وَوَعَاَهَا وَأَدَّأَهَا"^(١).

وفي رواية أخرى قال ﷺ: "تَضَرَّ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ كَلَامِي، ثُمَّ لَمْ يَزِدْ فِيهِ"^(٢).

وكلها روايات حسنة عن النبي ﷺ .

٢- خفض الصوت عند حضرة النبي ﷺ حال حياته وبعد وفاته:

وهو ما عليه اليوم من رواية حديثه ﷺ، التي قد يغفل البعض عنها، فيرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، بإعلاء صوته فوق صوت المتحدث الذي يبلغ عن النبي ﷺ، مما يوقعه في المحظور الذي نهى الله ﷻ عنه ونبه إليه المؤمنين، وحذرهم من الوقوع فيه، ويتمثل هذا المحظور في المعنى القريب الحسي الظاهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣).

فتجويد الخلق مع النبي ﷺ بخفض الصوت عند ذكره أو سماع حديثه ﷺ، ولنا في أصحابه ﷺ قدوة في تجويد أخلاقهم بخفض أصواتهم عند رسول الله ﷺ وتوجلهم من أن تحبط أعمالهم، ففي سبب نزول الآية -أنفة الذكر-، جاء عن ابن أبي مليكة، قال: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَفْرَعِ بْنِ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرَ بِغَيْرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَرَأَتْ: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ {عَظِيمٍ}، قَالَ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ، قَالَ ابْنُ

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (ج ١/٢٣٦) .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (ج ٧/٣٧) .

(٣) [الحجرات: ٢] .

الرُّبَيْرِ، فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ^(١).

فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ بعد نزول هذه الآية، لا يُحدث النبي ﷺ إلا همساً، بل وجود خلقه مع النبي ﷺ بألا يُسمعه صوته في الكلام حتى يطلب النبي أن يسمع ما يقول، وإن نظرت إلى شدة تجويدهم لوجلهم ؓ خوفاً من أن يحبط عملهم إذا ارتفع صوتهم فوق صوت النبي ﷺ ترى أن ثابت بن قيس ظن أنه من أهل النار، فأما ظنه؛ فقد كان لأنه أرفع الصحابة صوتاً عند رسول الله ﷺ -أي كان صوته عالياً خلقه من الله ﷻ-، وقد كان خطيب الأنصار، فعن أنس بن مالك ؓ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: لِيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ { [الحجرات: ٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اسْتَكْبَى؟ قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أَنْزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٢).

أما عروة بن مسعود فكان له وصف لجودة أخلاق الصحابة ؓ مع رسول الله ﷺ، فعن المسور بن مخرمة، ومروان، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: "فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة/باب ما يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ، وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالدِّعَاقِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: لِيَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ]، ص: ١٨٠٣، رقم الحديث ٧٣٠٢ .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، مج ١/٦٥، رقم الحديث ١١٩] .

كَادُوا يَقْتُلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحْدِثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ^(١).

وأما المعنى البعيد المعنوي المراد أيضاً، فإنه يتمثل في عدم تقديم أي كلام من كلام الخلق على كلام رسول الله ﷺ، وعدم تقديم أي مذهب أو منهج أو فكرة على سنة رسول الله ﷺ، فكل أمر في هذه الدنيا مرده إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ورسوخ الأدب معه ﷺ يكون باتباع هديه ﷺ .

٣- مناداة النبي ﷺ برسول الله، أو نبي الله، أو أبو القاسم:

إن الله ﷻ قد جَوَّدَ مناداة النبي ﷺ في كتابه، فلا تكاد تمر على آية فيها ذكر النبي ﷺ إلا وقد قال الله تعالى فيها: "يا أيها الرسول" وقد جاءت في موضعين من كتاب الله في سورة المائدة من الآيتين (٤١ و ٦٧)، أما قوله تعالى: "يا أيها النبي" فقد جاءت في ثلاثة عشر موضعاً من كتاب الله تعالى والمواضع هي:

١- سورة الأنفال في الآيات (٦٤، و٦٥، و٧٠، و٧٣).

٢- سورة الأحزاب في الآيات (١، و٢٨، و٤٥، و٥٠، و٥٩) .

٣- سورة الممتحنة في الآية ١٢ .

٤- سورة الطلاق في الآية ١ .

٥- سورة التحريم في الآيتين (١، و٩) .

أما مناداة النبي ﷺ باسمه محمد ﷺ، فقد ناداه الله ﷻ به في خمسة مواضع لم تخلُ من إضافة وصف الرسالة أو النبوة أو كليهما إليه ﷺ، وهي:

١- سورة آل عمران في الآية ١٤٤ .

٢- سورة الأحزاب في الآية ٤٠ .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الشُّرُوطِ/بَابُ الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ، ص: ٦٦٩، رقم الحديث ٢٧٣١] .

٣- سورة الفتح في الآية ٢٩ .

٤- سورة الصف في الآية ٦، وجاء ذكره باسم أحمد ولفظ الرسول .

٥- سورة محمد في الآية ٢، أما هذه الآية فقد أضاف الله ﷺ وصف الرسالة بقوله "نزل على محمد" أي من الرسالة السماوية .

وإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينادون النبي ﷺ بما يطيب سماعه من وصف بالنبوة أو الرسالة أو بكنيته أبا القاسم، فتجدهم في حديثهم لرسول الله ﷺ ينادونه "يا رسول الله"، "يا أبا القاسم"، أو بكليهما معاً، جاء عند البخاري قال: "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا وَالنَّاسُ يَتَوَضَّئُونَ مِنَ الْمِطْهَرَةِ، قَالَ: أَسْبَغُوا الْوُضُوءَ، فَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ قَالَ: "وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ"^(١)، فاستعمل أبو هريرة رضي الله عنه لفظ رسول الله وأبا القاسم .

وإن تجويد الخلق مع النبي ﷺ هو تجويدٌ ورفعَةٌ لخلق الإنسان مع نفسه، فهي الجبلة التي يبقى عليها طيلة حياته، بتقواه وهداه .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْوُضُوءِ/بَابُ غَسْلِ الْأَعْقَابِ وَكَانَ ابْنُ سَبْرِينَ: "يَغْسِلُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ إِذَا تَوَضَّأَ"، ص: ٥٣، رقم الحديث ١٦٥] .

المطلب الثالث

الجودة في الأخلاق مع النفس

إن أخلاق المسلم مع نفسه تتمثل بفعل الذي تطيب به روحه، ويهنأ به باله، ويسعد به قلبه.

وإن حياة المسلم كلها أخلاق في المعاملات الإنسانية، وإن رضى الإنسان عن نفسه يكون بمقدار إحسانه لنفسه بتهذيبها وتحسين خلقها وفق أوامر الله ﷻ ونهج نبيه ﷺ، فخير ما يجود به المسلم على نفسه أن يكفّ أذاه عن الناس بتحسين وتهذيب وتجويد خلقه معها، عن أبي ذرٍّ، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: "الإيمان بالله والجهد في سبيله" قال: قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا" قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تعين صناعًا أو تصنع لأخرق" قال: قلت: يا رسول الله، أرايت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال: "تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك"^(١).

وإنما تكون للأخلاق في النفس مكان إذا تخلق المسلم بها وعود جوارحه وروض نفسه عليها، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، من يتحرى الخير يعطه، ومن يتقى الشر يوقه، ثلاث من كن فيه لم يسكن الدرجات العلاء - ولا أقول لكم الجنة - من تكهن، أو استقسم، أو رده من سفر تطير"^(٢).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، مج ٥٢/١، رقم الحديث ٨٤].

(٢) [الطبراني: المعجم الأوسط، باب الألف/باب من اسمه إبراهيم، ج ١١٨/٣، رقم الحديث ٢٦٦٣].

• سند الحديث/ حدثنا إبراهيم قال: نا إسحاق بن عمر المؤدب قال: نا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال: نا سفيان الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء .

• تخريج الحديث/

أخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق بنحوه مختصرا (ص: ٣٤٨)، وأخرجه ابن عبد البر في مسند الشاميين بمثله (٢٠٩/٣)، وأخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال بمثله مختصرا

(ص ٨١)، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء بمثله (١٧٤/٥)، وأخرجه القرطبي في جامع بيان العلم وفضله بمثله (٥٤٥/١)، خمستهم من طريق سفيان الثوري، وأخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق (ص ٣٤٨)، وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٠٢/٢)، كلاهما من طريق أبي المحياة بنحوه مختصراً، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين من طريق رقبة بن مصقلة بنحوه مختصراً، وأخرجه البيهقي في المدخل إلى سننه الكبرى بمثله مختصراً (ص ٢٧٠)، وأخرجه في الشعب بمثله بلفظ مقارب (٢٣٦/١٣)، كلاهما من طريق عبيد الله بن عمرو . كلهم عن عبد الملك بن عمير به .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ الْهَمْدَانِيِّ: محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني بالسكون أبو الحسن الكوفي نزيل واسط ضعيف من التاسعة. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٧٤).
وقال ابن عدي: مع ضعفه يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك. وقال الدارقطني: لا شيء. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. وقال يعقوب بن سفيان، وابن حبان: ضعيف. وقال الذهبي: حسن الترمذي حديثه فلم يحسن. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٥٤٣/٣).
عن عبد الرحمن قال: سألت أبي عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني فقال: ليس بالقوي. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٢٢٥/٧) .
قال أبو زكريا يحيى بن معين: محمد بن الحسن الهمداني الكوفي ليس بثقة . البغدادي، تاريخ بغداد (٥٥٨/٢).
قال الذهبي: وإياه جداً. الذهبي، سير أعلام النبلاء (٣٠٤/٩).
قال الباحث: هو ضعيف.

▪ إِسْحَاقُ بْنُ عَمْرِو الْمُؤَدَّبِ: إسحاق بن عمر القرشي المؤدب صدوق من العاشرة تمييز. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ١٠٢) .
هو في طبقة (إسحاق بن عمر بن سليط الهذلي، أبو يعقوب بن أبي حفص البصري)، قال عنه أبو حاتم: صدوق، وهو سبب حكم ابن حجر عليه بأنه صدوق.
قال الباحث: هو صدوق .

• الحكم على الإسناد/

إسناد ضعيف. يرتقي الحديث إلى الحسن لغيره بالمتابعات.
توبع الحديث من طريقين آخرين، أحدهما عن القاسم بن يزيد والآخر عن ابن وهب كلاهما عن سفيان الثوري.

وخير سبيل لاستقاء الأخلاق هو القرآن عن أم المؤمنين عائشة إلى ذلك بقولها : "إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ"^(١).

فما جَوَّدَ النبي ﷺ خلقه إلا باتباع القرآن والعمل بما فيه، ومن الأخلاق التي يربي المسلم نفسه عليها ويُجَوِّدها الآتي:

أولاً: تجويد الخلق عند الطعام و الشراب

إن آداب الطعام والشراب التي أرشد النبي ﷺ إليها، تتمثل في معاملة يومية للمسلم مع نفسه، وإنما التعود على تلك الآداب بسلوكها منهاج حياة، فمن آداب الطعام والشراب :

أ. التسمية والأكل مما يلي الطاعم:

قال عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" فَمَا زَالَتْ تَلُكُ طِعْمَتِي بَعْدُ^(٢).

كما أن الثوري قد توبع من ثلاث طرق أخرى هي (رقبة بن مقصلة، وأبو المحياة، وعبيد الله بن عمرو) كلهم عن عبد الملك بن عمير .

وقال الدارقطني: "رواه محمد بن الحسن الهمداني عن الثوري، عن عبد الملك عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ، وغيره يرويه عن عبد الملك عن رجاء، عن أبي الدرداء، موقوفاً، وهو المحفوظ. الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية (ج ١٠/٣٢٦) .

وقال الهيثمي: "رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات". الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج ٥/١١٨) .

أما محمد الهمداني: فقال ابن عدي: "ومع ضعفه يكتب حديثه". ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال (ج ٧/٣٧٣) .

(١) سبق تخريجه، (ص ١٦) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ/بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ، ص: ١٣٧٠، رقم الحديث ٥٣٧٦] .

فكان تجويد عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه لأدب التسمية على الطعام، أنه تتبع أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أدب التسمية والأكل مما يليه، وبذلك يُجود المسلم خلقه مع نفسه عند مطعمه بأن يسمي اتباعاً لخلق النبي صلى الله عليه وسلم، فالشيطان يستحل الطعام ويشترك صاحبه فيه ما لم يسم، فتذهب منه البركة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتسمية عند المطعم والمشرب، حتى يمنع الشيطان من استحلاله، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيُّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا" (١).

ب. الأكل باليمين:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرِبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرِبُ بِشِمَالِهِ" (٢).

فَيُجود المسلم خلقه مع نفسه باتباعه لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يتحرى ألا يتبع سبيل الشيطان في أي أمر ولو مستصغر في نظره، وشرك الشيطان يبدأ بصغائر الأمور.

ت. الجلوس والتواضع عند الأكل والشرب:

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ: "لَا آكُلُ وَأَنَا مُتَكِيٌّ" (٣).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْأَشْرِيَةِ/بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، مج ٢/٩٧١، رقم الحديث ٢٠١٧].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْأَشْرِيَةِ/بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا، مج ٢/٩٧١، رقم الحديث ٢٠٢٠].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَطْعِمَةِ/بَابُ الْأَكْلِ مُتَكِيًّا، ص: ١٣٧٥، رقم الحديث ٥٣٩٩].

قال ابن حجر: "وكان سبب هذا الحديث قصة الأعرابي المذكور في حديث عبد الله بن بسر عند ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن، قال: أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبتيه يأكل، فقال له أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً، قال ابن بطال: إنما فعل النبي ﷺ ذلك تواضعاً لله" (١)، فقد جود النبي ﷺ تواضعه لما أنعم الله عليه معلماً الصحابة ﷺ هذا الأدب في التواضع عند الطعام .

ث. عدم عيب الطعام:

إن النعم التي أنعم الله بها على المسلم ما كان له أن يعييبها؛ فإنها رزق رزقه الله إياه، وأن يعيب المسلم طعاماً فإنه يكون ازدراءً لنعمة الله ﷻ، كذلك فإن عيب الطعام عيب لصانعه، فإن كانت أمماً فهو جزء من عقوق، وإن كانت زوجة أو أختاً فذاك ذم لها وتحقير من شأنها وكسر لخاطرها، ولذا فإن تجويد الخلق مع الطعام في عدم ذمه أو عيبه البتة اتباعاً لهدي النبي ﷺ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: "مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا فَطُ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ" (٢) .

ثانياً: تجويد الخلق عند الوقاع

تجويد الرجل لخلقه عند جماع زوجته فيه أجر عظيم، بل إن الخلق الذي يحيى بتجويد الخلق في هذا الموضع هو خلق الحياء، فالمسلم يستحي أن يرى عورته غير حليته، فكان تجويد الخلق حين يُعَشِّي الرجل امرأته من أعظم الأخلاق، وكان السبب في توجيه النبي ﷺ المسلم لذكر اسم الله ﷻ هنا، إنما ليذكر المسلم أن يستحي من مخلوق آخر يراه ويستحل المكان الذي قد ستره الله فيه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقَضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ" (٣).

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٩/٥٤١) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ/بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ص: ٨٧٧، رقم الحديث ٣٥٦٣] .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْوُضُوءِ/بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوَقَاعِ، ص: ٤٩، رقم الحديث

ثالثاً: تجويد الخلق في الكلام والحديث

لقد حث النبي ﷺ المسلم أن يُجوِّد حديثه وكلامه، فخير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يُجِلْ، وقد بين النبي ﷺ أن فهم الرجل وفقهه بقدر ما أوجز في الكلام، قال أبو وائلٍ: حَطَبْنَا عَمَّارًا، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ فُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَتَفَسَّتَ^(١) فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ حُطْبَتِهِ، مَثْنَةٌ مِنْ فَفْهِهِ"^(٢)، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَفْصِرُوا الحُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ النَّيَّانِ سِحْرًا"^(٣).

وإن تجويد الرجل لحديثه يكون باستحضاره لما سيتكلم، وإن الجودة في ذلك تكون بأن يؤدي الرجل حديثه كلمة كلمة يفهمها السامع، كما كان رسول الله ﷺ يفعل، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لِأَحْصَاهُ"^(٤).

فيستنبط أن النبي ﷺ كان متأنياً في كلامه غير متعجل، يفهم السامع كلماته فيفهمها ويحفظها، بل ويعيدها مراراً وتكراراً حتى يعيها المسلم، وكل ذلك كان من تجويد النبي ﷺ لكلامه، عن أنس رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ "إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا"^(٥).

فعلى المسلم أن يجعل لسانه دائم النطق بخير الكلام، لما فيه من تعويد النفس على الكلام الطيب الذي يطيب به الخلق، ولقد اصطفى الله للمسلمين كلاماً، هو خير الكلام، كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سئِلَ أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ"^(٦).

(١) كُنْتَ تَتَفَسَّتُ: أي أطلت قليلاً. السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (ج ٢/٤٤٨) .

(٢) مَثْنَةٌ مِنْ فَفْهِهِ: أي عَلامَةٌ. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٦/١٥٨) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الجُمُعَةِ/بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْحُطْبَةِ، مج ١/٣٨٦، رقم الحديث ٨٦٩] .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ/بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ص: ٨٧٨، رقم الحديث ٣٥٦٧] .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ العِلْمِ/بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ فَقَالَ: "أَلَا وَقَوْلُ الرُّورِ" فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا، ص: ٣٦، رقم الحديث ٩٤] .

(٦) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/بَابُ فَضْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مج ١/٣٨٦، رقم الحديث ٢٧٣١] .

فقد مازض النبي ﷺ ووصف الذين يتحدثون بالذكر والخير بأنهم عباد الله والأحسن من ذلك أنهم بذلك الذكر الذي يجودون به كلامهم يصيبون ما أصاب الملائكة في ذكرهم لله ﷻ .

ومن تجويد أدب المرء مع نفسه وسُمُوهُ بأخلاقه، ألا يتدخل في ما لا يعنيه، عن حسين بن علي قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"^(١).

(١) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، مُسْنَدُ أَهْلِ الْبَيْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ أَجْمَعِينَ/حَدِيثُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، ج ٣/٢٥٩، رقم الحديث ١٧٣٧].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الترمذي في سننه بمثله (٥٥٨/٤)، وأخرجه مالك في الموطأ بلفظه مختصراً (٩٠٣/٢)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بلفظه (٣٠٧/١١)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٣٨/٣)، وأخرجه في معجمه الأوسط (٢٠٢/٨)، وأخرجه في معجمه الصغير (٢٣١/٢) بلفظه مختصراً، أربعتهم من طريق الزهري عن علي بن الحسين به، وأخرجه أحمد في مسنده (٢٥٦/٣) من طريق شعيب البجلي به بنحوه.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العمري المدني ضعيف عابد. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣١٤).

وقال الخليلي: ثقة غير أن الحفاظ لم يرضوا حفظه. وقال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عنه، وكان عبد الرحمن - هو ابن مهدي - يحدث عنه. وقال ابن عدي: لا بأس به في رواياته، صدوق. وعن ابن معين: صالح ثقة. وعن أحمد بن حنبل قال: لا بأس به، قد روي عنه، ولكن ليس مثل أخيه عبيد الله. وقال العجلي: لا بأس به. وقال النسائي: ضعيف الحديث. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣٨٨/٢).

وفي "تاريخ نيسابور" للحاكم: سئل ابن مهدي عنه فقال: لا بأس به. وقال أبو عمر ابن دحية في كتاب "الانتصار لما صح في البسمة من الآثار": وقد تكلم قوم في العمري وكلامهم فيه غير مقبول، وحديثه عند أهل النقد من أئمة النقل غير معلول فإنه إنما تكلم فيه من قبل حفظه وليس

وإن الذي يربي نفسه على أجود الأخلاق فيجودها ويحسنها ويزينها بالأخلاق لهو المسلم الذي تجد منه الأثر في معاملة المسلمين بما أمر النبي ﷺ ومعاملة غير المسلمين بإقسط.

ذلك بجرح قادح ولا بطعن واضح وهو من علماء المسلمين وخيار عباد الله الصالحين. مغلطاي، إكمال تهذيب الكمال (٧٥/٨) .

قال الباحث: هو صدوق، ضعيف الحفظ. فقد وثقه البعض وضعفه البعض وتوسط به البعض فقالوا: لا بأس به صدوق. وكذلك لما بينه ابن دحية في سبب تضعيفه.

- **مُوسَى بْنُ دَاوُدَ:** موسى بن داود الضبي أبو عبد الله الطرسوسي، صدوق فقيه زاهد له أوهام. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٥٠).
- وقال ابن سعد: كان ثقة صاحب حديث. وقال الدارقطني: كان مصنفاً كثيراً مأموناً، وولي قضاء الثغور فحمد فيها. وقال ابن عمار الموصلي: كان زاهداً صاحب حديث، ثقة. وقال العجلي: كوفي ثقة. وذكره ابن حبان في "الثقات". قال ابن نمير: ثقة. وقال أبو حاتم: شيخ في حديثه اضطراب. ابن حجر، تهذيب التهذيب (١٧٤/٤) .
- قال الحاكم: أحد الثقات. مغلطاي، إكمال تهذيب الكمال (١٤/١٢).
- قال أبو الحسن الدارقطني: موسى بن داود ثقة. البغدادي، تاريخ بغداد (٢١/١٥).
- قال الذهبي: وثقه غير واحد. الذهبي، تاريخ الإسلام (٤٦٨/٥).

قال الباحث: ثقة .

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

فيه عبد الله بن عمر قال عنه ضعيف، ولكن! أخرج له مسلم في صحيحه حديثاً واحداً مع أخيه عبيد الله [صحيح مسلم، مج ١٠٢٣/٢، رقم الحديث ٢١٣٢]، وهذا يخالف ما قاله الخليلي: "عبد الله بن عمر بن حفص ثقة غير أن الحفاظ لم يرضوا حفظه، ولم يخرج لذلك في الصحيحين". الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ١٩٣)، أما موسى بن داود فإنه لم يهتم هنا لأنه وافق الروايات في المتابعات والشواهد.

المطلب الرابع

الجودة في الأخلاق مع المسلمين

إن المسلمين هم أحق الناس بالإقسط في المعاملة، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وإن للمسلمين على بعضهم حقوقاً وواجبات كثيرة لا تحصر، وأهم هذه الحقوق والواجبات هي الأخلاق وتجويدها في المعاملات فيما بينهم، وتجويد أخلاق المسلمين يظهر به الوجه المشرق للإسلام، فالمسلمون سفراء الإسلام أينما حلُّ وارتحلوا .

والمسلم يتحرى معاملة إخوانه بأجود الأخلاق وأحسنها، لأن أحسن المسلمين إسلاماً وإيماناً هو أجودهم أخلاقاً، الذي يكف أذاه عن إخوانه، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ"^(٢).

فأجود إسلام وأحسنه للمسلم هو أن يكف أذاه عن المسلمين، وما كان دون ذلك فإنه الخير الذي يسعى به المرء بين إخوانه المسلمين.

وتجويد الأخلاق مع المسلمين متعدد في مجالات كثيرة، فالحياة التي يعيشها المسلم لا بد فيها من معاملات، ولا بد ألا تخلو المعاملة من تجويد للخلق فيها، فيتوجب على المسلم إذا عامل إخوانه المسلمين أن يجود معاملته معهم وقد اخترت ثلاثة من الأسس التي يبني عليها تجويد الأخلاق مع المسلمين، ومن ذلك:

أ. النصح للمسلمين:

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"^(٣).

(١) [الحجرات: ١٠] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟، ص: ١٣، رقم الحديث [١١] .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةٍ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ}، ص: ٢٥، رقم الحديث [٥٧] .

فتجويد النصح للمسلمين يكون باتباع الهدي النبوي للرسول الكريم ﷺ في نصح المسلمين، ووفق هدي الأنبياء -عليهم السلام- في نصح أقوامهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(١)، فالأمانة في النصح هي أول ما يجب أن يُشعرَ الناصح بها أخاه المسلم المنصوح، ومن الأمانة أيضاً أن يشعر المنصوح بالأمان، وحرص الناصح عليه، ويكون ذلك بالكلمة الطيبة التي تفتح و تبنى أواصر الودِّ بين الإخوة المتناصحين، وأن يحرص الناصح على اللين مع أخيه وإظهار حبه له وحرصه عليه وبذلك يكون تجويد النصح مع المسلم.

ب. قضاء حوائج المسلمين:

ما مرَّ في التاريخ الإسلامي مَثَلٌ كَمَثَلِ أصحاب نبينا محمد ﷺ، فمثلهم أعظم مثل في قضاء المسلمين حوائج بعضهم، فقد كان الإيثار شعاراً لهم، يؤثر الأنصاري أخاه المهاجري على نفسه في كل ما يملك قضاءً لحاجاتهم بعد هجرتهم من مكة إلى المدينة، فيتجلى تجويد الخلق بين المسلمين في قضاء حوائجهم لما تقاسم الأنصار مع المهاجرين كل ما يملكون، سداً لحاجة إخوانهم .

إن قوة البنیان من تجويد صنعه، وإن المسلمين كلما جَوَّدُوا خُلِقَ التعاون فيما بينهم؛ كلما اشتد عودهم وقويت شوكتهم، وقد وصف النبي ﷺ جودة البنیان المسلم بالقول والفعل، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ^(٢).

فتشبيك النبي ﷺ بين أصابعه فيه إشارة إلى المسلمين أن يبذلوا ما يستطيعون ويُجَوِّدُوا بذلهم حتى يكونوا يداً واحدة.

وتجويد البنیان يكون بقضاء حوائج المسلمين والمشى فيها وتنفيس كرباتهم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ

(١) [الأعراف: ٦٨] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ص: ١٥١١، رقم الحديث ٦٠٢٦] .

يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ^(١).

وقد تمثل هذا الفعل جلياً لما وصل المهاجرون ﷺ المدينة فلتقاهم الأنصار ﷺ وقاسموهم أموالهم، بل إن التوارث كان مشروعاً بينهم إلى أن نُسِحَ من كتاب الله ﷺ حكماً، وقد تجلى ذلك في كتاب الله ﷺ في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢).

ت. توادُّ المسلمين فيما بينهم:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۗ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(٣) والتذلل لا يكون لغير الله ﷺ، وبيِّن الشيخ السعدي تفسير الآية بقوله: "فهم للمؤمنين أدلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم وراقتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم"^(٤)، وإنما يكون تجويد التواد بين المسلمين بالتراحم والتعاطف وسؤال الحال لبعضهم، وبهذا يقوى الجسد المسلم، ويتعاقد بعضه مع

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ اللَّفْطَةِ/بَابُ اسْتِخْبَابِ الْمُؤَسَّاتِ بِفُضُولِ الْمَالِ، مج ٨٢٧/٢، رقم الحديث ١٧٢٨].

(٢) [الحشر: ٩].

(٣) [المائدة: ٥٤].

(٤) [السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٦)].

بعض، عن النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى" (١).

ومن وسائل تجويد التوادد بين المسلمين، صلة الرحم، وهي من أركان التوادد بين المسلمين، بل سبب لتيسير الله ﷻ أموراً كثيرة للعبد المسلم في حياته، من زيادة في الرزق وطول العمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتْ الرَّحْمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ"، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَافْرَعُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢).

وعبادة الصلة يؤديها المسلم طواعية لله ﷻ، لتحصيل الأجر والثواب الذي بشر به النبي ﷺ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" (٣).

وتجويد صلة الرحم هو الباب للحفاظ على الجسد الواحد للمسلمين؛ فبالتجويد يتحقق المراد من قول الله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤)، ومن قول النبي ﷺ: "كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى" (٥).

حيث يرشد النبي ﷺ المسلم إلى سبيل تجويد صلته لرحمه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَتُهُ وَصَلَّتْهَا" (٦).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، ص: ١٥٠٨، رقم الحديث ٦٠١١].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللَّهُ، ص: ١٥٠٣، رقم الحديث ٥٩٨٧].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْبُيُوعِ/بَابُ مَنْ أَحَبَّ الْبَسْطَ فِي الرِّزْقِ، ص: ٤٩٨، رقم الحديث ٢٠٦٧].

(٤) [المائدة: ٥٤].

(٥) سبق تخريجه، (الحاشية رقم "١" السابقة في ذات الصفحة).

(٦) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ: لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، ص: ١٥٠٤، رقم الحديث

قال ابن حجر: "قوله ليس الواصل بالمكافئ أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير وقد أخرج عبد الرزاق عن عمر موقوفاً ليس الواصل أن تصل من وصلك ذلك القصاص ولكن الوصل أن تصل من قطعك"^(١)، ولأن القطيعة يتبعها آثار سلبية بين الناس، كانت جودة خلق الصلة للقاطع، فلا ينتظر الواصل مكافئة الوصل، بل إنه يصبر على أذى القطيعة، فيجود خلقه بوصل من قطعه.

وحري بالمسلم أن يجود خلقه مع المسلم وغير المسلم، فالمسلم سفير للإسلام بأخلاقه فوجب أن تجود الاخلاق مع غير المسلمين إظهاراً وتوثيقاً لأخلاق الإسلام فعلاً مصحوباً بالقول .

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١٠/٤٢٣) .

المطلب الخامس

الجودة في الأخلاق مع أهل الكتاب

بيّن طريق الجدل والحديث مع أهل الكتاب ومعاملتهم، تمييزاً لهم عن غيرهم من الكفار فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَا وَاللَّهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

إن لأهل الكتاب عند أهل الإسلام معاملة تختلف عن غيرهم من المشركين والكافرين، فقد شرع الإسلام لأهله سنة في التعامل معهم، بل وجعل لهم حقوقاً وواجبات ما التزموا بما تمليه عليهم شريعة الإسلام الحنيف، فأقرهم على دينهم وأقر عليهم الجزية، وقد جود النبي ﷺ والصحابة ﷺ أخلاقهم في معاملة أهل الكتاب، وكان هذا التجويد في أخلاقهم سبباً في هداية بعض أهل الكتاب ممن كانوا يتعاشون مع النبي ﷺ وفق بنود اتفق النبي ﷺ معهم عليها.

وللنبي ﷺ كلمات ومواقف عظيمة مع أهل الكتاب، ومن ذلك وصيته بالقبض والإحسان إليهم، واستخدامه ﷺ للفظ الصريح في الإحسان وتجويد المعاملة معهم، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَقْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا" أَوْ قَالَ "ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعٍ لِبَنَةِ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا"، قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرْحَبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعٍ لِبَنَةِ فَخَرَجْتُ مِنْهَا" (٢).

وقد فسر النبي ﷺ سبب الإحسان إليهم بأن لهم ذمة أي حرمة، ورحماً حيث أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام، وصهرراً في مارية بنت شمعون القبطية رضي الله عنها، قال النووي: "وأما الذمة فهي الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما

(١) [العنكبوت: ٤٦].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب وصية النبي ﷺ بأهل مِصر، مج ٢/١١٨٤، رقم الحديث ٢٥٤٣].

الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم^(١)، وقد جَوَدَ النبي ﷺ إحصانه لأهل الكتاب في مواضع كثيرة، رغم ما لقيه ﷺ من أذاهم له، وذلك لما كان بينه وبينهم عهد وذمة، ومن ذلك ما جاء عن ابنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَجَلَى الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُبْرِهَهُمْ بِهَا، أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُقْرِكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا"، فَقَرُّوا بِهَا حَتَّى أَجْلَاهُمْ عُمَرُ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرْبَحَاءَ^(٢).

فأقروهم ليعملوا في الأرض على أن يأخذوا نصف الثمر وكان ذلك يوم أن تغلب عليهم في خيبر، وقد سار على نهج النبي ﷺ في تجويد الإحسان إليهم صحابة النبي ﷺ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ، قَالَ: اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الْمَارَةِ فَكُنْتُ أَعْشُرُ^(٣) مَنْ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَأَعْلَمَهُ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنْ "لَا تَعْشُرْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً"، يَعْنِي فِي السَّنَةِ^(٤)، فحفظ لهم ولادة أمر المسلمين حقوقهم

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٦/٩٧) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَرْثِ الْمُرَارَعَةِ/ بَابُ إِذَا قَالَ رَبُّ الْأَرْضِ: أُفْرِكُ مَا أَفْرَكَ اللَّهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَجْلاً مَعْلُومًا، فَهَمَا عَلَى تَرَاضِيهِمَا، ص: ٥٦٣، رقم الحديث ٢٣٣٨] .

(٣) أعشر: (أعشر قومي) أي أخذ عشر أموالهم. العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (ج١/١٣٨١) .

(٤) [أبو بكر بن أبي شيبة: مصنف ابن أبي شيبة، كِتَابُ الزَّكَاةِ/ مَنْ كَانَ لَا يَرَى الْعُشُورَ فِي السَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً، إِلَّا أَنْ يَقَعَ الصَّلْحُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهَا، ج٢/٤١٧، رقم الحديث ١٠٥٨٨] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ.

• تخريج الحديث/

أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بمعناه مطولا (٤١٧/٢)، وأخرجه أبو نعيم في الحلية بنحوه مختصرا (١٩٨/٤)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بنحوه مطولا (٣٥٥/٩) ثلاثتهم من طريق أبي حصين، وأخرجه البيهقي بنحوه مختصرا (٣٦٦/٩) من طريق جامع بن شداد، كلهم عن زياد بن حدير .

-في ظل الدولة الإسلامية-، بل أدوا حقوقهم إليهم غير منقوصة، وخير دليل على اتباع هدي النبي ﷺ في الإحسان إليهم هي الوثيقة العمرية التي سميت بعد ذلك بالعهد العمرية، وكانت ميثاقاً ينظم العلاقة من المسلمين في أداء حقوق أهل الكتاب^(١) .

ومن تجويد الخلق مع أهل الكتاب -الغير محاربين لأهل الإسلام في هذا الزمان-، أن يعاملهم المسلم فيما أخذوا من عهد معاملة المسلمين فلا يسرقهم ولا يظلمهم ولا يعتدي على أي حق من حقوقهم، وقد تعامل النبي ﷺ معهم معاملته مع المسلمين فيما بينه وبينهم من عهد، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا بِنَسِيئَةٍ"^(٢)، فَأَعْطَاهُ دِرْعًا لَهُ رَهْنًا"^(٣).

فرسول الله ﷺ عامل اليهودي في هذا المقام بالرهن الذي يتعامل به المسلمون، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ مات والدرع مرهونة عند اليهودي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ"، وَقَالَ يَعْلى، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ: دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَالَ مَعْلَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، وَقَالَ: رَهْنُهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ"^(٤).

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح .

(١) راجع، تاريخ الطبري (ج٣/٦٠٩) .

(٢) النَّسِيئَةُ: بَيْعُكَ الشَّيْءَ نَسَاءً، وَهُوَ التَّأخِيرُ. ابن فارس، مقاييس اللغة (ج٥/٤٢٢) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الْمُسَاقَاةِ وَالْمُرَازَعَةِ/بَابُ الرَّهْنِ وَجَوَازِهِ فِي الْحَضَرِ كَالسَّفَرِ، مج ٢/٧٥٣، رقم الحديث ١٦٠٣] .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْقَمِيصِ فِي الْحَرْبِ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا خَالِدٌ فَقَدْ أَحْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ص: ١٣٣٣، رقم الحديث ٢٩١٦] .

فإنما يدل ذلك على جودة خلق النبي ﷺ في إقرار تعاملات المسلمين مع أهل الكتاب ،
كما أن النبي ﷺ حذر من إيذائهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
قَالَ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"^(١) .

فالمسلم حين يرتقي بأخلاقه مع الله ﷻ يربي نفسه ليتخلق بأجود الأخلاق مع النبي ﷺ،
ثم يتبع القدوة المصطفى ﷺ في نفسه، فينعكس جود أخلاقه على تجويدها مع المسلمين، ليكون
سفيراً للإسلام عن أهل الكتاب وغيرهم ممن هم ليسوا على الإسلام، فما ينتهي به الأمر إلا
امتنالاً لشعب الإيمان كلها، فيختتم تجويده لأخلاقه مع المخلوقات الضعيفة من حيوان أو نبات
أو جماد.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجَزِيَّةِ وَالْمُؤَادَعَةِ/بَابُ الْجَزِيَّةِ وَالْمُؤَادَعَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ، ص: ٧٨٢،
رقم الحديث ٣١٦٦] .

المطلب السادس

الجودة في الأخلاق مع الحيوان والنبات

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"^(١).

فما أجمل المسلم الرفيق بالدواب، الذي يكرم الدابة ولا يهينها، وإن إكرام الدابة يكون باستخدام الدابة لما خلقت له، فلا يستخدم المسلم الخيول التي سخرت وخلقنا للركوب والجمال في الحراثة؛ فذلك إهانة لها، ولا يستخدم البقر للركوب أيضاً وقد خلقت للحراثة، فمن تجويد الخلق مع الدابة إكرامها باستخدامها لما خلقت له، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضْرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ"^(٢).

وإن إعطاء الدابة حقها في المأكل والمشرب من تجويد الخلق معها، فلا يضربها ولا يتعجل في إطعامها أو إشربها فينتقص من حقها في ذلك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَاسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَإِذَا عَرَسْتُمْ بِاللَّيْلِ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْهُوَامِ بِاللَّيْلِ"^(٣).

فقوله ﷺ أعطوا الإبل حظها، إنما يفهم منه استيفاء الدابة حقها في المطعم والمشرب والراحة، ويتضح الرفق بالدابة من كلام النووي في المعنى العام للحديث بقوله: "ومعنى الحديث الحث على الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها فإن سافروا في الخصب قللوا السير وتركوها ترعى في بعض النهار وفي أثناء السير فتأخذ حظها من الأرض بما ترعاه منها وإن سافروا في القحط

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ، مج ٢/١٢٠٣، رقم الحديث ٢٥٩٤].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ/بَابُ، ص: ٨٦٠، رقم الحديث ٣٤٧١].

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ/بَابُ مُرَاعَاةِ مَصْلَحَةِ الدَّوَابِّ فِي السَّيْرِ، وَالنَّهْيِ عَنِ التَّعْرِيسِ فِي الطَّرِيقِ، مج ٢/٩٢٦، رقم الحديث ١٩٢٦].

عجلوا السير ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهب نقيها وربما كلت ووقفت وقد جاء في أول هذا الحديث في رواية مالك في الموطأ أن الله رفيق يحب الرفق قوله ﷺ (وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل) قال أهل اللغة: التعريس النزول في أواخر الليل للنوم والراحة هذا قول الخليل والأكثرين وقال أبو زيد هو النزول أي وقت كان من ليل أو نهار والمراد بهذا الحديث هو الأول وهذا أدب من آداب السير والنزول أرشد إليه ﷺ لأن الحشرات ودواب الأرض من ذوات السموم والسباع تمشي في الليل على الطرق لسهولتها ولأنها تلتقط منها ما يسقط من مأكول ونحوه وما تجد فيها من رمة ونحوها فإذا عرس الإنسان في الطريق ربما مر به منها ما يؤذيه فينبغي أن يتباعد عن الطريق^(١).

وإن الرفق بالدابة لا يكون في استخدامها وحسب، وإنما يكون أيضاً في ذبحها، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: ثنَّانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِيُجِدَّ أَعْنَاقَكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُحِرْحِرْ دَبِيحَتَهُ"^(٢).

فيوجه النبي ﷺ المسلم لأن يجود ذبحه لذبيحته، ويبين ﷺ الهيئة التي بها يجود الذبح.

أما حين يحنو النبي ﷺ على جذع أصم أصمت فيمسح عليه، إنها أجود الأخلاق التي وهبها الله ﷻ لنبيه ﷺ، فرقة القلب والحنو والرأفة بمخلوقات الله الضعيفة لهن أسمى الأخلاق التي يتعبد بها المسلم ربه ﷻ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ فَحَنَّ الْجِذْعُ فَأَتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ"^(٣).

فمن الأخلاق التي ترجى في هذا المقام، هي الرحمة، والرأفة، واللطف، والحلم.

(١) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٣/٦٩) .

(٢) سبق تخريجه، (ص ٣) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ/بَابُ عَلَامَاتِ النَّبِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، ص: ٨٨٣، رقم الحديث

. [٣٥٨٣

خلاصة المبحث:

ينطلق المسلم لممارسة حياته واختلاطه بالناس من خلال معاملاته، فيسير مع ما يمليه عليه دينه وتقاليد بلاده، وكل أمر في مخالطة للناس لا بد وأن يتجلى هَرَمٌ^(١) الأخلاق أمام ناظري ذلك المسلم الذي يحمل بين جنبات نفسه أجود الأخلاق وأحسنها، فيترجمها في كل أمور حياته عملياً، انطلاقاً من أعظم الأخلاق مع الله ﷻ وهو الإخلاص وسلامة العقيدة التي لا تتفك عن الخلق، مروراً بنفسه التي يربيهها لتجود بأخلاقها على مستحقيها .

ختاماً: فإن النبي ﷺ لما أسس العقيدة في قلوب أصحابه ﷺ وجعل منها درعاً إيمانياً يحميهم من الفتن التي تفسد عقيدة المسلم وتحرفها، فجعلت العقيدة بتجويدها جزء لا يتجزأ من حياتهم العملية، ليرى المسلم أثر العقيدة جلياً في حياته وإخوانه لا يشوبها شائبة، ولتتزين العقيدة بالأخلاق التي هي الوجه الذي يُرى به المسلم، فيتمثلها مجودة متقنة في كل أمور حياته، ويعدُّ بها نفسه، لينتقل إلى مرحلة ما بعد التأسيس، وهي استكمال البنیان الإسلامي العظيم، الذي يزين بالعبادات والمعاملات، وهي الآثار التي أثمرت عن الغرس المخلص لله وحده لا شريك له.

(١) يقصد الباحث ما جاء في حديث النبي ﷺ في الإيمان بقوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة .." الحديث، حيث أن قاعدة الهرم تكون بقول (لا إله إلا الله) والعمل بها، ليصل إلى قمة الهرم بخلق التواضع وإمارة الأذى عن الطريق .

المبحث الثالث

آثار تطبيق الجودة في العقيدة والأخلاق

تمهيد:

إن الآثار المترتبة على تطبيق الجودة في العقيدة والأخلاق لها أهمية كبيرة في تقييم السلوك الإنساني للمسلم في تعاملاته مع الله ﷻ واعتقاداً وبأخلاقه مع الناس، وبيان مدى التزامه بأوامر الله ﷻ الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ .

ويتخلل المبحث مطلبين:

المطلب الأول هو بيان آثار تطبيق الجودة في العقيدة، والمطلب الثاني هو بيان آثار تطبيق الجودة في الأخلاق.

المطلب الأول

آثار تطبيق الجودة في العقيدة

إن أعلى ما يملك المسلم من عزة لا تكون إلا بالعقيدة السليمة الصافية، وإن تجويد العقيدة الإسلامية بأركان الإيمان الستة لها آثار في حياة المسلم، تحمد، وهذه الآثار تكون في حياة الفرد، وفي حياة المجتمع، وإن المسلم لن تحلو حياته إلا بالأمن والأمان والاطمئنان، وإنما يكون ذلك بسلامة الاعتقاد الخالي من الشرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(١)، فلا أمن للإنسان إلا بتجويد إيمانه بالله ﷻ وحده لا شريك له، بتوحيد خالص، وحفظه الله ﷻ بحفظ حدوده، وإن تمثل الرضا والأمن من المؤمن فيما جاء عن صهيب، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"^(٢).

كما أن علماء ودعاة الأمة الإسلامية، هم رأس مال الإسلام الذي يستثمر لنشره، فهم ورثة الأنبياء، وهم أحسن الناس قولاً عند الله ﷻ، فيهم تنشر عقيدة التوحيد وبفهمهم لدعوتهم وإفهام الناس أمور دينهم؛ يثمر غراس الأمة، وإن غراس العقيدة وتجويدها في قلوب الفرد ثم المجتمع، يخلق مجتمعاً متحاباً متماسكاً، حريصاً على دينه، قوياً بعلاقته مع ربه، صادقاً في عباداته وقرباته.

أولاً: أثر تجويد العقيدة في حياة الفرد المسلم

١- التحرر من العبودية لغير الله ﷻ:

المؤمن الحق لا يخاف أحداً إلا الله، ولا يخاف في الحق لومة لائم، ولا يلهث على الدنيا وملذاتها، ولا تغريه الدنيا ومتاعها، فالمؤمن حقاً؛ يدرك أن الأمر بيد الله ﷻ، وأن الله هو الرزاق

(١) [الأنعام: ٨٢].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الرُّهْدِ وَالرِّقَاقِ/بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، مج ٢/١٣٦٤، رقم الحديث ٢٩٩٩].

ذو القوة المتين، وأن تدبير الكون كله بيده، وكل ذلك إنما يتأتى من إيمانه بقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١)، فيوقن أن أجله محتوم عند الله قد قضي، فلا يرضى الدنيا في دين الله تعالى، ولذا كان الإمام ابن تيمية مثلاً في التحرر من العبودية فقال وهو في سجنه: "ماذا يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أتى سرتُ فهي معي، إن قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحةٌ وسجني خلوة"^(٢) .

٢- التسليم لقضاء الله ﷻ وقدره، مع الأخذ بالأسباب:

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: "لَا، اْعْمَلُوا، فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ" ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} إِلَى قَوْلِهِ {فَسُنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ١٠] (٣).

فيتمثل ذلك بمضي المسلم متوكلاً على الله آخذاً بالأسباب التي قدرها الله له، موقناً أن الأمر مقضي عند الله ﷻ،

٣- تجويد خلق الإحسان (المراقبة):

كان جواب النبي ﷺ لجبريل ﷺ لما سأله عن الإحسان أن قال: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"^(٤).

فحين يدرك المسلم أن خالقه ﷻ يراه أينما حلَّ وارتحل، ينوي ألا يعصيه، بل يجاهد نفسه أن يجود طاعته لمولاه .

(١) [المنافقون: ١١] .

(٢) د. عائض القرني، لا تحزن، (ص ١٢٦) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ القَدَرِ/بَابُ كَيْفِيَّةِ خُلُقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَكِتَابَةِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقَاوَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، مج ٢/١٢٢٢، رقم الحديث ٢٦٤٧] .

(٤) سبق تخريجه، (ص ١٩) .

بذلك يرتقي المسلم درجة عند ربه ﷻ، فالإيمان بالمحسوس جبلة، أما الإيمان بالغيب فإنه مع الدليل، فمن آمن بالله ﷻ، آمن بكل ما جاء مُخْبِرًا به فيما عند الله.

فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١)، فالمؤمن يجود إيمانه بكل غيب أخبر الله ﷻ عنه، كالיום الآخر والملائكة، وأخبار الأقسام السابقة والأنبياء مع أقوامهم، والجنة والنار، وعذاب القبر والصراط، إلخ... .

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: "أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فَلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ"^(٢).

قال الإمام النووي: "هذه الكناية بقوله يعني فلانا هي من بعض الرواة خشية أن يسميه فيترتب عليه مفسدة وفتنة إما في حق نفسه وإما في حقه وحق غيره فكفى عنه والغرض إنما هو قوله ﷻ إنما وليي الله وصالح المؤمنين ومعناه إنما وليي من كان صالحا وإن بعد نسبه مني وليس وليي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبا قال القاضي عياض ﷺ: "قيل إن المكنى عنه ها هنا هو الحكم بن أبي العاص والله أعلم وأما قوله جهارا فمعناه علانية لم يخفه بل باح به وأظهره وأشاعه ففيه التبرؤ من المخالفين وموالاته الصالحين والإعلان بذلك مالم يخف ترتب فتنة عليه والله أعلم"^(٣).

(١) [البقرة: ٢-٣].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب مَوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَقَاتَعَةِ غَيْرِهِمْ وَالْبِرَاءَةِ مِنْهُمْ، مج ١١٧/١، رقم الحديث ٢١٥].

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٣/٨٧).

ثانياً: أثر تجويد العقيدة في المجتمع الإسلامي

١- تعميق معنى الأخوة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، إن عمق كلمة الأخوة من عمق فهم العقيدة، وقد حث النبي ﷺ على هذا المعنى بأحاديث صريحة، فوحدة الأمة الإسلامية بعقيدتها ووحدة العبودية لله ﷻ وقد مثل النبي ﷺ لوحدة المسلمين بوصفهم بالجسد الواحد، عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى"^(٢).

وإن بناء عقيدة الولاء لله ﷻ وللمؤمنين في نفس المسلم، هي اللبنة الأولى التي توضع بعد تثبيت أوتاد العقيدة في قلبه.

٢- العمل لدين الله على قلب رجل واحد:

المسلم الحريص على دينه يأبي أن يهان دينه، بل لا يرضى إلا أن يكون الإسلام مهيمناً، فيعمل ليل نهار ليرفع شأن أمته، فروح الجماعة تكون في رجل، وروح الرجل بنيان الجماعة، قال ابن مسعود ﷺ: "الْأُمَّةُ مُعَلَّمُ الْخَيْرِ، وَالْقَانِتُ الْمُطِيعُ"^(٣).

فأصحاب العقيدة هم أصحاب المبادئ التي لا تهزم الرياح .

٣- اندثار الشقاق والنزاع ولزوم طاعة القائد:

فحين تكون الأمة على قلب رجل واحد فإنها تُخرج من صلبها رجلاً بأمة، يحمل عقيدتها وفكرها، فينقاد الجنود له طائعين لا مكرهين، فيعدل بهم وفيهم، قال تعالى: ﴿وَمِن قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١) .

(١) [الحجرات: ١٠] .

(٢) سبق تخريجه، (ص ١٣٩) .

(٣) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٨/٣٨٧) .

٤ - سد الخلل ونزع الزلل:

إن الأمة تُكوّنُ سداً منيعاً في وجه من يحاول استغلال خلل ما في صرح المسلمين، بغزو فكري أو ثقافي أو عقائدي، وتتزع من بينها فتيل الزلل، بتطبيق أمر النبي ﷺ بنصرة المسلم ظالماً أو مظلوماً، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "انصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً" فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: "تَحْجِرْهُ، أَوْ تَمْنَعْهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"^(٢) .

٥ - نزع العصبية العرقية والقبلية:

حيث يكون ميثاق الدين هو الميثاق الغليظ بين الناس، فينتمي المسلم لدينه قبل أهله وعشيرته، وينزع فتيل العصبية والقبلية التي كانت تورث الحقد والكبر والكرهية بين الناس، لتأتي عقيدة التوحيد لتغرس في النفوس معاني الأخوة والتواضع توثيقاً وتطبيقاً فعلياً لقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

(١) [الأعراف: ١٥٩] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإكراه/باب يمين الرجل لصاحبه: إِنَّهُ أَخُوهُ، إِذَا خَافَ عَلَيْهِ الْقَتْلَ أَوْ نَحْوَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُكْرَهٍ يَخَافُ، فَإِنَّهُ يَدْبُ عَنْهُ الْمَظَالِمَ، وَيُقَاتِلُ دُونَهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، فَإِنْ قَاتَلَ دُونَ الْمَظْلُومِ فَلَا قَوْدَ عَلَيْهِ وَلَا قِصَاصَ، ص: ١٧٢١، رقم الحديث ٦٩٥٢] .

(٣) [المائدة: ٥٤] .

المطلب الثاني

آثار تطبيق الجودة في الأخلاق

شهد الله ﷻ لنبيه ﷺ بعظم الخلق فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وما برّ النبي ﷺ دعوة ربه إلا بخلقه الحسن الذي رباه عليه ربه ﷻ، فلأخلاق مكانة عظيمة عند الله ﷻ وعند رسوله ﷺ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُنْفَحَشًا، وَقَالَ: إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"^(٢).

ومن جميل تجويد الأخلاق، أن يُجَوِّدَ المسلم أخلاقه بتمثل الأخلاق المستنبطة من صفات الله ﷻ، فإخبار أم المؤمنين عائشة ؓ عن خلق النبي أنه القرآن، إشارة إلى البحث في القرآن عن الأخلاق التي ربي عليها الله ﷻ نبيه ﷺ.

وإن للأخلاق أثراً عظيماً في حياة المسلمين، فالمسلم يمتثل الخلق، ليترجمه بأفعاله وأقواله، ويترجمه في عباداته ومعاملاته، فيعطي صورة ناصعة لدين الله ﷻ، ليبيّن بخلقه مجتمعاً إسلامياً قد تأثر به، فيسمو المجتمع الإسلامي بصورة بهية ويكون كل عنصر في ذلك المجتمع رسولاً بأخلاقه لدعوة الله ﷻ.

أولاً: أثر تجويد الأخلاق في حياة الفرد المسلم

١- نيل محبة الله ﷻ والقبول في الأرض:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ"^(٣).

(١) [القلم: ٤].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ/بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ، ص: ٩٢٣، رقم الحديث [٣٧٥٩].

(٣) سبق تخريجه، (ص ٦٢).

وما ينال محبة الله ﷻ إلا ذو خلق حسن، فمن يحبه الله ﷻ يجعل حب الناس يسعى إليه سعياً، فقد ذكر الله ﷻ في كتابه محبته لصنوف من ذوي الأخلاق الحسنة، وبغضه لصنوف من ذوي الأخلاق الذميمة، ففي محبته ﷻ لذوي الأخلاق الحسنة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وفي بغضه لذوي الأخلاق الذميمة قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(٦).

فهذه أمثلة من كتاب الله ﷻ على حبه لأصحاب الأخلاق الحسنة، وأما من السنة فيما يحب الله ﷻ من الأخلاق في عبادته.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ"^(٧).

فكل ما هو خلق حسن يحبه الله ﷻ، وكل صفة من صفاته ﷻ يتمثلها المسلم بخلق يمارسه مع عباد الله، فإن الله ﷻ يحبه، وعن سعد بن أبي وقاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ النَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ"^(٨).

(١) [البقرة: ٢٢٢].

(٢) [الممتحنة: ٨].

(٣) [البقرة: ١٩٥].

(٤) [البقرة: ٢٧٦].

(٥) [النساء: ٣٦].

(٦) [الأنفال: ٥٨].

(٧) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/باب الرفق في الأمر كله، ص: ١٥١٠، رقم الحديث ٦٠٢٤].

(٨) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق/١١، مج ١٣٥٥/٢، رقم الحديث ٢٩٦٥].

٢- تربية النفس على المكارم:

سجية المسلم في تعاملاته بمكارم الأخلاق، إنما تكون بتعويد نفسه على ممارستها، والإنسان بطبيعته إن كرر فعلاً أصبح هذا الفعل سجية يربي عليها نفسه، فمن خلقه ينطلق في حياته العملية التي يمارس فيها أخلاقه، فيكون متحمساً لها، لما أورثته في نفسه من الرصانة والأدب .

٣- الرضا والسعادة النفسية:

إن الرضا والسعادة النفسية التي يبلغها صاحب الأخلاق الحميدة نابعة من أعماق نفسه التي تربت عليها، فحين يحسن الإنسان إلى الناس بأخلاقه يرضى عن نفسه، وإنما تكون السعادة حينما يجد أن هذا الرضا نابع عن تجويد أخلاقه وفق هدي نبيه ﷺ .

٤- انصباغ سيرته بأخلاقه:

إن مدى رسوخ الأخلاق الحسنة في نفس المسلم وانصباغه بها تظهر بآثار يشهدها من حوله، فحين يذكر خلق فيه، يكون أول الذكر له، وقد كان النبي ﷺ متميزاً بأخلاقه في كل مراحل حياته .

ولقد كان يسمى النبي ﷺ عند قومه بالصادق الأمين، فكان الصحابة رضي الله عنهم في رواية الأحاديث عنه ﷺ يقولون: "وهو الصادق المصدوق" فمنها ما جاء عند البخاري في حديث جمع الإنسان في بطن أمه، قال: " قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ" (١) .

٥- ارتباط المسلم مع الله ﷻ بأخلاقه:

من أسماء الله وصفاته يشق كثير من الأخلاق، فاسم الرحيم يشق منه خلق الرحمة، والكريم خلق الكرم، والجواد خلق الجود، واللطيف خلق اللطف، والرفيق خلق الرفق، ولذا؛ حين

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ/بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ص: ٧٩٤، رقم الحديث ٣٢٠٨] .

يحرص المسلم على التحلي بأخلاقه المشتقة من صفات الله ﷻ، فإنه يبقي حبل الوصال بينه وبين ربه ﷻ في كل قول عمل، بل إنه يجود أخلاقه فيما خفي بزجر نفسه عن همز أو لمز.

ثانياً: أثر تجويد الأخلاق في حياة المجتمع

١- بناء دولة الأخلاق:

إن دولة الأخلاق تُبنى في نفس الفرد قبل الجماعة، فالأفراد هم لبنات البناء، وتجويد صنع اللبنة قبل وضعها في البناء، يُجَمِّلُ البناء ظاهراً وباطناً .
بل إن تجويد صنع هذه اللبنة يحافظ على باطن هذا البناء من النخر أو الفراغ الذي يوهنه، وبهذا؛ فإن صلادة^(١) اللبنة علامة على رصانتها^(٢) .

٢- إنكار كل مستقبح:

فكل خُلِقَ ذميمة غَرِبَ عن قوم أنكره، فمن كان ذا أخلاق ذميمة نبذ من عند قوم ارتقوا بأخلاقهم، وفي قصة الأعرابي الذي بال في المسجد عبرة، فإنكار الصحابة فعله، نبذ له، ورفق النبي ﷺ بخلق الحلم والأناة بإخباره الصحابة ﷺ أنهم بعثوا ميسرين، ليعلمهم أدب التعامل مع من جهل حكم أمر ما، وفيه تعليم لهم أيضاً بالألا يحكموا على تصرف من امرئ حتى يعقلوا حاله، عن أبي هريرة، قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاطَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: "دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ دُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِرِينَ"^(٣).

٣- تسابق المسلمين لتجويد الأخلاق:

إن مجتمع الصحابة ﷺ كان مجتمعاً مثالياً بأخلاقه التي رباهم عليها النبي ﷺ، فكان مجتمعاً يحمل ثقافة حضارية رفيعة في الأخلاق، فلما خلفهم النبي ﷺ، ما حادوا عن بيضته بل حافظوا على ذلك المجتمع الإسلامي المتماسك .

(١) صَلْدٌ: يَدُلُّ عَلَى صَلَابَةٍ وَيُبْسِ. ابن فارس، مقاييس اللغة (ج٣/٣٠٣) .

(٢) رصن: رَصَنُ الشَّيْءُ يَرِصُنُ رِصَانَةً، وَهُوَ شِدَّةُ الثَّبَاتِ وَنَحْوَهُ. الفراهيدي، العين (ج٧/١٠٧) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الوُضُوءِ/بَابُ صَبِّ الْمَاءِ عَلَى الْبَوْلِ فِي الْمَسْجِدِ، ص: ٦٥، رقم الحديث

. [٢٢٠]

وتمثلت أخلاق صحابته ﷺ في كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فأبو بكر ﷺ ما سبقه عمر ﷺ في خلق قط، وعثمان ﷺ كان أشد الصحابة حياءً، حتى أن الملائكة لتستحيي منه .

كما إن كرم عبد الرحمن بن عوف لِيُضْرَبَ به المثل، فكل رجل من أصحاب النبي ﷺ له سمة تميزه في سير الأصحاب، يتسابق به مع أقرانه من الصحابة ﷺ .

٤ - التآسي بأصحاب الأخلاق:

خير وسيلة للتربية عند النبي ﷺ كانت القدوة، فكان ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه ﷺ الأخلاق بالقدوة، ومن ذلك قصة الشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا، فعن أبي أمامة قال: إِنَّ فَنَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: "اِذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِابْنَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ". قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟"، قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ^(١)، فتلك الحكمة التي مني بها النبي ﷺ أصلحت لذلك الشاب شأنه.

(١) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد، مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ (تنمة مُسْنَدُ الْأَنْصَارِ)/حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدِّيِّ بْنِ عَجَلَانَ بْنِ عَمْرٍو، ج ٣٦/٥٤٥، رقم الحديث ٢٢٢١١].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ

• تخريج الحديث/

أخرجه أبو داود في سننه (٥/٣)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢١٥/٨)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٨٣/٢)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى برقم الحديث ١٨٥٠٦/٢٧١/٩) أربعهم بمعناه

خلاصة المبحث:

إن ما يترتب من آثار على تجويد الإيمان هو ارتقاء النفس الإنسانية وسموها إلى الله ﷻ بدون الالتفات إلى مكدرات الحياة، فعلى صعيده الفردي يصبح حرًا في نفسه لا عبدًا، ويسلم لله قانتًا عابدًا له وحده، ثم إن ولاءه لا يكون إلا لله ﷻ، أما على صعيد مجتمعه فإن الآثار المترتبة على تجويد العقيدة تتمثل في كل ما يجمع أمته ويحافظ على كينونتها قوية متماسكة لتكون كالجسد الواحد بعقيدة واحدة تجمع شتاتها.

كما أن الآثار المترتبة على الفرد المسلم حين يُجود خلقه تجعل تلك النفس المسلمة متشعبة بشعب الإيمان التي أخبر عنها النبي ﷺ وكان الخلق الحسن سمتها ووصفها، ليمارس المسلم معاملته مع إخوانه على أساس الدين الإسلامي الذي أورثه النبي ﷺ، ولينعكس ذلك على المجتمع في الآثار المترتبة عليه من ذلك التأسيس للمكون الأساس للمجتمع الإسلامي ألا وهو الفرد المسلم .

مختصرًا، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمعناه برقم حديث ١٨٥٠٧ (٢٧١/٩)، أربعتهم من طريق القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي به .

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٩٠/٨) و(٢١٥/٨) بنحوه، و من غير ذكر هذا اللفظ (١٩٨/٨) ، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (٥٤٦/٣٦)، ثلاثتهم من طريق سليم بن عامر به، كلهم عن أبي أمامة ؓ به بنحوه .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح .

الفصل الثاني

الجودة في العبادات والمعاملات

المبحث الأول الجودة في العبادات

تمهيد:

العبادة، هي الجسر الواصل بين العبد وربه، وإن الجود في التزام شروط العبادة، لهي الحبال التي تقي العبد المسلم من أن يسقط في شرك الشيطان وفتن الدنيا وأهواء الضالين.

فما التزم المسلم بالهيئة التي جاءت عليها العبادة، والهيئة التي أخبر بها النبي ﷺ، وقي نفسه من الزلل في البدع والمنكرات، وبقي على صراط الله المستقيم، لا يزيغ ولا يميل، لأن القربى من الله ﷻ لا بد وأن توافق شرعه ﷻ ولا تخالفه، وأن يسبقها توجهه لله ﷻ وحده بإخلاص نقي من الرياء أو الشركاء، وما دام العبد على حاله ذاك كان لقاءه لربه ﷻ على ملة إبراهيم حنيفاً مخلصاً مجوداً .

والله ﷻ قد يسرَّ سبل العبادة، ليستطيعها كل مسلم، بل إن الله ﷻ قد كلف المسلم ما يطيق، فجعلت العبادات في أدائها ميسرة .

وإن العبادة هي السبيل للمسلم أيضاً ليجد حلاوة الإيمان، فحلاوة الإيمان لا يتذوقها إلا فاهم عابد، فمن فهم مقصد العبادة، فأداها على مقصودها ذاق تلك الحلاوة، عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: "ذاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"^(١).

قال السيوطي^(٢): "فَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَمْ يَطْلُبْ غَيْرَ اللهِ رَبًّا وَلَمْ يَسْعَ فِي غَيْرِ طَرِيقِ الإِسْلَامِ وَلَمْ يَسْلُكْ إِلاَّ مَا يُوَافِقُ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا شَكَّ أَنْ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتَهُ فَقَدْ خَلَصَتْ حَلَاوَةُ الإِيمَانِ إِلَى قَلْبِهِ وَذَاقَ طَعْمَهُ.

(١) سبق تخريجه، (ص ٤٨) .

(٢) السيوطي ت (٩١١ هـ): جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . أبو زيد، طبقات النسابين (ص ١٥٩) .

وَقَالَ عِيَّاضُ مَعْنَى الْحَدِيثِ صَحَّ إِيمَانُهُ وَاطْمَأْنَنْتَ بِهِ نَفْسُهُ وَخَامَرَ بَاطِنَهُ لِأَنَّ رِضَاهُ
بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيلٌ لِنُتْبُوتِ مَعْرِفَتِهِ وَنَفَازِ بَصِيرَتِهِ وَمَخَالَطَةِ بِشَاشَتِهِ قَلْبَهُ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ أَمْرًا سَهْلًا
عَلَيْهِ فَكَذًا الْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ قَلْبُهُ الْإِيمَانَ سَهَلَتْ عَلَيْهِ الطَّاعَةُ وَلَذَتْ لَهُ الْإِيمَانُ" (١) .

(١) السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (ج ١/٥١) .

المطلب الأول

الجودة في الطهارة

إن الطهارة في شريعة الإسلام عبادة، وهي مفتاح لاستفتاح كثير من العبادات، وإن تجويدها هو تجويد للعبادة المستفتحة ما دامت الطهارة ركناً لقبولها، والله ﷻ يقبل من العبد العبادة على قدر تجويده لأدائها على الوجه الذي شرعه ﷻ.

وإنما تكون الطهارة بهيئة أخبر بها النبي ﷺ وعلمها أصحابه ﷺ، ألا وإنها الوضوء، فقد دعا النبي ﷺ إلى إتقان الوضوء وتجويده، فعن حُمران، مولى عُثمان، قال: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، وَهُوَ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ فَجَاءَهُ الْمُؤَدِّنُ عِنْدَ الْعَصْرِ فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لِأَحَدِنَاكُمْ حَدِيثًا لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوَضُوءَ فَيُصَلِّيَ صَلَاةً إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا"^(١).

فلفظ النبي ﷺ "فيحسن" أي يجود ويتقن بإعطاء كل عضو حقه في إسباغ الماء عليه، وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ أَنْفَاءً، قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلَغُ -أَوْ فَيُسْبِغُ- الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ"^(٢).

يعقب عقبة بن عامر ﷺ بقوله "ما أجود" لما سمع من النبي ﷺ جزاء الذي يُحسن الوضوء ثم يقوم فيصلِّي بأن الجنة تجب له، فيعلق عمر ﷺ على تعقيب عقبة بقوله "التي قبلها

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ/بَابُ فَضْلِ الْوَضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ، مَج ١/١٢٢، رَقْمُ الْحَدِيثِ ٢٢٧].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ/بَابُ الذِّكْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَقِبَ الْوَضُوءِ، مَج ١/١٢٦، رَقْمُ الْحَدِيثِ ٢٣٤].

أجود منها" ويذكر ما قال النبي ﷺ مما لم يسمع عقبه ﷺ بأن جزاء التي أجود هو أن تفتح أبواب الجنة الثمانية فيدخل من أيها شاء .

وتجويد الوضوء يكون باتباع هدي النبي ﷺ الذي بينه حُمران مولى عثمان بن عفان ﷺ، فعن ابن شهاب أن عطاء بن يزيد الليثي، أخبره أن حُمران، مولى عثمان، أخبره أن عثمان بن عفان ﷺ: "دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات، ثم مضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل اليسرى مثل ذلك". ثم قال: "رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا"، ثم قال رسول الله ﷺ: "من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه" قال ابن شهاب: "وكان علماءنا يقولون: هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة"^(١).

ومعنى قول ابن شهاب "أسبغ" أي أعطى كل عضو حقه في الوضوء، فجود وحسن.

وحذر النبي ﷺ من عدم تجويد الوضوء ورداءة أدائه، عن عبد الله بن عمرو، قال: رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر، فتوضئوا وهم عجال فأنتهينا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسه الماء فقال رسول الله ﷺ: "ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء"^(٢).

فالأمر من الحبيب المصطفى ﷺ واضح صريح في وجوب إتقان الوضوء وتجويده، والتحذير من التقصير في أدائه بجودة وإتقان.

وإحسان الوضوء وتجويده بإسباغه يكفر الذنوب مهما كانت، فعن أبي أمامة، قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد، ونحن فعود معه، إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أصبتُ حداً،

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الطهارة/باب صفة الوضوء وكماله، مج ١/١٢٢، رقم الحديث ٢٢٦].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الطهارة/باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما، مج ١/١٢٩، رقم الحديث ٢٤١].

فَأَقِمَهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمَهُ عَلَيَّ، فَسَكَتَ عَنْهُ، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَبُو أَمَامَةٍ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ، وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَيَّ الرَّجُلِ، فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمَهُ عَلَيَّ، قَالَ أَبُو أَمَامَةٍ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟" قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا" فَقَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ، أَوْ قَالَ: دَنْبَكَ" (١).

وإن أعظم عبادة يؤديها المسلم ممتثلًا للطهارة فيها بالوضوء هي الصلاة، وقبول الصلاة مبني على صحة الوضوء، عَنْ هَمَامِ بْنِ مُنْبِهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ" قَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ: مَا الْحَدُّثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟، قَالَ: فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ (٢).

وإن تجويد الطهارة يتصل اتصالاً وثيقاً بالصلاة، وإن تجويد الصلاة من تجويد الطهارة للمسلم، عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحَضَّرَهُ صَلَاةٌ مَكْنُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ" (٣).

فالوضوء في قول النبي ﷺ منسوب للصلاة بأنه جزء لا يتجزأ منها ولذا وجب التجويد والتحسين في الطهارة وكل ما يتعلق بها .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابِ التَّوْبَةِ/بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ}، مج ١٢/١٢٦٧، رقم الحديث ٢٧٦٥].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابِ الْوُضُوءِ/بَابُ: لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بغير طَهُورٍ، ص: ٤٧، رقم الحديث ١٣٥].

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابِ الطَّهَارَةِ/بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ عَقِبَهُ، مج ١/١٢٣، رقم الحديث ٢٢٨].

المطلب الثاني

الجودة في الصلاة

الصلاة أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، وصلاح صلاته صلاح لسائر عمله، وفسادها فساد لسائر عمله و ردُّ له، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيصًا صَالِحًا، قَالَ فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي جَلِيصًا صَالِحًا، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ"^(١).

(١) [الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الصلاة عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ/بَابُ مَا جَاءَ أَنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ، ج ٢/٢٦٩، رقم الحديث ٤١٣].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْزَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ حَمَّادٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَتَادَةُ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

• تخريج الحديث/

أخرجه أبو داود في سننه بنحوه (٢٢٩/١)، وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه مختصرا (٤٥٨/١)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه مختصرا (٢٦٨/٢)، و بمثله مختصرا (٢٧٦/٧)، و أخرجه أحمد في مسنده بمعناه مختصرا (٢٧٨/١٣) ، و بنحوه (٢٩٩/١٥)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله مختصرا (١٦ / ٢٧٠)، وبنحوه (٢٧١/١٦)، وبمثله مختصرا (٤٨/١٧) و (٤٩/١٧)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٣٥٠/٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٩٤/١)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٥٤٠/٢) (ثلاثتهم الطبراني والحاكم والبيهقي بنحوه مختصرا) كلهم من طريق أنس بن حكيم الضبي .

وأخرجه أبو داود في سننه (٢٢٩/١)، والحاكم في مستدركه (٣٩٥/١) كلاهما بنحوه، وأخرجه البيهقي في سننه الكبير بنحوه مرفوعاً (٥٤٠/٢)، ثلاثتهم من طريق رجل من بني سليط .

وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله مختصرا (٣٨٧/٦)، أخرجه النسائي في المجتبى بمثله (٢٣٢/١)، وفي سننه الكبرى بمثله (٢٠٥/١)، من طريق حريث بن قبيصة .

وأخرجه النسائي في المجتبى بنحوه مختصرا (١١٥ / ١) من طريق نفيح بن رافع الصائغ .

وأخرجه البزار في مسنده (٤٩/١٧)، وأخرجه النسائي في المجتبى (٢٣٣/١)، وفي سننه الكبرى (٢٠٥/١)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٨٨/٦)، كلهم بنحوه مختصرا من طريق يحيى بن يعمر الجديلي.

وأخرجه أحمد في مسنده (١٥٢/٢٨)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٤٥٨/٢)، كلاهما بنحوه مختصرا من طريق رجل .

وأخرجه الطيالسي في مسنده بنحوه (٢١٣/٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بمعناه مختصرا (١٧١/٢)، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله (١٤٩/٢٨)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بنحوه (٩٦/١١)، والطبراني في الأوسط بمعناه مختصرا (٣١٨/٧)، خمستهم من طريق الحسن البصري. كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

• ترجمة الرواة/

— رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ **خُرَيْثُ بْنُ قَبِيصَةَ:** قبيصة بن حريث ويقال حريث بن قبيصة والأول أشهر الأنصاري البصري صدوق. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٥٣).

وذكره ابن حبان في "الثقات". قال العجلي: ثقة. وقال النسائي: لا يصح حديثه. قال البخاري: في حديثه نظر. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤٢٥/٣)

قال الباحث: هو صدوق.

▪ **سَهْلُ بْنُ حَمَادٍ:** سهل بن حماد أبو عتاب الدلال البصري صدوق. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٥٧).

وقال أبو زرعة، وأبو حاتم: صالح الحديث شيخ. وقال العجلي، وأبو بكر البزار: ثقة. وذكره ابن حبان في "الثقات". قال أحمد: لا بأس به. وقال عثمان الدارمي: ليس به بأس. وقال ابن معين: لا أعرفه. ابن حجر، تهذيب التهذيب (١٢٢/٢).

ويعقب ابن عدي على قول "لا أعرفه" من ابن معين قائلاً: وقول يحيى عنه لا أعرفه هو كما قال: لأنه ليس بمعروف ولم يحضرنى له حديث فأذكره. مغطاي، إكمال تهذيب الكمال (١٣٢/٦)

قال الذهبي: محدث، صدوق. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٥٤٥/٢).

قال الباحث: هو صدوق .

▪ **هَمَّامٌ:** همام بن يحيى بن دينار العوزي أبو بكر البصري، ثقة ربما وهم. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٧٤).

وقال الحسين بن الحسن الرازي: قلت ليحيى بن معين: همام؟ فقال: ثقة، صالح، وهو في قتادة أحب إلي من حماد بن سلمة، وأحسنهم حديثاً عن قتادة . المزني، تهذيب الكمال (٣٠٢/٣٠).

وإن كان الفلاح والنجاح في الآخرة بأداء فريضة الصلاة؛ فإنه أولى بالمسلم أن يجود أدائها، وتجويد أدائها يكون بما جاء عن أبي اليسر صاحب النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النَّصْفَ، وَالثُّلُثَ، وَالرُّبْعَ، وَالْخَمْسَ، حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ" (١).

وقال ابن المديني لما ذكر أصحاب قتادة: كان هشام أرواهم عنه وسعيد أعلمهم به، وشعبة أعلمهم بما سمع عن قتادة مما لم يسمع، قال: ولم يكن همام عندي بدون القوم فيه، ولم يكن ليحيى فيه رأي، وكان ابن مهدي حسن الرأي فيه. وقال ابن عدي: أخبرني إسحاق بن يوسف - أظنه - عن عبد الله بن أحمد عن أبيه قال: شهد يحيى بن سعيد في حديثه شهادة فلم يعدله همام، فنقم عليه. وقال ابن عدي أيضاً: وهمام أشهر وأصدق من أن يذكر له حديث، وأحاديثه مستقيمة عن قتادة، وهو متقدم في يحيى بن أبي كثير. وقال العجلي: بصري ثقة. وقال ابن المبارك: همام ثبت في قتادة ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤/٢٨٤).

قال أحمد: ومن سمع من همام بأخره فهو أجود؛ لأن همام أصابه في آخر عمره زمانة، فكان يقرب عهده بالكتاب فكان قل ما يخطئ. مغلطي، إكمال تهذيب الكمال (١٢/١٦٥).
قال الباحث: هو ثقة، ربما وهم في غير حديثه عن قتادة، فهو ثبت فيه كما ذكر معظم النقاد.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن، فيه راويان صدوقان هما: (سهل بن حماد، وحريث بن قبيصة). وله شاهد من طريق حماد بن سلمة عن تميم الداري، وشاهد آخر من طريق يحيى بن يعمر عن رجل من صحابة النبي ﷺ.

(١) [النسائي: السنن الكبرى للنسائي، كتاب السهو/ذكر ما ينقض الصلاة، وما لا ينقضها-في نقصان الصلاة، ج ١/٣١٦، رقم الحديث ٦١٦].

• سند الحديث/ أخبرنا محمد بن سلمة المصري قال: حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن عمر بن الحكم الأنصاري، عن أبي اليسر

• تخريج الحديث/

أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/١٣٩) من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، و (٣/١٣٨) من طريق حجاج بن إبراهيم الأبناوي، كلاهما بمثله، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله

قال الطحاوي^(١): "فسأل سائل عن معنى هذا الحديث، فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله وعونه بعد تأملنا إياه: أن المراد بذلك عندنا ، والله أعلم أن تكون الصلاة إذا صلاها الرجل كما أمر أن يصلّيها من إتمام قيامها وركوعها وسجودها وقعودها والقراءة فيها وذكر الله عز وجل الذي يؤمر به فيها وخشوعه فيها وإقباله عليها وتركه التشاغل عنها بشيء سواها يدعوه إلى التقصير عن إكمالها يؤتية الله عز وجل على ذلك ما شاء أن يؤتية إياه عليه بجده إياه على ما كان منه فيها ، وإذا قصر عما ذكرناه فيها تقصيرا لم يخرجها منها، ولكنه كان به منتقضا منها ما قد كان يجب عليه ألا ينتقصه منها من الذكر، ومما سواه من إشكاله إياه على ما جاء به

(٢٨٠/٢٤) من طريق هارون بن معروف، وسريح بن النعمان الجوهري، ومعاوية بن عمرو، وأخرجه البزار في مسنده بنحوه (٢٧٤/٦) من طريق عمرو بن مالك بن عمر الراسبي.
كلهم عن ابن وهب به .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- سَعِيدُ بْنُ أَبِي هِلَالٍ: سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم أبو العلاء المصري قيل مدني الأصل وقال ابن يونس بل نشأ بها صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفا إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٤٢).

ذكره ابن حبان في "الثقات". قال أبو حاتم: لا بأس به. وقال الساجي: صدوق، كان أحمد يقول: ما أدري أي شيء يخلط في الأحاديث. وقال ابن سعد: كان ثقة إن شاء الله. وقال العجلي: مصري ثقة. ووثقه ابن خزيمة ، والدارقطني ، والبيهقي ، والخطيب ، وابن عبد البر ، وغيرهم. وقال ابن حزم: ليس بالقوي. ولعله اعتمد على قول الإمام أحمد فيه. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤٨/٢).

قال الذهبي: ثقة ثبت. ابن حجر، لسان الميزان (٣١٣/٩).

قال الباحث: ثقة.

فابن حزم عنده إفراط في الجرح، كما أن ابن حجر قال: ولعله اعتمد على قول الإمام أحمد فيه .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح .

(١) الطحاوي ت (٣٢١ هـ): أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الأزديّ الحجزيّ المصريّ الطحاويّ الفقيه الحنفيّ: كنيته: أبو جعفر. ابن يونس، تاريخ ابن يونس الصدفي (ج٢٠/١).

منها بمقدار مما كان يؤتيه لو كان جاء بها بكمالها على ما يؤمر به فيها من الأجر الذي يؤتيه على ذلك من قليل أجزائه ومن كثيرها، والله أعلم بمراد رسوله ﷺ كان في ذلك، وإياه نسأل التوفيق" (١).

وإن الصلاة هي حبل الوصال مع الله ﷻ، وهي السبيل للاقتراب من رب العزة ﷻ، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (٢)، فالصلاة هي أقرب طريق لله ﷻ، فلو ضربنا مثلاً واقعياً من الحياة فقلنا: لو أن إنساناً أراد أن يقابل ملكاً، فإنه سوف يعد نفسه ويجهزها لتلك المقابلة، فيتطيب أجودطيب، ويستحضر أحسن الكلام، ويتقن حركاته وسكناته ولغة جسده التي تعبر عن شخصه، حتى إذا رآه ذلك الملك حتى نوله مراده، والله ﷻ المثل الأعلى في ملكه، فالمسلم يعد نفسه لمقابلة الملك العلام ﷻ في كل يوم خمس مرات، فحق لله على عباده أن يجودوا صلاتهم في لقيه ﷻ.

وإن أول تجويد للصلاة يكون أولاً بتحري تحقيق شروط صحتها والتي تتلخص عند الإمام الشافعي (٣) في الأمور الأربعة الآتية:

- ١- الطهارة .
- ٢- العلم بدخول الوقت .
- ٣- ستر العورة .
- ٤- استقبال القبلة .

ثم إن تجويد أدائها على الوجه الذي أداه النبي ﷺ، بامتثال إخلاص النية والتوجه لله ﷻ وحده فيها، وترك الدنيا وراء الظهر خشوعاً وتذلاً لله ﷻ، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعة وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد

(١) الطحاوي، شرح مشكل الآثار (ج ٣/١٣٩) .

(٢) [العلق: ١٩] .

(٣) الحنن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ١/١٢١) .

إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ" (١).

فقوله ﷺ "لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ" أي لا يقصد بمشيئه للمسجد سوى أداء الصلاة، مخلفاً الدنيا كلها وراءه مخلصاً وجهه لله ﷻ، وذلك من تجويد النية في الصلاة وهي أساس أول في كل عمل يتوجه فيه الله ﷻ .

ولقد حث النبي ﷺ على متابعة المصلي (المأموم) للإمام، -وذلك من تجويد الصلاة وإتقانها-، فلا يغفل ولا يسهو ليتحصل على ثواب وأجر الصلاة كاملاً غير منقوصٍ نائلاً بذلك المغفرة التي أخبر بها النبي ﷺ فيما جاء عند مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَاقَفَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قَالَ ابْنُ شَهَابٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَمِينَ" (٢).

كما أن تجويد الصلاة يتحصل بأن تؤدي في وقتها وفي جماعة حيث إنها أجود الأعمال وأفضلها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الصَّلَاةُ لَوْ قَنَيْتَهَا" (٣) وفي رواية عن ابن مسعود ﷺ أيضاً يقول فيها النبي ﷺ: "الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقَنَيْتَهَا" (٤) .

وإن للصلاة هيئة أخبر بها النبي ﷺ وعلمها أصحابه ﷺ، عليها يكون تجويد الصلاة بأركانها، وبها تتقن الأركان بأدائها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ وَأَنْتِظَارِ الصَّلَاةِ، مج ١/٢٩٨، رقم الحديث ٦٤٩] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ/بَابُ التَّسْمِيعِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّأْمِينِ، مج ١/١٩٣، رقم الحديث ٤١٠] .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، مج ١/٥٣، رقم الحديث ٨٥] .

(٤) سبق تخريجه، المصدر السابق نفسه.

جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: "وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ" فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا" وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ، فِي الْأَخِيرِ: "حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا"^(١).

فإنَّان الصلاة وتجويدها إنما يكون على تلك الهيئة التي علم النبي ﷺ ذلك الرجل إياها، وإن مما يستتبط من ألفاظ النبي ﷺ في حديثه، أن الخشوع والاطمئنان في الصلاة ركنان أساسان في تجويدها، وهما مما يُبني عليهما قبول الصلاة عند الله ﷻ، فقد جاء أن حُدَيْفَةَ، رَأَى رَجُلًا لَا يَتِمُّ رُكُوعَهُ وَلَا سُجُودَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ لَهُ حُدَيْفَةُ: "مَا صَلَّيْتَ؟" قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: "لَوْ مُتَّ مُتَّ عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ"^(٢)، قال صاحب العمدة: "قوله "ما صليت"، قد نفى الصلاة عنه، لأن الكل ينتفي بانتفاء الجزء، فانتفاء إتمام الركوع مستلزم لانتفاء الركوع المستلزم لانتفاء الصلاة، وكذا حكم السجود. قوله "وأحسبه" أي: قال أبو وائل: وأحسب حذيفة قال أيضا: لو مت... ، والمراد من السنة الطريقة المتناولة للفرض والنفل.

وقال ابن بطال: ما صليت، يعني: صلاة كاملة، ونفى عنه العمل لقلة التجويد فيها، كما تقول للصانع: إذا لم يجد ما صنعت شيئا، تريد نفي الكمال، وهو يدل على أن الطمأنينة سنة - قلت: هذا التأويل لمن يدعي أن الطمأنينة في الركوع والسجود سنة وهو مذهب أبي حنيفة ومحمد، وعند أبي يوسف والشافعي فرض"^(٣).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الإِسْتِئْذَانِ/بَابُ مَنْ رَدَّ فَقَالَ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، ص: ١٥٦٠، رقم الحديث ٦٢٥١].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الصَّلَاةِ/بَابُ إِذَا لَمْ يَتِمَّ السُّجُودَ، ص: ١٠٨، رقم الحديث ٣٨٩].

(٣) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ٤/١٨١).

وبذلك؛ فإن تجويد الصلاة هو الباب لتجويد العبادات الأخرى، وإن مفتاح الباب هو الطهارة (الوضوء)، فإن جُود المفتاح، سهل فتح الباب، وإن فتح الباب، ساح المسلم في العبادات أيها شاء، متسلسلاً فيها بتعريف النبي ﷺ لأركان الإسلام الخمسة التي يقوم عليها، حيث جاء في البخاري عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»^(١).

فقد بدأ النبي ﷺ بغرس الأساس لعقيدة التوحيد بالشهادتين، والتي تشمل أخلاق المسلم وقيمه، ثم عمود الدين الأساس وهو الصلاة، الذي يقوم عليه صرح الإسلام الشامخ، ثم أعمدة الإسناد الأخرى لهذا الصرح العظيم والمتمثلة بالزكاة والصيام والحج.

وكما أن تجويد ركن الطهارة هي زكاة لركن الصلاة وتجويدها تُجود الصلاة، فإن الصدقة هي زكاة الصيام، فالطهارة بالوضوء أو الاغتسال، هي إزالة الدرن والأذى الحسي عن الجسد من الحدث الأصغر أو الأكبر، أما ركن الزكاة فهي إزالة الدرن والأذى المعنوي والوجداني من القلب.

وإن الزكاة قرينة الصلاة في القرآن الكريم، فقد جمع الله ﷻ بينها وبين الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، فقال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ»^(٢)، وقال تعالى أيضاً: «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ»^(٣).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»، ص: ١٢، رقم الحديث ٨].

(٢) [البقرة: ٤٣].

(٣) [التوبة: ٥].

المطلب الثالث

الجودة في الزكاة والصدقة

أراد الله ﷻ أن يطهر نفس الإنسان من الدرن الذي تُخَلِّفه ملذات الدنيا ومتاعها في قلبه ونفسه، فجعل الزكاة والصدقة مطهرة لذلك، وجعلها النبي ﷺ برهاناً على الطهارة التامة حسية كانت أو معنوية، فإن الصلاة نور المؤمن والزكاة برهان السير في ذلك النور، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُؤَبِّقُهَا"^(١).

فكانت الطهارة هي مفتاح الذكر، والصلاة تنير للعبد طريق الإيمان عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢)، وأحسب أن النبي ﷺ جعل الصدقة في وسط حديثه؛ لكي تكون مقياساً للمؤمن في مدى تجويده بأدائه لعبادته.

يقول التوجيهي: "والزكاة هي التعبد لله تعالى بإخراج جزء واجب شرعاً، في مال معين، لطائفة أو جهة مخصوصة.

والزكاة نماء وزيادة وبركة، سميت بذلك؛ لأنها تزيد إيمان من أخرجها، وتزيد المال المخرج منه وتنميه، وتطهر النفوس والأموال مما يضرها، وتطهر قلب من أخذها من الحقد والحسد.

وسميت الزكاة صدقة؛ لأنها دليل على صحة إيمان مؤديها وصدقته؛ لأن المال محبوب إلى النفس، ولا يخرجها إلا صادق الإيمان"^(٣).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الطَّهَارَةِ/بَابُ فَضْلِ الوُضُوءِ، مج ١/١٢١، رقم الحديث ٢٢٣].

(٢) [العنكبوت: ٤٥].

(٣) التوجيهي، موسوعة الفقه الإسلامي (ج ٨/٣).

جاء في الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي "والزكاة هي السبيل الوحيد لتطهير القلوب من الأحقاد والحسد والضغائن، وهي أدران خطيرة لا تنتشر في المجتمع إلا عندما تختفي منه مظاهر التراحم والتعاون والتعاطف، وليست هذه المظاهر شعارات من الكلام، وإنما هي حقائق ينبغي أن يلمسها الشعور، وأن تتجلى ثمارها ملموسة بشكل مادي في المجتمع، فإذا طبقت الزكاة على وجهها برزت هذه الثمار جلية واضحة، وفعلت فعلها العجيب في تطهير النفوس من جميع الأحقاد والضغائن، وتأخي الناس على اختلاف درجاتهم في الثروة والغني، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١) (٢) .

أما تعريف الصدقة: "فالظاهر أنها تملك للمحتاج، تقرباً إلى الله تعالى وقصداً للثواب في الآخرة غالباً"^(٣) .

والزكاة فريضة جعلها الله ﷻ ركناً من أركان الإسلام الخمسة، وهي فريضة من الله ﷻ - كما جاء في تعريفها-، أما الصدقة فهي سنة غير واجبة.

وبأداء الزكاة والصدقة يُجَوِّدُ إسلام المرء، وتجويد أدائهما يكون بإخلاص النية لله ﷻ أول كل شيء .

وأبواب تجويد عبادة الزكاة والصدقة كثيرة، لا تقتصر على المال أو الأشياء المادية، وإنما تتعدى ذلك إلى عبادات معنوية سهلة ميسرة أخبر بها النبي ﷺ، ومن ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ"، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ"^(٤) .

(١) [التوبة: ١٠٣] .

(٢) الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ١٣/٢) .

(٣) الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ١١٦/٦) .

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/باب: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، ص:

٣٥١، رقم الحديث ١٤٤٥] .

فالمسلم يتحرى أن يخرج صدقة عن نفسه حسب استطاعته، فكل معروف هو صدقة للمسلم عن نفسه، وتجويد المسلم لعبادة الصدقة بتحريره الإمساك عن الشر وكفّه عن المسلمين إن لم يجد ما يتصدق به، وبذلك يكون المسلم قد جود هذه العبادة حين يبذل جهده في إخراجها لأدائها تقرباً إلى الله ﷻ.

أما إن أراد المسلم أن يجود عبادة الزكاة والصدقة فقد أخبر النبي ﷺ أن خير الصدقة ما أخفيت ولم تُتبع باليمن والأذى، فمخفي الصدقة من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "سبعة يُظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: - وذكر منهم ﷺ - وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" (١).

فتجويد الصدقة عند أدائها يكون بإخفائها أشد الخفاء، حتى أن الجسد الواحد لا تعلم شماله ما تصنع يمينه - التي يستحب فعل الخير فيها -، فقد كان رسول الله ﷺ يحب التيمن في كل شيء، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَانَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنْعُلِهِ" (٢).

وإن تجويد أداء الصدقة أيضاً يكون بتحري أدائها باليمين.

وأجود الصدقة والزكاة أن تُعطى للأحق بها، وإن أحق الناس بها هم الأهل والعيال المحتاجون، الذين لا يسدُّ مال راعيهم حوائجهم، ولذا؛ فإن النبي ﷺ حث على سد حوائج الأهل، فعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رِقَبَةٍ، وَدَيْنَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مَسْكِينٍ، وَدَيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ" (٣).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الزَّكَاةِ/بَابُ الصَّدَقَةِ بِالْيَمِينِ، ص: ٣٤٦، رقم الحديث ١٤٢٣].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلَاةِ/بَابُ التَّيْمَانِ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، ص: ١١٥، رقم الحديث ٤٢٦].

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الزَّكَاةِ/بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ، وَإِثْمُ مَنْ ضَيَعَهُمْ أَوْ حَبَسَ نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ، مج ١/٤٤٥، رقم الحديث ٩٩٥].

والزكاة والصدقة لها أصناف من الناس تؤدي إليهم، قد بينها الله ﷺ في كتابه الكريم فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، ومن التجويد في أداء الصدقات للأصناف الثمانية أن يبدأ بمن هو أولى وأحقُّ بسدِّ حاجته من هذه الأصناف.

قال أبو بكر بن العربي: "المسألة الثانية والعشرون: إذا قلنا: إن الأصناف الثمانية مستحقون، فيأخذ كل أحد حقه وهو الثمن، ولا مسألة معنا.

وإن قلنا: إن الإمام يجتهد، وهو الصحيح؛ فاختلف العلماء بأي صنف يبدأ.

فأما العاملون فإن قلنا: إن أجرتهم من بيت المال، فلا كلام.

وإن قلنا: إن أجرتهم من الزكاة فيهم نبدأ، فنعطيهم الثمن على قول، وقد أجرتهم على الصحيح في الشرع؛ فإن الخبر بأن يعطى كل أجير أجره قبل أن يجف عرقه مأثور اللفظ صحيح المعنى، ويشير المؤلف هنا إلى حديث "أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ"^(٢).

(١) [التوبة: ٦٠].

(٢) [الطحاوي: شرح مشكل الآثار، باب بَيَانِ مُشْكِْلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَجْرِ الْأَجِيرِ عَلَى الْعَمَلِ، مَتَى يَجِبُ لَهُ أَخْذُهُ مِنْ مُسْتَأْجِرِهِ عَلَيْهِ، ج ٨/١٣، رقم الحديث ٣٠١٤].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمَارٍ الْمُؤَدَّنُ، عَنِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

• تخريج الحديث/

أخرجه ابن ماجة في سننه بمثله (٨١٧/٢)، من طريق العباس بن الوليد الدمشقي عن عبد الله بن عمر به.

وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بنحوه (٢٠٠/٦) من طريق سعيد المقبري به .

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٤/١٢)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٢٠٠/٦)، وأورده في

المطالب العالية (٤٢٩/٧)، ثلاثتهم بنحوه من طريق ذكوان السمان به .

فإن أخذ العامل حقه فلا يبقى صنف يترجح فيه إلا صنفان؛ هما سبيل الله والفقراء، أو ثلاثة أصناف إن قلنا: إن الفقراء والمساكين صنفان، فأما سبيل الله إذا اجتمع مع الفقر فإن الفقر مقدم عليه إلا أن ينزل بالمسلمين حاجة إلى مال الصدقة فيما لا بد منه من دفع مضرة، كما تقدم، فإنه يقدم على كل نازلة.

وأما الفقراء والمساكين فالصحيح أنهم صنفان، ولا نبالي بما قال الناس فيهما، وها أنا ذا أريحكم منه بعون الله؛ فإن قال القائل بأن الفقير من له شيء والمساكين من لا شيء له، أو بعكسه، فإن من لا شيء له هو المقدم على من له شيء، فهذا المعنى ساقط لا فائدة فيه.

وأما إن قلنا: إن الفقير هو الذي لا يسأل، والمساكين هو الذي يسأل فالذي لا يسأل أولى؛ لأن السائل أقرب إلى التفتن والغنى، والعلم به ممن لا يسأل، ولا يفتن له فيتصدق عليه.

وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمثله مطولاً (١٩٩/٦) من طريق أبو سلمة بن عبد الرحمن به. كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- مُحَمَّدُ بْنُ عَمَارٍ الْمُؤَدَّنُ: محمد بن عمار بن حفص بن عمر بن سعد القرظ المدني المؤذن الملقب كشاكش لا بأس به. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٩٨).

وقال ابن المديني: ثقة. وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال أبو حاتم: شيخ ليس به بأس يكتب حديثه.

وقال الدوري، عن ابن معين: لم يكن به بأس. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣/٦٥٤).

قال ابن حبان: وكان ممن يخطئ ويتفرد. ابن حبان، الثقات (٧/٤٣٦).

قال الباحث: صدوق.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

فيه محمد بن عمار المؤذن وهو صدوق .

ولا خلاف أن الزَّمن^(١) مقدم على الصحيح، وأن المحتاج مقدم على سائر الناس، وأن المسلم مقدم على الكتابي.

وقد سقط اعتبار الهجرة والتقرب بذهاب زمانهما، فلا معنى للاحتجاج على ذلك كله، والحمد لله الذي من بالمعرفة وكفانا المئونة^(٢)، فالتجويد في أداء الصدقة في هذا المقام باتباع الأولى والأكثر أحقية من الأصناف التي ذكرها ابن العربي في كتابه.

ولقد كانت للصدقات باختلاف مصارفها خيرية وأفضلية أجود في إنفاقها، حيث تجويد الصدقة بإنفاقها على الأقارب وذوي الرحم أولى من إنفاقها على غيرهم، فهم إن كانوا أحبة فهي إحسان وصلّة لهم، وإن كانوا أعداء فهي إحسان لهم، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: عَلَى ذِي الرَّجْمِ الْكَاشِحِ^(٣).

(١) الزَّمن: فَأَمَّا الزَّيْمَانَةُ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ فَتُقْعِدُهُ، فَالْأَصْلُ فِيهَا الضَّادُ، وَهِيَ الضَّمَانَةُ . ابن فارس، مقاييس اللغة (٢٣/٣) .

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن (ج٢/٥٣٥) .

(٣) [الدارمي: سنن الدارمي، مِنْ كِتَابِ الزَّكَاةِ/بَابِ الصَّدَقَةِ عَلَى الْقَرَابَةِ، ج ٢/١٠٤٥، رقم الحديث ١٧٢١].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبَادِ بْنِ الْعَوَّامِ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ.

• تخريج الحديث/

أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٢٤)، وأخرجه المرزوي في البر والصلة (ص: ٨٥)، كلاهما من طريق سفیان بن الحسين.

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٢٦/٣) من طريق حجاج بن أرطاة. كلاهما عن الزهري به بمثله .

• الشواهد:

وأخرجه الحميدي في مسنده (٣٢٧/١)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٥٦٤/١)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٧٨/٤)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٤٣/٧)، أربعتهم من طريق سفیان بن الحسين عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها - .

والكاشح هو المعادي الذي آذى قريبه أو رحمه، فتجويد عبادة الصدقة بإعطائه إياها لسد حاجته من نفس رضية تقرباً لله ﷻ، كما أن النبي ﷺ بين السبيل لإخراج الصدقة والزكاة وترتيب مصارفها، فقد جاء عن جابر، قال: أعتق رجلٌ من بني عُذرة عبداً له عن دبر^(١)، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: "ألك مالٌ غيرُه؟" فقال: لا، فقال: "مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟" فاشترَاهُ نُعَيْمٌ بِنُ

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- سفيان بن حسين بن حسن أبو محمد أو أبو الحسن الواسطي ثقة في غير الزهري باتفاقهم. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٤٤).

قال ابن أبي خيثمة، عن يحيى: ثقة في غير الزهري، لا يدفع، وحديثه عن الزهري ليس بذلك، إنما سمع منه بالموسم. وقال الدوري، عن ابن معين نحوه منه. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، يكتب حديثه، ولا يحتج به، مثل ابن إسحاق، وهو أحب إلي من سليمان بن كثير. وقال عثمان بن أبي شيبة: كان ثقة إلا أنه كان مضطرباً في الحديث قليلاً. وقال في "الضعفاء": يروي عن الزهري المقلوبات، وذلك أن صحيفة الزهري اختلطت عليه. وقال العجلي: ثقة. وقال البزار: واسطي ثقة. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق، ثقة، وفي حديثه ضعف. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢/٥٤).

قال يحيى بن معين: صالح. مغلطي، إكمال تهذيب الكمال (٥/٣٨١).

قال الباحث: هو ثقة، إلا في حديث الزهري؛ ما لم يوافق الثقات.

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح. وله شواهد.

ويعلق الباحث على حكمه بصحة الإسناد فيقول:

إنَّ ضَعْفَ سفيان بن حسين: وهو الواسطي في روايته عن الزهري، إنما يكون كما قال ابن عدي: "ولسفيان أحاديث، عن الزهري وغيره، وهو في غير الزهري صالح الحديث كما قال ابن معين ومن الزهري يروي عنه أشياء خالف فيها الناس من باب المتن ومن الأسانيد" ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال (ج ٤/٤٧٧).

وإن سفيان بن حسين هنا لم يخالف في المتن ولا في الإسناد، وله شواهد من حديث أبي أيوب الأنصاري، وحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط.

كما أن بقية رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح غير أيوب ابن بشير الأنصاري، فقد روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي، وهو ثقة.

(١) عَنْ دُبْرِ: قَوْلُهُ: (عَنْ دُبْرِ)، مَعْنَاهُ قَالَ لَعْبِدِهِ: أَنْتَ حَرٌّ بَعْدَ مَوْتِي. العيني، عمدة القاري شرح صحيح

البخاري (ج ١٢/٣٤١).

عَبَدَ اللهُ الْعَدَوِيَّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا" يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ^(١).

وتعظم الجودة مكانة حين تكون من أطيب ما كسب المؤمن، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾^(٢)، فينتقي من ماله أجوده وأطيبه وأحسنه وأحبه إليه، وقد حث النبي على ذلك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "نِعْمَ الصَّدَقَةُ اللَّفْحَةُ"^(٣) الصَّفِيُّ مَنَحَةٌ، وَالشَّاةُ الصَّفِيُّ مَنَحَةٌ، تَعْدُو بِإِنَاءٍ، وَتَرُوحُ بِآخَرَ"^(٤).

ومعنى الحديث: "يقول النبي ﷺ: "نعم الصدقة اللقحة" وهي الناقة الحلوب قرب الولادة "الصفى" الحلوب التي تحلب لبناً كثيراً "منحة"، والمعنى أن من أفضل الصدقات المحمودة أن تعير ناقتك الحلوب قرب ولادتها لغيرك، فتلد عنده، وتبقى لديه يشرب من لبنها، ويتغذى منها، حتى إذا انتهى لبنها ردها عليك "والشاة الصفى منحة" أي وكذلك من أفضل الصدقات المحمودة إعاة الشاة الصفى التي "تعدو بإناء، وتروح بإناء" أي التي تحلب في الصباح إناء، وفي المساء إناء"^(٥).

وقد ارتبطت الزكاة بفريضة وعبادة أخرى تليها، ألا وإنها صيام شهر رمضان، وقد افترض الله زكاة الفطر فيه ليطهر الصائم مما كان من درن نقص في أداء عبادة الصيام، بل إن الصيام فيه نوع من تطهير النفوس من الكبر، وإكساب المسلم خلق التواضع الذي به تزكو النفس وتطهر من أمراضها .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الزَّكَاةِ/بَابُ الْإِبْتِدَاءِ فِي النَّفَقَةِ بِالنَّفْسِ ثُمَّ أَهْلِهِ ثُمَّ الْقَرَابَةِ، مج ٤٤٥/١، رقم الحديث ٩٩٧].

(٢) [البقرة: ٢٦٧].

(٣) [اللفحة: اللّفحة هي المخصّصة بالمذح . ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٥/٢٤٤)].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَشْرِيَةِ/بَابُ شُرْبِ اللَّبَنِ، ص: ١٤٢٤، رقم الحديث ٥٦٠٨].

(٥) [قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (ج٥/١٨٩)].

المطلب الرابع

الجودة في الصيام

الصيام لغة: الإمساك عن الشيء، كلاماً كان أو طعاماً. ودليل ذلك قوله تعالى، حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(١) أي إمساكاً وسكوتاً عن الكلام..

والصيام شرعاً: إمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية^(٢).

فالصيام عبادة مخصوصة لله ﷻ بأجرها، حيث أن الله ﷻ استأثر بالأجر لنفسه ولم يبيّن مقداره لعباده، وإن ذلك الاستئثار بإخفاء الأجر عنده ﷻ، لهو مدعاة للمسلم لأن يُجود تلك العبادة العظيمة.

وعبادة الصيام لها أسرار تكمن فيها عند أدائها، أحدها يكون في نفس مؤديها وتظهر على سلوكه وفي معاملاته، بل إنها عبادة خُلِقَتْ بدرجة أولى، مع الله ﷻ أولاً، ثم مع النفس، ولأنها كذلك جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي"^(٣).

فتجويد تلك العبادة -كما أي عبادة يتقرب العبد بها إلى الله ﷻ- أن تكون خالصة لله ﷻ وحده لا شريك له وذلك مراده تعالى بقوله "من أجلي"، وإن الإحسان باصطلاحه الشرعي لينتقل في أداء عبادة الصيام، وذلك سرُّ تربوي من أسرار الصيام، عميق في معانيه وتحقيق أهداف تلك العبادة .

فالصيام يوقظ قلب العبد من الغفلة عن مراقبة الله ﷻ، بل يجعله دائم اليقظة لأي حركة أو سكرة منه، فلا يتجرأ أن يجعل الله ﷻ أهون الناظرين إليه، ولا أن يتعدى حدود الله ﷻ،

(١) [مريم: ٢٦] .

(٢) الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ٢/٧٣) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ/بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لِيُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ] {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} «حَقٌّ» {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} «بِاللَّعِبِ»، ص: ١٨٤٩، رقم الحديث ٧٤٩٢ .

ولذلك كلما كان العبد مُجَوِّدًا لصيامه -صواماً-، كان ذلك التجويد بكثر الصيام أدعى لتحقيق المراقبة وتنمية خلق الإحسان في النفس.

كما أن تجويد الصيام لا يكون بالامتناع عن الطعام والشراب والشهوة على حسب قاعدة المراقبة -خلق الإحسان- وحسب، فكم من امرئ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ"^(١).

(١) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد، مُسْنَدُ الْمُكْتَرِبِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ/مُسْنَدُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، ج ١٤/٤٤٥، رقم الحديث ٨٨٥٦].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

• تخريج الحديث/

أخرجه النسائي في سننه الكبرى بمثله (٣/٣٤٨)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه بلفظه (٣/٢٤٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه بمثله (١/٥٩٦)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظه (١١/٤٢٩)، أربعتهم من طريق أبي سعيد المقبري "كيسان".

وأخرجه النسائي في سننه الكبرى بمثله موقوفاً (٣/٣٤٨)، و (٣/٣٤٩)، و (٣/٣٧٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه بمثله (١/٥٣٩)، وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه (١٥/٤٢٨)، وأخرجه الدارمي في مسنده بنحوه (٣/١٧٨٨) برقم: (٢٧٦٢)، وأخرجه البزار في مسنده بمثله (١٥/١٤٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بمثله (٨/٢٥٧)، والبيهقي في سننه الكبرى بمثله (٤/٤٤٩)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان بمثله (٥/٢٤٥)، سبعتهم من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري. كلهم عن أبي هريرة ﷺ به.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- عَمْرُو: عمرو بن أبي عمرو ميسرة مولى المطلب المدني أبو عثمان ثقة ربما وهم من الخامسة مات بعد الخمسين. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٤٢٥).

قال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: ليس به بأس. وقال ابن معين: ضعيف. وقال أبو حاتم: لا بأس به. وقال الساجي: صدوق إلا أنه يهم. وقال ابن عدي: لا بأس به لأن مالكا يروي عنه، ولا يروي مالك إلا عن صدوق ثقة. وقال أبو زرعة: ثقة. وقال ابن حبان في "الثقات": ربما أخطأ، يعتبر حديثه من رواية

بل إن هذه العبادة تتعدى حدود شهوة البطن والفرج إلى ما يقع فيه المسلم من آفات اللسان أو البطش بجوارحه، ويتمثل ذلك التجويد لعبادة الصيام، بالتزام أمر النبي ﷺ بأخلاق الصائم، فالتجويد هنا هي مجاهدة للنفس على التزام حدود الله ﷻ والتلفظ بما يفسد الصيام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ رَوَايَةً أَيْضًا، قَالَ: "إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيُقِلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ"^(٢).

ففي وحي النبي ﷺ حثُّ للصائم على امتلاك نفسه ما استطاع، وألا يدع للشيطان منفذاً يوقعه به في شركه.

فأما من أراد الوقاية من شرك الشيطان، فليتخذ حصناً حصيناً بالصوم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيُقِلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ"^(٣).

الثقات عنه. وقال الذهبي: حديثه حسن منقطع عن الرتبة العليا من الصحيح. وقال الطحاوي: تكلم في روايته بغير إسقاط. وقال النسائي: ليس بالقوي. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٣/٢٩٤). قال الباحث: هو ثقة مقارب. أي مقارب لحديث الثقات ويعتبر حديثه مثل حديثهم.

• الحكم على الإسناد/
إسناد صحيح.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ/بَابُ مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ فِي الصَّوْمِ، ص: ٤٥٨، رقم الحديث ١٩٠٣].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الصِّيَامِ/بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ لِلصَّائِمِ، مج ١/٥١٠، رقم الحديث ١١٥١].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ/بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ، ص: ٤٥٦، رقم الحديث ١٨٩٤].

قال ابن حجر: "والجنة بضم الجيم الوقاية والستر ...، وأما صاحب النهاية فقال معنى كونه جنة أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات وقال القرطبي جنة أي سترة يعني بحسب مشروعيته فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه ...، وقال ابن العربي إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة"^(١)، وقد أخبر النبي ﷺ أن عبادة الصوم وقاية من الوقوع في معصية شهوة الفرج فهي شهوة لا بد منها ، وهي أشد الشهوات وقعا على الإنسان فأرشد النبي ﷺ بأن وجود الإنسان حفظه لنفسه من الوقوع في الحرام بأداء هذه العبادة، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"^(٢).

قال ابن حجر في شرحه للحديث: "قوله فيه ومن لم يستطع أي لم يجد أهبة النكاح قوله فعليه بالصوم فإنه له وجاء بكسر الواو وبجيم ومد وهو رض الخصيتين وقيل رض عروقهما ومن يفعل به ذلك تنقطع شهوته ومقتضاه أن الصوم قانع لشهوة النكاح، واستشكل بأن الصوم يزيد في تهيج الحرارة وذلك مما يثير الشهوة لكن ذلك إنما يقع في مبدأ الأمر فإذا تمادى عليه واعتاده سكن ذلك"^(٣).

والصيام يُجَوِّدُ أيضاً بالإنفاق والجود، والإكثار من أعمال البر والخير المجودة التي تحفز نفس المؤمن للطاعة، وقد كان النبي ﷺ جواداً كريماً لا يرد سائلاً، بل يكثر من العطايا والإنفاق في سبيل الله في شهر الصيام، شهر رمضان الذي كُتِلَ وَزِيَّنَ بالصيام، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٤/١٠٤) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ/بَابُ: الصَّوْمُ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْعُزْبَةَ، ص: ٤٥٩، رقم الحديث ١٩٠٥] .

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج٤/١١٩) .

جَبْرِيلُ، وَكَانَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ" (١).

إن أداء عبادة الصيام في شهر رمضان المبارك، لهو من جميل اقتران العبادات وتجويدها، فيجزل الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لعباده الأجر، فعبادة الصيام قرينة لعبادة القرآن، وإن تجويد العبد للصيام يشفعه فيه يوم القيامة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: "الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَيُشَفِّعَانِ" (٢)، وقد اختص النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك الشهر

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ/بَابُ: أَجْوَدُ مَا كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، ص: ٤٥٩، رقم الحديث ١٩٠٢].

(٢) [الحاكم: المستدرک على الصحيحين، كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ/أَخْبَارٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ جُمْلَةً، ج ١/٧٤٠، رقم الحديث ٢٠٣٦].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، ثنا هَارُونُ بْنُ سَعِيدِ الْأَيْلِيِّ، ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي حَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبَلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

• تخريج الحديث/

أخرجه ابن المبارك في مسنده بمثله (٥٨/١)، وفي الزهد والرقائق بنحوه (١١٤/٢)، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله (١٩٩/١١)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بنحوه (٣٨/١٣)، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٦١/٨)، كلهم من طريق حبي بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو به.

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- حَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: حبي بن عبد الله بن شريح المعافري المصري صدوق يهمل. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ١٨٥).

قال ابن عدي: وأرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة. ابن عدي، الكامل في الضعفاء (٣/٣٨٧). وقال ابن معين: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في "الثقات". وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال البخاري: فيه نظر. ابن حجر، تهذيب التهذيب (١/٥١٠). قال الباحث: هو صدوق، إذا روى عن الثقة.

العظيم بسنية العمرة والتي تعدل حجة معه ﷺ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَجَّتِهِ قَالَ لِأُمِّ سِنَانِ الْأَنْصَارِيَّةِ: "مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟"، قَالَتْ: أَبُو فَلَانٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاضِحَانِ حَجَّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالْآخَرَ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: "فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أَوْ حَجَّةً مَعِي" (١) .

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن .

فيه "حيي بن عبد الله" صدوق يهمل، قال فيه ابن عدي: "أرجو أنه لا بأس به إذا روى عنه ثقة".
ابن حجر، تهذيب التهذيب (١/٥١٠) .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ/بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ، ص: ٤٤٨، رقم الحديث ١٨٦٣] .

المطلب الخامس الجودة في الحج والعمرة

• الحج

لغة القصد: وقال الخليل: كثرة القصد إلى من يُعظم.

وشرعاً: القصد إلى بيت الله الحرام لأداء عبادة مخصوصة بشروط مخصوصة.

• العمرة:

العمرة لغة: الزيارة، يقال اعتمر فلاناً: أي زاره، وقيل: القصد إلى مكان عامر.

وشرعاً: القصد إلى بيت الله الحرام، في غير وقت الحج، لأداء عبادة مخصوصة بشروط

مخصوصة.

الفرق بين الحج والعمرة:

الحج يختلف عن العمرة من حيث الزمان، وفي بعض الأحكام. أما من حيث الزمان، فالحج له أشهر معلومات لا يجوز غيرها ولا تصح نية الحج إلا فيها، وهذه الأشهر: شوال، وذو القعدة، والعشر الأول من ذي الحجة. وأما العمرة فالسنة كلها زمان لأدائها، ما عدا أيام الحج لمن نوى به فيها^(١).

الحج من أفضل الجهاد كما أخبر النبي ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَعْرُزُ وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: "لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ"، فَقَالَتْ عَائِشَةُ "فَلَا أَدْعُ الْحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^(٢).

وإن الجودة في الحج والعمرة ببرهما، أي بأداء نسكهما كاملة من غير نقصان، بل والتزام آدابهما التي أمر بها النبي ﷺ، فمن جَوَّدَ حجه بالتزامه بذلك؛ فيرجع كيوم ولدته أمه، وقد بيَّن

(١) الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٢/١١٣).

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ/بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ، ص: ٤٤٨، رقم الحديث ١٨٦١].

النبي ﷺ ماهية الحج المبرور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ"^(١).

فالحج قربة لله تعالى، حقٌّ على المسلم أن يُجَوِّدَهَا لِنِيَالِ أَجْرِهَا وَثَوَابِهَا، كما أن تجويد الحج يكون بشدِّ الرِّحَالِ، عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مَعَهَا أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْمَرَهَا مِنَ النَّتْعِيمِ، وَحَمَلَهَا عَلَى قَنْبٍ" وَقَالَ عُمَرُ ﷺ: "سُدُّوا الرِّحَالَ فِي الْحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ"^(٢).

قال ابن حجر: "ومعناه إذا فرغتم من الغزو فحجوا واعتمروا وتسمية الحج جهاداً إما من باب التغليب أو على الحقيقة والمراد جهاد النفس لما فيه من إدخال المشقة على البدن والمال"^(٣).

وإن اتباع سنة النبي ﷺ في أفعال الحج هي من تجويده، فهي ليست أركاناً تركها يفسد الحج، ولكنها اتباع للنبي ﷺ وتحريماً لتطبيق سنته ﷺ، فبعض الأفعال كان النبي ﷺ يفعلها ولم يُنصَّ العلماء عليها بأنها أركان للحج، ومثال ذلك تقبيل الحجر الأسود، ففي ذلك جاء عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ قبَلَ الحَجَرَ، وَقَالَ: "لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ"^(٤).

قال ابن حجر: "أراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل رسول الله ﷺ"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ، ص: ٣٧٠، رقم الحديث ١٥٢١].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ الْحَجِّ عَلَى الرَّحْلِ، ص: ٣٧٠، رقم الحديث ١٥١٦].

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ٣/٣٨١).

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ تَقْبِيلِ الْحَجْرِ، ص: ٣٩١، رقم الحديث ١٦١٠].

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ٣/٤٦٣).

خلاصة المبحث:

إن العبادات هي الطريق إلى الله ﷻ في نيل الدرجات العلاء، وإن درجات الجنة يتفاوت فيها المسلمون على قدر قبول الله ﷻ لطاعاتهم وقرباتهم، فكلما جُودت الطاعة زاد القرب من الله ﷻ، وكلما زاد القرب من الله ﷻ زادت محبة الله ﷻ للعبد، حتى يكون من أوليائه وأصفيائه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَتُنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"^(١).

فتجويد العبادات مدعاة ليرتقي المسلم درجة عند الله ﷻ، وتجويد العبادات إيدان بإسقاط حق الله ﷻ على العبد المسلم، فحق الله ﷻ أحق أن يوفى كاملاً بإجادة المؤمن المحسن مخلص الإيمان.

ختامًا: إن العبادات باب شامل من أبواب الدين تتدرج تحته كثير من الأبواب، وفهم باب العبادات من حيث الأداء وتجويده، ومعرفة المقصود منه، ركن في الدخول إلى الأبواب الأخرى والتبحر فيها، ولذلك كان العهد المكي كله يركز على تأسيس الإيمان العقدي -العقيدة- المتصل بالعبادات، كالصلاة والصيام، إلى أن أذن الله ﷻ لرسوله ﷺ بالهجرة، والتي دشنت بها العهد المدني الذي كان أول تشيئه المعاملات التي حكمت العلاقة بين المهاجرين والأنصار أول الأمر، ثم حكمت العلاقة بين المسلمين فيما بينهم، والمسلمين مع غير المسلمين، والتي على إثرها أقام النبي ﷺ دولة الإسلام .

(١) سبق تخريجه، (ص ٥٤) .

المبحث الثاني الجودة في المعاملات

تمهيد:

إن حياة الناس تقوم على المعاملات، التي مناطها^(١) تبادل المنافع بينهم بأنواعها، وإن تجويدها هو تجويد لما تقوم عليه الحياة، فتجعلها مستقرة، ولذلك كانت الأخلاق أساساً في المعاملات .

وقد عهد الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت أخلاقه مثلاً قوياً في كل معاملاته التي تنضوي تحت أوامر وشريعة الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة في معاملاته مع الناس كافة، وكان شعاره صلى الله عليه وسلم في تجويد معاملاته مع المسلمين الرحمة والرأفة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)، ولذلك امتدح النبي صلى الله عليه وسلم المرء الذي يكون في معاملاته سمحاً رحيماً، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"^(٣).

أما غير المسلمين، فقد كان شعار النبي صلى الله عليه وسلم في تجويد معاملته معهم هو العدل والإقسط، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

(١) مناط الحكم: علته "مناط الحكم بتحريم الخمر هو الإسكار". عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج٣/٣٠٦) .

وقد عبر الشاطبي عن المناط بشرحه في حاشية الموافقات وذكر الأمثلة عليه، فقال: "المناط هو الوصف الذي نيط به الحكم، وتحقيقه إثبات العلة في إحدى صورها التي خفيت فيها العلة؛ كتحقيق أن النباش سارق، بأنه وجد فيه أخذ المال خفية وهو السرقة، فتقطع، ولكن المؤلف هنا أراد بتحقيق المناط إثبات الوصف الذي نيط به الحكم مطلقاً؛ ففي حرمة السكر كونه خمراً، وفي جواز الوضوء بالماء كونه مطلقاً، وفي رفع زيد ونصب عمرو كونه فاعلاً، وفي حدوث العالم كونه متغيراً". الشاطبي، الموافقات (٣/٢٣١) .

(٢) [التوبة: ١٢٨] .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ في عَقَافٍ، ص: ٥٠٠، رقم الحديث ٢٠٧٦] .

وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ^(١)، قال السعدي: "أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلّتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة"^(٢).

(١) [الممتحنة: ٨] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٥٧) .

المطلب الأول

الجودة في المعاملات المالية (البيع والصرف)

تتعدد المعاملات المالية في ديننا الحنيف، وإن النظام الاقتصادي الذي أسسه النبي ﷺ تقوم عليه الدول العظمى، ولم تترك شريعة الإسلام معاملة مالية إلا وقد كفلت بيان حدودها، إما من كلام الله ﷻ، أو سنة نبيه ﷺ، أو اجتهاد العلماء وفتواهم (الإجماع)، أو القياس، وهذه هي المصادر الأربعة للتشريع الإسلامي، وتتعدد المعاملات المالية باختلاف هيئاتها وسبل إنشائها وانتهائها، أذكر منها اثنتين من أكثر ما يتداوله الناس في معاملاتهم:

أولاً: الجودة في البيع

البيع هو: عقد يرد على مبادلة مال بمال تمليكاً على التأيد. وذلك يعني: أنه لا بد في تبادل الأموال على سبيل التملك من العقد، وكذلك لا يكون البيع والشراء إلا بما يُعتبر مالاً في عُرف الشرع، وأيضاً لا بد في البيع من الملك والمليك، وأن لا يكون ذلك محددًا بوقت^(١)، ودليل مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢)، وإن تجويد البيع يكون بإتمامه على الهيئة التي بين شرعتها النبي ﷺ، وما شرحه الفقهاء وقعدوا له القواعد التي تضبطه للمتبايعين، فأول ضابط ليكون البيع مجوداً ألا يُعش، عن أبي هريرة ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»^(٣).

فدلّ الحديث على أن إخفاء العيب غش، وأن من واجب البائع أن يظهر العيب الذي في المبيع ويبينه للناس^(٤)، فتجويد البيع يكون في إظهار البائع للردية ليراه الناس، لا أن ينفق تجارته بغشهم، لذلك فإن التجويد يكون في الصدق والوضوح في البيع، فمن جودَ ببعه بالصدق

(١) الخن وأخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ٩/٦) .

(٢) [البقرة: ٢٧٥] .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، مج ٥٨/١، رقم الحديث ١٠٢] .

(٤) الخن وأخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ٢٥/٦) .

والبيان بورك له في بيعه، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِرَامٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا، -أَوْ قَالَ: حَتَّى يَنْفَرَقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"^(١).

ثم السبيل لكسب ودّ الناس في البيع والشراء هي في السماحة المتمثلة في أخلاق البائع الذي امتدحه النبي صلى الله عليه وسلم لسماحته، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"^(٢).

ثانياً: الجودة في الصرف

الصرف هو: بيع كل واحد من عوضيه من جنس الأثمان، أو: هو بيع النقد بالنقد. والمراد بالأثمان والنقد الدراهم والدنانير أو ما كان من جنسهما، وهو الذهب والفضة مطلقاً، سواء أكانت مضروبة أم مصوغة أم غير ذلك، ويدخل في هذا العملات المتعارفة في هذه الأيام، لأن لها رصيماً ذهبياً محفوظاً، وكل قطعة منها عبارة عن وثيقة بيع أو شراء ما يقابلها من هذا الرصيد المحفوظ، ومن الواضح أن التعامل بها في هذه الأيام يقوم مقام التعامل بالدراهم والدنانير في الأيام السالفة، فوجب أن تنزل منزلتها في الحكم الشرعي^(٣)، فيكون تجويد الصرف بتحري الصارفين كون الصرف كاملاً في المجلس الواحد قبل أن يفترقا، عَنْ أَبِي الْمُنْهَالِ، يُقُولُ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ عَنِ الصَّرْفِ، فَقَالَ: كُنَّا تَاجِرِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الصَّرْفِ، فَقَالَ: "إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ كَانَ نِسَاءً فَلَا يَصْلُحُ"^(٤).

قال العيني: "قوله: (إن كان يدا بيد)، يعني: متقابضين في المجلس"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْبُيُوعِ/بَابُ مَا يَمْحَقُ الْكُذْبُ وَالْكَثْمَانُ فِي الْبَيْعِ، ص: ٥٠١، رقم الحديث ٢٠٨٢].

(٢) سبق تخريجه، (ص ١٩١).

(٣) الخن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج ٦/٩٤).

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْبُيُوعِ/بَابُ التَّجَارَةِ فِي الْبَرِّ وَغَيْرِهِ، ص: ٤٩٧، رقم الحديث ٢٠٦٠، ٢٠٦١].

(٥) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ١١/٢٥٠).

المطلب الثاني

الجودة في معاملات الأحوال الشخصية (النكاح)

إن النكاح هو باب من أبواب الأحوال الشخصية، التي تتعدد المعاملات فيها، ويقصد بالأحوال الشخصية: الأوضاع التي تكون بين الإنسان وأسرته، وما يترتب عليه هذه الأوضاع من آثار حقوقية، والتزامات مادية أو أدبية.

وإطلاق هذا الاصطلاح على هذا المعنى إطلاق حديث، أُطلق في مقابلة الأحوال المدنية، التي تنظم علاقات الإنسان بأفراد المجتمع خارج حدود الأسرة.

أما الفقهاء قديماً، فلم يكونوا يطلقون هذا الاسم (الأحوال الشخصية) على المبادئ والأحكام الشاملة للأسرة ومرتبطاتها، وإنما كانوا يطلقون على كل باب اسماً خاصاً: مثل: كتاب النكاح. كتاب الصداق. كتاب النفقات. كتاب الطلاق. كتاب الفرائض. وهكذا^(١).

ويختلف تجويد معاملات الأحوال الشخصية باختلاف المعاملة وهيئة اسمها وهيئتها التي وضعتها الشريعة الإسلامية .

• **النكاح شرعاً:** عقد يتضمن إباحة استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع^(٢).

فحث النبي ﷺ على تجويد النكاح بتحقيق شروطه والتزامها، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُؤْفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ"^(٣).

وإنما التجويد بتحقيق الشروط لما في ذلك من ميثاق غليظ تستحل به فروج النساء، ولأن الرجل قوام على المرأة، كان التجويد في حقه، لما في المرأة من ضعف .

(١) الخِنْ وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٤/٩) .

(٢) الخِنْ وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٤/١١) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الشُّرُوطِ/بَابُ الشُّرُوطِ فِي الْمَهْرِ عِنْدَ عُقْدَةِ النِّكَاحِ، ص: ٦٦٦، رقم

الحديث ٢٧٢١] .

أما تجويد معاملة النساء فإنها جلية في حث النبي ﷺ على خلق الرفق بهن، عَنْ أَنَسٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلَامٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَسُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رُؤْيُكَ
 يَا أَنْجَسَةُ سَوْفَكَ بِالْقَوَارِيرِ" قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: يَعْنِي النَّسَاءَ^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلْفَنَ مِنْ ضِلَعٍ،
 وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ دَهَبَتْ نُفَيْمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا
 بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"^(٢).

فالجودة في المعاملة في هذا المقام تكون بإتقان فن التعامل مع النساء والتودد بهن، فلا
 يستغل الرجل القوامة بإيقاع الظلم على المرأة، من باب التقويم فلا يكون له مراده، ولا يكون
 تاركاً للمرأة تفعل ما يحلو لها دون توجيه فتبقى على اعوجاجها، ولكن الجودة في ذلك بأن
 يتوسط في الأمور، فلا يتشدد ولا يتساهل، وإنما تكون الحكمة بالتسديد والمقاربة، عَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا،
 وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرُّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"^(٣).

قال العيني: "ويقال: معنى سدّدوا الزموا السداد، أي: الصواب من غير تفريط ولا إفراط.
 قوله: (وقاربوا) بالباء الموحدة لا بالنون، معناه: لا تبلغوا النهاية بل تقربوا منها"^(٤).

كما أن التجويد في النكاح ظاهر في الإكثار من الزواج بما شرع الله ﷻ في الحد
 المسموح به شرعاً وهو أربع نساء، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ؟
 قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ: الْمَعَارِضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ، ص: ١٥٤٩، رقم الحديث
 . [٦٢١٠ .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ/بَابُ الْوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ، ص: ١٣٢١، رقم الحديث [٥١٨٦ .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ: الدِّينِ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ
 السَّمْحَةُ»، ص: ٢٠، رقم الحديث [٣٩ .

(٤) [العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ١/٣٧٢) .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ/بَابُ كَثْرَةِ النِّسَاءِ، ص: ١٢٩٣، رقم الحديث [٥٠٦٩ .

قال ابن حجر: "قيل المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساءً من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل" (١) .

كما أن التجويد في النكاح يكون بانتقاء الزوجة الصالحة التي أرشد إلى صفاتها النبي ﷺ، فكلما كان المسلم مجوداً لانتقائه لشريكة حياته وتفاصيلها، كانت حياته أملى بالسعادة والاستقرار، وإن كان غير ذلك؛ كانت حياته نكدةً غُضَّةً يَرجو بها الخلاص.

وما أجمل أن تكون الحياة في ظل دين الله ﷻ، حين ينتقي المسلم ذات الدين والخلق، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرِ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (٢).

فذات الخلق الذي يبني عليه الدين هي التي تورث السعادة لزوجها، بل تكون سبباً في إعانة زوجها على طاعة الله ﷻ، فلو تأمل المسلم أوائل سورة (المؤمنون) في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣)، لوجد أن الخلق لا ينفصل عن الدين، فبدأت الآية الأولى بصلاح العقيدة وفلاح صاحب الاعتقاد الصائب، ثم تلتها آيات عظيمة على التوالي كانت آية عبادة تليها آية أخلاق، فالصلاة عبادة تلتها آية الإعراض عن اللغو وذلك خُلُق، ثم الزكاة عبادة تلتها آية العفاف والطهارة بحفظ الفروج وذلك خُلُق، ثم تلتها آية خُلُق الأمانة، واختتمت الآيات بالعبادة، في بيان بأن الدين كله خلق .

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ٩/١١٤) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ النِّكَاحِ/بَابُ الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ، ص: ١٢٩٨، رقم الحديث ٥٠٩٠] .

(٣) [المؤمنون: ١-٩] .

المطلب الثالث

الجودة في معاملات التوثيق (الشهادة والبيّنة)

حين يتبادل مسلم منفعة مع أخيه المسلم، فقد شرع الله ﷻ له أن يوثق هذه المنفعة بما يضمن حق الطرفين فيها، من خلال توثيقها بطرق التوثيق المشروعة في دين الله ﷻ .

وأقصد بالتوثيق، الشهادة، والبيّنة، والأيمان، والكفالة، والضمان، حيث يُجَوِّدُ توثيق المعاملات لكل واحدة منها على اختلاف المعاملة الموثقة .

أولاً: الشهادة

الشهادة شرعاً: إخبار عن شيء بلفظ خاص، والحكمة من تشريع الشهادة صيانة للحقوق، وإثباتها، فلو لم تشرع الشهادة لأمكن أن يضيع كثير من الحقوق، ويتعذر إثباتها لأصحابها، وهذا ينافي غرض الإسلام وحرصه على أن يصل كل إنسان إلى حقه، من غير نزاع ولا صراع، فكان تشريع الشهادة تلبية إذاً لحاجة مقصودة، ومصلحة أكيدة^(١) .

وتجويد الشهادة للحكمة المذكورة آنفاً، يكون بالإقبال على الشهادة من المسلم الذي يحمل علم الحقيقة وإن لم يدعى لها، من باب إعانة أخيه المسلم على استرداد حقه، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا"^(٢) .

ففي ذلك تجويد وخيرية لأداء الشهادة، حيث أن النبي ﷺ جاء بلفظ "خير" ليبين الجودة والحسن، فخير هنا بمعنى الأفضل -أي أفضل وأحسن الشهداء- وفي ذلك حث على الشهادة .

ثانياً: البيّنة

البيّنات: جمع بيّنة، وهي: الحجة الواضحة، من البيان، وهو الإيضاح والكشف، والبيّنة شرعاً: هم الشهود سُمُّوا بذلك لأن بهم يظهر الحق ويتضح^(١) .

(١) الخنّ وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٨/٢١١) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الأفضلية/باب بيان خير الشهود، مج ٨٢٢/٢، رقم الحديث

. [١٧١٩

وإنما تكون البينة في خصام مسلمين، أحدهما هو المدعي، والآخر هو المدعى عليه:

المدعي: هو من خالف قوله الظاهر.

والمدعى عليه: هو من وافق قوله الظاهر.

والفرق بينهما أن المدعي يدعى حقاً على المدعى عليه، وقوله هذا مخالف للظاهر، وهو البراءة، والمدعى عليه ينكر ذلك الحق، والأصل - وهو البراءة - معه^(٢).

والبينة تكون في حق المدعي، لما يكتنف دعواه من الشك، فكان تحري دعواه على غيره أولى وأثبت للتأكد من صحة دعواه، ولذلك فإن تجويد العمل بتوثيق البينة يكون بالتحري عن صدق المدعي، عن ابن أبي مليكة، أن امرأتين، كانتا تخزران في بيت - أو في الحجرة -، فخرجت إحداهما وقد أنفذ بإسفى في كفها^(٣)، فادعت على الأخرى، فرفع إلى ابن عباس، فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: "لو يعطى الناس بدعواهم لذهب بماء قوم وأموالهم"، ذكروها بالله وأقرءوا عليهما: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ فَذَكَرُوها فَأَعْتَرَفَتْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ"^(٤).

فتحري صدق المدعي بالتحقق من البينة وصحتها يحفظ حقوق الناس من الضياع بادعاء الكاذبين أو المغرضين، فتجويد التحري من البينة يكون أيضاً بما فعله ابن عباس - رضي الله عنهما - من تذكير المدعي بالله ﷻ وبيان عاقبة الكذب إن كان كاذباً.

وتتعدد البينة في أشكالها وبياناتها، فمنها ما يكون بالشهود، ومنها ما يكون مقروناً بدليل حسي مادي، وإن إثبات البينة يُجَوِّدُ بتجويد الحفاظ على كنهها، ومن ذلك ما فعله النبي ﷺ

(١) الخزن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٨/٢٠٣).

(٢) الخزن وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي (ج٨/٢٠٤).

(٣) أَنْفَذَ بِإِسْفَى فِي كَفِّهَا: قَوْلُهُ "وَقَدْ أَنْفَذَ بِإِسْفَى" وَالْإِسْفَى وَهُوَ مِثْلُ الْمَسْلَةِ لَهُ مُقْبِضٌ يَخْرُزُ بِهَا الْإِسْكَافُ.

العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج١٨/١٨٩).

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّفْسِيرِ/بَابُ {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَّ قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا

خَلَقَ لَهُمْ} لَا خَيْرَ {أَلَيْمٍ} مُؤَلِّمٍ مُوجِعٍ مِنَ الْأَلَمِ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ مُفْعِلٍ، ص: ١١١٥، رقم الحديث ٤٥٥٢].

حين اتخذ خاتماً لكتبه المرسله إلى الملوك، حيث أن ذلك يضمن أن ذلك الكتاب قد أتى من الجهة المرسله له، فيضمن ألا يُزور أو يُعش حين يكون مختوماً بختم المرسل، عن أنس بن مالك، قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم، قالوا: إنهم لا يقرءون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة، كأنني أنظر إلى وببصيه^(١)، ونقشه^(٢): مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^(٣).

فاتخاذ النبي ﷺ للخاتم لإثبات نسبة كتبه إليه هو تجويد لإثبات البينة منه ﷺ، قال القسطلاني: "ويستفاد منه أن الكتاب إذا لم يكن مختوماً فالحجة بما فيه قائمة لكونه ﷺ أراد أن يكتب إليهم وإنما اتخذ الخاتم لقولهم إنهم لا يقبلون الكتاب إلا إذا كان مختوماً، فدل على أن كتاب القاضي حجة مختوماً كان أو غير مختوم، وفي الباب العمل بالشهادة على الخط وقد أجازها مالك وخالفه ابن وهب فيه، وقال الطحاوي: "خالف مالكاً جميع الفقهاء في ذلك لأن الخط قد يشبه الخط، وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: لا يقضى في دهرنا بالشهادة على الخط لأن الناس قد أحدثوا ضرورياً من الفجور"^(٤).

(١) وَبِبِصِيهِ: أي بريقه ولمعانه. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٥٢/٢٤) .

(٢) نَقْشُهُ: أي النقش الذي عليه. النقش: نقش الحجر ونحوه: نحت. الخن وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٢٦٨/٣) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَحْكَامِ/بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْخَطِّ الْمَخْتُومِ، وَمَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا يَضِيقُ عَلَيْهِمْ، وَكِتَابُ الْحَاكِمِ إِلَى عَامِلِهِ وَالْقَاضِي إِلَى الْقَاضِي، ص: ١٧٦٩، رقم الحديث ٧١٦٢] .

(٤) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (ج ١٠/٢٣٤) .

المطلب الرابع

الجودة في معاملة الوالدين وبرهما

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١).

لقد أكرم الله المسلم بمفتاحين لبابين من أبواب الجنة في الدنيا، فحق للمسلم أن يجود صنع هذين المفتاحين ليكونا سبباً في يسر وسهولة فوزه بالجنة ونعيمها.

إن هذين المفتاحين هما الأب والأم، اللذين قد جعل الله ﷻ برهما مقروناً بعبادته، وجعل عقوقهما من السبع الموبقات المهلكات للعاق، فأحق معاملة مع الخلق حق لها أن تجود هي بر الوالدين.

وتجويد بر الوالدين يكون بحسن الصحبة لهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: "أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أُمُّكَ" قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ أَبُوك"^(٢).

فتقديم الأم على الأب في البر بأضعاف ثلاثة في البر من التجويد في ترتيب أداء البر للأبوين.

وإن بر الوالدين يعدل الجهاد في سبيل الله، وقد ذكره النبي ﷺ في أفضل الأعمال وأجودها، وإن الإحسان يظهر في ذلك لما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ، قَالَ: "فَهَلْ مِنْكَ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟" قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: "فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا"^(٣).

(١) [الإسراء: ٢٣].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، ص: ١٥٠٠، رقم الحديث ٥٩٧١].

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ، مج ١١٨٧/٢، رقم الحديث ٢٥٤٩].

وقوله ﷺ "فَأَحْسِنُ صُحْبَتَهُمَا" أي ابذل قدر استطاعتك في برهما، وذلك من باب التحسين والتجويد في بر الأبوين .

والتجويد أظهر في بر الأبوين إن كانا غير مسلمين، حيث إن الإسلام يفرق بين المسلم والكافر وإن كان ذا رحم، إلا أن النبي ﷺ -وهو المبلغ عن ربه ﷻ- قد أبقى حبل الوصال بين الأبناء والوالدين موصولاً من باب البر، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: "نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ" (١) .

أما الصحابي الجليل ابن عمر ﷺ فقد كان مثلاً يحتذى به في تجويد بره بأبيه عمر بن الخطاب ﷺ حال حياته، وأهل ود أبيه -أي رفاق أبيه عمر ﷺ- بعد استشهاده، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَخْبَرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَلَا تَحْتُ وَرَقَهَا" فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَكْرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَلَمَّا لَمْ يَتَكَلَّمَا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هِيَ النَّخْلَةُ"، فَلَمَّا حَرَجْتُ مَعَ أَبِي قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَهَا، لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: مَا مَنَعَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَرَكَ وَلَا أَبَا بَكْرٍ تَكَلَّمْتُمَا فَكْرِهْتُ (٢) .

فابن عمر ورغم حداثة سنه وعلمه بإجابة سؤال النبي ﷺ إلا أنه آثر السكوت واستحبه على الكلام في حضرة أبيه عمر ﷺ وصاحبه أبي بكر ﷺ اللذين لم يتكلما بجواب سؤال النبي ﷺ، ففعل ابن عمر ﷺ من تجويد الأدب مع الوالد والبر به، وأما صلته ووده لأهل ود أبيه، فقد لقي ابن عمر أحد الأعراب فأكرمه لأجل أبيه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الهبةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيزِ عَلَيْهَا/بَابُ الْهَدِيَّةِ لِلْمُشْرِكِينَ. وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: لَا يَنْهَأَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ، وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] {الممتحنة: ٨}، ص: ٦٣٥، رقم الحديث [٢٦٢٠] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الأدبِ/بَابُ إِكْرَامِ الْكَبِيرِ، وَيَبْدَأُ الْأَكْبَرَ بِالْكَلامِ وَالسُّؤالِ، ص: ١٥٣٥، رقم الحديث [٦١٤٤] .

إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ^(١)، إِذَا مَلَ زُكُوبَ الرَّاحِلَةِ وَعِمَامَةً يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ، إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ ابْنَ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، قَالَ: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ، وَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا وَالْعِمَامَةَ، قَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ لَهُ: بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ مِنْ أَبْرَ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلِّيَ وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ"^(٢).

كما أن تجويد بر الوالدين يكون بتقديم الإنفاق عليهما على الإنفاق على الأهل والعيال تحريماً لعدم انتفاص حقهما، والحذر من إزعاجهما بأي أمر كان وإن كان في ذلك منفعة لهما، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَاشَوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَمَالُوا إِلَى غَارٍ فِي الْجَبَلِ، فَأَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا. فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أُرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ فَحَلَبْتُ بَدَأْتُ بِوَالِدِيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ وِلْدِي، وَإِنَّهُ نَاءَ بِي الشَّجَرِ"^(٣)، فَمَا أَتَيْتُ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ^(٤) فَفَقَمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا، أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِالصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَابَّهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ"^(٥).

(١) حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ: مَعْنَاهُ كَانَ يَسْتَنْصِبُ حِمَارًا لِيَسْتَرِيحَ عَلَيْهِ إِذَا صَجَرَ مِنْ زُكُوبِ الْبُعِيرِ. النُّووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٦/١١٠).

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ صِلَةِ أَصْدِقَاءِ الْأَبِ وَالْأُمِّ، وَتَحْوِهِمَا، مج ١١٨٩/٢، رقم الحديث ٢٥٥٢].

(٣) نَاءَ بِي الشَّجَرِ: مَعْنَاهُ: تَبَاعَدَ عَنِ مَكَانَتَا الشَّجَرِ الَّتِي تَرَعَاهَا مَوَاشِينَا. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/١٣٤).

(٤) الْحِلَابِ: هُوَ الْإِنَاءُ الَّتِي يَحْلُبُ فِيهَا. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/١٣٤).

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ، ص: ١٥٠١، رقم الحديث ٥٩٧٤].

المطلب الخامس

الجودة في معاملة الأرحام

يترايط المجتمع الإسلامي بالتراحم وصلة الأرحام والتزاور فيما بينه، حيث إن الصلة توثق أواصر المحبة والألفة والمودة بين الناس، وهي وسيلة للتعبير عن الحب المتبادل بين المسلمين.

فكانت مكانة الرحم عند الله ﷻ عظيمة، فشق الرحمن لها اسماً من اسمه ﷻ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ، شَفَقْتُ لَهَا اسماً مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئْتُ"^(١).

(١) [أبو داود: سنن أبي داود، كِتَابُ الرِّكَاءِ/بَابُ فِي صِلَةِ الرَّحْمِ، ج ٣/١١٩، رقم الحديث ١٦٩٤].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُنْفِيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

تخريج الحديث/

• وأخرجه الترمذي في سننه (٣١٥/٤)، وأخرجه البزار في مسنده (٢٠٦/٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (٢١٦/٣)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٤١/٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٥٣/٢)، وأخرجه الحميدي في مسنده (١٨٦/١)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (١٧٤/٤) و (١٧٥/٤).
كلهم بمثله مطولاً من طريق أبي سلمة .

أخرجه أبو داود في سننه بمعناه (١٣٣/٢)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بمثله (١٧١/١١)، وأخرجه أحمد في مسنده بمثله (٢١٢/٣)، وبنحوه (٢١٣/٣)، أخرجه ابن حبان في صحيحه بمثله (١٨٦/٢)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٣٧/٥)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بمثله (١٥٧/٤)، و (١٥٨/٤)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمثله (٤١/٧)، كلهم من طريق أبو الرداد الليثي .

وأخرجه أحمد في مسنده بنحوه مطولاً (١٩٨/٣)، وبمثله مطولاً (٢١٧/٣)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بمثله مطولاً (١٥٥/٢)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بمثله مطولاً (١٧٣/٤).

ثلاثتهم من طريق عبد الله ابن إبراهيم بن قارظ .

وأخرجه البزار في مسنده بنحوه (٢٦١/٣) من طريق ابن لعبد الرحمن بن عوف ، وبمثله (٢٠٥/٣) من طريق عبد الله بن عباس .

ثلاثتهم عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ به .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- سُفْيَانُ: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بأخرة وكان ربما دلس لكن عن الثقات. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٤٥).

قال بشر بن المفضل: ما بقي على وجه الأرض أحد يشبه ابن عيينة. وقال ابن المديني: قال لي يحيى بن سعيد: ما بقي من معلمي أحد غير ابن عيينة، فقلت: يا أبا سعيد، سفيان إمام في الحديث؟ قال: سفيان إمام منذ أربعين سنة. وقال ابن عمار: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: اشهدوا أن سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة، فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٥٩/٢).

وقال أبو حاتم: هو إمام ثقة وأثبت أصحاب الزهري مالك وابن عيينة. وقال سفيان: قرأت القرآن وأنا ابن أربع سنين وكتبت الحديث وأنا ابن سبع. وذكر أبو جعفر البغدادي أنه سأل أحمد بن حنبل من كان الحفاظ من أصحاب الزهري؟ فقال: مالك ومعمار وسفيان قلت: (فإنهم اعتدوا فقال) إن سفيان سمع من الزهري وهو ابن أربع عشرة ثقة؟ فقال: هو عندنا ثقة ضابط لسماعه. مغلطي، إكمال تهذيب الكمال (٤١١/٥).

قال ابن حجر: الإمام المشهور، فقيه الحجاز في زمنه، كان يدلس، لكن لا يدلس إلا عن ثقة. ابن حجر، تعريف أهل التقديس (١١٤/١).

وقال علي ابن المديني: ما في أصحاب الزهري أئقن من ابن عيينة. المزي، تهذيب الكمال (١٧٧/١١).

ولعل قائلًا يقول: سفيان والزهري يدلسان، ولم يصرحا هنا بالسماع، فلعل ذلك يكون علة، فيقال له: ليس كما توهمت؛ لأن كلا من المذكورين صرح بسماعه ممن فوقه. مغلطي، الإعلام بسنته عليه الصلاة والسلام بشرح سنن ابن ماجه الإمام (١٧٥/١).

قال الباحث: ثقة تغير حفظه بأخره، وربما دلس.

إثبات السماع (التدليس): سفيان هو أثبت أصحاب الزهري، وقد سمعه وهو ابن ١٤ عام، وكان لا يدلس إلا عن الثقات وذلك يثبت سماعه منه وتدليسه لا يضر في الزهري، وقد بين مغلطي ذلك بان كلا منهما صرح بالسماع ممن فوقه.

إزالة الاختلاط: وُلد ابن أبي شيبة سنة ١٥٩هـ، وقد بدأ السماع وكان عمره ١٤ عام ولما توفي سفيان عام ١٩٧هـ كان عمر ابن أبي شيبة ٣٨ عام، فيتبين أنه سمع منه قبل اختلاطه، لأن ابن أبي شيبة لم يرتحل من الكوفة، بينما أقام سفيان بالكوفة وارتحل إلى الشام، وكانت وفاته -رحمه الله- في مكة.

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

وتجويد معاملة الأرحام يكون بالإحسان إليهم وعدم انتظار رد الإحسان، لأن هذه المعاملة إنما تكون من الصلة التي أوجبها الله على المسلمين فيما بينهم، فالذي يحسن لا ينتظر مكافئة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحْمَةُ وَصَلَهَا"^(١).

فصلة الرحم طاعة وقربة وأداؤها واجب، ولكن التجويد في معاملة الرحم أن تصل من قطعك وأن تحسن إلى من أساء إليك من رحمك من غير انتظار مقابل في ذلك.

ومن الإحسان في معاملة الرحم أن يتفقد المسلم أحوالهم، ويقضي حوائجهم، ويطعم جائعهم، إلى غير ذلك مما يتوجب على المسلم أن يعين به أخاه المسلم، كما إنه إن تصدق المسلم فإن ذوي القرابة والرحم أولى من غيرهم والأجر فيهم أعظم، عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَليدَةً^(٢) فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "لَوْ أُعْطِيَتْهَا أَخْوَالِكَ، كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ"^(٣).

ولكن التجويد في المعاملة للأرحام يكون بالإحسان إلى الكاشح المؤذي لك منهم، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ"^(٤).

والكاشح هو المعادي الذي أذى قريبه أو رحمه، فذلك أعلى درجة من الإحسان إلى ذي الرحم المحب لك، لأن صلة الكاشح فيها مجاهدة للنفس، ونهيتها عن اتباع هواها، فيتصدق المسلم من نفس رضية، وفيها إزالة للضعينة من نفسه .

(١) سبق تخريجه، (ص ١٣٩) .

(٢) وَليدَةٌ: قَوْلُهُ: (وليدة)، أَي: أمة، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ مَيْمُونَةَ: أَنَّهَا كَانَتْ لَهَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ١٣/٢١٧) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الزَّكَاةِ/بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدِينَ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، وَتَحْوِهِمَا، مج ١/٤٤٦، رقم الحديث ٩٩٩] .

(٤) تقدم تخريجه، (ص ١٧٩) .

خلاصة المبحث:

إن المعاملات روح الحياة، ومن غيرها لا يشعر الإنسان بقيمة الحياة، فلولا المعاملات بين الناس، لما راح الإنسان ولا جاء في هذه الدنيا، ولأن المعاملات تعطي للحياة قيمة، فإن المسلم هو أحق من يجني ثمارها، حين يعلم من كتاب الله ﷺ وسنة نبيه ﷺ حدود الله في معاملة الناس فيتحرى أن يلقي الله مجوداً في أدائه لمعاملته مع الناس، معطياً كل ذي حق حقه غير منتقص من شأن وأمر امرئٍ أيا كان، سواء أكان مسلماً أو غير مسلم، بما وضع النبي ﷺ من قواعد لأخلاق التعامل مع المسلمين وغير المسلمين .

ختاماً: فإن المعاملات باب واسع من أبواب ديننا الحنيف والشريعة الإسلامية السمحاء، وهي انعكاس لما تربي عليه المسلم من تأسيس عقائدي وتربية خلقية وتوجيه نبوي، لتكون تلك المعاملات بتجويدها؛ عبادة يتقرب بها المسلم لله ﷻ .

المبحث الثالث

آثار تطبيق الجودة في العبادات والمعاملات

تمهيد:

إن الآثار المترتبة على تطبيق الجودة في العبادات والمعاملات لها دور كبير في إبقاء العبد الميلى على صل دائمة مع الله من خلال العبادات الخالصة لله ﷻ، والمعاملات المتصلة بالعبادات والتي تكون كلها لله ﷻ، فمن خلالها يقيّم ويقوّم المسلم حياته.

ويتخلل المبحث مطلبين:

المطلب الأول هو بيان آثار تطبيق الجودة في العبادات، والمطلب الثاني هو بيان آثار تطبيق الجودة في المعاملات.

المطلب الأول

آثار تطبيق الجودة في العبادات

يتميز دين الإسلام بأنه دين العموم، أي أن العبادات فيه مرتبطة بحياة الناس العامة، التي من خلالها يظهر الانتماء العقائدي للإنسان، الذي ينبثق منه إظهار الشعائر الإسلامية، فقد كان الإسلام شاملاً لكل جوانب حياة الإنسان، فأصبح كل تصرف مشروع أو مباح للمسلم يقصد به طاعة الله ﷻ عبادةً، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)، حيث أن كل أمر دنيوي يخضع لتقوى الله ﷻ ويُخلص المسلم فيه نيته لله يؤجر عليه .

أولاً: أثر تجويد العبادات في حياة الفرد المسلم

١- تنمية المسؤولية والانضباط عند المسلم

فالتزام المسلم بالعبادة وأدائها وفق الضوابط الشرعية لها، من حيث الهيئة والوقت والكيفية، تنمي عند المسلم المسؤولية تجاه نفسه، وأن ينجز ما كُلف به بأي وسيلة كانت على أكمل وجه، فلو ضربنا مثلاً عبادة الصلاة، فإنها لا تسقط بأي حال عن المسلم، فهو مطلوب منه أن يؤديها بما يستطيع وبما يتييسر لأدائها.

٢- برمجة العقل والقلب على التعلق بالله والتجرد إليه

فحين يكون المسلم كثير الذكر لله ﷻ، محافظاً على عباداته، فإن كل حياته تتعلق بالله ﷻ، فلا يسأل غير الله، ولا يتوكل على غير الله، فتكون حياته كلها لله ﷻ.

وبالتجرد الذي جناه من تجويد عباداته تتكشف إليه المعاني العظيمة لهذه العبادات الكريمة، فيتلذذ بها مستأنساً بالله ﷻ، فحينها لا يتأثر قلبه ولا عقله إلا بما يرضي الله ﷻ، فينضوي تحت أوامر الله ﷻ مختاراً لانقياده لشرع الله ﷻ .

(١) [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

٣- السلامة القلبية والروحية :

إن القلب الذي يتعلق بالله ﷻ يُرجى منه السلامة الروحية من فتن الدنيا وملذاتها، كما يُرجى منه سلامة القلب من أمراضه المعنوية التي تصيبه كالغل والحقد الحسد وغيره. والمحافظة على العبادات مع تجويد أدائها، تكون هي الدواء لكل ما يكتنف الروح أو القلب من أسقام .

ثانياً: أثر تجويد العبادات في المجتمع الإسلامي

١- بناء الألفة والمحبة والتكافل

إن تجويد العبادات تورث المساواة بين المسلمين فيكونون سواسية، لا فرق بين قوي فيهم أو ضعيف، ولا أبيض أو أسود، ولا غني أو فقير، فإن المشاعر الإيمانية التي تترتب على تجويد العبادات تنبثق منها الألفة والمحبة والتكافل، وفي المقابل تتدحر كل المشاعر التي تفرق بين المسلمين من عصبية أو عرق أو غير ذلك.

فيتحسس المسلمون أحوال بعضهم البعض، فإن كانوا في صلاة دعوا لأنفسهم وإخوانهم، وإن كانت الزكاة سدوا حوائج بعضهم، وإن كان الصيام شعر الشبعان منهم بالجائع .

٢- تنمية العمل بروح الفريق

عظمة الإسلام في توحيد المسلمين في العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، تجعل الرابط بين المسلمين هو الإيمان، حيث إذا همَّ مسلم بأداء أمر طاعة وقرية لله ﷻ، أحب أن يشاركه إخوانه الأجر والثواب .

فيكون العمل لله في كل المواطن بروح الفريق، ومنها: الدعوة، والجهاد، والشورى، وغيرها الكثير من الأعمال التي يمكن للمسلم أن يؤديها بروح الفريق .

المطلب الثاني

آثار تطبيق الجودة في المعاملات

إن تحرّي المسلم التجويد في المعاملات اليومية، بالصدق وتجنّب الكذب، والفحش، والبذاءة، والأذى، والإعراض عن الناس، وكل ما يضر الأفراد والمجتمع يُعدّ من العبادة.

كما أنّ الإيجابية في المعاملات؛ كالإحسان إلى الناس، وذوي القربى، والإخوة، والأصدقاء، والمساكين، واليتامى، والأرامل، والمرضى، والجوعى، وإنصاف المظلومين، وأداء الواجب والأمانة، والكسب الحلال، وتجنّب الحرام، والصّبر على المكاره والطاعات، وإخضاع أمور الحياة كلّها لله ﷻ من العبادة.

أولاً: أثر تجويد المعاملات في حياة الفرد المسلم

١- الحب للغير ما يحب المرء لنفسه

فالمسلم حين يتقي الله ﷻ في معاملاته مع الناس، ويضع نفسه في مكان من يعامله - وكأن تلك المعاملة تخصه-، فإنه سيودّ حينها أن تُجودّ المعاملة له، الأمر الذي يبعثه على تجويد معاملاته مع الناس، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" (١).

٢- القبول بين الناس

يُوضع القبول في الأرض لمن أحبه الله ﷻ، ولا تتأتى محبة الله ﷻ لعبده عاصٍ لاهٍ تستعيز الأرض من شره ومن سوء معاملته للناس، وإنما تكون لمن أحسن في معاملاته وجودها وفق مراد الله ﷻ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ الله

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الإيمان/باب: مِنَ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، ص: ١٣، رقم الحديث ١٣].

يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبُهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَحْبَبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ" (١) .

٣- لفظ الرداءة في المعاملة:

يعتاد المسلم أن يكون كل شيء أمامه متقناً، ولذا؛ فإن نفس المسلم لا تستطيب أن ترى الرديء من المعاملة، فتلفظها مستكرة قبها .

ثانياً: أثر تجويد المعاملات في حياة المجتمع

١- زرع الثقة بين أفراد المجتمع

فالصدق وتقديم الأخلاق في كل معاملة، هي مدعاة لثقة أفراد المجتمع ببعضهم، فلا يدخل الشك والريب في نفوسهم .

٢- تألف المجتمع وتراصه

عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى" (٢)، فالمجتمع الذي يتحسس أحوال بعضه يبقى كالجسد الواحد المتراص، الذي يكون فرحه وجزنه وألمه لألم أحد أفراده .

٣- تأهيل أفراد من المجتمع لإدارة الدولة

إن تجويد المعاملات يكون بتعميق الفهم لمغزاها ومعانيها، والهدف من تجويدها، وإن ذلك يؤسس لتأهيل جيل يحمل همَّ مجتمعه قادر على إدارة دولته ومصالح أمته، خالٍ من أي شائبة تنخر في بنيان الأمة من فساد أو غير ذلك.

(١) سبق تخريجه، (ص ٦٢) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، البرِّ وَالصَّلَّةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاذُهُمْ، مج ١٢٠١/٢، رقم الحديث ٢٥٨٦] .

خلاصة البحث:

بما أن العبادات والمعاملات هي روح الحياة، ومن غيرها لا يشعر الإنسان بقيمة الحياة، كانت أهمية آثارها في ظهورها جلية في حياة المسلمين فذلك ثمرٌ؛ حقٌّ على المسلم أن يجنيه بعد أداء ما ائتمر به.

فكان أثر تجويد العبادات على الفرد ظاهرًا على سلوكه وانضباطه به ليتعلق بالله ﷻ ولتخلو روحه من ملذات الدنيا وشهواتها، أما على صعيد المجتمع فإن الآثار تظهر في تلك الجماعة التي رضيت أن تؤدي العبادات جماعة لا فرادي، لترتقي النفوس إلى العمل لدين الله ﷻ بروح الفريق وليكون مجتمعًا متآلفًا متحابًا .

أما أثر تجويد المعاملات فإن آثاره الظاهرة على الفرد، فتكون بتمثله لخلق الإيثار الذي يورث لديه خلق التواضع، فيلقى القبول عند الناس، فيصبح لا يرتضي لنفسه سفاسف الأمور وإنما أشرفها، ثم لتظهر تلك الآثار في المجتمع الذي يعتبر الفرد مكونه الأساس ليتمثل أقرانه ما عنده من أداء للعبادة، وصورة للمعاملة، ليتكون منه فريق يقود دولة ويديرها وفق شريعة الإسلام .

الفصل الثالث

الجودة في الدعوة والإعلام

المبحث الأول الجودة في الدعوة

تمهيد:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، إن الجودة في الدعوة الإسلامية المحمدية تنطلق من كتاب الله ﷺ، فإن الذي يظهر من الآية الكريمة أن الله ﷻ قد أبان فيها صراحة مكانة الداعية إلى صراطه المستقيم، فالدعوة إلى الله هي أعظم مهنة امتنها مسلم قاطبةً .

ولأنها كذلك؛ فإن تجويد دعوة الداعية أحق ما حقه أن يجود، لما لها من علاقة مباشرة في إيصال دين الله ﷻ، وأن الداعية هو مبلِّغ عن ربه ﷻ، ولأن إتقان عمل الداعية لعمله به ما يحقق غاية الخلق في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

قال القاسمي^(٣) في تفسير الآية: "في الآية إشارة إلى ترغيبه ﷻ في الإعراض عن المشركين، و عما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، مما قصه تعالى عنهم فيما تقدم. وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ، والدعوة، ببيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات. فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق. وثمة وجه آخر. وهو أن مراتب السعادات ثنتان: كامل وأكمل. أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته. فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا﴾، إشارة إلى المرتبة الأولى. وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها. فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل

(١) [فصلت: ٣٣] .

(٢) [الذاريات: ٥٨] .

(٣) جمال الدين القاسمي ت (١٣٣٢هـ): جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. الزركلي، الأعلام (ج٢/١٣٥) .

الناقصين. وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق. وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ الآية^(١).

فنشهد في هذا المقام، أن النبي محمداً ﷺ، هو خير مبلغ عن ربه ﷻ، فقد أدى الأمانة فأحسن أداءها، وبلغ الرسالة فأحسن بلاغها، ونصح للأمة فأحسن نصحتها، وجاهد في سبيل دعوة الله ﷻ ودينه أجود وأحسن جهاد، حتى أتاه نصر الله وتمكين دعوته ودينه .

إن دعوة النبي ﷺ قد قدر الله لها أن تنطلق فتكون في معقل الشرك ومركزه، فأهل مكة عموماً وقريش خصوصاً كانوا سدنة الكعبة وخدامها، وهم القوام على أوثانها، ومن ذلك يصبح أمر الدعوة عسيراً، لأن المواجهة والصد سيكون على أشده منهم، فمرت دعوته ﷺ بمراحل عدة، كان للنبي ﷺ منهجاً جَوْد فيه أداء الدعوة في كل مرحلة، وما كان النبي ﷺ ينتقل من مرحلة إلى أخرى في الدعوة إلا ويكون ﷺ قد استوفى للمرحلة الأولى كل ما تقتضي حاجتها، فقد خطط النبي ﷺ لإنجاح دعوته المحفوظة من الله ﷻ، فأتقن التخطيط، وأخذ بالأسباب التي تضمن نجاح كل مرحلة من دعوته فجَوْد الأخذ بها .

وإن التخطيط هو أول كل أمر يُعمل به لنجاح أي هدف يسعى الإنسان به لتحقيق غايته، فيدرس متطلبات ذلك الهدف ويبحث سبل تطبيقه، ويعتزم أن يحققه وفق خطط مدروسة مع الحجة والبرهان، اللذين لا ينفكان عن المنشود من دعوة الله ﷻ، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، قال القاسمي: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أي هذه السبيل، التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، سبيلي، أي طريقي ومسلكي وسنتي. والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان. ثم فسر سبيله: بقوله: أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ أي: إلى دينه وتوحيده، ومعرفته بصفات كماله، ونعوت جلاله عَلَى بَصِيرَةٍ أي: مع حجة واضحة، غير عمياء"^(٣) .

(١) القاسمي، محاسن التأويل (ج٤/١/٥٠٢٥) .

(٢) [يوسف: ١٠٨] .

(٣) القاسمي، محاسن التأويل (ج٩/٣٦١٠) .

كما أن النبي ﷺ انتهج في دعوته أساليب متعددة، واستخدم أدوات ناجعة في إيصال مراد دعوته، فكان أحد أساليبه الحكمة التي أرشده إليها ربه ﷻ، وكانت إحدى أدواته الجدل بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، قال القاسمي: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة أي بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهو الدليل الموضح للحق، المزيج للشبهة والموعظة الحسنة أي العبر اللطيفة والوقائع المخيفة، ليحذروا بأسه تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن أي جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق واللين وحسن الخطاب، من غير عنف. فإن ذلك أبلغ في تسكين لهبهم"^(٢).

ومن هنا كان توفيق الله وحفظه للنبي ﷺ، لما أخذ بأسباب نشر الدعوة ووضع كل أمر في مقامه الذي هو له .

(١) [النحل: ١٢٥] .

(٢) القاسمي، محاسن التأويل (ج ١٠/٣٨٧٧) .

المطلب الأول

الجودة في أسس شخصية الداعية

إن الدعوة الإسلامية لا بد أن تركز على أسس ودعائم تدفع عجلة الدعوة إلى الله ﷻ لاستجابة المدعوين واستمرار دعمهم لدعوتهم التي التحقوا بركبها، وإن كل بنيان قام على أساس قويم استمر ارتفاعه وارتقاؤه، ولذا؛ فإن النبي ﷺ وضع لدعوته أسساً متينة، جسدها ﷺ بعقيدة المسلم التي يحليها بمكارم الأخلاق، وتكون ثمرتها العبادات الإلهية، والمعاملات بين الناس.

فالدعوة الإسلامية تحتاج إلى أركان تقوم عليها تتمثل في شخصية الداعية المسلم ومنها:

أولاً: الإخلاص

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"^(١).

فبدون الإخلاص تكون دعوة الداعي بتراء، فلا يكون هم الداعية سوى أن يدخل الناس في دين الله ﷻ وينقذهم من النار، لا أن يصنع له أتباعاً لجاه أو لسلطان .

ثانياً: الإيمان بالدعوة

إن من أحب أمراً سعى إلى إظهاره بأبهي حلة، واستوفى إليه ما يسودّه على غيره، وهكذا الداعية إلى الله، كلما أحب دعوته وآمن بها كلما جودّ أداءها، ونطق بكلماته لتخترق قلوب السامعين، لأن صدق مشاعر الداعية تصدّقها الكلمات دون فرط تكلف، وقد أحب النبي ﷺ دعوته وآمن بها حق الإيمان فقال الله تعالى: ﴿عَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢)، فبذل لها الغالي والثمين وأرخص الدنيا لأجلها، فتحمل الأذى في وطنه،

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٤) .

(٢) [البقرة: ٢٨٥] .

وتحمل مشقة الهجرة بإخراجه من مكة قسراً، وقاتل في سبيل دعوته، منبتقاً من قلبه الثقة بربه والأمل في نصر دعوة الله ﷺ، ليثبت أصحابه ﷺ ويبشرهم بنصر هذه الدعوة، عَنْ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" (١) .

ثالثاً: البصيرة

إن علم الداعية بما يدعو إليه يعينه في إيصال رسالة الله ﷺ وفق مراده ﷺ، فقد يدعو المسلم إلى باطل ظناً منه أنه يدعو إلى الحق، وقد يأمر بالمنكر وهو يظن أنه يأمر بالمعروف، فقد نبه الله ﷺ عباده المؤمنين إلى أهمية البصيرة في الدعوة إليه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢)، قال القاسمي: "على بصيرة أي: مع حجة واضحة، غير عمياء، أنا ومن اتبعني أي: آمن بي، يدعون إلى الله أيضا على بصيرة، لا على هوى" (٣)، ومن هذه الآيات يفهم أن الداعية إلى الله يجب أن تُجَوِّدَ دعوته بالتزود بالعلم الذي يحمل الحجة والبرهان، بما يعينه في إبلاغ دعوة الله ﷺ إلى الناس باختلاف أفهامهم، وبما يناسبهم من أساليب دعوية لا يتقنها إلا من كان صاحب

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ/بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، ص: ٨٨٨، رقم الحديث ٣٦١٢] .

(٢) [يوسف: ١٠٨] .

(٣) القاسمي، محاسن التأويل (ج٩/٣٦١٠) .

علم وفهم، يقول الشيخ الشعراوي^(١): "البصيرة هي يقينٌ مصحوب بنور يُفنع النفس البشرية، وإن لم تكن الأمور الظاهرة مُلجئة إلى الإقناع"^(٢).

رابعاً: التجرد للدعوة

إن حياة المُبلِّغ عن ربه يجب أن تكون مجردة من كل مصلحة شخصية تورث الصد من الناس، فالداعية إلى الله ﷺ كلما كان مُجَوِّداً لتجرده من المصالح الشخصية، كلما كانت وقع دعوته في نفوس المدعويين أكبر، وإن دخول تحقيق المصالح الدنيوية من خلال الدعوة، -سواءً أكانت جاهاً، أو سلطاناً، أو تحصل رضى أرباب النعم- لن تؤتي ثمارها، فقد تجرد النبي ﷺ من كل مصالحه الدنيوية في سبيل دعوته أمام ما عرضته عليه قريش في سبيل تركها .

ولقد كان لشخصية النبي ﷺ أثرٌ كبيرٌ في نجاح دعوته، لما تميزت من تربية ربانية، وتوجيه قرآني، عبّد الطريق للدعوة وانتشارها، حتى حظيت بأتباع حملوا رسالة نبيهم ﷺ، وطافوا بها بقاع الأرض حتى ما بقي بيت حضر ولا وبر إلا وصلته دعوة الإسلام .

أما انتشار الدعوة ووصولها إلى الناس، فكان يحتاج إلى حنكة سياسية تحاكي الواقع الذي يعيشه الداعية لكي لا يقضى على دعوته وهي بذرة، فواقع المدعو هو الأرض الصلبة التي يقف عليها الداعية، وإن أي خلل في سياسة إيصال الرسالة للمدعو مدعاة لتعثر الداعية في دعوته، فاتبع النبي ﷺ سياسة التسديد والمقاربة في تبليغ دعوته، وتخطي خطوبها وصعابها.

(١) الشعراوي ت (١٤١٨هـ): محمد متولي الشعراوي، مصري، شغل عدة مناصب إدارية في الحكومة المصرية والجامعات المصرية . الجدع، معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين (ج٣/١١١٢) .

(٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي (مج١٢/٧١٢٥) .

المطلب الثاني

الجودة في صفات الداعية

إن أساليب الدعوة تتعدد باختلاف حيثياتها التي تنبني على شخصية المدعو ومكان الدعوة والموقف الذي تحصل فيه، وإن فقه الداعية بحال المدعو يعينه في اختيار الأداة والأسلوب المناسب في دعوته، وقد كان أجود من دعا إلى الله واستخدم أساليب الدعوة فأجاد استخدامها رسول الله ﷺ، عَنْ أَسْلَمَ الْعَدَوِيِّ قَالَ: سَأَلَنِي ابْنُ عُمَرَ عَنْ بَعْضِ شَأْنِهِ -يَعْنِي عُمَرَ-، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِينِ قُبِضَ، كَانَ أَجَدَّ وَأَجْوَدَ حَتَّى انْتَهَى مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ"^(١).

قال ابن حجر: "أجود أفعل من الجود أي لم يكن أحد أجود منه في الأمور ولا أجود بالأموال"^(٢).

• صفات الداعية

إن أدوات الدعوة إلى الله ﷻ تتمثل في أخلاق الداعية التي يتحلى بها مع المدعويين، ومنها:

١ - الحلم والأناة:

إن تجويد الداعية لهذا الخلق العظيم يتمثل في ضبط النفس أمام أي تصرف خاطئ من المتعلم قد يثير غضب الداعية إلى الله، وإن الحلم والأناة صفتان يحبهما الله ورسوله، فعن ابن عباس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَقَالَ: "أَنْهَأَكُمْ عَمَّا يُنْبَذُ فِي الدُّبَاءِ"^(٣).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ/بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْفَرَسِيِّ الْعَدَوِيِّ ﷺ، ص: ٩٠٦، رقم الحديث [٣٦٨٧].

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٤٩/٧).

(٣) الدُّبَاءُ: القرع، واحدها دباعة. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج٩٦/٢).

وَالنَّقِيرِ^(١)، وَالْحَنْتَمِ^(٢)، وَالْمُرْقَتِ^(٣) وَزَادَ ابْنُ مُعَاذٍ فِي حَدِيثِهِ عَنِ أَبِيهِ. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلأَشَجِّ أَشَجَّ عَبْدِ الْقَيْسِ: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحُلْمُ، وَالْأَنَاءُ"^(٤).

وطبق النبي ﷺ هذا الخلق عملياً بل كان ديدنه ﷺ في مواقف كثيرة ضاحج^(٥) فيها المسلمون، هامين أن يقعوا بالمخطئ، فلقد بين معاوية بن الحكم ﷺ حسناً وجوده تعليم النبي ﷺ بلفظ صريح يبين فيه تجويد النبي ﷺ لذلك لتعليمه، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاتَّكَلْ أُمِّيَاهُ^(٦)، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَادِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي^(٧) لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي^(٨) وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"^(٩).

(١) النَّقِيرِ: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٥/١٠٤).

(٢) الْحَنْتَمِ: جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم، واحدتها حنتمة. وإنما نهي عن الانتباز فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها. وقيل لأنها كانت تعمل من طين يعجن بالدم والشعر فنهى عنها ليمتنع من عملها. والأول الوجه. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ١/٤٤٨).

(٣) الْمُرْقَتِ: هو الإناء الذي طلى بالزفت وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٢/٣٠٤).

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، ج ١/٢٩، رقم الحديث ١٧].

(٥) ضاحج: ضاح عن الشيء ضيحا: عدل ومال عنه. ابن منظور، لسان العرب (ج ٢/٣١٦).

(٦) وَاتَّكَلْ أُمِّيَاهُ: الْوَلَدُ أَوْ الْحَبِيبُ تَكَلًا وَتَكَلًا فَقَدْهُ وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ فَهِيَ تَأْكُلُ وَهِيَ تَأْكُلُ وَتَكَلَى وَقَالُوا تَكَلْتَهُ أُمُّهُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ أَوْ لَمْجَرْدِ الدُّعَاءِ. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج ١/٩٨).

(٧) يُصَمِّتُونَنِي: التسميت: التسميت. والتصميت أيضا: السكوت. ابن منظور، لسان العرب (ج ٢/٥٤).

(٨) كَهَرَنِي: الكهر، الانتهار. وقد كهره يكهره، إذا زبره واستقبله بوجه عبوس. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٤/٢١٢).

(٩) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَتَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، ج ١/٢٤٢، رقم الحديث ٥٣٧].

ف فعل النبي ﷺ دلالة على حلمه بالمدعو، وإن النبي ﷺ يُجود في هذا المقام خلق العذر بقبول الاعتذار، فكيف لا؟! والله ﷻ يعذر عباده، عن المغيرة، قال: قال سعد بن عبادَةَ: لَو رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ^(١)، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "اتَّعَجِبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَعْيُرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَعْيُرُ مِنِّْي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ..". الحديث^(٢).

إن قول النبي ﷺ "وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ"، فيه دلالة أن الله ﷻ يعذر عباده ويقبل توبتهم إذا أنابوا، وأنه ﷻ إنما بعث الأنبياء معلمين مبشرين ومنذرين، لا منفرين، فكان ﷻ حين يبعث رسله داعين إلى الله ﷻ يأمرهم بالتنشيط حلاً، وبالأناة تيسيراً، فعن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ، بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: "يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَيَسِّرًا وَلَا تُتَفَرَّأَ، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَخْتَلِفَا"^(٣).

كما يظهر تجويد خلق الحلم والأناة في حياة النبي ﷺ في أشد ما لقي من قومه، فرغم الأذى الذي لحقه ﷻ والتكذيب وتعذيب أصحابه إلا أن حلمه ورحمته ﷻ كانتا سابقتين على غضبه وثاره لنفسه، فنقته بأن دعوته يوماً ستوتي ثمارها كانت الأمل الذي يجعل النبي ﷺ يرأف بالمدعويين إلى دين الله ﷻ، فتُخبر أم المؤمنين عائشة ؓ بحال النبي ﷺ وتبين أثر الثبات النفسي والمعنويات العالية التي كانت تحظى بها الدعوة من النبي ﷺ أمام كل تلك العقبات والملمات، فجاء عند البخاري، عن عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ ؓ، رَوَجَ النَّبِيَّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ، قَالَ: "لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا

(١) غَيْرُ مُصَفِّحٍ: يقال: أصفحه بالسيف إذا ضربه بعرضه دون حده، فهو مصفح، والسيف مصفح، يرويان معا. ابن منظور، لسان العرب (ج ٢/٥١٣).

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التَّوْحِيدِ/بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أَعْيُرُ مِنَ اللَّهِ»، ص: ١٨٣٠، رقم الحديث ٧٤١٦].

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهادِ والسَّيْرِ/بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ، وَعُقُوبَةُ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦] قَالَ فَتَادَةُ: "الرَّيْحُ: الْحَرْبُ"، ص: ٧٤٧، رقم الحديث ٣٠٣٨].

لَقَبْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ^(١) إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ النَّعَالِبِ^(٢) فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا^(٣).

٢ - الصبر:

إن الصبر سلاح الداعية، يقي به نفسه من الضعف أو اليأس، فيحتاج الداعية أن يُجَوِّد دعوته بالصبر الجميل، الذي هو منهج الأنبياء والرسل على المحن والابتلاءات، ولقد زخر القرآن الكريم بأمثلة صبر الأنبياء على التعذيب والسجن والإخراج والقتل والفتن .

ويستمد الداعية إلى الله صبره وُجُودَهُ انطلاقةً من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا^ط وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٤)، فلقد شبَّه الله ﷻ دعوة الإيمان وكلمتها (لا إله إلا الله) بالشجرة الطيبة الثابتة والراسخة في قلب المؤمن، فالإنسان يمر بمراحل غفلة لا يفتن بها لما يدور من حوله، ولا يأخذ كلام الدعاة منه مأخذاً حقاً، فلا يتأثر بكلامهم، ولكن يبقى ذلك الكلام مغروساً في قلبه كالشجرة الطيبة -وهي كلمة الإيمان- التي تسقى بذكر الله ﷻ

(١) لَمْ أَسْتَفِقْ: فلم أستفق أي لم أفق من همي لقوله فانطلقت على وجهي وأنا مهموم ولم أنتبه من غمرة همي وعلمت حيث أنا إلا بهذا الموضع وقرن الثعالب هو الميقات . السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (ج٢/١٦٥) .

(٢) قَرْنِ النَّعَالِبِ: موضع تلقاء مكة؛ قال نصيب: أجاتنا في الحج أيام أنتم ... ونحن نزول عند قرن الثعالب. الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (ج٣/١٠٦٧) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْخُلُقِ/بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ص: ٧٩٨، رقم الحديث ٣٢٣١] .

(٤) [إبراهيم: ٢٤-٢٥] .

والتذكير حتى ينفع صاحبها فتوتى ثمارها حين يأذن الله ﷻ لها، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، فالتذكير هنا بمثابة تعاهد سقيا الزرع بالماء وتغذيته بالسماذ حتى يزهر ويثمر، فتقطف الثمرة المرجوة منه من خلال أفعاله وتصرفاته التي تنبثق من استقامة زادها إيمان صادق .

قال السعدي: "تَوْتِي أَكَلَهَا" أي: ثمرتها {كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا} فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره"^(٢) .

٣ - التواضع:

هو الخلق القويم الذي إذا جوده الداعية، ملك به قلوب الناس واستهواها إليه، وارتفع مقاماً بينهم، فإن تحدث استمع الناس إليه، وفي كل فعل يكون الاقتداء به، فيكون سهلاً في التعامل محبوباً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"^(٣) .

٤ - الشجاعة والجرأة في الحق:

إن الشجاعة نبراس الدعاة في جرأتهم للحق، والذود عن حدود الله وحياض الإسلام، والوقوف في وجه كل من يحيك له المؤامرات أو يدبر له، وإنك تجد تجويد الشجاعة في مدرسة محمد ﷺ، التي علمت الصحابة ﷺ الجرأة في الحق فجودت تعليمهم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ،

(١) [الذاريات: ٥٥] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٢٥) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَّاضُعِ، مج ١٢٠١/٢، حديث رقم ٢٥٨٨] .

قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَاتِمٌ»^(١).

وقد أرشده ﷺ إلى الجرأة في دعوته والصدع بها فقال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

٥ - العمل بما يدعو إليه

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣)، إن الداعية إلى الله ﷻ، مبلغ عن ربه ﷻ، وحق عليه أن يكون سباقاً للعمل بما يدعو إليه، لأنه مثل يحتذى به، عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: "إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا"، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ"^(٤).

قال ابن حجر: "قال ابن بطلال بعد أن حكى الاختلاف في أفعاله عليه الصلاة والسلام محتجا لمن قال بالوجوب بحديث الباب لأنه خلع خاتمه فخلعوا خواتمهم ونزع نعله في الصلاة فنزعوا ولما أمرهم عام الحديبية بالتحلل وتأخروا عن المبادرة رجاء أن يأذن لهم في القتال وأن ينصروا فيكملوا عمرتهم قالت له أم سلمة اخرج إليهم واحلق واذبح ففعل فتابعوه مسرعين فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"^(٥).

فالشاهد من كلام ابن بطلال أن الفعل أبلغ من القول وأبلغ في الاتباع والائتمار .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَحْكَامِ/بَابُ: كَيْفَ يُبَايِعُ الْإِمَامُ النَّاسَ، ص: ١٧٨٠، رقم الحديث [٧١٩٩].

(٢) [الحجر: ٩٤].

(٣) [البقرة: ٤٤].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ/بَابُ الْإِفْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ، ص: ١٨٠٢، رقم الحديث [٧٢٩٨].

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١٣/٢٧٥).

وقد جاء في الإصابة أن إسلام ملك عُمان^(١) الجُنْدَيِّ^(٢) كان بسبب انتمار النبي ﷺ بما يأمر به، بل إنه يكون أول المنقادين لأوامر الله ﷻ.

قال ابن حجر: "ذكر وثيمة^(٣) في «الردة» عن ابن إسحاق أن النبي ﷺ: بعث إليه عمرو بن العاص يدعو إلى الإسلام، فقال: لقد دلتني على هذا النبي الأمي، إنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يهجر، وأنه يفى بالعهد، وينجز الوعد، وأشهد أنه نبي، ثم أنشد أبياتا منها:

أتاني عمرو بالتي ليس بعدها ... من الحق شيء والنصيح تصيح

فقلت له ما زدت أن جئت بالتي ... جلندي عمان في عمان يصيح

فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ... ينادي بها في الواديين فصيح"^(٤).

٦ - مشاركة المدعوين أحوالهم

إن يد النبي ﷺ لم تكن تفارق يد أصحابه، بل كانت يده تسبق أيديهم للعمل في إقامة صرح الدعوة، فلما كان الإنفاق، كان النبي ﷺ أجودهم يداً، ولما كان بناء المسجد كانت يده أكدهم عملاً، وإن كان القتال كان أشدهم بسالة في سبيل الله ﷻ، فالداعية يُجود بناء شخصيته

(١) عُمان: بضم أوله، وتخفيف ثانيه، وآخره نون، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الإقليم الأول، طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة، في شرقي هجر، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل، وأكثر أهلها في أيامنا خوارج إباضية ليس بها من غير هذا المذهب إلا طارئ غريب وهم لا يخفون ذلك . الحموي، معجم البلدان (ج٤/١٥٠).

(٢) الجُنْدَيِّ: جيفر بن الجلندي اليماني، كان رئيس أهل عمان هو أخوه عيد بن الجلندي، أسلم على يد عمرو بن العاص حين بعثه النبي ﷺ إلى ناحيته عمان، ولم يقدم على النبي ﷺ ولم يرياه، وكان إسلامهما بعد خيبر. القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج١/٢٧٥)، رقم ٣٦٤ .

(٣) وثيمة: أبو يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء، الفارسي الفسوي، كان قد خرج من بلده إلى البصرة ثم سافر إلى مصر، وارتحل منها إلى الأندلس تاجراً وكان يتجر في الوشي، وصنف كتاباً في أخبار الردة . ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج١٢/٦)، رقم ٧٦٩ .

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج١/٦٣٧)، رقم ١٣٠٠ .

الدعوية بكونه أحد أفراد الدعوة، فينزل عند حاجات المدعوين، ولا يتعالى بنفسه عليهم، وقد جَوَّد النبي ﷺ قيادته بمشاركته للصحابة أعمالهم، فعَنِ الْبِرَاءِ ؓ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بِيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلِنُ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَأَقَيْنَا، إِنْ الْأَلَى قَدْ بَعَا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا" (١).

وقد وجه الله نبيه ﷺ لذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ حَفْرِ الْخَنْدَقِ، ص: ٧٠٢، رقم الحديث ٢٨٣٧].

(٢) [التقصص: ٥٦].

المطلب الثالث

الجودة في فقه الداعية

حرص النبي ﷺ على تبليغ دين الله ﷻ بما تطيب به نفوس الناس ويجذبهم إليه، وابتعد النبي ﷺ عن كل ما ينفر المدعويين، لذلك كان حرياً بالداعية إلى الله أن يُجَوِّدَ دعوته، بأن يكون فقيهاً بما تتطلبه الدعوة وتسمو به، فيناسب بين الفعل والمقال.

كما ويتحرى الأوقات التي تناسب المدعويين، فيعلم أحوالهم؛ ليعلم ما يناسبهم وما لا يناسبهم من المقال، ولقد نَحَتْ الدعوة النبوية منحىً تربوياً تعليمياً متراكباً بأساليب راقية تُدْرَسُ اليوم في جامعات وكليات العالم تحت مسمى التربية أو التأهيل التربوي .. إلخ، وقد أسس النبي ﷺ منذ أربعة عشر قرناً لهذه الأساليب القويمة في تربية أصحابه ﷺ، حتى شهد أصحابه ﷺ بأنهم لم يروا معلماً أحسن منه تعليمياً، فقال مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ: "مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ"^(١).

ولقد تعددت الأساليب^(٢) النبوية في التربية الدعوية باختلاف مقام المقال، فكان النبي ﷺ حكيماً في دعوته باختيار الأسلوب التربوي التعليمي المناسب لكل شخص على حده .

وإن اختلاف الأساليب التربوية الدعوية التي استعملها النبي ﷺ قد أضفى على الدعوة الإسلامية طابع السلاسة والسهولة واليسر، الذي يعين المدعويين على استقبال الدعوة من النبي ﷺ، بل ويشوقهم إلى التعلم في مجالس النبي ﷺ .

ويقوم اختيار الأساليب الدعوية على حذاقة الداعية وفهمه في تشخيص الداء الذي قد ألَمَّ بالمدعويين، وإزالة ما يعمي أعينهم عن ذلك الداء، سواء أكان كفراً أو معصيةً أو تقصيراً أو غفلة، ولا يكون ذلك إلا ببيان الداعية للمدعويين أنه حريص على مداواتهم، فيكون الحرص نابغاً

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٢٢) .

(٢) أساليب الدعوة: هو العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ، وإزالة العوائق عنه. القحطاني، مقومات الداعية الناجح (ص ٩٧) .

من القلب مخلصاً لله ﷻ، ويعينه على ذلك تعاوده لهم بالمتابعة، فكل في مهنته طبيب، فطبيب الأجناس يداوي أمراض الأجناس، وأما الداعية فهو طبيب للقلوب والأرواح .

ولذلك سأل الله قلب نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(١) .

ولقد كان من فقه النبي ﷺ أنه يتخول المسلمين بالموعظة، مخافة أن يسأموا من كلامه، وكان هذا فعل ابن مسعود ؓ في عظته للمؤمنين، تأسياً بما عهده من رسول الله ﷺ، عن أبي وائل، قال: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكُمْ، وَإِنِّي أَنْخَوْلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْخَوْلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا"^(٢).

فالتجويد من الداعية لدعوته يكون بفقهه في حال المدعوين، قال ابن حجر: "ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملل وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوماً بعد يوم، فيكون يوم التترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط واحتمل عمل ابن مسعود مع استدلاله أن يكون اقتدى بفعل النبي ﷺ حتى في اليوم الذي عينه واحتمل أن يكون اقتدى بمجرد التخلل بين العمل والتترك الذي عبر عنه بالتخول والثاني أظهر"^(٣).

(١) [المائدة: ٤١] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/باب مَنْ جَعَلَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً، ص: ٧٠، رقم الحديث ٣٠].

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١/٦٣) .

وقال النووي: "أي يطلب حالاتهم وأوقات نشاطهم وفي هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها"^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كُونُوا رَبَّانِيَيْنَ حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرِي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ"^(٢).

فالداعية الحكيم الفقيه فيه الخير الكثير للدعوة، فيكون شعاره الحكمة والموعظة الحسنة التي بها يستهوي قلوب المدعويين.

فمن أثر تجويد فقه الداعية في دعوته أن يحدث الناس بما يفهمون ويعقلون، حتى لا تشتبه عليهم أمور دينهم فلا يعوا المراد منهم، وألا يؤولوا مراد الله ﷻ ورسوله ﷺ بأهوائهم فيكذبوا الله ورسوله، قَالَ عَلِيٌّ: "حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أُتْحَبُونَ أَنْ يُكْذَبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ"^(٣).

فلا يحدثهم بالمختلف من الشريعة، أو بما جرى الخلاف عليه فيفتتن الناس بينهم بالصواب والخطأ.

ولقد كان النبي ﷺ يحدث معاذًا ﷺ، بما لا يحدث به غيره، لما علم ﷺ من فقهه فهو ﷺ أعلم الأمة بالحلال والحرام، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعَاذَ رَدِيفَهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: "يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: "يَا مُعَاذُ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ"، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا أُخِيرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: "إِذَا يَتَكَلَّمُوا وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتُمًا"^(٤).

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١٧/١٦٤) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، ص: ٢٩] .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ مَنْ حَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا، ص: ٤٥، رقم الحديث ١٢٧] .

(٤) سبق تخريجه، (ص ٣٩) .

فلولا فطنة معاذ رضي الله عنه المجودة بفقفه لأثر الحديث إلى الناس بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، لكان تكلم به دون أن يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأذن له بالحديث معللاً ذلك باتكال الناس، فقال ابن حجر في شرحه للحديث: "فعلم أن ظاهره غير مراد، فكأنه قال إن ذلك مقيد بمن عمل الأعمال الصالحة، قال ولأجل خفاء ذلك لم يؤذن لمعاذ في التبشير به، ... وروى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لمعاذ في التبشير فلقبه عمر، فقال لا تعجل ثم دخل فقال يا نبي الله أنت أفضل رأياً إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها قال فرده، وهذا معدود من موافقات عمر وفيه جواز الاجتهاد بحضرته رضي الله عنه"^(١) .

ويستفاد منه -أي من الحديث- أن من العلم ما يعطى لعامة الناس، ومنه ما يعطى للخاصة فقط كما ترجم له البخاري، لأن النبي صلى الله عليه وسلم خصّ بهذا الحديث معاذاً، فدل ذلك على أن من العلم ما لا يقال إلا لأهله ممن يتوفر فيهم الذكاء والفهم الصحيح، ولا يُحدّث به من لا يفهمه^(٢) .

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١/٢٢٦، ٢٢٧) .

(٢) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (ج ١/٢٢٨) .

المطلب الرابع

الجودة في فهم الواقع ومناسبة المقال

إن فهم الداعية لواقعه الذي يعيشه وفهمه لواقع المدعو، هو جزء من نجاحه في إيصال مراده وبلوغ هدفه؛ لأن فهم الواقع يمكن الداعية من أن يجعل لكل مقام مقالاً، فلا يغرس بذرتة إلا في أرض خصبة تنبت ثمراً ناضجاً .

فقد اختلفت إجابات النبي ﷺ من سائل لآخر، فقد سئل النبي ﷺ سؤالاً واحداً تعددت أجوبته، فحين سئل عن أي المسلمين خير تعددت الأجوبة كل حسب حاله، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، يقول: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: "مَنْ سَلَّمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"^(١).

لقد كان جواب النبي ﷺ سلامة المسلمين من اليد التي تبطش، قال النووي: "وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها وقد جاء القرآن العزيز بإضافة الاكتساب والأفعال إليها لما ذكرناه والله تعالى أعلم، وقوله ﷺ من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا معناه المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة بل هذا كما يقال العلم ما نفع أو العالم زيد أي الكامل أو المحبوب وكما يقال الناس العرب والمال الإبل فكله على التفضيل لا للحصر"^(٢) .

أما فيما جاء عن سفيان بن عبد الله النقفي، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ (وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ غَيْرِكَ) قَالَ: "قُلْ: أَمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِم"^(٣).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ بَيَانِ تَقَاضُلِ الْإِسْلَامِ، وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، مَج ٣٩/١، حديث رقم ٤٠] .

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٠/٢) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانِ/بَابُ جَامِعِ أَوْصَافِ الْإِسْلَامِ، مَج ٣٨/١، حديث رقم ٣٨] .

فاختلفت إجابة النبي ﷺ مع سفيان الثقيفي بحسب حاله لما طلب من النبي ﷺ وصية تنفعه، ف جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"^(١).

فلقد ناسبت إجابة النبي ﷺ حال السائل، وذلك من فقه الداعية بحال المدعو وعلمه بواقعه، قال ابن حجر: "لعل السائل كان غضوبا وكان النبي ﷺ يأمر كل أحد بما هو أولى به فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب"^(٢).

فكلام ابن حجر يدل على فقه النبي ﷺ ومعرفته بالنصيحة التي يحتاجها كل مدعو.

كما كان لفهم أطباع المدعويين من النبي ﷺ أثر بارز في استجابتهم للدعوة، فطَبَع الأعراب^(٣) يختلف عن طبع غيرهم من العرب.

أما لما سئل النبي ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله تعددت الإجابات المتقاربة حول السؤال فيما ينفع السائل ويسد حاجته ويناسب حاله، فتارة يجيب النبي ﷺ بالإيمان بالله، وتارة يجيب بالصلاة على وقتها، وتارة يجيب بأدومها وإن قل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيْمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: "حَجٌّ مَبْرُورٌ"^(٤).

وفي مقام آخر جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: "أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" وَقَالَ: "اكَفُّوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيفُونَ"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَدَبِ/بَابُ الْحَدْرِ مِنَ الْغَضَبِ، ص: ١٥٢٩، رقم الحديث ٦١١٦].

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ١٠/٥٢٠).

(٣) قال الجوهري في صحاحه: "العرب جيل من الناس، وهم أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية". القلفشندي، قلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان (ص ١٢).

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ فَضْلِ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ، ص: ٣٧٠، رقم الحديث ١٥١٩].

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الرَّقَاقِ/بَابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، ص: ١٦٠٩، رقم الحديث ٦٤٦٥].

وفي مقام ثالث فيه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟
قَالَ: "الصَّلَاةُ لَوْفَتْهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (١).

لذلك من تجويد الدعوة البحث في واقع المدعويين قبل البدء بدعوتهم، وقراءة أحوالهم وطبائعهم من خلال البيئة التي يعيشون فيها، لأن معرفة الداعية إلى الله صلى الله عليه وسلم بحال المدعويين، يسهل عليه تحقيق ما يرنو إليه من إيصال رسالة الله صلى الله عليه وسلم إلى عباده، فلا يحدثهم بما لا يطيقون، أو ما لا يعوون، أو ما يُشكل على أفهامهم.

بل إن علمه بأحوالهم وما هم عليه، يعينه في استخدامه للأسلوب الأنجع والأنسب لحال المدعو، مما يؤثر إيجاباً على استجابته وامتناله لما يرشد إليه مما أمر الله صلى الله عليه وسلم، فيقطع الداعية ثمرة جهده في سبيل الله صلى الله عليه وسلم بلا فشل يُعيبه أو عناء يُملُّه، فيكثر الأتباع وتعلو بهم الهمة، وتسمو به درجة التأثير في الناس، وتزيد ثقة الداعية بنفسه .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ التَّوْحِيدِ/بَابُ وَاسْمِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الصَّلَاةُ عَمَلًا، وَقَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"، ص: ١٨٦٢، رقم الحديث ٧٥٣٤].

المطلب الخامس

الجودة في سياسة تبليغ الدعوة

لا بد وأن تمر أي دعوة جديدة بمرحلة صدّ وتكذيب وإفشال، وإن تلك المرحلة هي أشدّ مرحلة يمكن أن يدركها الداعية في دعوتها، وحدث الخطوب في الدعوة يحتاج من الداعية إلى تجويد في سياسة تبليغها، وإن تجويد سياسة تبليغ الدعوة يكون بالتدرج في التبليغ، لذلك كان حقاً على الداعية أن يحرص على فقهه بدرجة فهم المدعو وواقعه، حتى لا يصطدم معه فيما لا يطيق فهمه؛ فينفر منه، ويصدّ دعوته، ولقد أصابت دعوة النبي ﷺ مرادها لما جوّد النبي ﷺ سياسته في الدعوة .

أولاً: الجودة في سياسة التدرج في تبليغ الدعوة

لقد كان في تعليم النبي ﷺ لمعاذ ﷺ لما بعثه إلى اليمن فقهاً كاملاً في التدرج في تعليم وتبليغ الدعوة إلى الله ﷻ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: "ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْحَدُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ"^(١).

فتجويد تبليغ الدعوة يتطلب التدرج في التبليغ والتعليم، فلا ينتقل الداعية من مرحلة إلى أخرى حتى يُتِمَّها ويتيقن من فهم المدعويين لها، -وليس ذلك وحسب- وإنما يرى استجاباتهم نتيجة لدعوته، قال النووي: "إن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام"^(٢) .

وجوّد النبي ﷺ دعوته أول ما بدأها بتدرجه في التبليغ والإعلان عن دعوته، فقدّ مرت الدعوة الإسلامية النبوية بمراحل عدة، ناسب النبي ﷺ بين نشره لدعوته وبين واقع قومه، فجوّد سوّس دعوته حتى بلغت ما وصلت إليه اليوم.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الرِّكَاءِ/بَابُ وُجُوبِ الرِّكَاءِ، ص: ٣٣٨، رقم الحديث ١٣٩٥] .

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج١/١٩٨) .

ثانياً: الجودة في اختيار المدعوين

وقد وُفق النبي ﷺ في تجويد دعوته لما بدأ بالأخذ بالأسباب من خلال التخطيط والتفكير بأسلوب جديد لتحقيق رسالة الدعوة بعد أن أعلن عنها، ووجد ما وجد من الإعراض والصدِّ والتكذيب، فلا بد أن يجد الداعية إلى الله ما يعيق ويعكر صفو دعوته، فيعمل جاداً مُجَوِّداً بحكمة على تذليل تلك العقبات والمعوقات وفق سياسة حكيمة يتبعها حتى يبلغ هدفه المنشود .

فاتبع النبي ﷺ في مكة سياسة الدعوة السرية التامة، بعد أن رأى إعراض قومه عنه وتكذيبهم إياه، وإيذاء صحابته وتعذيبهم، حتى كان يتخفى المسلمون عن عيون المشركين.

فدعت الحاجة النبي ﷺ إلى تنظيم الدعوة، فأسس ﷺ خلالها منهجاً مُنظماً لسير انتشارها بانتقاء المدعوين أصحاب العقول الراجحة، -الذين يحملون العلم وينشرونه بفهمه ﷺ- .

فقد كان اختيار النبي ﷺ لصاحبه الصديق أبي بكر ﷺ بالتبليغ أولاً من الحكمة في التدرج في التبليغ، فبدأ النبي ﷺ بأقربهم منه وأعرفهم بحاله، فأبو بكر ﷺ اختير لما اتصف به من الحكمة ورجاحة العقل وحسن التدبير، فعن أبي الدرداء ﷺ، قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي" مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُودِيَ بَعْدَهَا^(١).

فالحديث يبيِّن أن النبي ﷺ قد اختار في أول دعوته أبا بكر الذي آزره في أمره كله .

ثالثاً: الجودة في تكوين نواة صلبة للدعوة

نظراً لأن الدعوة كانت جديدة على قريش؛ ومخافة الصدام معها -لما هم عليه من عبادة الأصنام-، ألهم النبي ﷺ اجتهاداً فاتحداً قرار الدعوة السرية ليكون نواة صلبة تقوم عليها، حتى قويت شوكة المسلمين قليلاً، لينطلق إلى مرحلة الصدع بالدعوة والإعراض عن المشركين، مع نوع من السرية في الحفاظ على هيكل منظم يدير توجيه المسلمين، فجَوَّد النبي ﷺ المرحلة

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ/باب قول النبي ﷺ: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً"،

ص: ٩٠٠، رقم الحديث ٣٦٦١].

السرية، للحفاظ على هيكل الدعوة الإداري والتنظيمي، باتخاذ دار الأرقم مقراً للعبادة والتخطيط لنشر دعوته، ثم ما كان من انتقال الدعوة لمرحلة الجهر والصدع بها، امتثالاً لأمر الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، قال القاسمي: "افرق بين الحق والباطل وأعرض عن المشركين أي الذين يرومون صدك عن التبليغ، فلا تبال بهم"^(٢) لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في حياة الدعوة الإسلامية .

لقد كان للصدع بالدعوة آثارٌ جمّةٌ على مسار الدعوة، فبمجرد إعلان النبي ﷺ عن دعوته جهاراً نهاراً، دشنت بها سنة الله ﷻ للتمكين وهي الابتلاء والتي تكون قبل أن يمكن الله لعباد الله الصالحين في الأرض والتي امتدت من الجهر حتى ما بعد الهجرة إلى المدينة وصولاً إلى غزوة بدر التي منها قويت شوكة المسلمين، والتي بها فُرقَ بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣)، قال القرطبي^(٤): "نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، قاله مالك. وقيل: إن سبب هذه الآية أن بعض أصحاب النبي ﷺ شكوا جهد مكافحة العدو، وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم، وأنهم لا يضعون أسلحتهم، فنزلت الآية، وقال أبو العالية: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ما أوحى إليه خائفاً هو وأصحابه، يدعون إلى الله سرا وجهراً، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسسون في السلاح، فقال رجل: يا رسول الله، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال ﷺ: (لا تلبثون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس عليه

(١) [الحجر: ٩٤] .

(٢) القاسمي، محاسن التأويل (ج ١٠/٣٧٧١) .

(٣) [النور: ٥٥] .

(٤) القرطبي ت (٦٧١ هـ): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي. الذهبي، تاريخ الإسلام (مج ١٥/٢٢٩)، رقم ٢٧ .

حديده)، ونزلت هذه الآية، وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا، قال النحاس: فكان في هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله ﷺ، لأن الله ﷻ أنجز ذلك الوعد" (١) .

رابعاً: الجودة في التربية على الثبات في الدعوة

هنا تبدأ مرحلة جديدة في تجويد التربية للصحابه ﷺ، لينتقل النبي ﷺ لتأسيس جيل من الصابرين على الأذى القرشي، من خلال وضع حجر الأساس للتربية الدعوية في تحمل مشاق الدعوة وملماتها، والصبر على ما يلحق الداعية من الأذى في سبيل دعوته، فهذا هو ذا النبي ﷺ يُصَبِّرُ أصحابه ﷺ على الأذى من خلال ضرب الأمثال بالأمم السابقة وحالها مع الدعوة، عَنْ حَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ ﷺ، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بَرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: "كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَنْتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيُبَيِّنَنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ" (٢) .

فهنا لم يدع النبي ﷺ ولم يستنصر للمؤمنين، فكان الامتناع عن الدعاء، لأن أسباب التمكين لم تكن بعد من المنعة والقوة، فأصحاب النبي ﷺ يمرون في مرحلة الصفة والاختبار، والإعداد العقدي والفكري لتكوين نواة صلبة لمرحلة التمكين وما بعدها .

خامساً: الجودة في تخطي المؤامرات على الدعوة

دشن النبي ﷺ دعوته لقومه، فبدأت تحاك المؤامرات لإسقاط لواء الله ﷻ الذي حملة النبي ﷺ منافحاً عن دعوة التوحيد لدحر الشرك وعبادة الأوثان، فما كان من النبي ﷺ إلا أن بدأ يتخطى المؤامرات بحنكة وحكمة وذكاء، فكانت الجودة في تخطي كل محنة صنعتها قريش للنبي ﷺ، وقد تعددت المؤامرات بأشكالها وأساليبها المختلفة، فمنها ما كان فيه الإغراء ومنها ما

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي (ج ١٢/٢٩٧) .

(٢) سبق تخريجه، (ص ٢١٩) .

كان فيه التهديد والوعيد، ومنها ما كان فيه الأذى بأنواعه من سب وتشهير وتكذيب وتشويه الدعوة وللنبي ﷺ، إلا أن كل هذه المؤامرات قد باءت بالفشل، لما كان عليه النبي ﷺ من ثبات ورسانة وفطنة، ومن الأساليب التي تخطف بها النبي ﷺ تلك المؤامرات، الآتي:

١- تجويد الثبات على الدعوة بالصلابة:

جَوَّدَ النَّبِيُّ ﷺ ثَبَاتَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ بِالصَّلَابَةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا جَاءَتْ قِبَائِلَ مَكَّةَ تَشْكُوهُ إِلَيْهِ، فَصَلَابَةُ الدَّاعِيَةِ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي مَعَهُ أَقْوَى سِلَاحٍ يَجَابُهُ بِهِ عَنْ دَعْوَتِهِ وَيَسُوسُ بِهِ دَعْوَتَهُ حَتَّى تَوْتِيَ ثَمَارَهَا، حَدَّثَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤَدِّبُنَا فِي نَادِيِنَا، وَفِي مَسْجِدِنَا، فَانْهَ عَنْ أَدَانَا، فَقَالَ: يَا عَقِيلُ! انْتَبِهِ بِمُحَمَّدٍ فَذَهَبَتْ فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! إِنَّ بَنِي عَمِّكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تُؤَدِّبُهُمْ، فَانْتَهَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَحَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصْرَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْ تُشْعَلُوا مِنْهَا شُعْلَةً، قَالَ: فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبْنَا ابْنَ أَخِي. فَارْجِعُوا^(١).

(١) [أحمد بن حنبل: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، كِتَابُ السِّيَرَةِ وَالْمَغَازِي/بَابُ مَا آدَى الْمُشْرِكُونَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وَثَبَاتِهِ عَلَى أَمْرِهِ، ج ٢٥١/١٧، رقم الحديث ٤٢٢٧].

• سند الحديث/ حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، حَدَّثَنَا عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

• تخريج الحديث/
أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٧٦/١٢)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٩١/١٧)، وأخرجه البزار في مسنده (١١٥/٦)، ثلاثتهم بمثله من طريق يونس بن بكير.
وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بمثله (١٩١/١٧)، وفي معجمه الأوسط بنحوه مطولاً (٢٥٢/٨)، وأخرجه الحاكم في مستدركه بنحوه (٦٦٨/٣)، ثلاثتهم من طريق عبد الواحد بن زياد.
كلاهما عن طلحة بن يحيى به .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

■ **طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى**: طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني نزيل الكوفة صدوق يخطىء. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٢٨٣).

وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال: كان يخطىء. وقال أبو داود: ليس به بأس. وقال ابن معين: ثقة، وقدمه على أخيه إسحاق. وقال صالح بن أحمد، عن أبيه، والحاكم عن الدارقطني: ثقة. وقال الساجي: صدوق لم يكن بالقوي. وقال ابن سعد: كان ثقة، وله أحاديث سالحة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، حسن الحديث، صحيح الحديث. وقال ابن عدي: روى عنه الثقات، وما بروايته عندي بأس. قال العجلي: ثقة. وقال يعقوب بن شيبه: لا بأس به، في حديثه لين، ومرة قال: ثقة. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٢/٤٤٤).

وثقه جماعة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: صالح. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٣/٤٥).

قال الباحث: هو ثقة يخطىء قليلاً، وثقه أغلب النقاد ولم ينكر حديثه سوى البخاري، وقد انكر حديثاً واحداً له، وبينه ابن عدي في كتابه (الكامل في الضعفاء) فقال: حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري قال: طلحة بن يحيى منكر الحديث، يروي عن عروة، عن عائشة مرفوعاً "الغسل يوم الجمعة واجب"، والمعروف عن عروة وعمرة، عن عائشة: كان الناس عمال أنفسهم، فقيل لهم: "لو اغتسلتم". ابن عدي، الكامل في الضعفاء (٥/١٧٩).

■ **يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ**: يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر الجمال الكوفي صدوق يخطىء. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٦١٣).

وذكره ابن حبان في "الثقات". قال يحيى بن معين: قد كتبت عنه، وقال إبراهيم بن الجنيدي عن ابن معين: كان ثقة صدوقاً إلا أنه كان مع جعفر بن يحيى، وكان موسراً، فقال له رجل: إنهم يرمونه بالزندقة، فقال: كذب، ثم قال يحيى: رأيت ابني أبي شيبه أتياه فأقصاهما وسألاه كتاباً فلم يعطهما، فذهبا يتكلمان فيه. وقال عبيد بن يعيـش: حدثنا يونس بن بكير، وكان ثقة. وقال الساجي: كان ابن المديني لا يحدث عنه، وهو عندهم من أهل الصدق. قال ابن نمير: ثقة رضي. وقال أبو خيثمة: قد كتبت عنه. وقال ابن عمار: هو اليوم ثقة عند أصحاب الحديث. وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال مرة: ضعيف. وقال أحمد بن حنبل: ما كان أزهـد الناس فيه وأنفـرهم عنه وقد كتبت عنه. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤/٤٦٦).

قال عبد الرحمن عن أبيه: محله الصدق. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٩/٢٣٦).

قال الذهبي: الحافظ. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٤/٥٥١).

قال الباحث: هو ثقة، لينة البعض وضعف الآخر، ولكن معظم النقاد على توثيقه.

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح . له متابعة من طريق عبد الواحد بن زياد تزيل وقوع الخطأ من طلحة بن يحيى.

فلقد كان للثبات والصلابة التي أظهرها النبي ﷺ أمام عمه أبي طالب أثر كبير في استمرار الحماية الغير المشروطة منه، وكانت هذه الحماية التي حظي بها النبي ﷺ داعماً كبيراً لاستمراره في الدعوة دون رهبة أو توان، وكان لتجويد هذا الثبات بالصلابة وقع سلبي في نفوس الخصوم، فهم باتوا لا يستطيعون أن يوقفوا مدّ دعوة النبي ﷺ ولا يستطيعون تكذيبه أمام وفود مكة التي كان يستثمر النبي ﷺ وصولها لنشر دعوته .

وقد تعرّض النبي ﷺ لمؤامرة التشويه في شخصيته (شخصية الداعية) باتهامه بالكهانة والسحر والجنون، إلا أن الحجة والبرهان التبين امتلاكها، وموافقة ما جاء به النبي ﷺ لطباع النفس وحاجاتها كان سلاحاً قوياً في إفشال المؤامرة، وحين لم تتجح مؤامرة القدح في شخصية النبي ﷺ، انتقلت قريش لتقدح في الدعوة ذاتها، ولكن كل ذلك باء بالفشل لأن كبار القوم كانوا يعلمون يقيناً بأن الحق مع النبي ﷺ فوصفهم تعالى فقال في كتابه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، قال السعدي: "وَجَحَدُوا بِهَا { أي: كفروا بآيات الله جاحدين لها، {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ} أي: ليس جحدهم مستندا إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها^(٢)، ثم إن الله ﷻ يصف إجرامهم المتمثل في تفكير وتدبير وتخطيط الوليد بن المغيرة وقريش لتشويه الدعوة والداعية فقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَ قَالَ إِنَّ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(٣) .

(١) [النمل: ١٤] .

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٠٢) .

(٣) [المدثر: ١١-٢٥] .

٢ - شغل الناس بالباطل يقابل بتجويد الجد في الدعوة

إنه لمن الصعب على قلبٍ انشغل بالباطل والملهيات أن تطرف عينه لدعوة الحق، فالغارق في متاع الدنيا لا يأبه لأي أمر قد يصرفه عن لهوه ومتعته، ولقد حاك المشركون خطأ حاولوا من خلالها إسقاط لواء الدعوة، فهذه المرة خطة قديمة حديثة لأهل الباطل ما زال أعداء الدعوة يطبقونها إلى يومنا هذا، ألا وإنما إغراق الناس بملهيات الدنيا ومتاعها، وقد تسوّد هذا الأمر رجل من قريش اسمه النضر بن الحارث، فقد جاء في السيرة أنه كان من شياطين قريش يؤذي النبي ﷺ أشد الإيذاء، وكان أذاه للنبي ﷺ بمقابلة ما عند النبي ﷺ لدحض الناس من حوله ﷺ بما يسمى اليوم بـ (الإعلام المضاد)^(١) .

جاء عند ابن هشام^(٢): "وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسفنديار، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فذكر فيه بالله، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلم إليّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ورستم واسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟"^(٣)(١) .

(١) الإعلام المضاد: هو سياسة إعلامية تملك القدرة على التأثير الشعبي وعلى إجهاض التحرك الإعلامي المضاد، أو على الأقل التقليل ما أمكن من آثاره على الوسط الشعبي في بلد من البلدان . صاحب حسين، الإعلام والإعلام المضاد (ص ٢٠) .

وبتعريف آخر: وجود سياستين إعلاميتين متقابلتين لنظامين مختلفين (أو مجموعة أنظمة) وكل سياسة تتوجه من أجل تحقيق هدفين متلازمين:

أولهما: جذب اهتمام مناصري الطرف الآخر، ثانيهما: مواجهة السياسة الإعلامية للهدف الأول . صاحب حسين، الإعلام والإعلام المضاد (ص ٢١) .

(٢) ابن هشام ت (٢١١-٢٢٠هـ): عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد الذهلي، وقيل: الحميري المعافري البصريّ النحوي، نزيل مصر، ومهذب "السيرة النبوية"، سمعها من زياد بن عبد الله البكائي صاحب ابن إسحاق ونقحها، وحذف جملة من أشعارها. الذهبي، تاريخ الإسلام (مج ٥/٣٨٧)، رقم ٢٤٦ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج ١٦٧/٧، وحكم على إسناده (مختار أحمد الندوي) حيث قال: "إسناده ضعيف جداً، وفيه جماعة لم نعرفهم."

استخدم النضر بن الحارث هذه الوسيلة (الإعلام المضاد) لما تيقن أن كل ما اتهمت به الدعوة وصاحبها رسول الله ﷺ، من قذح أو تشويه أو غير ذلك لن ينفذ ولم ولن يؤتي ثماره، فالنبي ﷺ فيه من الصفات ومكارم الأخلاق ما يمنع تشويه صورته أمام المدعوين، وقد أقر بذلك أبو سفيان رضي الله عنه لما وقف أمام هرقل ملك الروم، وهرقل يسأله عن النبي ﷺ وعن صفاته، فما ذموه ولا قدحوا فيه، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا نُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءٍ^(٢)، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عِظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ^(٣)، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذَّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا^(٤) عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، ... قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَتَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ... الحديث^(٥).

وكذلك الدعوة لم يستطيعوا أن يطعنوا فيها لأنها جاءت موافقة لفطرة الناس بأدلتها وبراهينها، فما كان لهم في قريش من بدٍّ إلا أن ينفقوا أموالهم في سبيل دحض الدعوة وإفشالها،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٣/٣٢٨) .

(٢) إِيلِيَاءُ: اسم مدينة بيت المقدس، قيل: معناه بيت الله، وحكى الحفصي: فيه القصر وفيه لغة ثالثة، حذف الياء الأولى فيقال: إلباء بسكون اللام والمد، قال أبو علي: وقد سَمِيَ الْبَيْتُ الْمَقْدِسُ إِيلِيَاءً بقول الفرزدق:

وبيتان بيت الله نحن ولاتته، ... وقصر بأعلى إيلياء مشرف. الحموي، معجم البلدان (ج ١/٢٩٣) .

(٣) التَّرْجُمَانُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ: هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التراجم، والتاء والنون زائدتان، وقد ترجمه وترجم عنه، وترجمان هو من المثل التي لم يذكرها سيبويه . ابن منظور، لسان العرب (ج ١٢/٦٦) .

(٤) يَأْتُرُوا عَلَيَّ: قول أبي سفيان في حديث قيسر "لولا أن يأتروا عني الكذب" أي يروون ويحكون . ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ١/٢٣) .

(٥) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ/باب ٦، ص: ٩، رقم الحديث ٧] .

فقال الله تعالى في حق تدبيرهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١)، قال القاسمي: "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون نزلت فيمن ينفق على حرب النبي ﷺ من المشركين، وبيان سوء مغبة هذا الإنفاق، وقد ذهب الضحاك إلى أنه عني بها المطعمون منهم يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلا من قريش، يطعم كل واحد منهم، كل يوم عشرة جزر"^(٢).

وقال ابن كثير^(٣): "وعلى كل تقدير، فهي عامة. وإن كان سبب نزولها خاصا، فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق، فسيفعلون ذلك، ثم تذهب أموالهم، {ثم تكون عليهم حسرة} أي: ندامة؛ حيث لم تجد شيئا؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وناصر دينه، ومعلن كلمته، ومظهر دينه على كل دين. فهذا الخزي لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، فمن عاش منهم، رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه، ومن قتل منهم أو مات، فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدى؛ ولهذا قال: {فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون}"^(٤).

إذن؛ كان الإنفاق على الإلهاء عن الحق هو الوسيلة الأنجع لدى قريش بعد أن استنفدت ما في جعبتها من المكائد، وقد ردَّ النبي ﷺ هذه المكيدة بالجدِّ في الدعوة، فنشط النبي ﷺ في دعوته باستثمار أوقات الحج لعرض نفسه على القبائل، حتى وصل إلى قوم من الخزرج وجد

(١) [الأنفال: ٣٦].

(٢) القاسمي، محاسن التأويل (ج٨/٢٩٩٣).

(٣) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوَّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق. تناقل الناس تصانيفه في حياته. الزركلي، الأعلام (ج١/٣٢٠).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٤/٥٣).

بهم ضالته في إيجاد أرض خصبة يقيم عليها ركائز دعوته ويأمنُ على نفسه بالحماية من الغدر أو المنع من إبلاغ الدعوة، ويحفظ من تبعه من أصحابه ﷺ من أذى قريش وعذابهم .

خلاصة البحث:

إن دعوة الله ﷺ باقية لتمتد وتعيد بناء صرح الإسلام العظيم، فالدعوة علي معول بناء لبنات الإسلام في قلوب المسلمين، وهي السبيل إلى الخلاص من كل ما يعكر صفو إيمانهم من ملهيات الدنيا ومتاعها، ولذلك كانت محاربة الدعوة من المخالفين في العقيدة والملة، ولقد بنى النبي ﷺ بتلك الدعوة العظيمة مجتمعاً إسلامياً توحدته عقيدة واحدة لا تتفك عما يزينها من اتباع أوامر الله ﷺ في كل ما يصح حال المسلمين ويعظم شأنهم عند الله أولاً، ثم فيما بينهم ثانياً، ثم عند المخالفين آخرًا، وإنما كانت شوكة الدعوة قوية لما كان من إعلان يصحبه إعلام مدجج بالحجج والبراهين، وفصاحة وبلاغة المقال، يدفع عجلتها لتعم أرجاء الكون، وتخرق الحصون السميكة، فتعقلها الأدمغة العنيدة، لتصبح لينة تستجيب لدعوة الدعاة إلى الله ﷺ .

المبحث الثاني الجودة في الإعلام

تمهيد:

إن دين الإسلام قد حظي باهتمام المشرق والمغرب لما كان له من صدى يلفت انتباه القاصي والداني، ولقد كان هذا الصدى نتاج الجِدِّ في البذل في سبيل إبلاغ دعوة الله ﷻ، لذلك كان الإعلام السلاح والأداة الفاعلة في نشر منهج الإسلام، ونشر الفكر المحمديّ الخالص وحيُّه من الله ﷻ، ولذلك كان النبي ﷺ لا يُغفل جانب الإعلام في أي باب من أبواب مراكز الدولة الإسلامية، فما إن توفرت بين يديه أداة تعينه في دعوته إلا كان ﷺ سباقاً إليها .

لقد كان الاتجاه النبوي في الإعلام بمثابة الرافعة التي تعلي الشيء ليرى من الخلق، فكان لوجود الإعلام أهمية كبرى في التأثير على الرأي العام، وتوجيه أصحاب العقول الراجعة الذين يفكرون في كل ما يعرض لعقولهم، فتكمن أهمية الإعلام لدعوة النبي ﷺ في عدة جوانب تستلزم تجويده، وتتمثل بما يذكره الباحث فيما يأتي:

- الإعلام "مشكاة" تبرز من خلالها رسالة الإسلام .
- إبراز الهوية الحقّة للدين الإسلامي .
- الوقوف في وجه الأباطيل المقترة على الدعوة ورجالها من المغرضين .
- طمس هوية الأفكار المعادية للإسلام والمخالفة للعقل والنقل .
- تقديم القالب الإسلامي للمنهج النبوي بما يتناسب مع المدعوين .
- الذب عن القضايا العارضة التي يبيت سمومها المعادون للدعوة .
- بيان الحالة الاجتماعية (الجسد الواحد) للأمة الإسلامية .
- رفع الروح المعنوية للمسلمين حال المعارك والحروب .
- تحصيل الدعم الشعبي للسياسيين في خطواتهم المرحلية والاستراتيجية .
- إيصال الرسائل المباشرة والغير المباشرة للجهة المقصودة دون بذل عناء مادي .

المطلب الأول

الجودة في أساسات الإعلام النبوي

لقد اعتمد النبي ﷺ في إعلامه على أساسات دعمت نجاحه وتوفيق الله ﷻ له في دعوته، ووصولها إلى مشارق الأرض ومغاربها، بدءاً بدعوة قومه ﷺ في مكة وانطلاقاً منها، وصولاً إلى كل بقاع الدنيا في الدعوة الخالدة إلى قيام الساعة، فاتخذ النبي ﷺ من هذه الأساسات المدعمة لإعلامه الآتي:

أولاً: المظهر الإعلامي للنبي ﷺ

لقد عمد النبي ﷺ إلى الظهور لأصحابه ﷺ بأبهى حلة، وقد كان ذلك ديدنه حين لقاء الوفود لدعوتهم لدين الله ﷻ، فأولى النبي ﷺ لمظهره الحُسن، فجَوَّدَه أحسن تجويد، لعلمه ﷺ أن حُسْنَ الخِلْفَةِ أدعى لقبول الإنسان وأخذ ما عنده، وإن المظهر للإعلامي المسلم يحمل في طياته رسائل عدة لمن يراه، فيستلزم المسلم أن يُجَوِّدَ الشكل والفعل كما الآتي من وصف النبي ﷺ:

١ - الوصف الشكلي العام للنبي ﷺ

وقد ميَّزَ اللهُ ﷻ النبي ﷺ بمظهر لا يقبل به وحسب، بل يحظى بحُبِّ من رآه، فقد جاء في وصفه ﷺ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّهُ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ^(١)، وَلَيْسَ بِالْأَدَمِ^(٢)، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالْسَّبْطِ^(٣)، بَعَثَهُ

(١) الْأَمْهَقُ: المهق والمهقة: بياض في زرقه، وقيل المهق والمهقة شدة البياض، وقيل: هما بياض الإنسان حتى يقبح جدا، وهو بياض سمج لا يخالطه صفرة ولا حمرة، لكن كلون الجص ونحوه؛ ورجل أمهق وامرأة مهقاء. ابن منظور، لسان العرب (ج ١٠/٣٤٩).

(٢) الْأَدَمُ: الأبيض الأسود المقلتين. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (ج ٤/٨٨).

(٣) وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلَا بِالْسَّبْطِ: أي كان شعره وسطا بينهما. ابن منظور، لسان العرب (ج ٧/٣٠٩).

الجعد القطط: الشدِيدُ الجعودة .

السبط: السبط من الشعر، المنبسط المسترسل .

اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيضاء" (١).

فشكل النبي ﷺ كان محبوباً به لإشراقه وسماحته، فكان ﷺ أجمل الرجال وأحسنهم مظهرًا.

وإنما كان ذلك التجويد في المظهر من حرص النبي ﷺ على الظهور الذي يُقْبَلُ ﷺ به فلا ينتقد، فإن الإعلامي الذي يريد أن يكسب جمهوره عليه أن يُجَوِّدَ طلعتَه الإعلامية بحسن المظهر والإطلالة، فهذه الإطلالة بها يمتلك قلوب الجماهير وبها يكون تأثيره عليهم .

٢ - المَشْيِيَّة

إن الظهور الإعلامي للنبي ﷺ تطلب منه رصانة وثبات وقوة شكيمة تُجَوِّدُ بها مشيته ﷺ، وقد كان ذلك سمتَه ﷺ، فمشيته كانت مشية المُعَزَّزِ بالله ﷻ، الماضي على الحق، القوي الذي لا يخاف في الله لومة لائم، حتى كانت مشيته ﷺ مهابة لمن رآه، فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللَّوْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكَفَّ" (٢).

قال العظيم آبادي (٣): " (يتقلع) مضارع من التقلع والمراد به قوة مشيه كأنه يرفع رجله من الأرض رفعا قويا لا كمن يمشي اختيالا وتقارب خطأ تتعما فإنه من مشي النساء (يتكفأ) بالهمزة فهو مهموز اللام وقد تترك الهمزة ويلتحق بالمعتل للتخفيف، وهاتان الجملتان حاليان، قال في النهاية تكفأ أي مال يمينا وشمالا كالسفينة، وقال الطيبي أي يرفع القدم من الأرض ثم يضعها

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ/بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ص: ٨٧٥، رقم الحديث ٣٥٤٨] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَضَائِلِ/بَابُ طَيْبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ مَسَّهُ وَالنَّبْرُكُ بِمَسْحِهِ، مج ٢/١٠٩٨، رقم الحديث ٢٣٣٠] .

(٣) [العظيم آبادي ت (١٣١٠هـ): محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو الطيب، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي: علامة بالحديث، هندي. الزركلي، الأعلام (ج ٦/٣٩) .

ولا يمسح قدمه على الأرض كمشي المتبختر كأنما ينحط من صبيب أي يرفع رجله عن قوة وجلادة والأشبه أن تكفاً بمعنى صب الشيء دفعه" (١) .

فالنبي ﷺ بذلك الوصف كان يظهر بالمظهر الإعلامي الذي ينبغي لرجل الإعلام المسلم أن يكون عليه، لأن في هذا الظهور بيان لماهية الشخصية الإسلامية التي يكتنفها العز والفخر بالإسلام، ولأن الإعلامي المسلم هو الواجهة التي تظهر للناس، فكان لزاماً أن تُجود بتحسين المشية من المسلم .

٣ - طيب الرائحة

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" (٢).

فينبغي على الإعلامي المسلم أن يُجَمَلَ مظهره ويُطَيَّبَ ريحه بما يجعله مقبولاً لمن يخالطه، ولأن الشخصية الإعلامية تكون ذات مظهر ملفت، فإن الناس تُقْبَلُ عليها إما بالسلام أو المحادثة، أما في زماننا فالبعض يطلب من تلك الشخصية الإعلامية أن تكون له ذكرى معه، فإما أن يطلب توقيعه أو أن يأخذ معه صورة فوتوغرافية (٣)، فلا يعقل أن يشم الناس من تلك الشخصية الإعلامية ريحاً كريهاً .

ولذلك كان النبي ﷺ جواداً في التطيب، لا يُشَمُّ منه إلا أطيب ريح فعن ثَابِتٍ، قَالَ أَنَسٌ: "مَا شَمَمْتُ عَبْرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكَاً، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا، وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" (٤).

فالنبي ﷺ كان على احتكاك دائم بالناس لأجل الدعوة.

-
- (١) العظيم آبادي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود (ج ١/٩٥) .
(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الإِيمَانِ/بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، مج ١/٥٥، رقم الحديث ٩١] .
(٣) فوتوغرافية: فوتوغرافي مفردتها: اسم منسوب إلى فوتوغرافيا: خاص بصورة فوتوغرافية أو محتو عليها، أما علم التصوير الفوتوغرافي: فن الحصول على صور للأشياء بواسطة فعل الضوء على أسطح حساسة للضوء. عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ٣/١٧٥٠) .
(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الْفَضَائِلِ/بَابُ طَيْبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ مَسَّهُ وَالتَّبَرُّكُ بِمَسِّهِ، مج ٢/١٠٩٨، رقم الحديث ٢٣٣٠].

٤ - لغة الجسد

إن لغة الجسد تشكل في أي خطاب ٥٥% من نسبة التأثير والاستجابة في المتابعين^(١)، ولذلك كان النبي ﷺ حريصاً في حديثه مع الصحابة ﷺ على إظهار لغة جسده التعبيرية والتي تتمثل بالإشارات التي تظهر على وجهه ﷺ والإيماءات التي يفعلها بجسده وأطرافه ﷺ لما يتحدث، ولأن العين ترى قبل أن تسمع الأذن؛ فإن الإشارات والإيماءات أقوى وأكثر تأثيراً، فقال الجاحظ: "وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتقتل والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور"^(٢).

وللنبي ﷺ مواقف عدة رافق حديثه تعابير وجهه ﷺ وحركات يديه وجسده ومن ذلك الآتي:

أ. تعابير الوجه ولغة العيون:

- تعابير الوجه

إن الوجه الإنساني يحمل كل تعابير الحالة النفسية والانفعالية التي يكون عليها الإنسان، والتي من خلالها يظهر ذلك الشعور الكامن في النفس باختلاف نوعه، كالفرح أو الحزن أو الكآبة أو القلق أو الخوف، وغير ذلك من المشاعر الإنسانية، ولذلك في كثير من المواقف كان النبي ﷺ يعبر بوجهه دون أن يتكلم أحياناً، وفي أحيان أخرى كان ﷺ يعبر بوجهه ويتكلم بكلام مقتضب فيما يظهر المشاعر التي يختزنها النبي ﷺ في نفسه في ذلك الموقف، فعن عبد الله ﷺ، قال: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّهَا لِقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَذْكَرْهُ لَهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"^(٣).

(١) آلان و باربارا بيبز، المرجع الأكيد في لغة الجسد (ص ٩).

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين (ج ١/٧٩).

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الرِّكَاءِ/بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرٍ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، مج ١/٤٧٠، رقم الحديث ١٠٦٢].

- لغة العيون

قال الشاعر في دلالات الإشارة^(١):

أشارت بطرف العين خيفة أهلها *** إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا *** وأهلا وسهلا بالحبیب المتيم

وقال الآخر:

ترى عينها عيني فتعرف وحيها *** وتعرف عيني ما به الوحي يرجع

وقال آخر:

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره *** وتعرف بالنجوى الحديث المعمسا

وقال الآخر:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها *** من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تتطق والأفواه صامتة *** حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

فببعر البعض في قراءة ما تخبئ النفس من ظاهر العينين، ففيهما يكتنز الإنسان إظهار مشاعره صدقاً، وهذه اللغة الصعبة لا يتقن تفسيرها إلا النزر اليسير ممن يبرعون في تحليل معالم الوجه، وقد تميز رسول الله ﷺ بإظهار تلك التعابير وتفسيرها في وجوه أصحابه وأهله ﷺ، ففي قصة حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- لما كان يُجهز لزواجه من فاطمة ﷺ، بيان لبراعة النبي ﷺ في تفسير معالم وجه علي ﷺ لما امتعض وغضب من بقر حمزة لناقته، فالشاهد قول علي ﷺ: "فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِ الَّذِي لَقِيتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا لَكَ؟"، فَقُلْتُ: يَا

(١) الجاحظ، البيان والتبيين (ج ١/٧٨) .

رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، عَدَا حَمْرَةَ عَلَى نَاقَتِي، فَأَجَبَ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، وَهِيَ هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرِبٌ" (١) .

قال ابن حجر معقباً: "والمراد أنه بكى من شدة القهر الذي حصل له وفي رواية ابن جريج رأيت منظرا أفضعني -بفاء وطاء مشالة معجمة- أي نزل بي أمر مفضع أي مخيف مهول وذلك لتصوره تأخر الابتداء بزواجه بسبب فوات ما يستعان به عليه" (٢) .

ب. الإشارة:

قال الجاحظ (٣): "هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت" (٤)، أي تتقدم فيه الإشارة على الصوت في تأثيرها .

فقد تحدث النبي ﷺ حائناً صحابته ﷺ على كفالة اليتيم أو عول جاريتين أشار بإصبعيه السبابة والوسطى، وكان ذلك إشارة لقرب مكان ذلك الكفيل أو المعيل منه ﷺ، أما في كفالة اليتيم فعن مالك، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَيْثِ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِعِيره أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ" وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى" (٥) .

وأما في عول الجاريتين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ" وَضَمَّ أَصَابِعَهُ" (٦) .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الْخُمْسِ/بَابُ فَرْضِ الْخُمْسِ، ص: ٧٦١، رقم الحديث ٣٠٩١] .

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٦/٢٠٠) .

(٣) الجاحظ (٢٥٥هـ): عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. الزركلي، الأعلام (ج٥/٧٤) .

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين (ج١/٧٩) .

(٥) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ/بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، مج ٢/١٣٦٠، رقم الحديث ٢٩٨٣] .

(٦) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ النِّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، مج ٢/١٢١٦، رقم الحديث ٢٦٣١] .

فهاتان الإشارتان من الصحابييين الجليلين أبي هريرة وأنس بن مالك في الروايتين، نقلاً عن النبي ﷺ ووصفاً للفعل طبقاً، وفِعْلُ النبي ﷺ تلك الإشارة إنما هي أبلغ في جذب انتباه المشاهد.

ثانياً: الصوت الجهوري في الخطاب الإعلامي

إن النبي ﷺ قد جمع في خطابه الإعلامية والدعوية بين تعابير الوجه والإشارة بالأصابع، فكان ذلك أبلغ في إيصال مراده وإبقاء المشاهد في حالة شد انتباه وإصغاء إليه، فأكثر ما يرافق لغة الجسد في التأثير هو الصوت، لأنه يشكل ما نسبته ٣٧% من نسبة التأثير والاستجابة في المتابعين^(١)، ويصاحبه في التأثير كذلك تغيير مقامات الصوت واختلاف نبرته حسب المقال .

قال الجاحظ: "والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف"^(٢) .

ولقد كان النبي ﷺ يتميز بالصوت الجهوري الرخيم العالي، الذي يُسَمَّعُ به كل من حضره، فكان ﷺ يُجَوِّدُ صوته برفعه عالياً ويتحدث وكأنه منذر جيش، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَظَبَ أَحْمَرْت عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَأَشَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَانَهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: "صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ"، وَيَقُولُ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ"، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" ثُمَّ يَقُولُ: "أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَآلِيَّ وَعَلَيَّ"^(٣) .

(١) آلان و باربارا بيبز، المرجع الأكيد في لغة الجسد (ص ٩) .

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين (ج ١/٧٩) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجُمُعَةِ/بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، مج ١/٣٨٥، رقم الحديث

قال النووي: "يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقاً للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً وتحديده خطباً جسيماً"^(١)، ولذلك فإن الصوت الجهوري في الخطاب حين يمتلك الإعلامي المسلم، يكون له كبير الأثر في المستمع أو المشاهد، لأن محط الأنظار يكون متجهاً لنوع الصوت الذي يطرح به الإعلامي طرحه الذي يريد، وإن تناسق الصوت ونبرته مع الجسد ولغته لهو التجويد بعينه في الخطاب أيّاً كان نوعه .

ثالثاً: اختيار متحدث مفوه ينطق باسم الدولة أو مؤسساتها

لقد نَهَجَ النبي ﷺ أن يعين متحدثاً باسمه -أو نيابة عنه- أمام القبائل ورؤسائها وأمام ملوك الأعراق الأخرى كنجاشي الحبشة، وقد جَوَّدَ النبي ﷺ انتقاء متحدثيه ممن تميزوا بفهم الواقع وسياسة دعوة النبي ﷺ، فكانوا يجيدون فن الحوار والإقناع والتفاوض، فهؤلاء يطلق عليهم في زماننا (الناطق الإعلامي)، ويستنبط من ذلك، مشروعية تعيين ناطق إعلامي ينوب عن المسؤول في تلك الجهة، فيتحدث باسمها، سواءً أكانت حركةً أو حزباً أو جماعةً أو مؤسسةً أو غير ذلك من التجمعات، فيتحدث باسمها ويبين للناس رسالتها وأهدافها .

إن بلاد الحبشة كانت أرض الهجرة الأولى التي ارتحل إليها أصحاب النبي ﷺ، فقد كان جعفر بن أبي طالب ﷺ متحدثاً باسم المسلمين في هجرة الحبشة، كما أنه كان نظيراً في طلاقة لسانه وحكته لدهاء عمرو بن العاص ﷺ وعبد الله بن أبي ربيعة ﷺ اللذين كانا رسولين لقريش لاسترداد المهاجرين.

فما جاء في السيرة النبوية من رواية أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ أنها قالت: "ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما نقولون للرجل إذا جنتموه؟، قالوا: نقول: والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائننا في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته"^(٢)، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج٦/١٥٦) .

(٢) الأساقفة: علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم، واحدهم أسقف، وقد يقال بتشديد الفاء .

الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام- قالت: فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وأما به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، قالت: فقرأ عليه صدرا من: «كهيعص». قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت^(١) لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون^(٢). .

ثم لما رأى عمرو بن العاص رضي الله عنه ما أجاب النجاشي جعفر رضي الله عنه، فما كان منه إلا أن يدبر مكيدة أخرى ليضع المسلمين على المحك في إجابتهم عن قولهم في المسيح عيسى عليه السلام، ولكن رجل إعلام المسلمين في ذلك الوقت والمتمثل في جعفر رضي الله عنه كان منه الصلابة في الحق والثبات عليه.

(١) حتى أخضلت لحيته: أي بلها.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٣٣٥-٣٣٧) .

وتردّف أم سلمة ﷺ روايتها لأحداث هجرة الحبشة وحوار النجاشي مع جعفر فنقول: "فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم^(١) . قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود^(٢)، قالت: فتناخرت بطارقتة حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم . ما أحب أن لي دبرا من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم"^(٣) .

وهنا فإن التاريخ يعيد نفسه باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، ولكن سيناريو^(٤) مكائد الشيطان والصادقين عن دين الله واحدة، لكنها تستحدث بطرق معاصرة تناسب كل زمان، ومنها:

- نصرة الظالم على المظلوم .
- إقرار الظلم من الضعيف للقوي لبقاء المنعة والنصرة والغوث .

(١) خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا .

(٢) وهذا العود: منصوب على الظرفية: أي مقدار هذا العود. يريد أن قولك لم يعد عيسى بن مريم بمقدار هذا العود. وفي سائر الأصول: "ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت". ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٣٣٧-٣٣٨).

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٣٣٧-٣٣٨) .

(٤) سيناريو: جمعها سيناريوهات: وهو فن كتابة مفصلة للمشاهد المختلفة التي يتألف منها الفيلم أو التمثيلية أو المسرحية، وتتضمن الحوار والتوضيحات الخاصة بالنقاط المشاهد. عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ٢/١١٥٢).

- وضع المستضعفين على محك كلمة الحق .

ولذلك، فإن لسان الناطق بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، بل ينطق بالحق ولو على حساب جهة النصر.

وإنما يكون ذلك اللسان الناطق بالحق منعة للمسلمين من أن تتألمهم يد الظالمين إذا ما استضعفوا فاستتصروا بغيرهم من أهل العدل، فيكون منهم نشر رسالة الإسلام بأنه دين الحق لا دين المداهنة، فلا يرضى الإعلامي المسلم إعطاء الدنيا في دينه، ويستمد ذلك مما أسس عليه من عقيدة إسلامية سليمة مُجَوِّدة .

المطلب الثاني

الجودة في وسائل الإعلام

إن وسائل الإعلام وأساليبها لهي السبيل إلى إيصال أي رسالة بمفهوم أو معتقد يراد نشره بين طائفة من الناس، ولقد بحث النبي ﷺ وسائل عدة لإبلاغ دعوة الله ﷻ وإعلانها للناس، فكانت أهمية الإعلام تكمن في أنه أداة تحقيق المراد، أما السبيل للوصول للمراد فهي الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ في ذلك .

وإن تجويد وسائل الإعلام يتمحور في حُسن اختيار الإعلامي المسلم لتلك الوسيلة، ومناسبتها للحالة التي يريد أن يبلغ رسالته فيها .

ولقد استخدم النبي ﷺ واستحدث عدة وسائل للإعلام، كان أبرزها ارتقاؤه جبل الصفا أول ما بدأ دعوته داعياً قومه ومنذراً لهم، ثم كانت الهجرة إلى يثرب لتكون النواة لتأسيس دولة الإسلام، فكان أول مركز إعلامي إسلامي أنشأه النبي ﷺ هو المسجد، ثم تطور أمر اتخاذ وسائل للإعلام وإظهار الإعلامي المسلم والمتمثل بشخص النبي ﷺ فدعا بصناعة المنبر .

وقد جَوَّدَ النبي ﷺ اتخاذه لوسائل الإعلام، فكان من ذلك:

- المكان المرتفع: ومنه صعوده جبل الصفا ونداؤه قومه أول ما بدأ دعوته ﷺ .
- الأذان: ومنه تكليفه لبلال بن رباح ﷺ بأن ينادي بالأذان إخباراً وإعلاماً للمسلمين بحضور موعد الصلاة.
- المُسَمِّعُ: ومنه تكليفه العباس بأن ينادي في الجيش، يوم فتح مكة كَمُسَمِّعٍ .
- الشعر: ومنه تكليفه حسان بأن يرد بالهجاء^(١) على هجائهم رسول الله ﷺ .

(١) الهجاء: أحد أغراض الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث، وهو عمل أدبي يهاجم الرذيلة أو الحمق البشري من خلال السخرية، وقد يلجأ الهجاء إلى سلب المهجو ما يعتز به من الفضائل، أو رميه بما ينفر من الرذائل، وأحياناً يكون الهجاء سياسياً بغرض سلب الحاكم أو الأمير هيئته. عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج٣/٢٣٢٩) .

- الرايات والأعلام: استخدمها النبي ﷺ لتمييز فرق الجيش من الرماة، والفرسان ..
إلخ .

إن تجويد الوسيلة الإعلامية يكون بانقائها ومناسبتها لطبيعة البلاغ والخبر المراد نشره،
كالاتي:

أ. اتخاذ مكان عالٍ

صعد النبي ﷺ إلى جبل الصفا ونادى بأعلى صوته "يا صباحاه" وفي رواية أخرى نادى
أهل مكة خاصاً كل باسم أبيه أو جده، -وجبل الصفا مكان عالٍ مرتفع-، فعن ابن عباسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ
يُنَادِي: "يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ" -لِيُطَوِّنَ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ
أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا
بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "فَأِنِّي
نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ
يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (١).

وقد أجاد النبي ﷺ وجوّدَ اختياره لما صعد إلى جبل الصفا منادياً في قومه، لأن ذلك فيه
إظهار لعظم الأمر الذي سيحدث به ﷺ من يناديهم، فقد اتخذ النبي ﷺ جبل الصفا أداة للإعلام
في زمانه ﷺ، يُبلِّغُ من خلالها دعوته لأكبر عدد من الناس .

وقد استحدث النبي ﷺ المنبر ليرتقيه وبلغ ما أراد للمسلمين، فالغاية من المكان المرتفع
هو إيصال الصوت للحاضرين، والرؤية الواضحة من كل المشاهدين، وكما ذكرت في المطلب
السابق فإن كلاً من الصوت ولغة الجسد تشكّلان الحجم الأكبر من التأثير في الحاضرين.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ تفسير القرآن/بابُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ {
[الشعراء: ٢١٥] أَلَنْ جَانِبِكَ، ص: ١١٩٦، رقم الحديث ٤٧٧٠].

ب. تأسيس مركز إعلامي، واتخاذ مركزاً للنشر والإعلام

إن النبي ﷺ أول ما دخل المدينة أرخى لناقته عقالها كي تبرك أينما شاعت فهي مُسَيَّرَةٌ من الله ﷻ، فبركت في أرض لبني النجار .

قال السمهودي^(١): "لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوارٍ من بني النجار يضرين بالدفوف ويقلن: نحن جوارٍ من بني النجار *** يا حبذا محمد من جار"^(٢)، فبعدُ المسجد بمثابة مركز إعلامي يُصرِّحُ منه النبي ﷺ ويعلن قرارته التي كانت إما أن تُوحى إليه من ربه ﷻ، أو يتخذها بمشورة أصحابه ﷺ، وإنما يأخذ المسجد مشروعيته كمركز إعلامي من عدة جوانب، أذكر منها:

- اجتماع المسلمين للصلاة فيه .
- سعته التي تجمع أكبر عدد من المسلمين .
- النظر إلى المسجد على أنه مقر للقيادة الإسلامية ومكان لمشورتها .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّاسُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ بِقُبَاءٍ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبَلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ"^(٣).

فكان اجتماع الناس في المسجد للصلاة وإخبارهم بتحويل القبلة بمثابة إعلام لهم، لينتشر خبر تحول القبلة بعد ذلك في المدينة، فلا يفهم من ذلك أن المساجد يجوز أن تتخذ مراكز للإعلام في كل شيء، وإنما يقتصر الإعلام هنا على ما يناط بالخليفة أو الوالي من أمر

(١) السَّمْهُودِي ت (٩١١هـ): علي بن عبد الله بن أحمد، الإمام العلامة محدث المدينة ومؤرخها السيد نور الدين أبو الحسن الحسني القاهري الشافعي نزيل الحرمين، مؤلف تاريخ المدينة. وجواهر العقدين في فضل الشرفين والحاشية على إيضاح النووي. ابن الغزي، ديوان الإسلام (ج٣/١٠١) .

(٢) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (ج١/٦١٢) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، مج ١/٢٣٨، رقم الحديث ٥٢٦] .

المسلمين، فلا يأتين آت فيقول إن المساجد ننشد منها ضالنتا، ففي ذلك نهي صريح من النبي ﷺ، وإخبارٌ منه ﷺ أن المساجد لم تبَنَ لذلك، فعن أبي عبد الله، مولى شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا"^(١).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ/بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّشْدِ الضَّلَالَةِ فِي الْمَسْجِدِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ سَمِعَ النَّاشِدَ، مج ١/٢٥٤، رقم الحديث ٥٦٨].

المطلب الثالث

الجودة في أساليب الخطاب الإعلامي

تتعدد أساليب الخطاب الإعلامي، وتتنوع الرسائل الإعلامية التي يوصلها الإعلامي المسلم، فكل رسالة إعلامية لها المهتمون بها الذين يبحثون بين ثناياها، على اختلاف أفهامهم، لذلك كان تجويد النبي ﷺ حين يخاطب صحابته ﷺ إعلامياً، بتخييره الأسلوب المناسب للحاضرين.

ولقد تنوع الخطاب الإعلامي من النبي ﷺ فكان منه الإعلام الإخباري، ومنه الإعلام التعليمي ، كآتي:

أولاً: الإعلام الإخباري

يقصد بالإعلام الإخباري، إخبار النبي ﷺ بأمر للعلم به، ويكون غرضه ﷺ من ذلك إما امتثال المسلم به أو الانتهاء عنه، أو أن يترتب عليه أمر آخر كإخباره عن الاستعداد لغزوة فيتربط عليه أمر التجهز لها، ومن أساليب الإعلام الإخباري، الآتي:

• البيان الإعلامي

إن البيان الإعلامي بمثابة التصريح من مسؤول في زماننا، حيث يتم تناوله وتناوله بالتحليل والتوجيه والاستشراف لما بعده وما يترتب عليه، ولا يكون فيه محاوره لصاحب التصريح غالباً، إلا أن يتطلب الأمر أو يسمح المصريح بذلك .

والبيان الإعلامي في زمن النبي ﷺ ، هو ما يصرح فيه النبي ﷺ بالأمر المراد، ويكون ذلك إما بنزول الوحي بالقرآن أو بقول النبي ﷺ من لفظه، وقد جاء القرآن صريحاً في هذا النوع من الإعلام الإخباري.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ

وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّٰبِرِينَ * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١﴾ .

فكان الأمر في الآيات بالنظر إلى عاقبة الأقسام السابقة، وما يعقبه من الابتلاءات والتمحيص والاستخلاف، وعليه يترتب أمر العمل بالاستعداد لفعل ذلك من التفكير والتأمل، والصبر على ما سيلحق بالمسلم من الاختبار .

ومما يتميز به البيان الإعلامي أنه يكون عاجلاً، ولا يكون إلا لأمر مهم تلتفت إليه الأنظار وتصغي إليه الأفهام، وتكثر بعده التحليلات والأقاويل، وذلك لما يكون منه من مقدمات توحى بذلك، وإعلان مسبق عنه، ومثاله ما فعله النبي ﷺ لما أعلن عن دعوته في الحديث المذكور آنفاً من صعوده جبل الصفا وإنذار قومه ببيان إعلامي إخباري عن أمر جلل، -، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: "يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ" -لِبَطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَبِيلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (٢).

فالأمر كان عند النبي ﷺ عظيم جلل، حيث أنه جاء في روايات أخرى أنه أول ما صعد الصفا، نادى بأعلى صوته مستتفراً من يناديهم "يا صباحاه"، وهي عبارة تنذر بأمر خطير، ولكن العقلية المكية العنيدة المتمثلة في شخصية أبي جهل وغيره من المشركين، والتي تشبثت بدين آبائها وأجدادها، تعاملت مع الأمر بلا مبالاة بل لم تعره أي اهتمام، ولكن الأمور المترتبة

(١) [آل عمران: ١٣٨-١٤٣] .

(٢) سبق تخريجه، (ص ٢٦٠) .

على صدور هذا البيان الإعلامي من النبي ﷺ بمثابة شرارة التصقت بفتيل فأشعلته رويداً رويداً حتى كان ما كان من أمر الدعوة الذي قض مضاجع المشركين .

• الموعظة القصيرة

لقد أخبر النبي ﷺ أن من فقه الداعية إلى الله أن يوجز مقاله -فخير الكلام ما قل ودل- بما يدل على مراده دون أن يُخَلَّ بالمراد، وقد نبّه النبي ﷺ لذلك، عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانٍ^(١)، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: حَطَبْنَا عَمَّارًا، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ فُلْنَا: يَا أَبَا الْيُقْطَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنْقَسْتُ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقَصَرَ حُطْبَتِهِ، مِثْنَةٌ مِنْ فِئِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الحُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ النَّبِيَّانِ سِحْرًا"^(٢) .

ولذلك كان الإيجاز في الكلام سمة في النبي ﷺ، ولولا ذلك، ما وجدت اليوم شرح الحديث وعلماء الفقه يُقبلون على فهم مراد النبي ﷺ في كلامه، وقد أُلْفِت في شرح الموجز من كلامه ﷺ المؤلفات لتفصله وتبينه، ومثال من ذلك، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمُنْبَرِ فَقَالَ: "إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي، وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا"^(٣) .

فقد أوجز النبي ﷺ بالإخبار هنا والإعلام بما في نفسه من الحرص على المسلمين وتحذيرهم من الوقوع في شركِ النافس في الدنيا .

(١) وَاصِلِ بْنِ حَيَّانٍ: واصل ابن حيان الأحدب الأسدي الكوفي بياع السابري بمهملة وموحدة ثقة ثبت من السادسة مات سنة عشرين ومائة. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٧٩)، رقم ٧٣٨٢ .

(٢) سبق تخريجه، (ص ١٣٣) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الفَصَائِلِ/بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ، مج ١٠٨٧/٢، رقم الحديث [٢٢٩٦] .

ثانياً: الإعلام التعليمي

فالمراد بالإعلام التعليمي والذي يكون مفاده إيصال المعلومة العلمية باختلاف نوعها إلى أكبر عدد من المتعلمين بشكل مبسط يسهل فهمه وحفظه .

إن المعلم في هذا النوع من الإعلام يدلي بالعلم إلى المتعلم بأحد الأساليب المناسبة لحالة المتعلمين، حيث إن الإعلامي المَعْلَمُ الفَدَّ يُقَدَّرُ الأسلوب الإعلامي التعليمي المناسب لذلك.

ولقد استخدم النبي ﷺ الإعلام التعليمي في نشر وتعليم جُلِّ دين الله ﷻ وأحكامه، فكان من الأساليب التي عمدها النبي ﷺ في الإعلام التعليمي:

• الخطبة

تعتبر الخطبة أسلوباً إعلامياً تعليمياً مثمراً في إبلاغ الرسالة الإعلامية المرادة مفصلةً ومُبيَّنةً وفق فهم ومراد الخطيب أو المحاضر(المتحدث)، ولقد عمد النبي ﷺ إلى الحديث للمسمين وإعلامهم بأمر كثيرة من خلال الحديث الجماعي العام، فزخرت السنة المشرفة بهذا الأسلوب الذي انتهجه النبي ﷺ في تبليغ دعوته وإبرازها إعلامياً .

وقد كانت الخطبة أسلوباً نبوياً تاريخياً، عمد إليها الأنبياء في دعوة أقوامهم وإعلامهم حقيقة رسالة ربهم، وفي قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح دليل ذلك، عن سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِإِبْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ^(١) يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرٌ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ^(٢) حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ حَاطِبِيًّا

(١) نَوْفُ الْبِكَالِي: نَوْفُ بْنُ فَضَالَةَ الْحَمِيرِيِّ الْبِكَالِي، أَبُو يَزِيدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو الرَّشِيدِ، وَيُقَالُ: أَبُو رَشِيدِينَ، وَيُقَالُ: أَبُو عَمْرٍو، الشَّامِيُّ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ، وَيُقَالُ: مِنْ أَهْلِ فَلَاسْطِينَ، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ كَعْبِ الْأَحْبَارِ. الْمَزْيِيُّ، تَهْذِيبُ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ (ج ٣٠/٦٥)، رَقْمٌ ٦٤٩٨ .

(٢) كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ: وَقَوْلُهُ كَذَبَ وَقَوْلُهُ عَدُوُّ اللَّهِ مَحْمُولَانِ عَلَى إِرَادَةِ الْمُبَالَغَةِ فِي الزَّجْرِ وَالتَّنْفِيرِ عَنْ تَصْدِيقِ الْمَقَالَةِ . ابْنُ حَجْرٍ، فَتْحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (ج ٨/٤١٣) .

فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ^(١).

ولقد سنَّ النبي ﷺ خطبة أسبوعية في يوم عيد المسلمين، يوم الجمعة، فكانت الخطبة إعلاماً إخبارياً بأحوال المسلمين ومعالجة لقضاياهم .

عن أَبِي زَيْدٍ يَعْنِي عَمْرَو بْنَ أَحْطَبَ^(٢)، قَالَ: "صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ" فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا^(٣).

ففي ذلك المقام أجاد النبي ﷺ بالجمع بين الإعلام الإخباري والإعلام التعليمي باستخدامه أسلوب الخطبة واعتماده المنبر وسيلة للإبلاغ، فكان الإخبار بما كان وبما هو كائن وكان التعليم باستجابة الحاضرين للنبي ﷺ بحفظ نصه ﷺ، ويشير إلى ذلك ابن أخطب حين قال: "فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا" .

ومنه أيضاً ما جاء عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ"، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: "لَيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَنْخُطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ"^(٤)، ففي ذلك إخبارٌ غرضه الانتهاء عن ذلك، والحدز مما يترتب عليه من عقوبة، وتعليم إشاري بإبهام المقصود عيناً للصحابة، بالألا يذم صاحب المعصية على الملأ.

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، ص: ٤٢، رقم الحديث ١٢٢].

(٢) عَمْرُو بْنُ أَحْطَبَ: أَبُو زَيْدٍ وَ بِن مَحْمُودِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّيْفِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَارِثَةَ أُخُوَةَ الْخَزْرَجِ . ابْنِ قَانِعٍ، مَعْجَمُ الصَّحَابَةِ (ج٢/٢٠٥)، رقم ٧٠٦ .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْفَتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ/بَابُ إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، مج ٢/١٣٢٢، رقم الحديث ٢٨٩٢].

(٤) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَذَانِ/بَابُ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، ص: ١٨٥، رقم الحديث ٧٥٠].

• الحوار

إن أسلوب الحوار والمناظرة بالحجة والدليل المقنع له أثر بالغ في تعليم الناس، لما يكون من التفاعل بالحواس من المشاهدين وترقبٍ لنتيجة ذلك الحوار بين المعلم والمتعلم، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في كثير من المواطن وأذكر منها حوار النبي ﷺ مع عمر بن الخطاب ﷺ في صلح الحديبية لما ردَّ أبا جندل .

فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحَدِيثِ ... فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا، قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ رَسْفُفٍ فِي قُبُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَطْهَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، -وقد دار حوار بين النبي ﷺ وسهيل بن عمرو، حتى تدخل عمر ﷺ- قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي"، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتِ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ"، قَالَ: قُلْتُ: لَأَ، قَالَ: "فَأَتَيْتُكَ أَنْتِهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ"، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعِزِّهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتِ وَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُكَ أَنْتِهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ، - قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا^(١) .

فكانت إجابة النبي ﷺ لعمر ﷺ في حوارهما تدرجية في التعليم، حيث تدرج عمر ﷺ في الاستفسار من النبي ﷺ ليصل إلى مراده وهو ألا يردَّ أبو جندل إلى قريش، وفي ذات الوقت

(١) سبق تخريجه (ص: ١٢٦) .

كانت إجابة النبي ﷺ بشخصية القائد الذي يطمئن جنوده بأنه يعي ما يفعل، وكأنه يخطط لمستقبل يستشرفه من التردد والارتباك الذي كان سهيل بن عمرو واقعاً به، ورغم أن النبي ﷺ قد استشرف من اسمه السهولة في الصلح إلا أن انتهاز سهيل الفرصة ليضيق على النبي ﷺ واسعاً كان دليلاً على ارتبائه الداخلي الذي يريد من خلاله أن يعزز شخصيته ويُسْتَشَفُّ ذلك من قول سهيل: "هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ"، حيث قالها بمجرد وصول أبي جندل .

• طرح السؤال

إن طرح السؤال من أكثر الأساليب التعليمية نجاحاً في التعليم، ولأنه كذلك؛ فإنه يستهوي نفوساً كثيرة لخوضه أو مشاهدته، وقد حوكت هذا الأسلوب في زماننا ببرامج المسابقات والعصف الذهني، الذي يجذب المشاهدين والمستمعين للمشاركة وإدلاء كل امرئ بدلوه بما يخطر بباله ويعصف به ذهنه، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب الجذاب إعلامياً .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرْقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدَّثُونِي مَا هِيَ" فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "هِيَ النَّخْلَةُ"^(١).

ومنه أيضاً سؤال النبي ﷺ عن المفلس، واختلاف الإجابة عما في أفهامهم، وذلك أدعى لحفظ المعلومة وإشاعتها ونشرها بين الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "اتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضْرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُفْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"^(٢).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْعِلْمِ/بَابُ قَوْلِ الْمُحَدِّثِ: حَدَّثْنَا، وَأَخْبَرْنَا، وَأَنْبَأْنَا، ص: ٢٧، رقم الحديث ٦١].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، مج ٢/١١٩٩، رقم الحديث ٢٥٨١].

ففي ذلك قال النبي ﷺ كلمة متداولة معروفة بين الصحابة، حيث إن الإجابة كانت جماعية ومتفق عليها من جميعهم كما جاء في الحديث، إلا أن مقصود النبي ﷺ كان على غير ما فهموه، فكان مقصده بعيداً عن أفهامهم في الدنيا، حيث كان فهم الصحابة للمعنى دنيوي، وأما ما أراد النبي ﷺ أن يعلمهم إياه هو المعنى الأخروي .

وختاماً فإن تجويد الأساليب في الخطاب الإعلامي، يكون باختيار الأسلوب المناسب للفتة المُتحدّث إليها، مع حُسن استخدام الوسائل والأساليب المناسبة لذلك، والتركيز على تجويد الأصل في ذلك كله والتي تساق هذه الأساليب والوسائل من خلالها ألا وهي تجويد أساسيات الإعلام النبوي المتمثلة في مظهر الإعلامي جهورية صوته وفصاحة لغته .

المطلب الرابع

الجودة في الإعلام الحربي (العسكري)

إن كون الحرب بين أيّ فئتين، لا بد وأن يكون لكل منهما إعلام وإعلاميون، بل جسم إعلامي متكامل يوثق مراحل الحرب وخطواتها وأحداثها -قبل وأثناء وبعد الحرب-، وكذلك يعمل على رفع معنويات الجيش المقاتل، لما لذلك من أثر كبير في تحديد أولويات الحرب واتجاه سيرها والنتائج المترتبة عليها .

ولابد أن يكون الإعلام الحربي ذا سطوة وقوة وتحفيز، لأنه يُعدُّ إعلاماً مرحلياً له ما يترتب عليه من قرارات تتساق مع طبيعة المرحلة التي تكون فيها الحرب، والتي تتشكل فيها الصورة الكاملة لتلك الفئة المقاتلة، حتى تتخذ إجراءاتها وتبدأ بالعمل بها بعد ذلك .

فالإعلام يطلق عليه في زماننا مصطلح السلطة الرابعة، لما له من الهيمنة القوية في فرض الرأي و الوجهة والحفاظ على هيبة الجهة التي تقف خلف الإعلام الحربي وتدعمه .

ولقد جود النبي ﷺ الإعلام الحربي في غزواته، فقد كان للإعلام الحربي أثر بارز في رفع الروح المعنوية للصحابة المجاهدين، وحثهم على الجهاد والقتال والإقبال على ساحاته، دون أن يرهبهم القتل أو الجراح، أو يمنعهم الأهلون والأولاد، أو يردعهم الخوف والجبن، فكانت البسالة شعارهم، والتضحية ديّنهم، وبذل الأرواح لله ﷻ رخيصة غايتهم .

أولاً: الخطاب الإعلامي الحربي قبيل القتال

لقد خاطب النبي ﷺ أصحابه خطاباً إعلامياً توجيهياً قبيل المعارك والغزوات، وكان التحفيز واستنهاض الهمم السمة البارزة في ذلك الخطاب الحربي لعسكره، حيث أن خطاب النبي ﷺ كانت السمة الأبرز فيه هو الترغيب في القتال بذكر ما عند الله ﷻ من أجر للشهداء في سبيله، عن أبي هريرة ؓ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَضَمَّنَ (١) اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا

(١) تَضَمَّنَ اللَّهُ: -أي- تَكَفَّلَ اللَّهُ وَمَعَنَاهُمَا أُوجِبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَكَرَّمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا الضَّمَانُ وَالْكَفَالَةُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ الْآيَةَ. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢٠/١٣) .

يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ^(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ، لَوْثُهُ لَوْثُ دَمٍ، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَعْرُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَعْرُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَعْرُو فَأُقْتَلُ^(٢).

فالنبوي ﷺ يستحث هم المجاهدين بوعدهم بصدق ما عند الله ﷻ من الأجر والثواب والرفعة، بل ويُقدِّم نفسه عليهم في القتال والغزو في سبيل الله ﷻ، وإن تقديم القائد نفسه بالتضحية بالقول، يجعل جنوده يقفون من حوله في البسالة أمام بسالته .

وما قصة عمير بن الحمام ببعيد عن ناظرنا، حين رمى تمرات كانت في يده مقبلاً على الله ﷻ مجاهداً في سبيله حتى قتل، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قُومُوا إِلَيَّ جَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةَ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَاتَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: "لَئِنْ أَنَا حَبِيبٌ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"^(٣).

(١) كَلِمٍ يُكَلِّمُ: أَمَا الْكَلِمُ يَفْتَحُ الْكَافَ وَإِسْكَانِ اللَّامِ فَهُوَ الْجُرْحُ وَيُكَلِّمُ بِإِسْكَانِ الْكَافِ أَيُّ يُجْرَحُ . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ٢١/١٣) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ/بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مج ٩٠٧/٢، رقم الحديث ١٨٧٦] .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ/بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، مج ٩١٧/٢، رقم الحديث ١٩٠١] .

فما هذه الاستجابة من الصحابي الجليل عمير بن الحمام رضي الله عنه وإخوانه من الصحابة الآخرين إلا لجودة من النبي صلى الله عليه وسلم في خطابه الإعلامي الحربي الذي يستحث فيه النفوس على الجهاد في سبيل الله ترغيباً.

ولذلك فإن الجودة في الخطاب الإعلامي الحربي أساس في استجابة المجاهدين، بل واستجابة أهلهم في دفعهم للجهاد، لما يعلمون من الأجر والثواب الذي أعده الله للمجاهدين، وفي قصة الخنساء عبرة، لما دفعت أبناءها الأربعة للجهاد .

يقول محمود شيث خطاب: "وشهدت الخنساء الشاعرة المشهورة معركة القادسية الحاسمة، ومعها بنوها أربعة رجال، فحرضتهم على القتال.

وباشر أولاد الخنساء القتال، وقتلوا واحداً بعد واحد، فلما علمت باستشهادهم قالت: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) .

لم تجزع الخنساء على استشهاد أولادها الأربعة تحت لواء الإسلام، وهي التي جزعت أشد الجزع وأعظمه على أخيها صخر بن عمرو السلمي الذي قتل تحت لواء الجاهلية، وبكته أحر البكاء وأغزره، ولا يزال شعرها في (صخر) مضرب الأمثال في العاطفة المتأججة وصدق الرثاء" ^(١) .

ولقد انتهج النبي صلى الله عليه وسلم الخطاب الإعلامي الحربي في تبشير المجاهدين بالنصر حين أخبر صحابته عن مصارع المشركين، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَتَرَاءَيْنَا الْهَلَالَ، وَكُنْتُ رَجُلًا حَدِيدَ الْبَصَرِ، فَرَأَيْتُهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَأَهُ غَيْرِي، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِعُمَرَ، أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لَا يَرَاهُ، قَالَ: يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ، بِالْأَمْسِ، يَقُولُ: "هَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: فَجَعَلُوا فِي بَنَرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى انْتَهَى

(١) خطاب، الرسول القائد (ص ٢٣) .

إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "يَا فُلَانُ بَنُ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بَنُ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللهُ حَقًّا"، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُكَلِّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا"^(١) .

فقد جَوَدَ النبي ﷺ استخدامه للإعلام الحربي حين حدد أماكن مقتل بعض المشركين وكأنه ﷺ كان يتجول و جنده في ساحة المعركة فيبشرهم بالنصر بمقتل قادة المشركين، وهنا يبرز دور تجويد الإعلام الحربي وحسن استخدامه.

ثانياً: الخطاب الإعلامي الحربي أثناء القتال

يقول الداعية علي القرني في وصفه لشجاعة النبي ﷺ: "كان ﷺ أشجع الناس، خاض غمار الحروب في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله ..

أزال ظلام الغي عن نير الهدى * * وحكّم سيف الحق في كل باطل

مضى فعله المشتق من مصدر العلا * * فصح له منه اشتقاق اسم فاعل

في يوم حنين اختل نظام جيشه وانفض عنه معظمه، وهو ثابت في الميدان لا يبرح، مقبل لا يدبر، ظاهر لا يتوارى، وكيف يتوارى عن الموت من يوقن أن موته انتقال من حياة نصب ومشقة إلى ما اشتهت نفسه ولذت عينه، يركض بغلته البيضاء في نحر العدو، ويترجل عنها حيناً، فلا يرى أحد أشد منه يومئذ؛ كالسيل في دفعاته، والسيف في عزماته، والموت في وثباته، يشهر نفسه وهو هدف العدو الأعلى، ويزأر .. هلموا إلي أيها الناس، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله، أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب ..

تخرج الألفاظ من فيه كما * * تخرج الدرّة من جوف الصدف

له عزمة لو صادمت ركن يذبل * * ورضوى لهدت يذبل ومحت رضوى

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِتْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالنَّعْوِذِ مِنْهُ، مج ٢/١٣١٤، رقم الحديث ٢٨٧٣] .

مناديه ينادي: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة، فجر النداء مكانن الإباء،
وثاب الفار منهم ولبي، وأما الصوت وحاله : يا رسول الله هانا ذا ..

أنا بعض منك والكف على ** كل حال لا تضيع المعصم

وحمي الوطيس وبذل النفيس .. ورمى رسول الله ﷺ وجوه القوم بقبضة من تراب قائلا :
شاهت الوجوه فما خلق الله إنسانا منهم .. إلا ملئت عيناه من تلك القبضة فولوا مدبرين ..

قد زلزل الرعب أيديهم وأرجلهم ** وعاد ثعلب قفر ذلك الأسد

فمُجَدَّلٌ ومُرْمَلٌ ومُوسَّدٌ ** ومُضْرَجٌ ومُضَمَّخٌ ومُخَصَّبٌ

ونزلت السكينة على المؤمنين .. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
ومن لاذ بالله في دريه ** كفاه المهيمن من كل شر (١) .

من هذه الكلمات يستشعر المسلم عظم القائد المسلم لما يرفع معنويات جنوده بخطابه
الإعلامي الحربي الذي يجدد في الهمم والإقبال على الجهاد في سبيل الله ﷻ .

فيتسابق القائد مع جنوده ليثخنوا في أعداء الله ﷻ، لأن تقدم القائد على جنوده في القتال
يزيل الرهبة من قلوب المجاهدين، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لما كانت غزوة حنين،
حيث تراجع المسلمون، ورسول الله ﷺ مقبل على أعداء الله ﷻ جباراً لا يرهبونه، ولقد يعلم
الرسول ﷺ والمسلمون من بعده أن الرسول ﷺ هو هدف للمشركين، إلا أن النبي ﷺ لم يأبه
لذلك، وخاض غمار المشركين لا يرده عنهم شيء، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي كَثِيرُ بْنُ
عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: قَالَ عَبَّاسٌ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو
سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ بِيضَاءَ
أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوْهُ بِنُ ثِقَاتَةَ الْجُدَامِيِّ، فَلَمَّا انْقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَعْلَتَهُ قِبَلَ الْكَفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَعْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُهَا إِزَادَةَ

(١) مقطع صوتي/علي القرني، بوتيوب (شجاعة النبي خلال المعارك) .

أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيُّ عَبَّاسٍ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ"^(١)، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّبًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيُّ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَيْبِكَ، يَا لَيْبِكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكَفَّارَ، وَالِدَّعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ يَفُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ فُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَتَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعْلَتِهِ كَأَلْمُتَطَاوِلٍ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ" قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكَفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: "انْهَرْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ" قَالَ: فَذَهَبَتْ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا"^(٢).

ففي هذا المقام كان الإعلام الحربي من النبي ﷺ مُجَوِّدًا بجلجلة صوت عمه العباس ؓ الجمهوري، الذي سَمِعَ به جيش المسلمين نداء النبي ﷺ وذكرهم ببيعته على الموت، فقد أجاد النبي ﷺ هنا استخدام أداة الإعلام الحربي، وهو الصوت الجمهوري المنزل الذي أيقظ في النفوس حمية الإسلام والبيعة لله ﷻ وللرسول ﷺ على الموت .

ثالثاً: الخطاب الإعلامي الحربي بعد القتال

تتمثل أهمية الخطاب الإعلامي الحربي بعد انتهاء القتال في تثبيت المجاهدين، والحفاظ على الروح المعنوية التي كانوا عليها قبل وأثناء القتال، وإبقائهم على أهبة الاستعداد لأي طارئ يطرأ بعد أن تضع الحرب أوزارها، فإن لذلك الخطاب ما بعده من التوجه السياسي، لأن الانتصار في معركة ما يضع الفريق المنهزم تحت هيمنة الفريق المنتصر ولو بالرعب .

ولقد وقف النبي ﷺ بعد انتصار غزوة بدر أمام جثث المشركين مُجندلين ومُضرجين بدمائهم، وقفة المنتصر المُعَزِّ بِرَبِّهِ ﷻ، وينادي بهم كل باسمه والصحابة ؓ ينظرون، فَأَنْطَلَقَ

(١) أَصْحَابُ السَّمُرَةِ: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، مج ٨٥٢/٢، رقم الحديث

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: "يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا"، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَكَلَّمُ أَجْسَادًا لَا أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا"^(١)، فكان ذلك الخطاب فيه من التثبيت للمجاهدين لما هم عليه من وعد وعهد الله ﷻ ورسول الله ﷺ .

وفي موقف آخر، يوم أحد يبرز دور وأهمية الإعلام الحربي في رفع الروح المعنوية للجيش المسلم بعد أن تعرض لهزيمة أمام جيش الكفر. وقف المشركون بعد الغزوة وكان قائدهم أبو سفيان ﷻ - وكان آن ذاك مشركاً-، وقف ينادي في المسلمين ويستهزئ بهزيمتهم وما لحق بهم من الأذى والقتل، فما كان من النبي ﷺ إلا أمر بالرد بلغة الواثق بربه، الداخض لإعلام الكفر الذي يهدف وبِسِمَةِ أبرز إلى الانتشاء بمقتل قادة الجيش المسلم وقلع الشوكة التي وضعت في حلق المشركين منذ بدء الدعوة الإسلامية، فقد جاء عن البراء ﷻ، قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاءِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: "لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا نُعِينُونَا" فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَن سَوْقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلَاجِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةَ الْغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: "لَا تُجِيبُوهُ" فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنْ هُوَ لَأَعْلَى وَأَجَلُّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اأَعْلَى هُبْلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَجِيبُوهُ" قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ" قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُرَى وَلَا عُرَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَجِيبُوهُ" قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ" قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثَلَّةً، لَمْ أَمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسْؤُنِي^(٢) .

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٧٤) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب غزوة أحد، ص: ٩٩٣، رقم الحديث ٤٠٤٣] .

يقف أبو سفيان مخاطباً للمسلمين خطاب المنتصر المنتشي بالنصر، وما يدور بخَلده هو اجتثاث وجز رقاب قادة المسلمين المتمثلة بالرسول ﷺ وأبي بكر ﷺ وعمر ﷺ، فيسأل عن كل واحدٍ منهم باسمه؛ هنا يُجودُ النبي ﷺ للإعلام العسكري بالصمت الإعلامي المضلل للعدو، فيفضّل النبي ﷺ الصمت في هذا الموقف، وهي من الحنكة العسكرية في تحفي القادة ومشروعيتها حال الحروب والقتال، لما يلحق بالمسلمين حال الإصابة أو التمكّن من قادتهم من غيظٍ للمسلمين وشماتة من عدوهم فيهم، ولكن عمر ﷺ لم يطل صمته ولم يملك نفسه كما يروي البراء ﷺ، فخرج مزجراً بصوته هادماً لتلك النشوة والفرحة التي حظي بها أبو سفيان ﷺ بظنه وقوع القادة في المعركة بين الشهداء والجرحى، فيقول أبو سفيان منتشياً: "أغلُّ هُبْلُ"، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أذن للإعلام المضاد بالرد ودحض شركهم، بالرد على كل هجوم إعلامي على المسلمين، فيخرج عمر قائلاً: "الله مولانا ولا مولى لكم" فلقد برع النبي ﷺ في استخدامه للإعلام الحربي في معاركه وقيادته للمسلمين وتوجيههم.

قال الواقدي^(١): "وَقَالُوا: لَمَّا تَحَاجَرُوا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الْإِنصِرَافَ، وَأَقْبَلَ يَسِيرُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ حَوَاءٌ^(٢) أَنْتَى، فَأَشْرَفَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَرْضِ الْجَبَلِ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَعْلُ هُبْلُ! ثُمَّ يَصِيحُ: أَيُّ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيُّ ابْنِ أَبِي فُحَافَةَ؟ أَيُّ ابْنِ الْخَطَّابِ؟ يَوْمَ بِيَوْمِ بَدْرٍ، أَلَا إِنَّ الْأَيَّامَ دَوْلٌ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ، وَحَنْظَلَةٌ بِحَنْظَلَةٍ^(٣)! فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُجِيبُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلَى، فَأَجِبْهُ!، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَعْلُ هُبْلُ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّهَا قَدْ أَنْعَمْتَ، فَعَالَ عَنْهَا^(٤)! ثُمَّ قَالَ: أَيُّ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؟ أَيُّ ابْنِ أَبِي فُحَافَةَ؟ أَيُّ ابْنِ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهَذَا عُمَرُ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمَ بِيَوْمِ

(١) الواقدي ت (٢٠٧ هـ): محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي المدني القاضي القاضي صاحب التصانيف، والمغازي العلامة الإمام أبو عبد الله أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه. الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج٩/٤٥٤)، رقم ١٧٢ .

(٢) الحوة: حمرة تضرب إلى السواد. الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (ج٦/٢٣٢٢) .

(٣) يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سفيان.

(٤) أَنْعَمْتَ، فَعَالَ عَنْهَا: تجاف عنها ولا تذكرها بسوء، يعني ألتهتهم. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج٣/٢٩٤) .

بَدْرٍ، أَلَا إِنَّ الْأَيَّامَ دُولٌ، وَإِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ. فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءَ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتَلَكُم فِي النَّارِ! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ذَلِكَ! لَقَدْ خَبْنَا إِذْ وَحَسِرْنَا! قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعِزَّةُ وَلَا عِزَّةَ لَكُمْ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ! (١).

(١) الواقدي، كتاب المغازي (ج ١/٢٩٦).

المطلب الخامس

الجودة في الإعلام الأمني

إن الأمن في المجتمعات لا يتحقق إلا بمنظومة أمنية كاملة تتحكم فيما يصلح للنشر على وسائل الإعلام وما لا يصلح، حيث إن الإعلام هو وسيلة لتحريك الرأي العام وتشكيل اتجاهات المجتمع، ومن ذلك كان لزاماً على النبي ﷺ أن يكون ذا حسٍّ أمنيٍّ، فلا يقدم معلومة ذات أهمية على طبق من ذهب للمتربصين بنشرها، فهناك من المعلومات إذا نشرت يكون ضررها أكبر من نفعها .

ولقد جَوَّدَ النبي ﷺ الإعلام الأمني في عدة مواطن يتضح من خلالها حنكة النبي ﷺ الأمنية في قيادة مجتمع المسلمين أمنياً، فاتضحت الجودة في الإعلام الأمني من النبي ﷺ في أكبر عملية أمنية قام بها النبي ﷺ، ألا وهي الهجرة، حيث اتخذ النبي ﷺ احتياطاته الأمنية الكاملة لضمان نجاحها في سلامة الخروج من مكة وشقَّ طريقه نحو المدينة، فالأمن في حياة النبي ﷺ كان أحد أسرار نجاح دعوته بعد تأييد الله ﷻ لنبيه ﷺ، كما كان الإعلام الأمني سبباً في إنجاز كثير من المهام الدعوية والعسكرية والسياسية والاجتماعية، وأذكر ثلاثة مواطن جَوَّدَ النبي ﷺ فيها الإعلام الأمني:

أولاً: الهجرة النبوية

إن الهجرة النبوية كان للإعلام الأمني فيها دور بارز في نجاة النبي ﷺ ومعه أبو بكر ﷺ من ملاحقة المشركين، فلما سئل أبو بكر ﷺ عن النبي ﷺ قال هذا هادٍ يهديني السبيل، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: "أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الْحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ"^(١).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ/بَابُ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، ص: ٩٦٠، رقم الحديث ٣٩١١] .

فتمويه أبي بكر ﷺ يعد بمثابة نشر إعلامي تضليلي لمن يسأل عنه أو يتربص به وإلهاء للناس عن هذا هو رسول الله ﷺ، فلا يخطر ببال السائل أن الذي معه هو النبي ﷺ، وبذلك كان النجاح في سرية الهجرة .

قال ابن حجر: "قوله يهديني السبيل بين سبب ذلك ابن سعد في رواية له أن النبي ﷺ قال لأبي بكر أله الناس عني فكان إذا سئل من أنت قال باغي حاجة فإذا قيل من هذا معك قال هاد يهديني"^(١) .

ولقد كانت التدابير الأمنية التي اتخذها النبي ﷺ في الهجرة دليلاً على إجادة النبي ﷺ لتثبيت احتياطاته الأمنية التي كانت سبباً رئيساً أيضاً في بلوغه هدفه ووصوله إلى المدينة المنورة، ومن ذلك:

- حضر النبي ﷺ إلى منزل أبي بكر ﷺ وقت الظهر، وهو وقت قل أن يكون الناس فيه ظاهرين خارج بيوتهم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لقل يوم كان يأتي على النبي ﷺ، إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، فلما أذن له في الخروج إلى المدينة، لم يرعنا إلا وقد أتانا ظهراً، فخبّر به أبو بكر، فقال: ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حدث"^(٢).

فذلك نوع من الأمن والسرية في اللقاء بين النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ.

- إبداع الراحلتين عند رجل من بني عبد بن عدي وهو على دين المشركين-، كانا قد أمناه لما له من عهد عند آل العاص بن وائل، فأودعا الراحلتين عنده على أن يلقاهما بعد ثلاث ليالٍ عند غار ثور، عن عائشة رضي الله عنها: "واستأجر النبي ﷺ، وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، ثم من بني عبد بن عدي هادياً خريئاً - الخريئ: الماهر بالهداية- قد غمس يمين حلف في آل العاص بن وائل، وهو على

(١) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٧/٢٥١) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/باب إذا اشترى متاعاً أو دابة، فوضعه عند البائع أو مات قبل أن يُقبض، ص: ٥١٤، رقم الحديث ٢١٣٨] .

دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمْنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا صَبِيحَةَ لَيَالٍ ثَلَاثٍ، فَارْتَحَلَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالذَّلِيلُ الدَّيْلِيُّ، فَأَخَذَ بِهِمْ أَسْفَلَ مَكَّةَ وَهُوَ طَرِيقُ السَّاحِلِ" (١) .

ثانياً: الأمن المجتمعي

يتمثل الأمن المجتمعي في تشكيل جهاز أمني يراقب المتربصين بالأمن المجتمعي، الذين يعتمدون إلى زعزعة الأمن العام لحياة الناس، سواء أكان بالإشاعات والحرب النفسية، أو الإعداد للأعمال التخريبية، أو غير ذلك مما يزعزع الاستقرار .

ولقد تشكل عند النبي ﷺ جهازٌ أمنيٌّ متين، تمثل في الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان الذي بدوره كان كاتماً لسر النبي ﷺ، ويحمل في جعبته كثيراً من الخفايا عن المتربصين بحلقة الإسلام، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: ذَهَبَ عَلْقَمَةُ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَلَيْسَ فِيكُمْ، أَوْ مِنْكُمْ، صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، يَعْنِي حُدَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى" (٢) .

ولقد علم حذيفة ﷺ أسماء المنافقين، الذين كانوا معلومين للنبي ﷺ، ليكون حذيفة ﷺ بمثابة هاجس رعب لكل منافق معلوم نفاقه في نفسه يراه، فلا يتجرأ أن يفعل أمراً يضر بالمسلمين مخافة أن تطاله الفضيحة، -إضافة إلى أنه قد نزلت سورة التوبة فاضحة لهم بالإشارة إلى أفعالهم وأقوالهم-، فيمكث في خزي وترقب فوق الذي هو فيه .

قال ابن الأثير (٣): "وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله ﷺ وسأله عمر بن الخطاب أفي عمالي أحد من المنافقين؟ قال

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْإِحْرَارِ/بَابُ اسْتِئْجَارِ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، أَوْ: إِذَا لَمْ يُوجَدِ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَعَامَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَهُودَ خَيْبَرَ، ص: ٥٣٩، رقم الحديث ٢٢٦٣] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ/بَابُ مَنَاقِبِ عَمَارٍ وَحُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ص: ٩٢٠، رقم الحديث ٣٧٤٣] .

(٣) ابن الأثير ت (٥٦٣٠هـ): أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري. ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج ٣/٤٨)، رقم ٤٦٠ .

نعم واحد، قال من هو قال لا أذكره قال حذيفة فعزله كأنما دل عليه، وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر" (١) .

فإخبار النبي ﷺ لحذيفة بالأسماء جعل الأمن المجتمعي مستقرًا في المدينة وذلك من الجودة في الإعلام الأمني، بأن يكون في المجتمع رجال أمن ممن هم على دراية بأحوال الناس وطباعهم وأسرارهم، دون تتبع للعورات بذكرها لمن لا شأن ولا سلطة له في مقام كهذا، فما حذيفة إلا نموذج يحتذى به في السرية والكتمان حين امتنع أن يخبر عمر ﷺ -وهو الفاروق- لما سأله هل في أحد عماله منافق، ولم يخبره باسمه .

ثالثًا: الأمن الحربي

عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا" (٢)، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَقَارًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوِّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ" (٣) .

قال ابن حجر: " إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَى بِغَيْرِهَا فَإِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَمْرًا فَلَا يُظْهِرُهُ كَأَن يُرِيدُ أَنْ يَغْزُوَ وَجْهَةَ الشَّرْقِ فَيَسْأَلُ عَنِ أَمْرِ فِي جِهَةِ الْعَرَبِ وَيَتَجَهَّزُ لِلسَّفَرِ فَيَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ أَنَّهُ يُرِيدُ جِهَةَ الْعَرَبِ وَأَمَّا أَنْ يُصْرَحَ بِإِرَادَتِهِ الْعَرَبَ وَإِنَّمَا مُرَادُهُ الشَّرْقُ فَلَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ سَأَلْتُ بَعْضَ شَيْوْخِي عَنِ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ الْكُذِبُ الْمُبَاحُ فِي الْحَرْبِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَعَارِيضِ لَا النَّصْرِيحُ" (٤) .

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة (ج ١/٧٠٦) .

(٢) التورية: وَالتَّورِيَّةُ أَنْ يَذْكَرَ لَفْظًا يُحْتَمَلُ مَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا أَقْرَبُ مِنَ الْآخَرِ فَيُوهَمُ إِزَادَةَ الْقَرِيبِ وَهُوَ يُرِيدُ الْبَعِيدَ .

ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٨/١١٧) .

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/بَابُ مَنْ أَرَادَ غَزْوَةً فَوَرَى بِغَيْرِهَا، وَمَنْ أَحَبَّ الْخُرُوجَ يَوْمَ الْحَمِيسِ، ص: ٧٢٧، رقم الحديث ٢٩٤٨] .

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٦/١٥٩) .

المطلب السادس

الجودة في الإعلام السياسي

إن كل مرحلة من مراحل دعوة النبي ﷺ كان لها الخطاب السياسي الخاص بها، والذي يتوافق مع متطلبات المرحلة الدعوية ومنهجية النبي ﷺ وخطواته ومراحله السياسية.

والإعلامي السياسي يعتمد بشكل أساس على التصريحات من أصحاب القرار، حيث الدراسة المتعمقة ذات بعد النظر في المرحلة القائمة، والنظرة السياسية المتعمقة في استشراف المستقبل وبناء التصريحات عليه .

ولقد جَوَّدَ النبي ﷺ التصريحات السياسية في مواضعها، فانتنى لها أجود الكلمات التي يُعبر فيها لأصحاب الشأن من كبار الصحابة رضي الله عنهم من حوله عن طبيعة المرحلة بما يتناسب مع فهمهم لطبيعة الصراع وإطلاعهم على معطيات الأمور وما يتعلق بها، كما ويضلل بهذه التصريحات الأعداء والمترصين من المنافقين المرجفين أو الطابور الخامس كما يطلق عليهم في زماننا .

وأبرز تصريح سياسي فاصل للنبي ﷺ هو قوله ﷺ يوم الخندق: "تعزوهم ولا يغزونا"، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: حِينَ أَجَلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ: "الآن نَعْرُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ"^(١) .

لقد جَوَّدَ النبي ﷺ ذلك التصريح حين اختصر الكلمات التي يعبر فيها عن الانتصار وإحكام السيطرة السياسية على مفاصل الدولة، وانطلاق مرحلة نبوية دعوية جديدة بتلك الكلمتين، والتي يظن ويتبادر إلى ذهن السامع منها أن الغزو سيكون بالقوة العسكرية، إلا أن المتفحص لبواطن تلك الكلمات يدرك أن النبي ﷺ عبر بهن بما يتوافق مع مرحلة انكسرت فيها شوكة القوة العسكرية لإسقاط لواء الإسلام، وأن الحلول العسكرية مع النبي ﷺ لم تُقد شيئاً، فقد تشكلت وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة الحرب الباردة وفرض الشروط السياسية، والتي تحتاج

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ص: ١٠١٠، رقم الحديث ٤١١٠ .

إلى الحنكة المحمدية والذكاء القيادي المرهلي المبني على استشراف المستقبل والتخطيط الاستراتيجي .

إن الإعلام السياسي يلعب دوراً بارزاً في تحديد ملامح وألويات الصراع السياسي المرهلي للمتخصصين أكثر منه للعوام، كما أن النبي ﷺ كان له تصريحات إعلامية سياسية بحتة يوم فتح مكة، أرسل بها رسائل عدة لقبائل العرب من حوله، ودول الجوار والممالك من غير العرب كالفرس والروم وغيرهم.

فلما مكَّن الله ﷺ لنبيه ﷺ ودخل مكة فاتحاً، وقد منَّ الله ﷻ عليه بأن لم تُرَقِّ الدماء، فسيطر عليها باستسلام أهلها بعد المباغته، وقف النبي ﷺ خطيباً إعلامياً مفوهاً جاداً مُجوداً، يقول ابن اسحاق: "ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ"^(١).

وإنما كانت هذه -العفو عن أهل مكة- رسالة إعلامية مُجودَّة من النبي ﷺ، تحمل في طياتها رسائل سياسية لمن حوله بأن الإسلام دين سماحة وعفو، كما ظهر ذلك من تكريم النبي ﷺ في رسالة إعلامية سياسية أخرى للوفود التي كانت تقدمه، ومن ذلك وفد نصارى نجران، عَنْ حُدَيْفَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: "لَأَبْعَثَنَّ، يَعْنِي عَلَيْكُمْ، يَعْنِي أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ" فَأَشْرَفَ أَصْحَابُهُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ؓ"^(٢).

فوفد نجران يعتبر سفيراً يحمل رسائل المضيفين له، فجود النبي ﷺ تكريمهم بإرسال أجد أمين عنده مرافقاً لهم .

ولقد أرسل النبي ﷺ رسائل إعلامية أخرى بعد الفتح، مفادها:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٤١٢) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ/بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ؓ، ص: ٩٢٠، رقم الحديث [٣٧٤٥] .

إنه لن يقاوم في مكة البتة لأن أرضها حرام، وذلك فيه إشارة إلى القوة العسكرية التي كان يمتلكها النبي ﷺ والتي توّهل جيشه للخروج والقتال خارج نطاق سيطرته، فيشير بذلك إلى الاستقرار السياسي الذي يضمن استقرار الدولة بكل أجهزتها الأمنية والعسكرية والمدنية، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائذَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَحَدْتُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْغَدِ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ، فَسَمِعْتُهُ أُذْنًا، وَوَعَاهُ قَلْبِي، وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، إِنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَجِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْصِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَدِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَدِنَ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ لَكَ عَمْرُو؟ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ، إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا، وَلَا فَارًا بِدَمٍ، وَلَا فَارًا بِحُرْبَةٍ، حُرْبَةً: بَلِيَّةٌ" (١) .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ/بَابُ لَا يُعْصَدُ شَجَرُ الْحَرَمِ، ص: ٤٤٢، رقم الحديث

خلاصة المبحث:

إن النبي ﷺ قد جَوَّدَ استخدام الإعلام الإسلامي منذ بدء الدعوة، فلم يترك ﷺ أمراً من أمور الدعوة إلا وقد أعطاه ميراثه الإعلامي ونصابه الذي يستحق، وقد بنى النبي ﷺ ذلك كله على أساسات قوية انطلق منها واستخدم فيها لكل أمر ما يناسبه من الأدوات والوسائل الإعلامية.

كما أن النبي ﷺ جَوَّدَ أساليب الخطاب الإعلامي للمخاطبين كلُّ حسب فهمه باختلاف الأفهام، وقد تنوع الإعلام زمن النبي ﷺ، حيث يخاطب بكل نوع أهله، فكان الإعلام الدعوي والذي استخدم فيه الأساليب الدعوية والتربوية القوية، وكان الإعلام الاجتماعي الذي عالج فيه كثير من القضايا الاجتماعية، وكان الإعلام الحربي أو العسكري والإعلام السياسي اللذان اختارهما الباحث كونهما يشكلان الأساس الأقوى في ارتكاز إعلام الدولة عليهما في علاقتها مع الدول الأخرى .

المبحث الثالث

آثار تطبيق الجودة في الدعوة والإعلام

تمهيد:

إن الآثار المترتبة على تطبيق الجودة في الدعوة والإعلام لها أهمية كبيرة في الارتقاء بالدعوة الإسلامية وبتُّ الفكر الوسطي الذي ساد الإسلام به الدنيا، وإن هذه الآثار تظهر في القوة الإعلامية التي ماز تطبيقها الجودة في استخدامها، والأساليب الدعوية التي انتهجها ﷺ لرسم صورة جلية واضحة للإسلام .

ويتخلل المبحث مطلبين:

المطلب الأول هو بيان آثار تطبيق الجودة في الدعوة، والمطلب الثاني هو بيان آثار تطبيق الجودة في الإعلام.

المطلب الأول

آثار تطبيق الجودة في الدعوة

لقد تميزت الدعوة الإسلامية بشموليتها في تطبيقها لجميع جوانب حياة الإنسان، وإن أهداف الدعوة وآثارها تتداخل في هيئتها بما يسد ثغرات الحياة فيها بالتربية الإنسانية والدينية، لذلك حرص النبي ﷺ في دعوته على ألا يُغفل جانباً يحتاجه الإنسان في حياته، لتكون هذه الشمولية دافعاً في استمرار دعوته في تحقيق أهدافها وبلوغها الذروة الحقة، ومن الآثار المترتبة على تجويد الدعوة إلى الله، الآتي:

أولاً: أثر تجويد الدعوة في حياة الفرد المسلم

١- الاستجابة للداعية:

إن تجويد الداعية المسلم لدعوته باستخدام أساليبها واتباع هدي النبي ﷺ في تبليغها، له من الأثر الكبير في استجابة المدعوين، وعلى وجه الخصوص إذا جَوَّدَ الداعية قدرته على إقناع المدعو، وما قصة الشاب الذي أتى يستأذن النبي بالزنا^(١) إلا شاهداً لذلك .

٢- امتثال الأمر:

إن تجويد الدعوة مع المدعو، تجعله ممتثلاً لما يؤمر به، بل ويكون حريصاً على إتيان الامتثال على أكمله.

٣- غرس المبادئ الإسلامية الصحيحة:

إن قرب الداعية من المدعو بملامسة واقعه في الدعوة يسهل عملية العلاج، حيث أن الداعية إذا أراد أن يغرّس مفهوماً في نفس المدعو يُجَوِّدُ دعوته بالاقتراب منه أكثر فأكثر وملامسة حاجاته، ليضع يده على الخلل، ويبدأ بقلع الجذور وجرس مفاهيم إسلامية سليمة، هي بمثابة جذور صحيحة تنبت في نفسه شخصية إسلامية متكاملة .

(١) سبق تخريجه، (ص ١٥٨) .

ثانياً: أثر تجويد الدعوة في المجتمع الإسلامي

١- إظهار الحق:

إن الجودة في الدعوة إلى الله ﷻ تعمل على رفع الحق وإظهاره على الباطل، بل إن جدّ الداعية في تجويد دعوته والعمل الدؤوب لها يجعلها مهيمنة على أي دعوة مخالفة .

٢- تحقيق العدالة الاجتماعية:

إن دعوة الإسلام جاءت لتثبت قواعد الأخوة والتسامح والمحبة والتساوي، وتزرع نزعة العرق والقبيلة واللون، لتحرر الناس من ظلمات الجاهلية، فإذا ما جُودت الدعوة ستصل إلى الناس بأهدافها، ليتحقق ما يرنو إليه الداعية من تحقيق العدالة الاجتماعية .

٣- انتشار المعروف وانحسار المنكر:

حين يجدُ الداعية في دعوته، فيخلص مُجودًا لها بإعطائها جُلّ وقته لنشر الفضيلة ودحر الرذيلة، فإن المعروف سينتشر بالجدِّ بالأمر به والترغيب بالثواب لمن عمل به وما أعد الله ﷻ لعباده الطائعين المنافقين له، وفي المقابل فإن المنكر ينحسر بالجدِّ بالنهي عنه، والتحذير منه.

٤- إنقاذ الناس من النار وهدايتهم طريق الجنة:

إن شعور الداعية بعظم أمانة الدعوة، يجعله حريصًا على إيصال دعوة الله ﷻ إلى كل امرئٍ يستطيع، لينقذ الضالين من عذاب النار، ويهديهم إلى ما يقودهم إلى الجنة من الأعمال .

٥- تحصيل أجر المدعو يجعل الداعية يجد في دعوته:

حين يعلم الداعية أن كل إنسان يكون سبباً في هداية الله ﷻ له، سيكون له أجره فإنه يجد في الدعوة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا"^(١) .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ/بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، مج ٢/١٢٣٤، رقم الحديث ٢٦٧٤] .

المطلب الثاني

آثار تطبيق الجودة في الإعلام

إن ارتباط دعوة النبي ﷺ بالشَّقِّ الإعلامي وثيقة، فلولا الإعلام وأساليبه وأدواته -وهي الأسباب التي أخذ به النبي ﷺ- لَمَا انتشرت الدعوة النبوية بالشكل الذي وصلت إليه، وكان تشويه المشركين للداعية -النبي ﷺ- والدعوة ظاهراً عليها، ولكن تجويد الإعلام والجَدِّ في الأخذ به كان له آثاراً عظيمة في ظهور الإسلام على الجزيرة العربية والهيمنة عليها .

كما يُعتبر الإعلام هو الموجّه الرئيس لعقول الناس وأفهامهم في هذا الزمان وكل زمان، فلكل زمان أدواته وأساليبه، واليوم نحن محاطون بوسائل يسّرت توصيل رسالتك الإعلامية وأنت في مشرق الأرض إلى من هو في مغربها .

إن الآثار المترتبة على الإعلام وتجويده تتداخل ما بين الفرد والمجتمع، ومن هذه الآثار

ما يلي:

١- توجيه المجتمع نحو سلوك معين:

يلعب الإعلام دوراً بارزاً في تشكيل سلوك المجتمع بوجه عام، حيث أن الحملات الإعلامية التوعوية أو التثقيفية نحو سلوك رشيد، يقود المجتمع إلى التزام ذلك السلوك، وفي المقابل فإن الإعلام يستطيع توجيه المجتمع نحو سلوك شاذّ مرفوض من خلال العمل في حملات إعلامية تسوغ ذلك السلوك بشكل أو بآخر، فجاء النبي ﷺ مقوماً لسلوك الناس ومقرّاً لما عندهم من الأخلاق، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (١) .

٢- التوعية التثقيفية حول مفهوم أو موضوع معين:

إن للإعلام أثراً كبيراً في توجيه ثقافة المجتمع وزيادتها، بل يعتبر الإعلام أحياناً واجهة لتقافة المجتمع بما يتماشى مع ثقافته، ولذلك جاء النبي ﷺ بالإسلام، وعرضه على أهله

(١) سبق تخريجه، (ص ١٠٥) .

وعشيرته، فالإسلام بأهدافه ومكوناته ثقافة عظيمة، فرقت بين من يعبد آلهة متعددة وبين من يعبد إلهًا واحدًا، فكان الإعلام النبوي في نشر الدعوة مفتاحاً تنبهيًا لإعمال العقول والانفتاح بالبحث عن مكونات هذه الثقافة الجديدة .

٣- حماية المجتمع من الفساد:

يعتبر تجويد الإعلام درعاً واقياً للمجتمع، من خلال وضعه في مساره الصحيح وإتاحة الفرصة للإعلامي بأن يوصل الحقيقة الكاملة، ولذلك كان النبي ﷺ يحمي المجتمع من الفساد بالخطاب الإعلامي العام، للحفاظ على الهيكلية المجتمعية الخالصة من الشوائب، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي. فَقَالَ لَهُ: "أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، فَتَنْظَرْتَ أَيُّهُدَى لَكَ أَمْ لَا؟" ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشِيَّةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَنْتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَتَنْظَرُ: هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا حُورٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعُرٌ، فَقَدْ بَلَّغْتُ" فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ: ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، حَتَّى إِذَا لَنْظَرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطِيهِ^(١) (٢) .

٤- حماية الحريات:

الحرية حق أساسي لكل إنسان، فلا يجوز استعباد الإنسان بأي شكل كان، وإن من أنواع الاستبداد والاستعباد هو سياسة تكمिम الأفواه ومنع حرية التعبير عن الرأي -بما لا يمس كرامة الغير ووفق ضوابط الشريعة-، ولقد ضمن الإعلام للنبي ﷺ حقه الكامل في أن يصدع بدعوته لكل الناس، بل صنع له أنصاراً يصدون عنه من يمنعه من الصدع بالدعوة، فكان عمه أبو

(١) عُفْرَةُ إِبْطِيهِ: وَهِيَ الْبَيَاضُ الَّذِي فِيهِ شَيْءٌ كَلَوْنِ الْأَرْضِ، وَشَاةٌ عَفْرَاءٌ يَغْلُو بِيَاضِهَا حَمْرَةً. وَقِيلَ: هِيَ بَيَاضُ لَيْسَ بِنَاصِعٍ. الْعَيْنِيُّ، عَمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ (ج ١٣/٢٢١) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنَّذْرِ/بَابُ كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ؟، ص: ١٦٤٤، رقم الحديث ٦٦٣٦] .

طالب أبرز المدافعين عن النبي ﷺ في إبلاغ دعوته حماية القرابة والنسب، كما استطاع النبي ﷺ من خلال الإعلام بسبب دعوته وبلوغها مسامع الناس، أن يصل إلى الوفود الوافدة إلى مكة في موسم الحج لتسمع منه .

خلاصة البحث:

إن الشمولية التي تميزت بها الدعوة الإسلامية وتجويد تطبيقها من الدعاة والإعلاميين في جميع جوانب الحياة، كانت سبباً في تحقيق الأهداف المرجوة والتي أثمرت الآثار الجليلة والواضحة للاستجابة للداعية من خلال الإعلام القوي والموجه.

فكان للدعوة فردية أو جماعية آثاراً عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، فمن هذه الآثار في حياة الفرد الاستجابة والامتثال لأوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، من خلال تلك المبادئ التي غرست في نفسه بالأسلوب المتقن للداعية، أما الدعوة الجماعية فبرزت آثارها في الممارسات العملية العامة، والأخلاق المميزة للمجتمع عن غيره من المجتمعات كالعدل والصدق والأمن والأمانة وظهور الخير وانحسار الشر.

أما الإعلام فإن آثاره متداخلة بين الفرد والمجتمع لأن الخطاب الإعلامي في الأغلب يكون جماعياً لا يخاطب فرداً بعينه وإنما يخاطب مجتمعاً مكوناً من أفراد، فمن تلك الآثار، هو أن يتوجه المجتمع نحو سلوك معين أن يتبنى فكرة أو ثقافة معينة، كما تتمثل الآثار في حماية المجتمع وحماية حقوقه سواء القانونية أو المدنية أو الأخلاقية والفكرية .

الفصل الرابع

الجودة في السياسة وإدارة الدولة

المبحث الأول الجودة في السياسة

تمهيد:

• السياسة لغة:

سياسة: هي مصدر "ساس"، وهي: مبادئ معتمدة تُتخذ الإجراءات بناءً عليها "تبنّت الشركة سياسة جديدة في تعيين موظفيها"، و(سة) سلوك الحكومات والدول ومواقفها تجاه القضايا الداخلية والقضايا المتعلقة بالدول الأخرى "سياسة داخلية: إجراءات إدارية أو تدابير تنظيمية - سياسة خارجية - سياسة دولية: الدبلوماسية". و سياسي: اسم منسوب إلى سياسة: مَنْ يعمل في السياسة، متعلق بإدارة الشؤون العامة وتنظيمها "سياسي محتك" (١) .

• السياسة اصطلاحًا:

قال ابن قيم الجوزية في تعريف السياسة اصطلاحًا: "قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: السِّيَاسَةُ مَا كَانَ فِعْلًا يَكُونُ مَعَهُ النَّاسُ أَقْرَبَ إِلَى الصَّلَاحِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الْفُسَادِ، وَإِنْ لَمْ يَضَعَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا نَزَلَ بِهِ وَحْيٌ" (٢) .

يقول ابن عثيمين في التعريف الاصطلاحي للسياسة الشرعية: "هي ما صدر عن أولي الأمر من أحكام وإجراءات منوطة بالمصلحة، فيما لم يرد بشأنه دليل خاص، متعين، دون مخالفة شرعية" (٣) .

إن الله ﷻ مكن لنبيه ﷺ إلى أن استقر في دار الهجرة - المدينة -، فبدأ النبي ﷺ بتأسيس الدولة الإسلامية لإقامة شريعة الله ﷻ في حياة الناس، وجعلها منهاج حياة تحكم الحاكم والمحكوم، فلم يتوقف أمر الإسلام عند حدود حياة الناس فيما يخص العبادات المتوجه بها إلى

(١) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج ٢/ ١١٣٤) .

(٢) ابن قيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص ١٢) .

(٣) ابن عثيمين، التعليق على السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص ٨) .

الله ﷺ، أو المعاملات التي يتعامل الناس بها فيما بينهم، أو ما تقوم عليه حياة الناس من الأمور الحياتية المحضة كالأحوال الشخصية مثلاً، بل تعدت شريعة ربنا ﷺ وسنة النبي ﷺ إلى ما يقوم حياة الناس ويحفظها بنظام سياسي يحكمها .

فقد كان النبي ﷺ في المدينة المنورة حاكماً وقائداً ملهماً، موحى إليه من ربه، لأن يدبر أمور الناس وفق عقليته البشرية التي تعتمد على أعمال العقل بالحكمة الربانية التي آتاها الله ﷺ لأنبيائه -عليهم السلام-، قال تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(١)، فعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ"^(٢).

ولا يعني ذلك الخروج عن الإطار العام الذي حدده الشرع في أمور الحياة، بل معنى ذلك أنكم أنتم أيها الناس أعلم بتسيير أمور حياتكم وفق الإطار الشرعي الذي حدده الله ﷺ لنبيه ﷺ في الحكم، فالمسلم محكوم بشرع ربنا ﷺ .

إن أمر الحكم يدخل ضمن الإطار الشرعي العام، وإن جزءاً كبيراً من السياسة هي أمور دنيوية قائمة على المشورة، ويتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، قال القرطبي: "مدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمثلون ذلك، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير، ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها منزلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام، فأما الصحابة بعد استئثار الله ﷺ به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستتبطونها من الكتاب والسنة، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، فإن النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار، وقال عمر رضي الله عنه: نرضى لديننا من رضيه رسول الله ﷺ لدينا وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال، وتشاوروا في الجد وميراثه، وفي حد

(١) [الأنبياء: ٧٨-٧٩] .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الفضائل/باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا، على سبيل الرأي، مج ٢/١١١٠، رقم الحديث ٢٣٦٣] .

(٣) [الشورى: ٣٨] .

الخمير وعدده، وتشاوروا بعد رسول الله ﷺ في الحروب، حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلماً في المغازي، فقال له الهرمزان: مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان، والرأس كسرى والجناح الواحد قيصر والآخر فارس، فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى ... وذكر الحديث^(١).

لقد امتثل النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، بمشاورة الصحابة رضي الله عنهم، فبرزت أكثر مشاورته ﷺ في الجانب السياسي الإداري، قال الزمخشري: "يعنى في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطيب نفوسهم والرفع من أقدارهم، وعن الحسن رضي الله عنه، قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة، ولكنه أراد أن يستنّ به من بعده"^(٣).

فلقد كان لشخصية النبي ﷺ السياسية، دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام بالوسائل المرنة التي تقوم على القيم والأخلاق التي انتهجها النبي ﷺ في تعامله مع خصومه .

كما أن سياسة النبي ﷺ اعتمدت على دراسة الأمور مسبقاً ووضع كل أمر بمقداره وفق قواعد الشريعة، والتي تعتمد السياسة على أبرزها وفق قاعدة (درء المفسد أولى من جلب المصالح) وفق القدرة والاستطاعة السياسية في تطبيق المراد تحقيقه على المدى الاستراتيجي.

إن السيرة النبوية قد زخرت بالمواقف السياسية التي كانت الكلمة فيها للإسلام بحكمة النبي ﷺ وذكائه البشري في تقدير الأمور وما تؤول إليه، ولقد ظهر ذلك جلياً في مفاوضات النبي ﷺ السياسية في كثير من المواطن .

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي (ج١٦/٣٧) .

(٢) [آل عمران: ١٥٩] .

(٣) الزمخشري، تفسير الكشاف (ج١/٤٢٣) .

المطلب الأول

الجودة في أصول السياسة النبوية

لكل حامل فكر يُعمل عقله به، مصادر يستقي منها فكره ومنهجه، حيث يتمثل هذا النهج في الشخصية الإنسانية البشرية، التي صُقلت بتشرب ما في تلك المنابع من أفكار تبرز فيما يمارسه الإنسان في حياته اليومية من معاملات وفق طبيعة الشخصية البشرية، ممزوجة بطبيعة البيئة التي يعيش فيه، متأثراً بالعادات والتقاليد للجماعة أو القوم الذين يعيش بينهم.

إن كل هذه المؤثرات تعمل، بل وتساهم في تكوين الشخصية الإنسانية الخالصة، والتي لا تخرجها عن الطبيعة البشرية الأدمية، ولقد اصطفَى النبي ﷺ من بيئة أهله ليكون سياسياً محنكاً، يخوض غمار الدعوة ونشرها بفن السياسي المحنك الذي يتخذ من المرونة فيه شعاراً .

لقد تأثر النبي ﷺ بعدة عوامل عملت على تكوين شخصيته السياسية الفذة ومنها:

أ- الأصول التربوية الواقعية في نشأة النبي ﷺ سياسياً

أولاً: حالة العرب الاجتماعية

إن العادات والتقاليد والأخلاق التي تربي فيها النبي ﷺ صقلت شخصيته وفق الشخصية العربية الأصيلة التي تعتر بشرف النسب، وتفتخر بكمارم الأخلاق، وقد ظهر ذلك جلياً في شخصية النبي ﷺ يوم حنين، فقد جود افتخاره ﷺ، حين افتخر بالشجاعة العربية التي تربي عليها في كنف جده عبد المطلب المكي، فنطق باسم جده، مشيراً بذلك إلى نسبه القرشي، الذي تميز بأنه أشرف أنساب العرب في مكة، فهم أهل بيت الله الحرام ولهم شرف خدمة الكعبة وسقاية الحجيج، تدين لهم العرب وتحج إلى ديارهم، كل ذلك صقل في شخصية النبي ﷺ أن يتمثل الشخصية العربية الأصيلة الكريمة بأخلاقها في كل المواطن، فعن أبي إسحاق، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبِرَاءِ، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخْفَاءً مِنَ النَّاسِ^(١)، وَحَسَرَ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رَمَاءٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ

(١) أَخْفَاءُهُمْ: جَمَعَ خَفِيفٍ وَهُمْ الْمُسَارِعُونَ الْمُسْتَعْجِلُونَ. النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٢/١١٧).

مِنْ نَبْلِ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَأَنكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَفُودُ بِهِ بَعْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ"، قَالَ الْبَرَاءُ: "كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِمَّا لِلَّذِي يُحَادِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ"^(١).

قال النووي: "فإن قيل كيف قال النبي ﷺ أنا بن عبد المطلب فانتسب إلى جدّه دون أبيه وافترخ بذلك مع أنّ الافتخار في حق أكثر الناس من عمل الجاهلية فالجواب أنّه ﷺ كانت شهرته بجدّه أكثر لأنّ أباه عبد الله ثقفياً شاباً في حياة أبيه عبد المطلب قبل اشتهار عبد الله وكان عبد المطلب مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد أهل مكة وكان كثير من الناس يدعون النبي ﷺ بن عبد المطلب ينسبونه إلى جدّه لشهرته ومنه حديث همام بن ثعلبة في قوله أيكم بن عبد المطلب وقد كان مشتهراً عندهم أنّ عبد المطلب بشرّ بالنبي ﷺ وأنه سيظهر وسيكون شأنه عظيماً وكان قد أخبره بذلك سيف بن ذي يزن وقيل إنّ عبد المطلب رأى رؤياً تدلّ على ظهور النبي ﷺ وكان ذلك مشهوراً عندهم فأرآد النبي ﷺ تذكيرهم بذلك وتنبههم بأنه ﷺ لا بدّ من ظهوره على الأعداء وأنّ العاقبة له لتقوى نفوسهم وأعلمهم أيضاً بأنه ثابت ملازم للحرب لم يولّ مع من ولّى وعرفهم موضعاً ليرجع إليه الراجعون واللّه أعلم ومعنى قوله ﷺ أنا النبي لا كذب أي أنا النبي حقّاً فلا أفر ولا أزل وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان وأنا بن فلان"^(٢).

ثانياً: السياسة العربية القبلية

لقد قام في مكة نظام سياسي متكامل، جوهره القبلية، ولكنها كانت بشكل أكثر تطوراً من العصبية المقيّنة التي كانت عليها بعض القبائل العربية، لما كانت عليه مكة من استقرار على كل المستويات، الاقتصادية والعسكرية والدينية، والاجتماعية .. إلخ، فتأثر النبي ﷺ بسياسة أهله في مكة.

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/باب في غزوة حنين، مج ٢/٨٥٣، رقم الحديث ١٧٧٦].

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٢/١١٩).

وأما تأثر النبي ﷺ، فكان لأن أهل مكة عناصر حددت السياسة العامة لقادتها، في الحفاظ على ذلك الاستقرار، ومن ذلك الآتي:

١- حكومة القبائل بالتمثيل الفرد عن القبيلة (حكومة الملائ)

كان التنافس سيد الموقف بين بطون قريش، فعمدت القبيلة إلى إنشاء حكومة الملائ مراعيةً أن يكون لكل بطن مهمة يقوم بها من تختاره من رجالها، ويعد أداء هذه المهمة بمثابة كفاية ذاتية للطن القرشي .

٢- دار الندوة

بنى قصي بن كلاب دار الندوة، قال ابن هشام: "وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ دَارَ النَّدْوَةِ وَجَعَلَ بَابَهَا إِلَى مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، ففِيهَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقْضِي أُمُورَهَا"^(١)، فكانت دار الندوة محل شورى لقريش ورياسة، وكان النبي ﷺ يحضر دار الندوة ويطلع على المناقشات التي تجري فيها، فقد شهد ﷺ حلف المطيبين^(٢) وهو غلام، فكان لذلك أثر كبير في بناء شخصيته السياسية، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطِيبِينَ مَعَ عُمُومَتِي وَأَنَا غُلَامٌ، فَمَا أُحِبُّ أَنْ لِي حُمْرَ النَّعَمِ، وَأَنِّي أَنْكُتُهُ"^(٣).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/١٢٥) .

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام (ج ١/١٣٠) .

(٣) [أحمد بن حنبل: مسند أحمد، مُسْنَدُ بَاقِي الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ/مُسْنَدُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج ٣/١٩٣، رقم الحديث ١٦٥٥] .

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ الْمَفْضَلِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ

• تخريج الحديث/

أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢١٤/١٥)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٥٧/٢)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٥٩٥/٦)، ثلاثتهم بمثله من طريق بشر بن المفضل.

٣- الجيش

لقد كان الطابع الحربي للعرب بنظام الأحلاف، حيث تتحالف القبائل مع بعضها، وتكون جيشاً يدافع عنها حال الاعتداء على أي قبيلة داخلية في ذلك الحلف .

وأخرجه أحمد في مسنده في مسنده بمثله (٢١٠/٣)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده بنحوه (١٥٧/٢)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله (٢١٣/١٥)، و(٢١٤/١٥)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بمثله (٢١٦/١٠)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بمثله (٢٣٩/٢)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٥٩٥/٦)، كلهم من طريق إسماعيل بن عليّة .

وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار بمثله (٢١٤/١٥)، من طريق خالد بن عبد الله الطحان .
كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق به .

وأخرجه أبو يعلى في مسنده بمثله (١٥٦/٢) من طريق محمد بن جبير بن مطعم .
كلهم عن عبد الرحمن بن عوف .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا:

- **عبد الرحمن بن إسحاق**: عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة المدني نزيل البصرة ويقال له عباد صدوق يرمى بالقدر . ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٣٦).

وحكى الترمذي في « العلل » عن البخاري أنه وثقه. وقال الحاكم: لا يحتجان به ولا واحد منهما، وإنما أخرجا له في الشواهد. وقال يعقوب بن شيبة: صالح. وقال أبو أحمد بن عدي: في حديثه بعض ما ينكر، ولا يتابع عليه، والأكثر منه صحاح، وهو صالح الحديث. وقال عبد الله بن أحمد، عن أبيه: صالح الحديث. وقال مرة: ليس به بأس. وقال المروزي، عن أحمد: أما ما كتبنا من حديثه فصحيح. وقال الساجي: صدوق يرمى بالقدر. وقال ابن الجنيدي، عن ابن معين: ثقة. وقال ابن خزيمة: ليس به بأس. وقال الآجري، عن أبي داود: قدرى إلا أنه ثقة. وقال الدارقطني: ضعيف يرمى بالقدر. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٤٨٧/٢).

قال أبو داود: قدرى ثقة، وضعفه بعضهم. وقال البخاري: ليس ممن يعتمد على حفظه. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (٢٣٩/٣).
قال ابن حبان: متقن جدا. ابن حبان، الثقات (٨٦/٧).
قال الباحث: صدوق. نفاه أهل المدينة لأنه قدرى.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن . فيه عبد الرحمن بن إسحاق صدوق .

وحكى الترمذي في العلل عن البخاري أنه وثقه. ابن حجر، تهذيب التهذيب (ج ١٣٩/٦) .

ومن هذه الأحلاف التي شهدها النبي ﷺ - كما ذكرت آنفاً-، حلف المطيبين، ويروي ابن هشام نصه فيقول: "قَبِينَا النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ قَدْ أَجْمَعُوا لِلْحَرْبِ إِذْ تَدَاعَوْا إِلَى الصُّلْحِ، عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ السَّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَابَةُ وَاللَّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ كَمَا كَانَتْ. فَفَعَلُوا وَرَضِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِذَلِكَ، وَتَحَاجَرَ النَّاسُ عَنِ الْحَرْبِ، وَثَبَّتَ كُلُّ قَوْمٍ مَعَ مَنْ حَالَفُوا، فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ"^(١)، وفي مثل هذه الأحلاف كانت إذا مما دعا ونادى منادي الحرب إلا قامت القبائل على قلب رجل واحد لا تدفعهم إلا النخوة والشهامة والعصبية القبلية العربية لذلك الحلف .

وقد شهد النبي ﷺ حرب الفَجَّارِ، والتي كانت بين قريش وهوازن، قال ابن هشام: "فَأَتَى آتٍ فُرَيْشًا، فَقَالَ: إِنَّ الْبِرَاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ، وَهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ بِعُكَاظٍ، فَارْتَحَلُوا وَهَوَازُنُ لَا تَشْعُرُ بِهِمْ، ثُمَّ بَلَغَهُمُ الْخَبْرُ فَأَتَبَعُوهُمْ، فَأَدْرَكُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْحَرَمَ، فَأَقْتَتَلُوا حَتَّى جَاءَ اللَّيْلُ، وَدَخَلُوا الْحَرَمَ، فَأَمْسَكَتْ عَنْهُمْ هَوَازُنُ، ثُمَّ انْفَقُوا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَيَّامًا، وَالْقَوْمُ مُسْتَأْنَدُونَ عَلَى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ فُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ رَئِيسٍ مِنْهُمْ، وَعَلَى كُلِّ قَبِيلٍ مِنْ قَبِيلٍ مِنْ قَبِيلٍ مِنْهُمْ"^(٢)، وكان شهوده ﷺ لهذه الحرب قد أكسبته خبرة قتالية، وخبرة عسكرية في إعداد الجيوش .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة^(٣): "لم يكن للنبي ﷺ في هذه الحرب إلا أنه شهدها بعد أن حمي وطيسها، وكان ذلك بسبب أعمامه الذين اشتركوا فيها، ولعله كان يود مشاهدتها، لأن له قلبًا طاهرًا، لا يسكن والناس في كرب، فكان يشاهد، وإن لم يقم بعمل فيه حرب، ولقد قال ﷺ في عمله الدافع للأذى، وليس فيه أحداث: «كنت أنبل على أعمامي»^(٤) أي أمنع النبل عن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج١/١٣٢) .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (ج١/١٨٦) .

(٣) محمد أبو زهرة ت (١٣٩٤ هـ): محمد بن أحمد أبو زهرة: أكبر علماء الشريعة الإسلامية في عصره. مولده بمدينة المحلة الكبرى وتربى بالجامع الأحمدى وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي (١٩١٦-١٩٢٥) وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفًا. الزركلي، الأعلام (ج٦/٢٥) .

(٤) كنت أنبل على أعمامي: ويجوز أن يريد بالمنبل الذي يرد النبل على الرامي من الهدف. ابن منظور، لسان العرب (ج١١/٦٤٣) .

أعمامي، فهو كان درعا واقية لأعمامه، فلم يغمس يده في حرب إلا أن يكون واقياً لذوي رحمه كالتيه الذين رعوه حق الرعاية"^(١).

١ - الحصانة المكية (الْحُمْسُ)

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ عُرْوَةُ: "كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُرَاءً إِلَّا الْحُمْسَ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَادَتْ"^(٢)، قال د. سهيل الفتلاوي^(٣): "حيث أقرت قريش حرمة مدينة مكة والمنطقة المحيطة بها، وأقرت حقوق المواطنة لسكان هذه المدينة وسمت المتمتعين بهذه بـ (الْحُمْسِ)"^(٤).

٢ - الأشهر الحرم

لقد أقر الإسلام نظام حرمة القتال في بعض الأشهر، فقد كان العرب قد ابتكروا الأشهر الحرم، قال ابن هشام: "كَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا فَرَعَتْ مِنْ حَجَّهَا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ، فَحَرَّمَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ الْأَرْبَعَةَ: رَجَبًا، وَذَا الْقَعْدَةَ، وَذَا الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ"^(٥)، وقد أقر النبي ﷺ هذه الأشهر فأجاد بإقرارها في الجانب السياسي، والذي يُجَوِّدُ فِيهِ الْخَطَابُ مَعَ الْعَرَبِ، بِمَا دَرَجَتْ عَلَيْهِ عَادَاتُهُمْ وَتَقَالِيدُهُمْ، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الرِّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ شَهْرٌ مُضَرَّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"^(٦).

(١) أبو زهرة، خاتم النبيين ﷺ (ج ١/١٨٤).

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ الْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، ص: ٤٠٣، رقم الحديث ١٦٦٥].

(٣) الفتلاوي: سهيل حسين الفتلاوي، أستاذ القانون الدولي في كلية القانون وباحث في مجال القانون الدولي وله بحوث وكتب منشورة في هذا المجال . (<http://m233.blogspot.com>) .

(٤) الفتلاوي، دبلوماسية النبي ﷺ (ص ١٥).

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٤٤).

(٦) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالذِّيَابِ/بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدَّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، مج ٢/٧٩٩، رقم الحديث ١٦٧٩].

٣- الوفاء بالعهود والمواثيق

إن أشد الناس حرصاً على الوفاء بالعهود والمواثيق كما ذكر المؤرخون هم العرب، فهم يقدسون الوفاء بالعهود، لأنه من مكارم الأخلاق عندهم، ولذلك جاء القرآن مقرأً للوفاء بالعهود، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنََّّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١)، وقد جَوَّدَ النبي ﷺ إقراره لهذا الخلق، بالتحذير من فعل ضده بالخيانة والغدر، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"^(٢).

٤- حيادية مكة

لقد كان لدور الحياد الذي مارسته مكة في الحروب بين الخصوم دور كبير في إكساب النبي ﷺ خبرة سياسية في التعامل مع الخصوم المتناحرة، فيقول د. سهيل الفتلاوي: "كانت مكة على الحياد بين البيزنطيين والفرس والأحباش، وإن المكيين لم يتخلوا عن سياسة الحياد بعد أن أدركوا قوة موقفهم رغم عروض البيزنطيين والفرس والأحباش لإغرائهم بالخروج عن هذا الحياد"^(٣).

٥- العلاقات الدولية لمكة

لقد أقامت مكة علاقات تجارية وسياسية متطورة مع القبائل والأقوام والأجناس الأخرى، وإن البيئة التي تربي فيها النبي ﷺ جعلته على دراية محدقة بطبيعة الشعوب الأخرى غير العربية، وإلا؛ فما الذي أعلم النبي ﷺ بأن النجاشي ملك لا يُظلم عنده أحد، كما أن تجارته بمال خديجة رضي الله عنها- وخروجه بمالها إلى الشام عزز جانب نسج العلاقات الدولية من حيث المفهوم العام لها والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمال والتجارة أي بالعلاقات الاقتصادية المتبادلة .

(١) [الإسراء: ٣٤] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/باب علامة المنافق، ص: ١٩، رقم الحديث ٣٤] .

(٣) الفتلاوي، دبلوماسية النبي محمد ﷺ (ص ١٦) .

ثالثاً: الاقتصاد المكي

إن كون مكة مركزاً تجارياً، يجعل من أبنائها ذوي خبرة تجارية عالية، وكما ذكرت آنفاً، فإن العلاقات الدولية تقوم على تبادل المنافع، وخصوصاً المنافع الاقتصادية .

فالقريشيون كانوا سادة التجارة في الجزيرة، وإن العارف بالتجارة لا بد أن يكون عارفاً بالسياسة العامة للمنطقة الإقليمية التي تشملها، لتدبير نسج العلاقات الاقتصادية والسياسية الدبلوماسية بينه وبين الأطراف الأخرى.

ومن هنا اكتسب النبي ﷺ خبرته في التجارة من محل إقامته بين أهله وعشيرته، ومن ممارسته للتجارة المحلية في مكة وما جاورها، والدولية فيما كانت من رحلته إلى الشام بمال خديجة، فكان لذلك الأثر الكبير في تأهيله ﷺ سياسياً وفي تدبير أمر الدعوة ونشرها، والبحث من خلال العلاقات والمعلومات التي تحصلها من خلال تعاملاته عن الأرضية الأصلب للوقوف عليها والتجهيز لإقامة الدولة الإسلامية .

رابعاً: الثقافة الدينية المكية والديانات فيها

لقد تعددت الديانات في مكة قبل بعثة النبي ﷺ، فكانت الحنيفية، وكانت عبادة الأوثان والأصنام والأنصاب، وكانت عبادة الأجرام السماوية، وكان بعض العرب قد تهودوا وتصوروا فاعتنقوا الديانة اليهودية والنصرانية.

أما موقع النبي ﷺ من هذه الديانات، فهو موقع الحنيفية بما صح من شريعة إبراهيم عليه السلام، قال ابن الجوزي^(١): "قال أحمد بن حنبل: "من قال: إن رسول الله ﷺ كان على دين قومه، فهو قول سوء، أليس كان لا يأكل مما ذبح على النصب". قال أبو الوفاء، علي بن عقيل: "كان رسول الله ﷺ متديناً قبل البعثة، ونزول الوحي عليه، بما يصح عنده أنه من شريعة إبراهيم"^(٢)،

(١) ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ): عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي، أبو الفرج الواعظ. ابن قُطُوبِغَا، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (ج٦/٢٨٣) .

(٢) ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى (ج١/٢٢٩) .

وقد عرف النبي ﷺ ما تحويه هذه الأديان التي كانت في الجزيرة، مما نَمَى عنده ملكة إبطالها وإحقاق الحنيفية السمحاء .

ب- المصادر المقتنة للسياسية النبوية

إن الشارع الحكيم قد جعل أمر السياسة ضمن إطار عام يحكمها، وترك تفاصيل تنفيذها للعقل البشري، وقد اجتهد النبي ﷺ فيما آتاه الله ﷻ من الحكمة إلى الحفاظ على ذلك الإطار العام دون اختراق يقدر في صلب الدين .

وقد اعتمدت السياسية النبوية على ثلاثة مصادر في تشريعها وتطبيقها، وهي الآتي:

أولاً: القرآن الكريم

لقد زخر القرآن الكريم بالمصطلحات التي تُعنى بالسياسة، بل وتتخرط فيها بشكل مباشر وأساسي، ومن هذه المصطلحات (الخلافة، السلطان، الحكم، الملك .. إلخ)، وقد جاءت بعض آيات كتاب الله ﷻ صريحة في تحديد السياسة العامة للنبي ﷺ في كل مرحلة من مراحل الدعوة وانتشار الإسلام، فمنها قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢)، فهذه الآيات الكريمة اتبع النبي ﷺ ما فيها وفق السياسة الشرعية العامة، التي تظهر من التزام الإسلام بعدم قتل غير المحارب ولا قتاله .

ولا تقتصر السياسة في القرآن على شؤون القتال والحروب، بل تتعدى إلى العلاقات الدولية التي تتداخل فيها المعاملات بين الأطراف المتعاهدة والمتعاقدة، ومثال ذلك، أن المنافقين الذين قال تعالى فيهم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أُرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا مِنْ أَضَلِّ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ

(١) [البقرة: ١٩٠] .

(٢) [البقرة: ١٩٤] .

سَوَاءٌ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَحُذَوْهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ^(١)، فهذا نص صريح من الله ﷻ لنبيه يأمره فيه باحترام المواثيق بعدم قتل المنافقين إذا ما وصلوا إلى قوم بينهم وبين النبي ﷺ ميثاق، فهذه سياسة دولة أقرها النبي ﷺ وعمل بها بعد أن استمدها من كتاب ربنا ﷻ .

ثانياً: السنة النبوية

إن الناظر إلى النبي ﷺ وقد جمع عدة صفات في ذاته من خلال سياسته المتبعة في مكة قبل الهجرة وبعد انطلاق الدعوة واستمرارها، وصولاً إلى الهجرة ومن ثم الاستقرار في المدينة المنورة، يجد أن النبي ﷺ قد ملك صفة القائد على كافة المستويات -العسكرية، والدينية، والروحية-، كما أنه ﷺ قد امتلك صفة رئيس الدولة، الذي لا يترك شأنًا من شؤون رعيته إلا وأتمه على أحسن وجه .

وقد برز ذلك من خلال الاتفاقيات الداخلية التي بدأها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فكانت المؤاخاة، فجاء عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: "قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ"^(٢).

وفي ذلك تشريع لقانون يضبط الوضع الداخلي للمدينة من خلال إقرار قانون التكافل الاجتماعي الذي غطى أهل المدينة فيه عجز المهاجرين .

ثالثاً: الاجتهاد

لقد ذكرت أن أمر السياسة أمر اجتهادي قائم على مبدأ الشورى وإعمال العقل والحكمة والذكاء البشري، وقد اجتهد النبي ﷺ في عدة مواطن، واستشار أصحابه رضي الله عنهم في مواطن أخرى، وإن أمر الاجتهاد مشروع، وأن الاجتهاد الشخصي أو الشوري (الاجتهاد الجماعي) في قضية أو

(١) [النساء: ٨٨-٩٠].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الكفالة/باب قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيْبُهُمْ﴾، ص: ٥٤٩، رقم الحديث ٢٢٩٣].

أمر ما، هو محل تشريع ما لم يخالف نصًا مُحكمًا من القرآن أو السنة، كما يكون مجال تطبيقه ضمن الإطار العام للسياسة التي حددها الشارع الحكيم .

وإن مرونة الاجتهاد تتمحور في أنه يتماشى مع كل زمان ومكان، أي يوائم حاجة الناس وفق تطور الحياة ومتطلباتها، وبذلك كانت السياسة النبوية رائدة السياسة العالمية .

المطلب الثاني

الجودة في القيم الإجرائية القيمية في السياسة

يعرف الباحث القيم الإجرائية للعملية السياسية بقوله: "يقصد بالقيم الإجرائية، هي السبل التي ينبغي على السياسي أن يستخدمها لتحقيق أفضل النتائج على المستوى الاستراتيجي، والوصول إلى المنشود من العملية السياسية بتحقيق أهدافها".

إن القيم الإجرائية القيمية تتشكل من الآيات الواردة في كتاب الله ﷺ، وسنة نبيه ﷺ، وما صح من النصوص الواردة في سيرة النبي المصطفى ﷺ، إضافة إلى السنن الإلهية الكونية الجارية في كل زمان ومكان، وإن هنالك قيمتين إجرائيتين هما أساس في العملية السياسية أياً كانت، وهما: الشورى والعدل، وإن تجويدهما، هو تجويد للعملية السياسية التي يخوضها السياسي الإسلامي وفق النهج النبوي .

أولاً: الشورى

إن الشورى قيمة إجرائية عظيمة جود النبي ﷺ استخدامها في كثير من المواطن، وإن هذه القيمة الإجرائية هي أول أساس لنجاح العمل السياسي الذي لم يرد فيه نصٌ يحكمه، ولذلك برزت الشورى من النبي ﷺ لأصحابه ﷺ في أمور الحروب والقرارات الميدانية والسياسية والاستراتيجية .

وإن الحكمة الإلهية في المشاورة، أن الله ﷻ قد أمر نبيه ﷺ بالمشاورة وهو يتنزل عليه الوحي تعليمًا للمسلمين وتأكيدًا لهم على أهمية المشاورة في حياته ﷺ، وأنها أساس في السياسة وأمور الدنيا بعد وفاته ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، فالأمر الإلهي يفيد أن الوحي لا يغني عن الشورى، وأن الوحي منقطع بعد النبي ﷺ، فما من بدٌ للمسلمين إلا أن يتشاوروا فيما يُسْتَحَدَّثُ من الأمور في حياتهم .

(١) [آل عمران: ١٥٩] .

وقد كان النبي ﷺ كثير المشاورة لأصحابه، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^(١).

(١) [البيهقي: السنن الكبرى، كِتَابُ النَّكَاحِ/بَابُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْمَشُورَةِ، فَقَالَ: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، ج ٧/٧٣، رقم الحديث ١٣٣٠٣].

- سند الحديث/ أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ إِبرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى، ثنا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَغْفُوبَ، أَنبَأَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، أَنبَأَ الشَّافِعِيُّ ؓ، أَنبَأَ ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؓ.
- تخريج الحديث/
أخرجه ابن وهب في الجامع للحديث بمثله (٣٩٩/١)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بنحوه (٣٣٠/٥)، وأخرجه البيهقي في سننه الكبرى بمثله (١٨٦/١٠)، وأخرجه في معرفة السنن والآثار بمثله (٢٢٨/١٤)، كلاهما من طريق الزهري .
وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق بنحوه (ص: ٢٥٢)، من طريق سعيد بن المسيب أو أبي سلمة .
كلهم عن أبي هريرة .

- ترجمة الرواة/
- رواته ثقات، عدا: ابْنُ عُيَيْنَةَ.
قال الباحث: ثقة تغير حفظه بأخره، وربما دلس، وقد أزلت علة تدليسه عن الزهري (ص ٢٠٥).
إثبات السماع: (سماع الشافعي من ابن عيينة - قبل تغيره-) . يثبت سماع الشافعي من ابن عيينة لأن الشافعي مكث في مكة طالباً للعلم، ومكة هي مكان التقائهم، وقد نص على سماعه منه الذهبي في تاريخ الإسلام.

- الحكم على الإسناد/
إسناد صحيح.
يوجد في الحديث علة خفية بيّنها من خلال شرح حديث رقم (٤١٧٩، ٤١٧٨) عند البخاري - وهو الحديث التالي الذي أسرده مثلاً على المشاورة- فقال: "إلى ها هنا ساق البخاري في المعاري من هذا الوجه وزاد أحمد عن عبد الرزاق وسأقه بن جبان من طريقه قال قال معمر قال الزهري وكان أبو هريرة يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ اه. وهذا القدر حذفه البخاري لإرساله لأن الزهري لم يسمع من أبي هريرة". ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٥/٣٣٤) .

وقد برزت هذه المشاورة في مواضع كثيرة، أذكر منها:

- مشاورة النبي ﷺ للصحابة ﷺ يوم الحديبية

قصدَ النبي ﷺ مكة معتمرًا، حتى أتاه عينه يخبره أن قريشًا أعدت العدة لقتاله ورده عن أداء العمرة، فعَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالَا: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى دَا الْخُلَيْفَةَ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ^(١) أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ^(٢)، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: "أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَدَرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَالْأَلَّا تَرَكَنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ"، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَا. قَالَ: "امضوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ"^(٣).

قال ابن حجر: "والمُرَادُ أَنَّهُ ﷺ اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ هَلْ يَخَالِفُ الَّذِينَ نَصَرُوا قُرَيْشًا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ فَيَسْبِي أَهْلَهُمْ فَإِنْ جَاؤُوا إِلَى نَصْرِهِمْ اسْتَعْلَمُوا بِهِمْ وَأَنْفَرَدَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِقُرَيْشٍ وَذَلِكَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ بِتَرْكِ الْقِتَالِ وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَى مَا خَرَجَ لَهُ مِنَ الْعُمْرَةِ حَتَّى يَكُونَ بَدْءُ الْقِتَالِ مِنْهُمْ فَرَجَعَ إِلَى رَأْيِهِ"^(٤).

فالنبي ﷺ في هذا المقام قد جَوَّدَ مبدأَ الشورى وعززه عند الصحابة ﷺ، باتخاذهم القرار السياسي الأسلم له وللمسلمين، حيث تجنَّبَ النبي ﷺ إراقة الدماء، والذي نبع عن حكمة وحكمة

(١) غدير الأشطاط: وَغَدِيرٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْأَشْطَاطِ بِشِينٍ مُعْجَمَةٍ وَطَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ جَمْعُ شَطِّ وَهُوَ جَانِبُ الْوَادِي. ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٣٣٤/٥).

(٢) الْأَحَابِيشُ: هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشا. والتحبش: التجمع. وقيل حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا فسموا بذلك. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٣٣٠/١).

(٣) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَغَازِي/بَابُ غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ] [الفتح: ١٨]، ص: ١٠٢٦، رقم الحديث ٤١٧٨، ٤١٧٩.

(٤) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج ٣٣٤/٥).

وخبرة سياسية وعسكرية عند بطانة النبي ﷺ الممثلة بمستشاريه كآبي بكر وعمر وكبار الصحابة
ﷺ أجمعين .

ثانياً: العدل

إن العدل قيمة مطلقة ليس لها حدود في العمل السياسي، فهي قيمة مستحقة مع العدو
والصديق، ومع القريب والبعيد، ومع الموافق والمخالف، أولى الله ﷻ لها آيات كثيرة في كتابه
الكريم، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ ءَعَاَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ ءَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) .

وقد زخرت السنة النبوية أيضاً بحث النبي ﷺ على العدل والقسط، فمسألة العدل هي
قضية مفصلية تجتث بها الدول وتزلزل بها العروش وتهلك بها الذراري، فجاء في حث النبي ﷺ
وترغيبه بالعدل، أن بشرَ الحاكم العادل بأنه أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا
ظله، فعن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:
الإمام العادل"^(٢).

فالحاكم باعتباره الواجهة الأولى لسياسة الدولة؛ فإن عدله في الرعية عدل لاستمرارية
حكمه، ولذلك لما أراد النبي ﷺ أن يوجه أصحابه في الهجرة الأولى، وجههم إلى ملك لا يظلم
عنده أحد، فجودَّ النبي ﷺ التوجيه السياسي لأصحابه بالإشارة إلى اختيار أمر العدل في الحكم،
ليكون مأوىً ولجوءاً سياسياً آمناً للدعوة الإسلامية من أن تجتث أو تندثر، قال ابن هشام: "قال
ابن إسحاق: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ،
بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ
لَهُمْ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظَلِّمُ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّىٰ

(١) [المائدة: ٨] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَذَانِ/بَابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفُضِّلَ الْمَسَاجِدِ، ص:

١٦٥، رقم الحديث [٦٦٠] .

يَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ. (١) فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ (٢).

فكانت الجودة السياسية من النبي ﷺ في اختيار أرض الحبشة، هو أن يتم تشكيل نواة أخرى للمسلمين غير التي في مكة، فالنبي ﷺ ومن كان معه من المسلمين معرضون للقتل أو الاجتثاث في أي لحظة، فقد حاولت قريش أن تغتال النبي ﷺ في أكثر من مرة على يد أبي جهل وغيره من المشركين، فمن الحكمة السياسية ألا يكون أمر الجماعة مستقرًا في مكان واحد وخصوصاً في حالة الضعف التي كان عليها المسلمون قبل أن يهاجروا ويشتد عودهم في المدينة .

وأما تحذير النبي ﷺ من الظلم فهو ظاهر في التنفير عنه ﷺ ببيان حال الذين ظلموا من الأقسام السابقة ولم يقيموا العدل في أنفسهم، بل حابوا أصحاب الشرف والمكانة على الضعفاء.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ فُرَيْشًا أَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟" ثُمَّ قَامَ فَأَخْتَطَبَ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (٣).

فالنبي ﷺ تحرى أن يُجَوِّدَ سياسته العامة للدولة الإسلامية بالعدل في أشرف القوم قبل ضعافهم، لما للعدل من عظيم مكانة في نفوس الناس، وتحقيق أهداف هذا الدين العظيم، وأسامها العدل في الرعية، وشاهد ذلك قوله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ"، ولذلك قال الإمام

(١) أخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" بنحوه (ج ١٧/١) .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٣٢١/١) .

(٣) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْحُدُودِ/بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ، مج ٨٠٥/٢، رقم الحديث ١٦٨٨] .

ابن تيمية^(١): "فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيْمَةٌ وَعَاقِبَةُ العَدْلِ كَرِيْمَةٌ وَلِهَذَا يُرَوَى:
(اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ العَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً)"^(٢) .

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني ابن تيمية الشيخ الإمام العالم العلامة المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث شيخ الإسلام نادرة العصر ذو التصانيف والذكاء والحافظة المفرطة تقي الدين أبو العباس ابن العالم المفتي شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات مؤلف الأحكام وتيمية لقب جده الأعلى. الصفدي، الوافي بالوفيات (ج ٧/١١) .
(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (مج ٢٨/٦٣) .

المطلب الثالث

الجودة في تقدير المصالح والمفاسد السياسية

إن الفقه السياسي ضرورة شرعية لمن يتولى أمرًا للمسلمين، لأن أي قرار سيتخذه ولي الأمر يجب أن يوضع في ميزان القواعد الشرعية، لتقدير المدى الذي تتأثر به جماعة المسلمين إيجاباً وسلباً.

إن فقه المصالح والمفاسد يكون إما تعارضاً وإما تلازماً، فقد تتعارض المصلحة والمفسدة، وقد تتلازم المفسدة والمصلحة، وقد تتعارض المصلحتان، وقد تتعارض المفسدتان، وإن الفقه الحقيقي هو القائم على جلب المصالح أو زيادتها وتكثيرها، ودرء المفاسد أو تحجيمها وتقليلها، وقد كانت الممارسة السياسية للنبي ﷺ قائمة على تقدير المصلحة والمفسدة من أي قرار سياسي، فجوّد النبي ﷺ قراراته السياسية في كثير من المواقع والمواقف بناء على هذه القاعدة الفقهية -تقدير المصالح والمفاسد في جلبها ودرئها- مع الأخذ بعين الاعتبار التلازم والتعارض بين المصلحة والمفسدة في كل موقع من مواقع العمل السياسي^(١).

وقد برز تجويد النبي ﷺ في تقدير المصالح والمفاسد السياسية بروزاً واضحاً في موقفين، أحدهما كان في مكة والآخر في المدينة:

أولاً: الموقف السياسي في المدينة

إن قصة رأس النفاق في المدينة عبد الله بن أبي بن سلول فيها من الفوائد السياسية الجمّة، فلا يخفى على مسلم عارف بالسنة والسيره جرائمه في حق المسلمين من الخذلان في المعارك والغزوات، وإشاعة التهوين والتحقير، والتحالف مع المشركين واليهود، إضافة إلى إثارة الفتن والقتال بين المسلمين كرميه لأُم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-، وكان يفعل كل ذلك وهو متدنر بدثار الإسلام.

(١) د. عوض القرني - صالح القرعاوي، ديوانية الشيخ عبد الله القرعاوي في محاضرة بعنوان "الهدى النبوي في السياسة" ... بتصرف.

لقد خاض النبي ﷺ غزوة بني المصطلق، فاغتاز المنافقون من تمكين الله ﷻ لنبيه ﷺ، فكانت الفاضحة للمنافقين بأقوالهم وأفعالهم، ليفضحه الله ﷻ بإنزال قرآن ينطق بما نطق رأس النفاق، حيث قال ابن هشام: " فَبَيَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَرَدَّتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ: جَهَّاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَفُودُ فَرَسَهُ، فَأَزْدَحَمَ جَهَّاهُ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرَ الْجُهَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَأَقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهَّاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنِ سَلُولٍ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ: زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، غُلَامٌ حَدَثٌ، فَقَالَ: أَوْقَدْ فَعَلُوهَا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاتَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعَدْنَا وَجَلَابِيبَ فُرَيْشٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: سَمَّنْ كَلْبَكَ يَا كَلْبَكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بَأَنْفُسِكُمْ، أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ"^(١)، ليصبح ابن أبي بذلك القول مرتدًا ظاهرًا، وواضحة رده ووضوح الشمس في السماء، فقال تعالى في فضحه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا^٥ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ^٦ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ^٧ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فبعد أن فضحه الله على الملأ، أصبح مستحقًا لإقامة حدِّ الردة عليه بما قال وأظهر من الكفر المبطَّن بالنفاق .

ولكن! لتطبيق الحكم الشرعي، لا بد من تحقق شروطه وانتفاء موانعه، وبمعنى أدق، فلا بد أن تُقام الحجة، ولا بد أن تُدرا الشبهة، وقد استوفى حدُّ (عبد الله بن أبي بن سلول) تحقق شروطه، فقد أقام القرآن عليه الحجة، ودليل استحقاقه لإقامة حكم الله فيه، أن الصحابة عرضوا على رسول الله ﷺ قتله، إلا أن رسول ﷺ رفض، وكان رفضه ﷺ لما سيترتب على قتله من مفساد سياسية كبرى، لا لأنه لم يستحق القتل، وبالتالي فإن موانع إقامة الحد لم تنتفِ ولم تدرأ الشبهة، حتى وإن كانت الشروط قد تحققت والحجة قد أقيمت.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج٢/٢٩٠) .

(٢) [المنافقون: ٧-٨] .

ومن ذلك أنه لما عرض عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله كان جواب النبي صلى الله عليه وسلم سياسياً استراتيجياً، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: "دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ" فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَعْلَةَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: "دَعُهُ، لَا يَنْحَدِثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"^(١).

فالشاهد هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "دَعُهُ، لَا يَنْحَدِثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"، فهذه الإجابة تعتبر جواباً سياسياً استراتيجياً بحتاً، وقد جاءت مناسبة للحال الذي كان عليه أمر الإسلام من انتشار وتوسع، وكانت العرب قد رسمت صورة لابن أبي زعيم المدينة - أنه هو من آوى النبي صلى الله عليه وسلم يوم أن خرج من مكة متخفياً طريداً ضعيف الجناح، فإن قام النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فإن أي زعيم عربي يحدث نفسه بالإسلام رغباً أو رهباً، فإنه أول ما سيتراءى أمامه هو دم ابن أبي الذي في نظره قد آوى النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول إن مصيري مصيره .

فكم من المفاصد السياسية والاستراتيجية سينترتب على هذا القرار السياسي بقتل عبد الله بن أبي بن سلول، فكان تجويد القرار السياسي بعدم قتله، وذلك من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم وخبرته السياسية التي كانت سبباً رئيساً في تجويد هذا القرار السياسي المدروس منه صلى الله عليه وسلم، ولأن العوام من الناس لا يعرفون طبيعة الموقف أو الحدث ولم يعايشوه، فإن قرار النبي صلى الله عليه وسلم بقتل من آواه سيكون في منظورهم أنه ليس من أخلاق النبوة، ولذلك تراءى أمام النبي صلى الله عليه وسلم حديث عوام الناس .

لقد كان هذا التوسع لدولة الإسلام قبيل صلح الحديبية، وكانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس للهجرة^(٢)، وكانت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست للهجرة^(٣) - أي بينهما

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْبُرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، مج ٢/١٢٠٠، رقم الحديث ٢٥٨٤] .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٢١٤) .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٢٨٩) .

قراية العام- وقد كان للعام السادس من الهجرة ميزات سياسية واستراتيجية نتجت عن قرارات سياسية مُجَوِّدَةٍ من النبي ﷺ، نتوقف معها، فلقد تميزت السنة السادسة للهجرة بأنها سنة جهادية بامتياز، حيث انتشرت فيها سرايا وجيش الإسلام في معظم أنحاء الجزيرة العربية، رغم أن هذه السرايا الجهادية لم تكن من المعارك الضخمة إلا أن تأثيرها كان عميقاً على أهل الجزيرة عامة في أمر الإسلام^(١).

ففي هذا العام الهجري الزاخر بالأحداث كانت هنالك آثار مترتبة على ما فيه من أحداث، وخصوصاً بعد غزوة الخندق التي بشر النبي ﷺ أصحابه بقوله فيما جاء عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: "تَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَنَا"^(٢).

وإن هذه الكلمة التي قالها النبي ﷺ من أجود كلامه ﷺ في البعد السياسي، فإن لها آثاراً تظهر قبيل صلح الحديبية وأبعاداً سياسية في بنود الصلح يذكرها الباحث استنباطاً من خلال استقرائه لواقع النبي ﷺ، ومن هذه الآثار^(٣):

- ١- تحسن الوضع الأمني للمسلمين في الجزيرة العربية على المستوى الإقليمي، لما أصبح لهم من هيبية بعد غزوة الأحزاب خصوصاً.
- ٢- تزايد القوة العسكرية وتمكينها من خلال السرايا التي تعتبر تدريباً وتجهيزاً عملياً لمقاتلي المسلمين، حيث ظهر ذلك جلياً في التكتيك العسكري من النبي ﷺ الذي كان القائد العام لأركان الجيش المسلم، فهو بدوره ﷺ سَلَّمَ القيادة لبعض القادة الميدانيين، ففي غزوة خيبر سَلَّمَ القيادة لابن عمه علي ﷺ، وفي مؤتة ظهرت الخبرة العسكرية من خالد بن الوليد في النجاة بالجيش، وفي غيرها من المعارك

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام (ج٢/٥٣٧-٧٥٣).

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَغَازِي/بَابُ غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ وَهِيَ الْأَحْزَابُ، ص: ١٠١٠، رقم الحديث ٤١٠٩].

(٣) الآثار هنا، استنتجها الباحث من خلال الاستقراء التحليلي لواقع النبي ﷺ في تلك الفترة ومن خلال الأفعال التي قام بها النبي ﷺ كردة فعل أو كنتيجة طبيعية لما ترتب على الصلح من استقرار أمني، مكن النبي ﷺ من إعادة ترميم بنيانه بشكل كامل.

والغزوات حتى كان فتح مكة الذي كان له تحضير وتكتيك عسكري سري فاجأ
الخصوم .

٣- النمو الاقتصادي لدولة الإسلام، نتيجة الاستقرار الأمني الذي نتج عن الهيبة التي
أورثتها الدولة الإسلامية في نفوس الماكرين .

٤- إقامة العلاقات الدبلوماسية وفق موازين القوى التي في الجزيرة العربية، والتي كان
من بينهم أصهار للنبي ﷺ كبنو المصطلق، الذين منهم زوجته أم المؤمنين
جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها- .

٥- تحييد نصره بعض القبائل لقريش، مما أورث قريش ضعفاً وهواناً وتفككاً، بل
واندثار للمصالح المشتركة مع القبائل التي كانت حليفة لقريش.

٦- إن التشتت الذي أصبحت فيه قريش بعد التوجهات والتحالفات الجديدة وفق موازين
القوى في الجزيرة، جعلها تشعر بمدى تمدد نفوذ النبي ﷺ وازدياد قوته العسكرية،
الأمر الذي جعل قريشاً لا تفكر إلا في إبرام صلح تنقذ فيه نفسها من الهزيمة إذا
ما قابلت النبي ﷺ في مواجهة عسكرية، يتمرغ فيه أنف زعامتهم بالتراب.

٧- اتخاذ القرارات الحاسمة من الصحابة رضي الله عنهم دون خوف أو هيبه، بل قرارات تتزين
بثقة المسلم وقوة شكيمته حتى في أحلك حالاته وأصعبها، كاتخاذ سعد بن معاذ رضي الله عنه قراره
بقتل اليهود في بني قريظة لما طلبوا من النبي ﷺ أن يحكمه فيهم .

٨- تخفي المنافقين وعدم المجاهرة بالنفاق؛ ولا يعني ذلك انحسار مكرمهم، بل إن
التدبير الذي يحيونه بليل سيتصف بالحذر والتأني في الكيد والتنفيذ من خلال تخطيط
محكم، الأمر الذي يستدعي تشكيل جهاز أمني يحمي ظهر المسلمين .

٩- نزع شوكة اليهود وتلاشي قوتهم وتشتيت جمعهم، من خلال إجلائهم وقتل
قائدهم في بني قريظة حيي بن أخطب .

١٠- التحول الاستراتيجي لدعوة الإسلام، حيث تحولت من دعوة محلية تقتصر على
الجزيرة إلى دعوة عالمية، راسل النبي ﷺ فيها الأمراء والملوك والسلاطين في مملكتي الفرس
والروم.

ثانياً: الموقف السياسي في مكة

إن النبي ﷺ عارف بأخلاق العرب التي لا يمكن أن ينازعهم فيها أحد، ولا يقبل العربي الحر على نفسه أن يخالف ما اشتهر به من مكارم الأخلاق، فحاول النبي ﷺ أن يستثمر هذه القيم الكريمة، موظفاً ما يؤمن به العرب من هذه المكارم في الأشهر الحرم^(١).

فقصد النبي ﷺ مكة للعمرة، وقد كانت العرب تعظم هذه الأشهر الأربعة، وكان من عاداتهم أن الرجل إذا لقي قاتل ولده أو والده فيها فإنه لا يفزعه ولا يهيجه، فاستثمر النبي ﷺ هذه الأشهر الأربعة استثماراً سياسياً وقد أجاد الاستثمار.

فأما الهدف السياسي الذي سعى النبي ﷺ إلى تحقيقه من خلال ذلك هو كسر الحصار الاجتماعي الذي صنعه قريش بتشويه صورته ﷺ عند العرب، فأراد النبي ﷺ بذلك أن يصنع ويمدّ جسوراً جديدة مع العرب لإيصال رسالة الإسلام الحق، وتبديل الصورة المرسومة من قريش عن النبي ﷺ وأصحابه، لتعرفه العرب عن قرب.

علمت قريش فخرجت بعثتها وعتادها لتمنع النبي ﷺ من أن يصل إلى مكة، فكان صلح الحديبية، وكان من بنوده أن يأتي النبي ﷺ العام القادم وأن تخلي قريش له مكة ثلاثة أيام.

أتى النبي ﷺ في العام التالي بعد صلح الحديبية، والذي حقق فيه ﷺ نصراً سياسياً ونقطة تحسب لصالحه من خلال تحصيله اعترافاً ضمناً من مكة من خلال إبرام صلح بينه ﷺ وبينهم، -ولا يكون الصلح إلا بين طرفين قويين- فكان الصلح بمثابة اعتراف بأن النبي ﷺ أصبح قوة يحسب لها حساب، يقول ابن هشام: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْبَرَ، أَقَامَ بِهَا شَهْرِي رَيْبِعِ وَجُمَادِيَيْنِ وَرَجَبًا وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَشَوَّالًا، يَبْعَثُ فِيهَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَزْوِهِ وَسَرَايَاهُ ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الَّذِي صَدَّهُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مُعْتَمِرًا عُمَرَةَ الْقَضَاءِ، مَكَانَ عُمْرَتِهِ الَّتِي صَدَّوْهُ عَنْهَا. وَيُقَالُ لَهَا عُمَرَةُ الْقِصَاصِ، لِأَنَّهُمْ صَدَّوْا

(١) الأشهر الحرم: هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ، فَأَقْتَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ مَكَّةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ الَّذِي صَدَّوْهُ فِيهِ، مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ" (١) .

فالشاهد هو أنه لما دخل النبي ﷺ مكة معتمرًا كانت الأصنام ما زالت حول الكعبة على حالها، ومكث النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في مكة ثلاثة أيام، وطافوا حول الكعبة وسعوا بين الصفا والمروة وفعّلوا كل ما على المعتمر أن يفعله من مناسك، ولم يُسقطوا أو يحطموا من الأصنام صنمًا واحدًا، رغم أنهم الآن قوة موازية لقوة قريش، وقد أخلت قريش مكة لثلاثة أيام، أي أنهم وحدهم الآن في مكة ولا منازع لهم وكان بإمكانهم أن يحطموها، إلا أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك ولم يأمر به، وكان لذلك بعد سياسي في تقدير المصالح والمفاسد السياسية.

فالنبي يسعى لتحقيق هدف أسمى من ذلك، ألا وإنه تسويق الإسلام بتأليف القلوب لا بالفظاظة، فالعرب يعبدون أصنامًا صنعوها بأيديهم وهي صغيرة في نفوسهم، ولا ننسى أن قريشًا كانت قد استنفرت العرب كلهم وأشاعت يوم الحديبية -كما سيأتي- أن النبي ﷺ ما أتى مكة إلا ليستحل بيت إبراهيم عليه السلام ويهدم عبادة الأصنام، فإن حطمها النبي ﷺ وهي عبارة عن أخشاب وحجارة، فستصبح ضخمة متأصلة في نفوسهم .

فكان قرار النبي ﷺ بالألا تُمسَّ الأصنام قرارًا مُجَوِّدًا، قَدَّرَ فِيهِ النبي ﷺ ووازن بين المصالح التي سيجنيها والمفاسد التي ستلحق بالدعوة جراء قرارٍ فَرَضَ نفوذ، هو قادم لا محالة، فكانت الجودة ظاهرة في تأني النبي ﷺ ودراسته الاستراتيجية للمصالح والمفاسد السياسية .

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٣٧٠) .

المطلب الرابع

الجودة في فقه القدرة والاستطاعة السياسية

إن التشريعات الإسلامية كلها من الله ﷻ، ولكن القيام بهذه التشريعات على الوجه الذي يريده الله ﷻ منوطة بالقدرة والاستطاعة، وقد جَوَّدَ النبي ﷺ بفقهه السياسي والشرعي العمل السياسي وفق فقه القدرة والاستطاعة في كل موقع من مواقع العمل السياسي .

ولذلك فإن فقه القدرة والاستطاعة لا يقتصر في تطبيقه على العبادات الفردية كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها، بل إنه يتوجب على الحكام الذين يسوسون شعوبهم أن يطبقوا قواعد فقه القدرة والاستطاعة على المجتمعات والحكومات التي تحتهم، نزولاً عند قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١) .

ولنا في هذا المقام أمثلة كثيرة أذكر مثالين عمليين في فقه القدرة والاستطاعة:

١- المثال الأول

لقد جاء تشريعات الإسلام متدرجة إلا قضية التوحيد فقد أتت من أول يوم محسومة ونهائية لا تدرج فيها، وذلك من حيث أصل التكليف، ولكن إقامة هذا التوحيد في الأرض هو من باب السياسة الشرعية .

فإقامة التوحيد يجب أن يكون له خطة مدروسة تطبق في نشر عقيدة التوحيد، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشر سنة يدعو إلى توحيد الله وهاجر منها ولم يُسْقِطُوا منها صنماً واحداً، فالنبي ﷺ عمل بما يستطيع من تبليغ دعوة الله ﷻ، وبيان أن عبادة الأصنام شرك والتنبية على عيوب الأصنام وأنها لا تضر ولا تنفع وما إلى ذلك، وبيّن عقيدة التوحيد وأنها هي الأنجي والأسلم عند الله ﷻ، أما إزالة الأصنام من الواقع بهدمها فهي قائمة على القدرة والاستطاعة .

(١) [البقرة: ٢٨٦] .

إن النبي ﷺ ترك الأصنام في مكة قائمة دون أن يهدمها عجزاً، فالنبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم أذى قريش، فهل سيستطيعون أن يهدموا الأصنام ويزيلوها من الواقع؟؟!!

وقد كان النبي ﷺ يمر عن آل ياسر وهم يعذبون وليس له إلا أن يُصبرهم، فعن جابرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذِّبُونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: "أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ"^(١).

(١) [الطبراني: المعجم الأوسط، باب الألف/مَنْ اسْمُهُ أَحْمَدُ، ج ١٤١/٢، رقم الحديث ١٥٠٨].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُقَوِّمُ قَالَ: نا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: نا هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ ﷺ .

• تخريج الحديث/

أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣٠٣/٢٤) من طريق عبد الله بن الحارث.

وأخرجه في المطالب العالية (٢٩٥/١٦) من طريق سالم بن أبي الجعد.

كلاهما بنحوه عن عثمان بن عفان ﷺ .

وأخرجه الحاكم في مستدركه بمثله (٤٣٨/٣)، من طريق مسلم بن إبراهيم، عن جابر ﷺ .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات، عدا أن فيه:

▪ أبو الزُّبَيْرِ: محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي مولاهم أبو الزبير المكي صدوق إلا أنه يدلس. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٠٦).

ويروى عن يعلى بن عطاء قال: حدثني أبو الزبير وكان أكمل الناس عقلاً، وأحفظهم. وقال ابن

عدي: روى مالك عن أبي الزبير أحاديث، وكفى بأبي الزبير صدقاً أن يحدث عنه مالك، فإن

مالكا لا يروي إلا عن ثقة، وقال: لا أعلم أحداً من الثقات تخلف عن أبي الزبير إلا وقد كتب

عنه، وهو في نفسه ثقة إلا إن روى عنه بعض الضعفاء، فيكون ذلك من جهة الضعيف. وقال

ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث إلا أن شعبة تركه لشيء زعم أنه رآه فعله في معاملة. وقال

النسائي: ثقة. قال أحمد بن حنبل: وأبو الزبير ليس به بأس. وقال الساجي: صدوق حجة في

الأحكام، قد روى عنه أهل النقل، وقبلوه، واحتجوا به. قال ابن عيينة، عن أبي الزبير قال: كان

عطاء يقدمني إلى جابر أحفظ لهم الحديث. قال ابن المدني: ثقة ثبت. ابن حجر، تهذيب التهذيب (٦٩٤/٣).

عن عبد الرحمن قال: سألت أبي عن أبي الزبير فقال: يكتب حديثه ولا يحتج به، وهو أحب إلي من أبي سفيان طلحة بن نافع. عن يحيى بن معين أنه قال: أبو الزبير صالح وقال مرة: ثقة. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٧٤/٨).

قال الذهبي: حافظ ثقة. الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة (١٩٥/٤). وقال ابن عبد البر في كتابه "الاستغناء": تكلم فيه جماعة ممن روى عنه، ولم يأت واحد منهم بحجة توجب جرحه، وقد شهدوا له بالحفظ، وهو عندي من ثقات المحدثين، وقد كان عطاء بن أبي رباح يشهد له بالحفظ، وقد أثنى عليه سليمان بن موسى، وقول الشافعي فيه يحتاج إلى دعامة، فإنه ذهب في تضعيفه مذهب ابن عيينة، بلا حجة، وقول أيوب: ثنا أبو الزبير وأبو الزبير. أبو الزبير اختلفوا فيه فقالوا: أراد بذلك تضعيفه، وقالوا: بل أراد الثناء عليه والترفيح، والتأويل الأول أشبه بمذهب أيوب فيه دون غيره، وقول شعبة لا يحسن يصلي فهو تحامل وغيبة وقد حدث عنه، وقول ابن جريج: ما كنت أظن أن أعيش حتى أراه يحدث، فإنهم احتقروه - فيما قيل - لفقره، وقد حدث عنه ابن جريج بعدة أحاديث، وقول معمر: كان أيوب إذا جاءه قنع رأسه فليس بشيء لما كان يأتيه. مغنطاي، إكمال تهذيب الكمال (٣٣٦/١٠).

قال ابن عدي: ولزهير عن أبي الزبير عن جابر نسخة، ولحماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر أحاديث، وروى هشيم عن أبي الزبير عن جابر أحاديث. ابن عدي، الكامل في الضعفاء (٢٨٤/٧).

قال الباحث: هو ثقة يدلس.

■ مُسَلِّمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي أبو عمرو البصري ثقة مأمون مكثراً عمي بأخرة هو أكبر شيخ لأبي داود. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٥٢٩). قال أبو داود: كان مسلم يحفظ حديث هشام. المزي، تهذيب الكمال (٤٨٧/٢٧). قال الباحث: ثقة، يحفظ حديث هشام.

■ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُقَوَّمُ: من أهل البصرة. ابن قطلوبغا، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (ج ٢/٢١١). وذكره ابن حبان في الثقات. ابن حبان، الثقات (ج ٨٤/٨). وقال الهيثمي: ثقة. الهيثمي، مجمع الزوائد (٢٩٣/٩).

إزالة العلل:

- علة أبي الزبير: صرح أبو الزبير بالسماع عن جابر في روايات أخرى، وروى له البخاري ومسلم في صحيحهما أحاديث عن جابر رضي الله عنه، كما أن ابن عدي قال: وكفى بأبي الزبير صدقاً أن يحدث

إن القول من النبي ﷺ كان من باب تصبيرهم ومواساتهم بمصائبهم، ولذلك فإن أصل التكليف والاعتقاد قضية مفروغ منها، ولكن إقامة مقتضيات هذا التكليف في حياة الناس والمجتمعات منوط بالقدرة والاستطاعة .

٢- المثل الثاني

لقد مر على المسلمين ظروف شديدة جدًّا، ولكن ما مرَّ عليهم أيام غزوة الأحزاب، حين تكالبت عليهم العرب بحياكة مؤامرات وتدبير من يهود بني قينقاع وبني النضير، الذين لما أجلاهم النبي ﷺ ذهبوا إلى بني قريظة، فقد أنزل الله قرآنًا يصف حال المؤمنين في هذه الغزوة فقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١).

فكان تعداد الأحزاب المحاصرة للمدينة حينها قرابة عشرة آلاف مقاتل، وكان النبي ﷺ وأصحابه ﷺ قد أعدوا العدة العسكرية من تحصينات واستعدادات، لمواجهة الهجمة الشرسة والمؤامرة الإقليمية التي تريد ان تفتك بدولة الإسلام.

كان النبي ﷺ قد عمل إلى جانب العمل والإعداد العسكري، كان قد عمل أيضًا على تشغيل الجانب الأمني والسياسي في ذات الوقت، فالعمل الأمني الاستخباراتي كان رائده نُعيم

عنه مالك، فإن مالكًا لا يروي إلا عن ثقة. كذلك أستأنس بكلام ابن عدي في رواية أبي الزبير نسختًا عن جابر وذلك يثبت سماعه منه، كذلك بيّن ابن عبد البر أنه لا حجة مع من جرحه. - علة عمى مسلم بن إبراهيم: لم يخطئ في هذا الحديث لأنه عن هشام الدستوائي، وقد كان يحفظه بنص أبي داود.

• الحكم على الإسناد/
إسناد صحيح .

(١) [الأحزاب: ١٠-١١] .

بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه، الذي حَدَّثَ عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين إلى أن تفرقت الأحزاب وفيه حديث طويل^(١).

أما العمل السياسي الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يخوضه خلال المعركة فهو ظاهر في عزمه صلى الله عليه وسلم مصالحة غطفان - قوم نعيم بن مسعود رضي الله عنه - على نصف ثمار المدينة في مقابل أن ينفصوا عن الأحزاب وقد كانوا قرابة ثلث الجيش أو أكثر .

هذا القرار السياسي الذي عزم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتخذه، جَوَّده النبي صلى الله عليه وسلم بالمشاورة التي هي قيمة إجرائية في السياسة، بل حسنَ في جودته بأنه استشار من يخصهم أمر ذلك القرار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم عادة إذا أراد أن يستشير أحداً في أمرٍ ما، فإنه يستشير أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -، ولكن هذه المرة استدعى سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج، سيدي قبيلتي الأنصار، لأن الأمر يخصهما، فهما من سيبدل شطر تمر المدينة لغطفان.

وتتضح ملامح المنهج النبوي في السياسة من تصرف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف بالآتي:

- جاء استدعاء السعدين للمشاورة في إتمام التوقيع من عدمه، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد رأى من وجهة نظره أمراً عزم عليه للتخفيف عن المسلمين - أي ما يقال عنه في العصر الحديث "التوقيع بالأحرف الأولى" ما قبل الاعتماد - .
- القرار السياسي هذا جاء بناء على الحالة التي كان عليها المسلمون، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفف من وطأة الأحزاب في المعركة بانخزال غطفان عن قتال المسلمين .
- أن الذي سيدفع ثمن هذا القرار هم الأنصار، فالثمر ثمرهم، والخير خيرهم والأرض أرضهم.

(١) راجع:

- ذكره ابن جرير الطبري في كتابه تهذيب الآثار (٣/١٣٠)، عن ابنة نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيها قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق: "حَدَّثَ عَنَّا، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ"، وقد حكم عليه الألباني في السلسلة الضعيفة (ج٨/٢٥٣) بقوله: "ضعيف جداً" .
- ابن هشام، السيرة النبوية (ج٢/٢٢٩) .
- ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٧/٤٠٢) .

- رأى النبي ﷺ أنه ليس من المروءة أن يتخذ القرار بمعزل عن الأنصار، فيكون القرار من المهاجرين ويتحمل تبعاته الأنصار .

فالشاهد أن النبي ﷺ اجتهد في قرار إعطاء الثمار لغطفان، وكان توجهه ﷺ أن يعطيهم النصف منها على أن ينخلوا عن قتال المسلمين، فلما استشارهما كان منهما إجابة جعلت النبي ﷺ يعدل عن قراره السياسي بالمصالحة، إلى قرار الحرب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **جَاءَ الْحَارِثُ الْعُظْفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمَرُ الْمَدِينَةِ، قَالَ: "حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ"**، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَقَالَ: "إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمَرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْحَى مِنَ السَّمَاءِ، فَالْتَسْلِيمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، أَوْ عَنِ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأَيْنَا تَبِعَ لِهَوَاكَ وَرَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْنَا وَإِيَاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشَرِّى، أَوْ قَرِّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ" ، قَالُوا: عَدَرْتَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يَا حَارٍ مَنْ يَغْدُرُ بِدِمَّةِ جَارِهِ ... أَبَدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَغْدُرُ

وَأَمَانَةُ الْمَرْءِ حَيْثُ لَفَيْتَهَا ... كَسْرُ الزُّجَاجَةِ صَدْعُهَا لَا يُجْبَرُ

إِنْ تَعْدُرُوا فَالْعَدْرُ مِنْ عَادَاتِكُمْ ... وَاللُّؤْمُ يَنْبُتُ فِي أُصُولِ السَّخْبَرِ (١) (٢) .

(١) السَّخْبَرُ: شجر من شجر الثمام، له قصب مجتمعة، وجرثومة، وعيدانه كالكرات في الكثرة، وكان ثمرته مكاسح القصب أو أدق منها. ومكاسح القصب رؤوسها. الفراهيدي، العين (ج ٤/٣٣١) .
 (٢) [الطبراني: المعجم الكبير، باب السنين/سعد بن مسعود الأنصاري كان ينزل المدينة، ج ٦/٢٨، رقم الحديث ٥٤٠٩] .

- سند الحديث/ حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ أَحْمَدَ، وَزَكَرِيَّا السَّاجِيُّ، قَالَا: ثنا عُقْبَةُ بْنُ سِنَانِ الدَّرَّاعِ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُظْفَانِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

• تخريج الحديث/

- أخرجه البزار في مسنده بنحوه مختصراً (٣٣٧/١٤) من طريق عقبة بن سنان الذراع .
وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٧٨٦/٢) من طريق عقبة بن سيار .
وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه بمثله (٨٢٩/٢) من طريق شعبة بن منان الهدادي .
ثلاثتهم عن عثمان الغطفاني عن أبي هريرة رضي الله عنه به .

• ترجمة الرواة/

– رواته ثقات، عدا أن فيه:

- مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو: تقدمت ترجمته، (ص ١٠٨) .
قال الباحث: هو ثقة يخطئ.

- عُمَانُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُطْفَانِيِّ: أبو عمرو القاضي البصري صدوق ربما وهم. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ٣٨٥).

قال أحمد بن حنبل: رجل صالح خير، من الثقات. وقال أبو حاتم: شيخ يكتب حديثه. وقال الدارقطني: عثمان بن عثمان أحد الثقات الصالحين. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال ابن معين: ثقة. قال ابن حبان: كان ممن يخطئ. وقال البخاري: مضطرب الحديث. ابن حجر، تهذيب الثقة. (٧١/٣).
قال الباحث: ثقة يخطئ.

- عُقْبَةُ بْنُ سِنَانَ الذَّرَاعِ: عقبة بن سنان بن عقبة بن سنان بن سعد بن جابر بن محسن، روى عن عثمان بن عثمان الغطفاني سمع منه أبي في الرحلة الثالثة، عبد الرحمن قال سئل أبي عنه فقال صدوق. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (ج ٣١١/٦). ابن قلوبغا، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (١٥٩/٧).
قال الباحث: هو صدوق.

• الحكم على الإسناد/

إسناد حسن. له شواهد .

رواة الإسناد ثقات، إلا أنه فيه محمد بن عمر صدوق ربما وهم، وقد روى له البخاري ومسلم أحاديث يروونها عن أبي سلمة، وبذلك يزول الإيهام في أبي سلمة، أما عثمان الغطفاني، فقد أخرج له مسلم في المتابعات .

فكان الموقف الذي أبرزه الأنصار بقيادة السعدين موقفاً يدل على القوة والاستعداد، الأمر الذي دعم موقف النبي ﷺ في الاستمرار بقرار الحرب، فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، فيستنبط من موقف النبي ﷺ بالموافقة المبدئية على مصالحة غطفان، أن النبي ﷺ كان متحسناً لحال المسلمين، وأن مبدأ الشورى مقرر في أمر السياسة الذي يخص عوام الناس فيما لا نص فيه .

(١) [الشورى: ٣٨] .

المطلب الخامس

الجودة في المفاوضات السياسية (صلح الحديبية نموذجًا)

إن الصراع السياسي الهائل بين النبي ﷺ وقريش في صلح الحديبية كان له وقع قوي على الساحة السياسية المحلية والإقليمية، فالنبي ﷺ -كما ذكرت- أصبح قوة على الأرض تعترف بها قريش، وتحسب العرب له حسابًا، وفي ذات الوقت فإن قريشًا تحاول بل تتنازع من أجل بقاء هيبتها بين العرب.

وكان النبي ﷺ أفتح السياسي متزنًا مدروسًا دراسةً استراتيجية مُجَوِّدة، ويتضح ذلك من الثبات في المفاوضات الذي أظهره النبي ﷺ في حوارهِ ومفاوضته لمن أرسلتهم قريش لمفاوضته ﷺ، حيث أن كل شخصية أرسلتها قريش كان لها بُعد نفسي سياسي استراتيجي عسكري وديني. وإن الحكمة والهدوء والرزانة التي تحلى بها النبي ﷺ في مفاوضات الحديبية أورثت عند قريش هزيمة نفسية سياسية حتى وصلت قريش إلى الخضوع والتوقيع على اتفاق الحديبية، الذي ظاهره الشر وبواطنه كل الخير، ولذلك؛ إن صلح الحديبية يعد فتحًا من الله ﷻ، قال الواقدي: **كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ يَقُولُ: مَا كَانَ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَوْمئِذٍ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ، وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَا أَرَادَ اللَّهُ^(١)**، وإن ذلك الصلح كان بمثابة المفتاح الذي فتح للنبي ﷺ باب التمكين ليظهر على العرب والعجم أجمع.

• ومضات استنباطية حول الصلح السياسي (الحديبية):

أولاً: بين الصراع العسكري والصراع السياسي

يُجَوِّدُ النبي ﷺ سياسته لكي لا يقع العمل العسكري، فالقوة التي يمتلكها النبي ﷺ لا يستطيع أن يفتح بها مكة، فيُفَضَّلُ ﷺ المفاوضات السياسية لأن الهدف الأساس هو كسر الحصار الاجتماعي الذي فرضته عليه قريش واستغلته في تشويه صورته أمام العرب من خلال

(١) الواقدي، كتاب المغازي (ج ٢/٦١٠).

العزلة المحلية والإقليمية، عَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مَدَّةً، وَيُحْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ" (١).

إن وقوع العمل العسكري في هذه المرحلة لن يحقق للنبي ﷺ مكاسب سياسية البتة، بل إن مفاصده السياسية أكبر، وإن أبرز هذه المفاصدة التي سيورثها العمل العسكري هو إثبات كلام قريش أن النبي ﷺ قد أتى مستحلاً ومنتهكاً حرمة بيت إبراهيم في الأشهر الحرم، ثم إنه لن يحقق هدفه بالاحتكاك بالعرب الذين يحجون إلى مكة وبيت إبراهيم، ولذلك جَوَّدَ النبي ﷺ قراره السياسي بالبداية بالمفاوضات وإبعاد العمل العسكري قدر المستطاع في هذه المرحلة .

لذا، جَوَّدَ النبي ﷺ جهده السياسي أول ما بلغه خروج قريش لصدده، فأشار إلى مسار المفاوضات الذي يريده من أول الأمر، وفي ذات الوقت استخدم النبي ﷺ لغة القوة، ولكنها كانت مبطنة بلغة السياسيين، ففي الحديث أيضاً أن النبي ﷺ قال: "فَإِنْ أَظْهَرَ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمَّوْا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَتَفَرَّدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ" (٢).

وفيه إشارة مُجَوَّدَةٌ برسالته ﷺ لهم .

ثانياً: حقيقة الصراع السياسي

لقد كانت هذه المرحلة فاصلة في مراحل الدعوة الإسلامية، فقد أتى النبي ﷺ إلى الصلح ليثبت وجوده كدولة، ويثبت لكل مَنْ حوله من المؤيدين والمعارضين بأنه أصبح شريكاً في هذه البقعة من الأرض وأنه لا يمكن تجاهله، وفي المقابل فقد أتت قريش لمنع من تحقيق هذا النصر السياسي، فاستنفرت العرب كلهم، مشيعة بأن النبي ﷺ ما أتى إلا ليستحل وينتهك حرمة بيت إبراهيم.

(١) سبق تخريجه (ص: ١٢٥) .

(٢) نفسه، سبق تخريجه (ص: ١٢٥) .

قال ابن هشام: "قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعُسْفَانَ (١) لَقِيَهُ بِشْرُ بْنُ سُفْيَانَ الْكَعْبِيُّ- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ بُسْرٌ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ قُرَيْشٌ، قَدْ سَمِعْتُ بِمَسِيرِكَ، فَخَرَجُوا مَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ (٢)، قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ الثُّمُورِ، وَقَدْ نَزَلُوا بِذِي طُوًى (٣)، يُعَاهِدُونَ اللَّهَ لَا تَدْخُلْهَا عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي خَيْلِهِمْ قَدْ قَدَّمُوهَا إِلَى كُرَاعِ الْغَمِيمِ (٤)، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ! لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ، فَإِنْ هُمْ أَصَابُونِي كَانَ الَّذِي أَرَادُوا، وَإِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَافِرِينَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا قَاتَلُوا وَبِهِمْ قُوَّةٌ، فَمَا تَطَنَّ قُرَيْشٌ، فَوَ اللَّهُ لَا أَرَأَى أَجَاهِدُ عَلَى الَّذِي بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ تَتَفَرَّدَ هَذِهِ السَّالِفَةُ (٥)، ثُمَّ قَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ اللَّيِّ هُمْ بِهَا؟" (٦).

ثالثاً: النبي ﷺ يبدأ المفاوضات

بدأ النبي ﷺ المفاوضات قبل أن تشرع قريش بأي أمر لصالحها، فخير وسيلة للدفاع هي الهجوم ومباغطة الخصم برمي الكرة في ملعبه لقراءة ما عنده من إمكانات .

قام النبي ﷺ بإرسال عثمان بن عفان ﷺ، فأشيع أن عثمان ﷺ قد قُتِلَ، فكانت بيعة الرضوان لأجله ﷺ، قال ابن هشام: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَقِيَهُ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ، أَوْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ

(١) عسفان: مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وقيل: هي بين المسجدين، وهي من مكة على مرحلتين، وقيل: عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة وهي حد تهامة. الحموي، معجم البلدان (ج ٤/١٢٢) .

(٢) العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان والعوذ جمع عائد وهي الناقة التي وضعت وبعدها تضع حتى يقوى ولدها والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها وإنما استعار ذلك وفي المجلد قال كل أنثى إذا وضعت فهي سبعة أيام عائدة بينة العوذ والجمع عوذ إذ تعود بولدها وتستقل به والمعاذ الملجأ وكل ما يمال إليه ويستعاذ به ويلتزم. ابن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٩٧) .

(٣) ذو طوى: واد بمكة. الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (ج ٣/٨٩٦) .

(٤) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي، وقال نصر: الغميم موضع قرب المدينة بين رابع والجحفة. الحموي، معجم البلدان (ج ٤/٢١٤) .

(٥) السالفة: صفحة العنق وهما سالفان عن يمين وشمال يعني الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بذلك. ابن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٩٧) .

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٣٠٩) .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظْمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ حِينَ فَرَعَ مِنْ رِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ: إِنَّ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ قُتِلَ" (١) .

وقال أيضًا: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ حِينَ بَلَّغَهُ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ: لَا نَبْرُحُ حَتَّى نُنَاجِرَ الْقَوْمَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ. فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَوْتِ" (٢) .

إن احتباس قريش لعثمان ﷺ كان بمثابة اختبار سياسي ودراسة مبدئية لقدرات النبي ﷺ السياسية، وبذلك حانت الفرصة للنبي ﷺ ليمارس المفاوضات السياسية عمليًا ويثبت قدرة الإسلام على العمل السياسي أمام الجماهير .

• الجودة السياسية في صلح الحديبية

إن البخاري روى في صحيحه تفاصيل تلك المفاوضات مبينًا حنكة النبي ﷺ في إدارته للمفاوضات بروية، وفق طبيعة المفاوضين الذين أرسلتهم قريش .

عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالَا: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي حَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ" فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ، فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ... وفيه، أن قريش بدأت ترسل مفاوضات لمفاوضة النبي ﷺ أن يرجع عن دخوله مكة، بعد أن بلَّغهم من بُدَيْلٍ ما قال النبي ﷺ، "فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج٢/٣١٥) .

(٢) المصدر السابق، نفسه .

سَنُنْمُ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذُو الرَّاْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثْتَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ^(١).

• بدء المفاوضات السياسية

لقد كان لقريش أهدافاً سياسية كبرى تريد أن تحققها من خلال إرسال مفاوضين لم يسبق للنبي ﷺ أن رآهم أو كان له ﷺ تعامل مباشر معهم، ولكن قريشاً لم تكن تدري، أو أنه قد غاب عنهم أن النبي ﷺ كان تاجرًا ينتقل بين ربوع العرب، فهو وإن كان لا يعرف أشخاصاً بأعينهم إلا أنه ﷺ كان يعرف طباع أقوامهم، ولا بد أن يتأثر الشخص بطباع قومه، ودليل ذلك أنه لما أرسل جعفرًا إلى الحبشة أشار بقوله أن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد.

كما أن النبي ﷺ -بعد الأحزاب- أرسل الكثير من السرايا والرسل بالمراسلات لكثير من القبائل خارج مكة، وكان في ذلك دراسة واقعية وإقليمية استطلاعية لطبيعة البلاد وقادتها وخصوصًا قبائل العرب التي كانت حوله وعلى علاقة مباشرة بأحلاف مع مكة -على اختلاف طبيعة العلاقة-، سواء أكانت علاقة تجارية أو عقائدية أو مصالح مشتركة أو غير ذلك من العلاقات الدولية .

لقد تفننت قريش سياسيًا في اختيار مفاوضاتها، حيث إنها لم ترسل في المفاوضات أحدًا من قريش بادئ الأمر، فكان ذلك من دهاء قريش ومكرها بالنبي ﷺ، وكانت تهدف بذلك إلى إرسال رسالتين أحدها للنبي ﷺ، والأخرى للعرب، وهي الآتي:

• الرسالة الأولى للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ، ومفادها ألا تظنوا أن أحدًا من العرب

سينصركم، فأنتم ما زلتُم منبؤدين من العرب كلهم، وأن قريش ليس وحدها من تقاتلكم وتحاصرکم وتسعى للقضاء عليكم، بل إن كل العرب ستقاتلكم عن قوس قريش، فالرجل الذي ترسله قريش يمثل العرب كلهم ويفاوض عنهم وبلسانهم وهو ليس قرشيًا .

• الرسالة الثانية للعرب والقبائل العربية والبدوية، ومفادها أن قريشاً في مكة مجرد

ممثلة للعرب وحراس لبيت إبراهيم وللأصنام حول الكعبة، وأن الصراع مع النبي

(١) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

صراعكم وليس صراعنا فقط، فنترك لكم -أيها العرب والقبائل الأخرى- أن
تفاوضوا النبي ﷺ .

• المفاوضات وتجويد النبي ﷺ للمفاوضات والردود السياسية معهم

أولاً: المفاوض الثقفي "عروة بن مسعود" (١)

تطوع عروة بن مسعود ليذهب ليفاوض النبي ﷺ، فيما يروي البخاري: "فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوْلَسْتُ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَنْتَهُمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عَكَظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا (٢) عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَالِدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: إِنَّتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبَدِيلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَا حَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أُوشَابًا (٣) مِنَ النَّاسِ خَلِيفًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعَوْكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبِطْرِ اللَّاتِ (٤)، أَنْحُنْ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدِّعْهُ؛ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَنَتِكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بِنْتُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخْرَ يَدَكَ عَنِ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بِنْتُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ غَدْرٍ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبَ قَوْمًا فِي

(١) عروة بن مسعود: عروة بن مسعود بن معتب بن عامر بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي بن منبه بن بكر بن هوازن. ابن قانع معجم الصحابة (ج ٢/٢٦١).

(٢) بَلَّحُوا: التبليح، الإعياء والعجز والفتور يقال بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر على الحركة وعجز عنها وقد يقال بالتخفيف بلح. ابن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٩٨).

(٣) أُوشَابًا: الأشواب من الناس مثل الأوباش وهم الأخلاط والأشائب أيضا الأخلاط من الناس وواحد الأشائب إشابة. ابن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٩٨).

(٤) امْصُصْ بِبِطْرِ اللَّاتِ: شتم لها واستهانة بها وعادة كانت لهم في ذلك والبطر ما تتقبه الخافضة عند القطع واللوات صنم من أصنامهم. ابن فتوح، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٩٨).

الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَمَّا الْإِسْلَامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ"، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَزْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا تَتَّخَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ حَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَتَّخَمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ حَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةً رُشِدٍ فَأَقْبَلُوهَا" (١) .

جاء عروة بن مسعود باستراتيجية سياسية مبطنة فيها حنكة وذكاء، من خلال كلمات بسيطة في ظاهرها، فقال: "فَأَيُّ وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيفًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ" وكان عروة رجلًا فاجرًا .

- الاستراتيجية التي جاء بها عروة بن مسعود

كان يهدف عروة من هذه الاستراتيجية إلى إثارة العصبية والفتنة بين أصحاب النبي ﷺ، وإثارة البلابل وإدخال الضعف في صفوف أصحاب النبي ﷺ بإشارته بأن كل من حول النبي ﷺ ليس لهم رابطة عرق أو نسب أو قبيلة أو عصبية، فهم أشتات متفرقون.

إن تجويد النبي ﷺ للرد السياسي في هذا الموقف لم يكن بالكلام، بل إن أفعال الصحابة ﷺ سبقت فعل النبي ﷺ، فكانت أفعالهم ﷺ وهم حول النبي ﷺ أكبر دليل على تجمعهم حوله وإبطال ما جاء به عروة، بدءًا بقول أبي بكر ﷺ: "أَمْصُصْ بِيْظِرِ اللَّاتِ، أَنْحُنْ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟" .

ومرورًا بفعل المغيرة بن شعبة ﷺ الذي سبق قوله، فجاء في الحديث أيضًا: "قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمَغِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السِّيفُ

(١) سبق تخريجه، (ص ١٢٦) .

وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَحْزُ
يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وكان تجويد النبي ﷺ بالفعل لا بالقول، حيث قام فتوضاً ﷺ، فرأى عروة تنافس أصحاب
النبي ﷺ في الفوز بالحصول على فضل وضوئه ﷺ، وتسابقهم على أيهم تقع نخامة النبي ﷺ
في يده ليدلكها على وجهه متبركاً بها، إلى آخر الصفات والأفعال التي ذكرها عروة ﷺ قبل
إسلامه في أصحاب النبي ﷺ .

بذلك جَوَّد النبي ﷺ رده ورسالته السياسة لمكة من خلال عروة بن مسعود، حيث بين له
خلاف ما كان يعتقد، فبين عظم مكانته ﷺ عند أصحابه ﷺ وأنهم يذودون عنه بأغلى ما
يملكون، فخرج عروة محذراً قريشاً مما قد يلحق بهم إن واجهوا النبي ﷺ .

يقول ابن هشام: "فَقَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ، لَا يَتَوَضَّأُ
إِلَّا ابْتَدَرُوا وَضُوَّهُ، وَلَا يَبْسُقُ بُصَاقًا إِلَّا ابْتَدَرُوهُ. وَلَا يَسْفُطُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْءٌ إِلَّا أَحْدُوهُ. فَرَجَعَ إِلَى
قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ جِئْتُ كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ. وَالنَّجَاشِيَّ فِي
مُلْكِهِ. وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطُّ مِثْلَ مُحَمَّدٍ فِي أَصْحَابِهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَوْمًا لَا يُسْلِمُونَهُ
لِشَيْءٍ أَبَدًا، فَرَوْا رَأْيَكُمْ" (١) .

ثانياً: المفاوض الكناني "الحليس بن علقمة" (٢)

يقول البخاري: "فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: انْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى
النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُدْنَ، فَأَبْعَثُوهَا لَهُ"
فَبَعَثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٣١٤) .

(٢) الحليس بن علقمة ت (بعد ٥٦هـ): الحليس بن علقمة الحارثي، من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة:
سيد (الأحابيش) ورئيسهم يوم أحد، وكان مع مشركي قريش. قال الزبيدي: الأحابيش، بنو المصطلق من
خزاعة، وبنو الهون بن خزيمة، اجتمعوا عند (جبل حبشي) بأسفل مكة، وحالفوا قريشاً، فسموا أحابيش، قريش
باسم الجبل. الزركلي، الأعلام (ج ٢/٢٧٠) .

عَنِ النَّبِيِّ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ الْبُؤْنَ قَدْ قُلِدْتُ وَأَشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ النَّبِيِّ" (١) .

إن الجودة من النبي ﷺ في هذا المقام، أنه ﷺ - كما ذكرت مسبقاً - كان عنده دراسة مسبقة إقليمية للمحيط العربي الذي هو فيه، ودراسة عن القوى المؤثرة على الساحة العربية، ويظهر ذلك في أنه عامل الحليس بما فيه من صفة دينية تعظم شعائر بيت الله الحرام، يقول ابن هشام: "ثُمَّ بَعَثُوا إِلَيْهِ الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبَانَ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَ الْأَحَابِيثِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ" (٢)، فَأَبْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ، فَلَمَّا رَأَى الْهَدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عُرْضِ الْوَادِي (٣) فِي قَلْبَدِهِ (٤)، وَقَدْ أَكَلَ أُوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ (٥)، رَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِعْظَامًا لَمَّا رَأَى، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ" (٦).

فقول النبي ﷺ "إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ" يدل على وجود تلك المعلومات الاستخبارية المطلقة والتفصيلية لدى النبي ﷺ عن قادة العرب واتجاهاتهم الفكرية والعقائدية والنفسية .

ففي ردة فعل الحليس ورجوعه إلى قريش، يقول ابن هشام: "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ الْحُلَيْسَ غَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالْفُنَّاكُمْ، وَلَا عَلَى هَذَا عَاقِدْنَاكُمْ، أَيُّصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَ مُعْظَمًا لَهُ! وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ

(١) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

(٢) يتألهون: تأله الرجل: إذا تعبد -أي يتعبدون ويعظمون أمر الإله- . ابن فارس، مقاييس اللغة (ج/١٢٧) .

(٣) عُرْضِ الْوَادِي: ضفة النهر (جانبه) . دوزي، تكملة المعاجم العربية (ج/٧٧٧) .

(٤) القلائد: ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى، كانت سيما أهل الحرم إذا خرجوا إلى الحلّ في غير الأشهر الحرم، أن ينقلدوا القلائد، ويلقوا عليهم العلائق. الجاحظ، البيان والتبيين (ج/٣٥٠) .

(٥) مَحَلِّهِ مَوْضِعُهُ الَّذِي يَنْحَرُ فِيهِ مِنَ الْحَرَمِ.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية (ج/٣١٢) .

بِيَدِهِ، لَتُخَلَّنَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ، أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيثِ نَفْرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ. قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: مَهْ، كُفَّ عَنَّا يَا حُلَيْسُ حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ" (١) .

إن تجويد النبي ﷺ لموقفه مع الحليس، بأن أطلق الإبل وقد أكلت أوبارها من طول المكث والجوع، جاء موفقاً ومتناغماً مع شخصية الحليس التي تُعْظَمُ البُدن -وهي شخصية متدينة-، فلم يكمل الحليس طريقه لىفاوض النبي ﷺ من عِظَم ما رأى، فقد أدرك أن النبي ﷺ لم يأت ليستحل الكعبة كما أشاعت قريش، بل أدرك أن النبي ﷺ أتى ليعْظَم الكعبة ويطوف بها - فالليبب بالإشارة يفهم - .

وبهذا التجويد من النبي ﷺ تحقق نصر سياسي جديد، فيقول الصلابي: "ثم بعثوا الحليس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه وأمر برفع الصوت في التلبية، فلما رأى الحليس الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ﷺ؛ وذلك إعظاماً لما رأى (٢) فقد كان الوادي مجدباً لا ماء فيه ولا مرعى، وقد أكل الهدى أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم .. ولذلك استنكر تصرف قريش بشدة، وانصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفتح النبي ﷺ بشيء، أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل، واعتبر عمل قريش عدوانياً ضد زوار بيت الله الحرام، ولا يجوز لأحد أن يؤيدها أو أن يناصرها على ذلك (٣)، فرجع محتجاً على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحليس، وحاولت أن تتلافى هذا الموقف الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية، ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش، وقالوا لزعيم الأحابيش: "إِنَّمَا كُلُّ مَا رَأَيْتَ مَكِيدَةً مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، فَاكْفُفْ عَنَّا حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا بَعْضَ مَا نَرْضَى بِهِ" (٤).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج٢/٣١٢) .

(٢) مهدي أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية (ص ٤٨٨) .

(٣) حجازي، منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية (ص ١٠٨) .

(٤) الواقدي، كتاب المغازي (ج٢/٦٠٠) .

ويعلق الصلابي أيضًا على الحدث السياسي قائلاً: "لقد كان النبي ﷺ عالمًا ومستوعبًا لشخصية الحليس ونفسيته، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "هذا من قوم يتألهون"^(١).

ويقول حجازي: "الواضح من هذه المعلومة أن النبي ﷺ كان على معرفة تامة بهذا الرجل، وبحكم هذه المعرفة قد درس شخصيته دراسة موضوعية وذلك بما كان عنده من حب شديد من التعظيم للحرمان والمقدسات والعمل على الاستفادة الكاملة من هذا الجانب في كسب المعركة، وعلى هذا الأساس فقد قام ﷺ بوضع خطة محكمة مناسبة تقضي بوضع الحقائق كاملة أمام هذا الرجل وإظهار موقف المسلمين أو على الأقل وقوفه على الحياد في هذا الصراع.

والجدير بالذكر أن الحليس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعًا؛ وذلك لما يتميز به من راحة العقل، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيمًا وقائدًا لقوات الأحابيش، كما كان يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي ﷺ وقريش على حد سواء، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور مهم في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش، وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصددهم عن المسجد الحرام.

ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله ﷺ لشخصية الحليس تتناسب كليًا مع المبادئ التي يؤمن بها، وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تمامًا ومرضية"^(٢)، فبذلك استطاع النبي ﷺ أن يؤثر على اتجاه عروة بن مسعود والحليس بن علقمة، من خلال بيان الحقيقة وإيضاح الحقائق التي حاولت قريش إخفاءها عن العرب، مما جعل الانشقاق يدب بين صفوف الأحلاف العربية المصطفة خلف قريش .

(١) الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص ٦٦٦) .

(٢) حجازي، منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية (ص ١١١) .

ثالثاً: المفاوض القرشي "سهيل بن عمرو" ^(١)

لما استيأست قريش من مفاوضات غير القرشيين وأيقنت فشل المفاوضات ونتائجها السلبية التي حلت عليها، ووجدت ما تخلف عن المفاوضات من بداية انشاقات عسكرية في صفوف أحلافها بسبب حنكة النبي ﷺ السياسية في تفريق الأحلاف العربية من حولهم، أرسلت المفاوض القرشي سهيل بن عمرو ﷺ -وقد أسلم بعد ذلك- .

استنبت النبي ﷺ من إرساله فشل تحقق الأهداف الاستراتيجية التي أرادتها قريش، وأن النصر السياسي كان لصالح النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فلما أتى سهيل قال النبي ﷺ: "لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ"^(٢).

وكان قد قدم على النبي ﷺ رجل يقال له مكرز بن حفص، فيقول البخاري: "فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكَرُّ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: آتِيهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "هَذَا مِكَرُّ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ"، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَقَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ"^(٣) .

ومن بعد قدوم سهيل بن عمرو ﷺ بدأت المفاوضات بين النبي ﷺ وبين قريش، حيث أبدى النبي ﷺ مرونة سياسية ظهرت في عدة مواطن من بنود الصلح، كبر بعضها على الصحابة وأبرزهم عمر بن الخطاب ﷺ، إلا أن النبي ﷺ كان يقود ذلك الصلح بحنكة وذكاء سياسيين .

وقد ظهرت المرونة السياسية التي لها ما بعدها من نتائج فيما يرويه البخاري أيضاً فيقول: "قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

(١) سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، يكنى أبا يزيد، فاصل القضية يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ للمشركين، والد أبي جندل بن سهيل، توفي بالشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . الأصبهاني، معرفة الصحابة (ج ٣/١٣٢٤)، رقم ١٢٠٢ .

(٢) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

(٣) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالَ سُهَيْلٌ: "أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" (١) .

وقال البخاري أيضاً: "ثُمَّ قَالَ: "هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، أَكْتُبُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ" - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: "لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا" - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "عَلَى أَنْ تَخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفَ بِهِ"، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُعْطَةً (٢)، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ (٣).

يقول العيني في شرحه على البخاري: "قوله: "خطة"، بضم الخاء المُعْجَمَة وتشديد الطاء: أي حاله، وقال الداودي: خصلة. وقال ابن قرقول: فضية وأمرأ. قوله: "يعظمون فيها حرمت الله"، قال ابن التين: أي: يكفون عن القتال تعظيماً للحرم. وقال ابن بطال يريد بذلك موافقة الله عز وجل في تعظيم الحرمات، لأنه فهم عن الله ﷻ وإبلاغ الأعداء إلى أهل مكة، فأبقى عليهم لما سبق في علمه من دخولهم في دين الله أفواجاً. قوله: "إلا أعطيتهم إيها"، أي: أجبتهم إليها (٤).

فقد أبدى النبي ﷺ مرونة سياسية منذ البدء بكتابة الصلح، ووضعا المصلحة العامة التي ستتحقق من خلال إبرام الصلح وفق الرؤية الاستراتيجية له ﷺ، والتي تتطلب التساوق مع الخصم لإبقائه في برائن تعنته الفكري والعقدي الضال .

(١) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

(٢) ضُعْطَةٌ: أي قهراً. ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ٣/٥/٣٤٣) .

(٣) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

(٤) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (ج ١/٨) .

خلاصة البحث:

إن النبي ﷺ قد جَوَّدَ سياسته العامة وفق ما تربي عليه واكتسبه من البيئة التي تربي فيها وتلقى منها أصول السياسة، لتكون هذه الأصول هي القوس الذي ينطلق منه النبي ﷺ لممارسة السياسة عملياً، متشبهاً بالقيم الإجرائية للسياسة الشرعية والتي تتحدد وفق الإطار العام للعقيدة الإسلامية السليمة والشريعة الإسلامية .

وبذلك أقول: إن السياسة الشرعية لا تتحدد بأصول شرعية، وإنما هي اجتهاد بشري يعتمد على الحنكة والذكاء والدهاء في تحقيق المكاسب الاستراتيجية للدولة بأقل الخسائر، ويكون ذلك بإسقاط القواعد الشرعية على السياسة الشرعية، من حيث المصالح والمفاسد المترتبة على القرارات التي يتخذها السياسي، ومدى قدرته على تحقيق هدفه أيًا كان واستطاعته على مجارة السياسة العامة للإقليم المحلي والدولي من حوله، ولقد كان صلح الحديبية الذي أبرمه النبي ﷺ مع مكة ممارسة عملية مُجَوَّدَةٌ مقرونة بأصول السياسة وقيمها الإجرائية وفق قواعد الشريعة الإسلامية .

المبحث الثاني

الجودة في إدارة الدولة

تمهيد:

المفهوم اللغوي:

إدارة: مصدر أدار. وهي مركز الرّئاسة والتصرّف ، إدارة محلّيّة: خاصة بإقليم أو منطقة من المناطق خلاف الإدارة المركزيّة التي تتركز في العاصمة. والإداريّ: اسم منسوب إلى إدارة: من يقوم بالأعمال الإداريّة^(١) .

و المُدير: اسم فاعل من أدار، وهو من يتولّى إدارة عمل أو مشروع أو مؤسّسة ويكون مسئولاً عن حُسن تنفيذ الأعمال "مدير الإدارة"^(٢) .

المفهوم الاصطلاحي:

علم الإدارة: علم وفنّ تدبير الأعمال وتوجيهها والسيطرة عليها وضبطها واستعمال الحكمة في اتّخاذ قرارات مناسبة بشأنها^(٣) .

إن قيام الدولة يتطلب من رئيسها أن يشكل جهازاً إدارياً متكاملًا، لكي يمسك بزمام مفاصل الدولة الأساسية التي تضمن استمرار قيامها وتأمين الحياة الكريمة لمواطنيها، دون انتقاص من حقوقهم الأساسية التي يتوجب على الدولة أداءها .

لقد مرّت دعوة النبي ﷺ بمراحل متعددة، كل مرحلة من هذه المراحل كانت تُدار من النبي ﷺ بجودة ودقة متناهية، حيث أن هذه الإدارة كانت ذات تخطيط مسبق يضمن نجاح المرحلة الحالية والانتقال إلى المرحلة التالية، بدءاً بقضية الجهر بالدعوة، ثم الهجرة، ومرورًا بالغزوات والمعارك، وانتهاءً بإقامة الدولة الإسلامية في المدينة، والتي خضعت بأجهزتها المتكاملة إلى

(١) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٧٨٢-٧٨٣) .

(٢) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٧٨٦) .

(٣) عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (ج١/٧٨٣) .

التنظيم والتوجيه والرقابة الإدارية من النبي ﷺ والولاة في الأمصار من بعده ﷺ، ليدبر النبي ﷺ العلاقات المحلية والدولية (الخارجية) في الدولة، فيكون بذلك قد اتصف بكل الصفات التي يتحلى بها القادة في كل مرافق الدولة، فقد كان النبي ﷺ في الدولة الإسلامية يحمل مسميات لمختلف المواقع الإدارية، فقد كان قائداً عاماً للمسلمين بصفته النبوة والرسالة، وكان ﷺ قائداً عسكرياً لجيش الدولة، كما كان ﷺ يحمل صفة الرئاسة بصفته القاضي والحاكم والمشرع.

تعددت الصفات والمسميات الإدارية في شخصية النبي ﷺ حسب المكان الإداري الذي كان يشغله، لذلك أعطى النبي ﷺ القدرة الكاملة على إدارة الدولة الإسلامية وإمساك زمامها عند توسعها واستقرارها الكلي بعد فتح مكة، ودخول بعض القبائل والأمصار في إدارة دولة النبي ﷺ، فقد انبثق مفهوم الدولة الإسلامية من الفهم النبوي للمتطلب الأساس للمسلمين، وهو وجود نظام حكم يجمعهم تحت راية واحدة، فيعرّف الأشعري^(١) مفهوم الدولة من منظور إسلامي فيقول: هي كيان سياسي موحد ولها أجهزة (سلطات) رئيسة ثلاثة: -"تنظيمية" ومهمتها اعتماد وإصدار الأنظمة والبرامج والسياسات العامة، و"تنفيذية" ومهمتها المساهمة في إعداد الأنظمة والبرامج والسياسات العامة والعمل بموجبها، و"قضائية" ومهمتها حسم النزاعات الطارئة-، تسيطر بها على مساحة محددة من الأرض ومأهولة بالإنسان وذلك وفقاً للشريعة الإسلامية، وهي ذات سيادة برّاً وبحراً وجوّاً^(٢)، كما يعرّف الحكومة من منظور إسلامي فيقول: هي السلطة التنفيذية المكونة من الوزارات والمؤسسات والهيئات العامة، وتهتم بالمشاركة في تحضير مشاريع الأنظمة والبرامج والسياسات العامة ذات الإطار الإسلامي المعدة والصادرة عن السلطات العليا (التنظيمية) في الدولة الإسلامية، كما تختص أيضاً في تنفيذها والعمل بموجبها وذلك من خلال تقديم خدمة أو سلعة مباحة إلى الأمة من أجل تحقيق أهداف عامة مشروعة وفقاً لأنظمة وتعليمات مصدرها الشرع الحنيف^(٣).

(١) الأشعري، أحمد بن داود المزجاجي الأشعري . مقدمة في الإدارة الإسلامية (ص الواجهة) .

(٢) الأشعري، مقدمة في الإدارة الإسلامية (ص ٢١) .

(٣) الأشعري، مقدمة في الإدارة الإسلامية (ص ٢٦) .

المطلب الأول

أصول الإدارة الإسلامية

إن المتخصص في علم الإدارة يرى في التنظيم الإداري الذي وضعه النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ للدولة الإسلامية نظاماً كفوفاً وفعالاً، فقد مارسوا وظيفة التخطيط والتنظيم من منظور عبقرى، ووضعوا مخططاً للحرب وأنشأوا المعسكرات وأمروا بالتجنيد وحددوا شروطه، كما أنشأوا الدواوين وقاموا بالفتوحات وحماية حدود الدولة الإسلامية.

كذلك استخدموا الوظائف الاستشارية في جميع المجالات وخصوصاً في المجالات السياسية، بالإضافة للوظائف التنفيذية، فكان من ذلك أن زودوا الجيوش بالمستشارين والمرشدين والأطباء والمترجمين، واستخدموا مبدأ الشورى في اتخاذ القرارات، كما نظموا القضاء، وعملوا على استقلاله واستقلال السلطة التنفيذية بما يضمن تحقق الرقابة الإدارية.

كذلك مارسوا الوظيفة الرقابية بإجراءات مبتكرة نسبة للحقبة الزمنية التي عاشوا فيها، إذ أسسوا نظاماً خاصاً، لجمع المعلومات عن أحوال القادة والرعية واستخدموا التقارير المفصلة منهم، فيما كان يرُدُّ أيضاً من معلومات من الناس عن سلوك القادة والولاة في الأمصار، فطبّقوا وظائف الإدارة الأساسية وهي التخطيط والتنظيم بتكوين الهيكل الإداري للدولة، إضافة إلى التوجيه والرقابة بما يضمن أداء الوظائف بالشكل المطلوب لتحقيق أهدافها^(١).

ولقد استمد النبي ﷺ علم الإدارة من مصادر هي متعلقة بما ذُكِرَ آنفاً في أصول السياسة النبوية، ولكل علم مصادره التي تختلف عن الآخر، فعلم السياسة -كما ذكرت- يعتمد على الحنكة والذكاء البدهي، كما يعتمد أيضاً على التخطيط المسبق في أداء العمل السياسي وبتقدير آني للموقف، أما الإدارة فهي علم له ضوابط وقواعد وشروط، تنبثق منها القرارات الإدارية .

(١) الفقرات الثلاث السابقة: هي عبارة عن تعبير إنشائي من الباحث نتيجة الاستقراء والبحث في كتب السيرة والتاريخ .

فالعامل الإداري يحتاج إلى تخطيط مسبق بلا شك، وحيث أن هذا التخطيط يخضع للتنظيم والتوجيه والرقابة لتحقيق أفضل النتائج والأهداف المتوقعة من خلال الدراسة المعدة مسبقاً، وقد ظهرت الجودة في إدارة النبي ﷺ لصالح الحديبية في عدة مواقف، وأبرزها هو دراسة المحيط الذي كان فيه، حيث كان على اطلاع بالطبيعة الشخصية والنفسية والعقدية لقادة العرب وأمرائهم .

لقد برع النبي ﷺ وأجاد في استقاء الإدارة من مصادرها وذلك ما أعده إدارياً لإدارة الدولة الإسلامية ومن هذه المصادر:

أولاً: الخبرة الإدارية في مكة

لم يكن في مكة إدارة فعلية منظمة على المستوى الإقليمي، ولا تخضع لسلطان يجبر الأفراد على رد المظالم وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وإنما كانت الإدارة متمثلة في العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع القبلي، ولا يمكن لسيد القبيلة أو زعيمها أن يفرض رأي القبيلة سوى على أفرادها، فهم يخضعون لما يمليه عليه سيدهم بحكم انتمائهم للقبيلة.

كما أن سيادة القبيلة كانت لا تتعدى حدود منطقتها الخاصة بها، وإن تلك الفترة كانت تتميز بالخلافات الكبيرة والمطاحنات والصراعات على كرسي الحكم، وقد كانت أبرز هذه الصراعات ظاهرة في مكة قبل أن تقسم المهام على البطون المكية، وأن تسند خدمة بيت إبراهيم إلى قريش، كما أنها كانت ظاهرة في المدينة بين الأوس والخزرج، حتى وصلت القبيلتان إلى حل وسط يرضي جميع الأطراف وكان هذا الحل بما يسمى بالمفهوم السياسي الحديث "الحكومة الائتلافية"^(١)، حيث كان الحل بينهم بأن يحكم رجل من الخزرج عام، يتلوه رجل من الأوس في العام المقبل^(٢) .

(١) الحكومة الائتلافية: هي عبارة عن حكومة مشكلة من حزبين سياسيين أو أكثر، تجمعهم مصالح سياسية أو رؤى فكرية متقاربة، ويمكن أن يكون تحالف تلك الأحزاب ناتج عن وضع أملاء السياق السياسي، على الرغم من الاختلاف الجذري بين الشركاء في المرجعية الفكرية. الحلايقة، موقع ويب <http://cutt.us/M6D88> .

(٢) الأشعري، مقدمة في الإدارة الإسلامية (ص ٨١) . بتصرف ..

وبسبب هذه الصراعات المتتالية التي شهدتها الجزيرة العربية والتناحر الشديد بين القبائل لم يكن هنالك مجال للنبي ﷺ أن يكتسب خبرة إدارية في مجال الحكم وإدارة الدولة أو الحكومة فعليًا، ولكن كانت هنالك بعض الأمور تعتمد على الإدارة بأسسها ومكوناتها، مارسها النبي ﷺ فجودَ ممارستها في حياته العملية أسست فيه روح الإدارة بأسسها العلمية، ومنها:

١- تجارته ﷺ بمال خديجة -رضي الله عنها-

لقد كان للتجارة في مال خديجة -رضي الله عنها- أثر كبير في إكساب النبي ﷺ قدرة إدارية فذة ومُجَوِّدة، مكوناتها الخبرة والفتنة والذكاء وتقدير المواقف، ولقد نص الله ﷻ في كتابه على أن التجارة مبنية على الإدارة، فقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾^(١)، فكال اللفظ المستخدم في الآية الكريمة هو لفظ "تديرونها" والتي أصلها في اللغة "دَوَّرَ" ومنها "أدار"، وهذا يعني لزوم تواجد عناصر الإدارة في التجارة من تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة.

٢- اشتغال كثير من رجال قومه بالتجارة

إن سيادة صفة في قوم أو شعب أو قبيلة، يتأثر بها أفرادها منذ نعومة أظفارهم، وقد اشتهرت مكة بالتجارة، وقد ثبت أن أبا طالب عم النبي ﷺ صحبه مرة معه في تجارته ورحلاته، وبطبيعة الحال فإن الارتحال يُكسب الإنسان خبرة فيما هو متوجه إليه، فبلا شك، أن النبي ﷺ قد اكتسب الكثير من الخبرة التجارية والتعاملات الإدارية .

وإن تجويد النبي ﷺ ظاهر بالإفادة من هذه المصادر بشكل غير مباشر من خلال الممارسة لعملية التجارة، إضافة إلى التصيير الإلهي للنبي ﷺ في مرحلة إعدادة ﷺ ليحمل رسالة النبوة .

(١) [البقرة: ٢٨٢] .

ثانياً: الخبرة الإدارية في المدينة

تتعدد مصادر استنقاء النبي ﷺ للإدارة بأسسها، فهي مترامية ما بين الوحي (القرآن الكريم) وما بين الحداثة والتطور الحاصل في المدينة أكثر من مكة.

١- التطور المدني (المدينة):

بدءاً بالتطور الفكري لمفهوم الإدارة في المدينة، والمتمثل في الحل السياسي (الأوسخزرجي) الذي وصلت إليه القبيلتان تحت المسمى السياسي الحديث "الحكومة الائتلافية"، بأن تحكم القبيلة - ويمثلها رجل منها - لمدة عام تليها القبيلة الأخرى لمدة عام بالاشتراك بين الطرفين، وهكذا... كذلك فإن التجارة التي اشتهرت بها المدينة .

٢- القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم مصدرًا أساسًا للنبي ﷺ في الخبرة الإدارية التي اكتسبها لإدارة الدولة الإسلامية، من خلال التوجيه الإلهي له ﷺ، ورغم أن كلمة واحدة من مشتقات الإدارة قد وردت في كتاب الله ﷻ ضمن التجارة بلفظ "تديرونها" إلا أن القرآن الكريم زاخر بالعناصر الإدارية والإجراءات الإدارية التي بينها الله ﷻ بلفظ التدبير، فمن هذه الآيات:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(١) .
- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٢) .
- قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٣) .

(١) [يونس: ٣] .

(٢) [يونس: ٣١] .

(٣) [الرعد: ٢] .

المطلب الثاني

الجودة في التخطيط الإداري النبوي

إن الإدارة في الإسلام ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة لتحقيق الأهداف المنشودة من أي عمل مهما كان حجمه، ولذلك فإن تجويد الإعداد لأي أمر يكون بالتخطيط المسبق له، لأنه يعتبر سر النجاح.

ولقد جَوَّدَ النبي ﷺ إعداده لنشر الإسلام وإقامته في القلوب قبل إقامة الدولة في المدينة، بالتخطيط المرحلي لكل مرحلة تمر بها الدعوة الإسلامية، كما عمَدَ النبي ﷺ إلى التنظيم الذي ينظم أهداف التخطيط المرحلية ويدعمها، بما يتيح مجالاً لتنظيم الأهداف من الأهم فالمهم .

ملاحظة: إنه لمن الممكن أن يقوم الحاكم بالمهام الإدارية بنفسه، وكذلك فإنه بإمكانه أن يفوض غيره بالقيام بهذا الدور الإداري.

• التخطيط الإداري النبوي ومراحله في مكة والمدينة

١- التخطيط في مكة

اكتنف شخصية النبي ﷺ القيادية، الصفات الإدارية في الإداري الناجح الذي يسعى الإسلام بمفهومه الإداري إلى إيجاده في كل عصر ومرحلة منذ بزوغه، لذلك فإن المتأمل في سيرته ﷺ العطرة يجد أن عنصر التخطيط ركناً أساساً في كل أمر كان ﷺ يعزم على فعله.

فقد بدأ النبي ﷺ التخطيط للدعوة منذ اللحظة الأولى التي تلقى فيها الرسالة وبدأ نزول الوحي عليه، لما أخبر زوجه خديجة رضي الله عنها- وهي أقرب الناس إليه بذلك، فذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل^(١)، وقد كان نصرانياً يكتب من الإنجيل بالعبرانية، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: **أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، ...**

(١) ورقة بن نوفل: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي الأسدي كان ممن رغب عن عبادة الأوثان . ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج٣/٦٣)، رقم ٧٩٧١ .

الحديث، والشاهد قول عائشة رضي الله عنها:- فأنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: "أو مخرجي هم"، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي" (١) .

وإنما يدل ذلك الفعل من النبي ﷺ وزوجه خديجة رضي الله عنها- باختيار الخصوص المعينين من الناس في الاستشارة والإخبار والدعوة على مدى إدراك النبي ﷺ وزوجه لعظم الأمر، فبات الأمر بينهم سرًا بعدما أخبر ورقة النبي ﷺ بمآل الأمر الذي هو فيه من الإخراج والطرده من مكة والمحاربة.

فتظهر ملامح التخطيط في هذه المرحلة بما جاء في السيرة عن المراحل الأولى التي مرت بها الدعوة، وهي مرحلتها السرية والجهرية، فأما الملمح في السرية فهو الآتي:

فلقد استمرت دعوة النبي ﷺ سرًا لا يعلم عنها أحد غير من يختاره النبي ﷺ ليكون أحد المسلمين، فكانت الجودة في هذه المرحلة في انتقاء المدعوين الذين يضمن ثباتهم على هذه السرية، وخصوصًا في مرحلة تعتبر هي الأخطر في مراحل الدعوة حيث غرس النواة وتعاهدتها خلال السنوات الثلاث الأولى منها، يقول المباركفوري (٢) في إتقان النبي ﷺ في انتقائه للمدعوين: "وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول ﷺ الإسلام أولاً على ألق الناس به وآل بيته وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيرًا ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الله والحق والخير، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء-الذين لم

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي/ (باب ٣)، ص: ٧، رقم الحديث ٣].

(٢) المباركفوري: صفى الرحمن المباركفوري المتوفى ١٤٢٧ هـ. الرحيق المختوم، الواجحة .

تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول ﷺ وجملة نفسه وصدق خبره - جَمَعُ عَرَفُوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي ﷺ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ، ومولاه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبى وابن عمه علي بن أبي طالب - وكان صبيا يعيش في كفالة الرسول - وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، أسلم هؤلاء في أول يوم من أيام الدعوة^(١)، فقد كانت المرحلة السرية في الدعوة مرحلة أمنية بامتياز، اعتمدت على السرية والكتمان لضمان وقاية الدعوة من الاجتثاث والقمع القرشي القائم على العصبية للآلهة - الأصنام والأوثان - .

وأما الملمح في الدعوة الجهرية فالجودة والإتقان فيه أدق، لما يكتنف هذه المرحلة من الصعوبة بمنزلة من الصد والتكذيب والمحاربة والعوائق.

فهذه المرحلة كانت عبارة عن تحدٍّ قاسٍ من النبي ﷺ لكل العادات والتقاليد الجاهلية الموروثة في مكة ولذلك فإنها تحتاج إلى تخطيط استراتيجي يضمن تحقيق أهدافها، ولذلك جَوَّدَ النبي ﷺ وأتقن الدعوة الجهرية بالوسائل والأساليب التي استخدمها في الدعوة^(٢) .

ولقد وُفِّقَ النبي ﷺ بتخطيطه الاستراتيجي إلى صنع نواة وبذرة صلبة للدعوة الإسلامية، وقد تحقق هذا الهدف والذي يُعد بمثابة الأساس الأول الذي سيبني عليه ما بعده.

ولكن أرض مكة كانت ليست خصبة لنمو هذه البذرة وترعرعها، فبدأ النبي ﷺ مرحلة أخرى من التخطيط، ألا وهي التخطيط لترعرع هذه البذرة ونموها دون معوقات بتأثير من العوامل الخارجية، فكانت الهجرة الأولى إلى الحبشة على مرحلتين، وقد وفق الله الصحابة المهاجرين الأوائل إلى الوصول عند النجاشي ومحاجة من لحقهم من المشركين على لسان الناطق الإعلامي والرسمي باسم المسلمين آن ذاك جعفر بن أبي طالب ﷺ، حيث كان على رأس قيادة المشركين وسيد قريش أبو طالب، وقد أرادت قريش من النجاشي ملك الحبشة أن

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم (ص ٨٠) .

(٢) سبق الحديث عنها في الفصل السابق من البحث (ص ٢١٤) في المبحث الأول منه بعنوان (الجودة في الدعوة) (ص ٢١٥) .

يسلمهم إياهم، فقد أجاد النبي ﷺ في اختيار المكان المناسب لترعرع البذرة الأولى للدعوة، حيث أنه اختار سمة العدل عند الحبشة وهي خير ما يسقى به زرعه ﷺ .

ولم تقتصر إجابة النبي ﷺ على مكان واحد، بل كان النبي ﷺ يذلو بدلوه في أكثر من أرض خصبة، فاستثمر النبي ﷺ وفد الستة نفر من المدينة الذين كانوا قد حضروا لمكة حاجين ودعاهم وباعهم بيعة العقبة الأولى وأرسل معهم مصعب بن عمير ؓ، حتى عادوا بعد عامين وقد كانوا أضعاف عددهم وباعوه بيعة العقبة الثانية، وكانت هذه البيعة تحالفًا دينيًا وعسكريًا وسياسيًا يرمي إلى أهداف بعيدة المدى بإقامة دولة بالمدينة، وكان التدبير الإلهي ملازمًا للنبي ﷺ في كل خطواته، فلم يكن يفعل أمرًا إلا وقد أذن الله ﷻ له به، فكان التدبير والإذن من الله، وما على النبي ﷺ إلا أن يأخذ بالأسباب مُجودًا العمل بها واستثمارها على الوجه الأمثل .

وتظهر الجودة من النبي ﷺ في إدارة يوم الهجرة إلى المدينة حتى وصل إليها، في أنه أخذ التدابير اللازمة وخطط لطريقه التي سيسلكها وانتقى الأشخاص الذين سيرافقونه في الهجرة بشكل مباشر كأبي بكر ؓ، أو بشكل غير مباشر كالدليل الذي استأجره ووضع النوق عنده، أو كعبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء رضي الله عنهما - من الجهة الأمنية والاستطلاعية والدعم اللوجستي، كما أجاد في اختيار وقت الإخبار للمعنيين الرئيسيين في هذه المهمة، فاتخذ النبي ﷺ التدابير اللازمة له في الهجرة وما أن أذن له الله ﷻ بالخروج كان كل أمر يجري بناء على ما خطط النبي ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَقَلَّ يَوْمَ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَمْ يَرْعْنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهُرًا، فَخُبِّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ" (١)، فالشاهد أن النبي ﷺ جود اختياره للوقت الذي أخبر فيه أبا بكر ؓ عن الإذن بالهجرة، وإن التخطيط في مكة قاد النبي ﷺ بالخبرة العملية إلى التخطيط لإدارة الدولة الإسلامية في المدينة بكافة أركانها ومرافقها، فقد أعطى الانتقال إلى المدينة النبي ﷺ سلاسة في التخطيط إلى إدارة الدولة، بعيدًا عن المنغصات والمؤثرات والموانع الخارجية التي تعصف بالدعوة .

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٨١) .

٢- التخطيط في المدينة

أقام النبي ﷺ الدولة في المدينة، ودشنت بقيامها مرحلة جديدة في التخطيط الاستراتيجي للحفاظ على قوام الدولة، وحيث أنه ﷺ كان قد أعد دراسة مسبقة عن الوضع العام للجزيرة العربية -دلت على ذلك في مواضع سابقة-^(١)، فإن تخطيطه ﷺ قد اتجه إلى وجهتين:

الوجهة الأولى: التخطيط لأمن الدولة وجيشها

أ. أمن الدولة

لقد نحا النبي ﷺ في بداية استقراره في المدينة نحو تأمين جبهته الداخلية، ضماناً لاستقرار الأوضاع العامة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن أصدر الدستور (الوثيقة السياسية) والتي حددت ما للمهاجرين والأنصار من حقوق فيما بينهم، وما عليهم من واجبات تجاه الدولة الإسلامية في المدينة، وأيضاً ما عليهم من واجبات تجاه بعضهم البعض كالمؤازرة وغيرها .

فقد أتقن النبي ﷺ استخدامه لأصول الإدارة بإصدار الوثيقة أول ما وصل المدينة، فمكث النبي ﷺ فيها وأقام الدولة، فكان أول عمل مُجَوِّدٍ من النبي ﷺ هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم تكلفت المؤاخاة بإصدار الصحيفة، والتي تعتبر بمثابة وثيقة أو دستور سياسي تنظيمي يضبط وينظم الحياة في المدينة بين أهلها ويقر الأمن المجتمعي.

فكانت هذه الوثيقة بعد وفاة النبي ﷺ بمثابة مرجع بعد كتاب الله ﷻ، لأن هذه الوثيقة جزء من سنته ﷺ التي جاءت مبينة لما في كتاب الله ﷻ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ خَطَبَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقَرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ -قَالَ: وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ- فَقَدْ كَذَبَ، فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَأَشْيَاءٌ مِنَ الْجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَذِمَّةٌ

(١) راجع: المطلب الخامس بعنوان: الجودة في المفاوضات السياسية (صلح الحديبية نموذجًا) (ص ٣٣٠) .

الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةً، يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُمْ، وَمَنْ أَدْعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ
لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا^(١)،

ويمكن استعراض بنود هذه الوثيقة السياسية (الصحيفة) التي بقيت بعد النبي ﷺ دستورًا
بنص علي ﷺ، يحفظ أمن المدينة ويُرجع إليه بعد كتاب الله ﷻ على النحو الآتي^(٢):

- ١- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أمة واحدة من
دون الناس.
- ٢- هؤلاء المسلمون جميعًا على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم، ويفدون عانيهم^(٣)
بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- ٣- إن المؤمنين لا يتركون مفرجًا^(٤) بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل.
- ٤- إن المؤمنين المتقين، على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة^(٥) ظلم أو إثم أو عدوان
أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم.
- ٥- لا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن.
- ٦- إن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على
سواء وعدل بينهم.
- ٧- ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس.

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْحَجِّ/بَابُ فَضْلِ الْمَدِينَةِ، وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، وَبَيَانَ
تَحْرِيمِهَا، وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا، وَبَيَانَ حُدُودِ حَرَمِهَا، مج ١/٦١٩، رقم الحديث ١٣٧٠].

(٢) البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة (ص ١٥١).

(٣) العاني: الأسير وقد عنا يعنو وعنى يعني أي يطلقونه غير مشتطين في ذلك. الزمخشري، الفائق في
غريب الحديث (ج ٢/٢٦).

(٤) المفرح: من أُنقله الدين ولا يجد قضاءه. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (ج ٢/٦٧٩).

(٥) الدسيعة: أي طلب دفعا على سبيل الظلم فأضافه إليه، وهي إضافة بمعنى من؛ ويجوز أن يراد بالدسيعة
العطية أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظلمهم أي كونهم مظلومين. ابن منظور، لسان العرب
(ج ٨/٨٥).

- ٨- لا يحل لمؤمن أقرّ بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو أن يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يؤخذ منه صرف ولا عدل.
- ٩- اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- ١٠- يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته.
- ١١- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- ١٢- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.
- ١٣- من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن، إلا من ظلم وأثم.
- ١٤- إن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره، وإن الله جار لمن برّ واتقى.

وقد كان هذا الدستور يخاطب الجانب الأمني في الشق المدني من الحياة الاجتماعية، لذلك كان النبي ﷺ يعمل على تطوير الجانب الأمني للناحيتين المدنية والعسكرية من خلال إنشاء المنظومة الأمنية للمسلمين في المدينة التي تهدف إلى استمرار الاستقرار، والمتمثلة في شخصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، ونعيم بن مسعود، وغيرهم من الصحابة الذين انحصر ملف الأمن عليهم من النبي ﷺ .

ب. جيش الدولة

إن التخطيط لإنشاء قوة عسكرية تحمي الحدود والديار لهو عنصر أساس في استمرار استقرار الأمن وضمان استمرار الهيبة للدولة، لذلك أتقن النبي ﷺ تخطيطه لتجهيز الجيش مذ أن كان في مكة، فبدأ بالتخطيط لتأسيس جيش للدولة منذ اللحظة الأولى لبيعة العقبة مع نفر الأنصار قبل الهجرة، فكان النبي ﷺ قد بايعهم على المنعة، أي أن يدافعوا عنه ويمنعوه

(١) يوتغ: يهلك.

مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم، قال ابن هشام: "قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا الْقُرْآنَ، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَالَ أَبَايُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ"^(١).

كما أتقن النبي ﷺ التخطيط لتأسيس جيش للدولة، حيث بدأ بترتيب المقومات التي تصنع جيشاً ذا قوة إيمانية وبدنية مدججاً بالعتاد، وكان ذلك من النبي ﷺ على خطوات متكاملة الأركان كالاتي:

١- بث روح الجهاد والترغيب به بين المسلمين

لقد كانت سياسة النبي ﷺ في التأسيس تعتمد أولاً على التأسيس الإيماني ببيان وجوب الجهاد وما يحققه الجهاد من مصالح للمسلمين، ومن ثم التأسيس الروحاني ببيان منزلة المجاهدين والشهداء في الدنيا والآخرة.

فكان النبي ﷺ ينقن انتقائه لأقوى الألفاظ وأظهر المعاني في خطاباته للصحابة المجاهدين مستحثاً إياهم على الجهاد، فكان من هذه الألفاظ المتقنة في الحث على الجهاد ما جاء عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيْمَانٌ بِي وَتَصَدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ"^(٢).

فقد أجاد النبي ﷺ حين بيّن للصحابة أنه يود أن يقتل في سبيل الله ثم يحيا، ويكون له ما للمجاهد من الأجر عند الله ﷻ، وذلك من فن القيادة بالقدوة في تقدم القائد جنده في المعارك، وما ذكر الصحابي الجليل عمير بن الحمام رضي الله عنه ببعيد في يوم بدر، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ"، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٤٤٢) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الإِيْمَانِ/بَابُ الْجِهَادِ مِنَ الْإِيْمَانِ، ص: ١٩، رقم الحديث: ٣٦] .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَوْمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ"، قَالَ: -يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَةٌ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِّثُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ (١) .

٢- بناء الحسّ الأمني

إن الجودة في العسكرية هو بقاء الجندي على أهبة الاستعداد لأي طارئ أمني، مما يبقي الجيش على حذر دائم مما يحاك للدولة من أعدائها، كما أن الاستعداد الدائم يرفع من الحس الأمني للجندي المسلم، فكان النبي ﷺ يرشد أصحابه إلى البقاء على أتم الجهوزية لأي أمر قد يطرأ على الدولة.

يقول خطاب^(٢) في بيان كيف أن النبي ﷺ كان يبني في الصحابة ﷺ ويؤسس فيهم الجانب الأمني: "فقد بعث النبي ﷺ سرية من المهاجرين قوامها اثنا عشر رجلاً بقيادة عبد الله بن جحش الأسدي للقيام بواجبات استطلاعية، وتوجهت تلك السرية نحو هدفها في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجرة رسول الله ﷺ، ومع قائدتها رسالة (مكتومة) أمره الرسول ﷺ ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره، فإذا فتحها وفهم ما فيها، مضى في تنفيذها غير مستكره أحدًا من أفراد قوته على مرافقته"^(٣)، ثم يعقب بعد سرده لفتح الرسالة والعمل بما فيها قائلاً: "لقد ابتكر الرسول ﷺ أسلوب الرسائل المكتومة، للمحافظة على الكتمان الشديد، ولحرمان أعداء

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٧٢) .

(٢) خطاب ت (١٩٩٨م-١٤١٩هـ): هو اللواء الركن محمود بن شيث خطاب ولد في مدينة الموصل -شمال العراق- عام ١٩١٩م من أبوين عريبيين، فأبوه من قبيلة الدليم -فرع الصقور الذين يتصل نسبهم بالنبي ﷺ من جهة الحسن بن علي ﷺ، وأمه قيسية، وهي بنت الشيخ مصطفى بن خليل، من علماء الموصل. محمود، المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه (محمود شيث خطاب) (ص ١٢) .

(٣) خطاب، دروس في الكتمان من الرسول القائد (ص ٢٠) .

المسلمين من الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن حركات المسلمين وأهدافهم، وبذلك أخفى نيته عن العدو والصديق" (١).

فكان النبي ﷺ على ترقب دائم، لأنه عمِدَ إلى تشكيل الخلايا الاستطلاعية، وقد ظهرت هذه الجهوزية والإعداد الأمني العسكري في غزوة بدر لما أراد النبي ﷺ أن يقطع تجارة قافلة أبي سفيان ويسترد جزءًا مما سلب منه وأصحابه في مكة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه، يقول: لَمَّا تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ عَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرِ، وَلَمْ يُعَانَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ" (٢).

فإجادة النبي ﷺ لحسه الأمني باستعداده العسكري الدائم كان سببًا رئيسًا في تمكنه من التخطيط للمعركة.

كما أن الجانب الأمني للجيش يُعين الجيش على ترتيب أولوياته إداريًا، فجمع المعلومات عن العدو بشتى الوسائل له أثر إيجابي كبير في تقدير الموقف العسكري، ولذلك حين وقع أسيرا قريش بين يدي النبي ﷺ كان مما سألهما عن عدة جيش قريش، قال ابن هشام: "فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَمْ الْقَوْمُ؟ قَالَا: كَثِيرٌ، قَالَ: مَا عِدَّتُهُمْ؟ قَالَا: لَا نَدْرِي، قَالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التَّسْعِ مِائَةٍ وَالْأَلْفِ" (٣).

وجاء أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ، فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: لَا أَدْرِي مَا اسْتَنْتَنِي بَعْضَ نِسَائِهِ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي الْحَدِيثَ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّ لَنَا طَلِبَةً، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا"، فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهُرَانِهِمْ فِي عُلُوِّ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ:

(١) خطاب دروس في الكتمان من الرسول القائد (ص ٢١) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب قصة غزوة بدر، ص: ٩٧١، رقم الحديث ٣٩٥١] .

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ١/٦١٧) .

"لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا"، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ" (١).

فيظهر أن الاستعداد الأمني والعسكري مسبقاً من النبي ﷺ كان سبباً في تحقق النصر بعد تأييد الله ﷻ .

وأما أمر الأحزاب فقد صرح النبي ﷺ مشافهةً للصحابة ﷺ طالباً منهم من يتطوع للاستطلاع والإتيان بالأخبار عن الأحزاب بشكل أمني، فكان التكليف لحذيفة ﷺ باسمه، فقد جاء عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُدَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟" فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: "فُمْ يَا حُدَيْفَةُ، فَأَتَيْنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ"، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: "أَذْهَبُ فَأَتِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ"، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ"، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَعْتُ فِرْرَتِي، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: "فُمْ يَا نَوْمَانُ" (٢).

فتوجيه النبي ﷺ لحذيفة ﷺ بقوله: "أَذْهَبُ فَأَتِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ"، جعل حذيفة يلتزم بالحسن الأمني العالي في عدم إثارة الذعر بين المشركين لكي لا يكشف أمره مع

(١) سبق تخريجه، (ص ٢٧٢) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتابُ الجهادِ والسَّيرِ/بابُ غزوةِ الأحزابِ، مج ٢/٨٦٠، رقم الحديث

. [١٧٨٨

قدرته على قتل رئيس الأحزاب المحاصرة للمدينة آن ذاك وهو أبو سفيان رضي الله عنه، ولكن لما تذكر قول النبي ﷺ: "وَلَا تَدْعُهُمْ عَلَيَّ" التزم ألا يثير أي فعل قد يكشف أمراً والتزم بما هو مكلف به لتحقيق الهدف الذي جاء لأجله وهو الاستطلاع فقط، وكان هذا القول مُجَوِّداً من النبي ﷺ فهو تعليم للأمة ورجالها السمع والطاعة والالتزام بأمر القائد مهما كانت الظروف والفرص المتاحة لتحقيق نقطة إيجابية لصالح المسلم ضد خصمه أيًا كان .

٣- التخطيط الاستراتيجي للجيش الإسلامي

إن بُعد النظر في التخطيط من النبي ﷺ أعطى الجيش الإسلامي مساحة من العمل العسكري المنظم، ليصبح قادراً على إيصال الرسائل بشكل مباشر وغير مباشر للأعداء ويحسب له حساب في الجزيرة، وكان ذلك من خلال السرايا الاستطلاعية والسرايا المُغيرة -الأمنية والخاصة بالاعتقالات- والسرايا المقاتلة التي كان النبي ﷺ يرسلها كلُّ حسب مهمته الموكلة إليه.

جاء عن إياسُ بنِ سلمة قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: "عَزَوْنَا فَرَازَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةً، أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْعَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ، وَسَبَى" (١).

فكانت هذه السرية تحمل رسائل مباشرة للمحيط العربي وتهدف إلى تثبيت الهيبة للجيش المسلم في الجزيرة ككل برسالة غير مباشرة، ورسالة مباشرة لقريش بمدى القوة التي وصل إليها النبي ﷺ، ولذلك لما قَدِمَ النبي مكة معتمراً وكان صلح الحديبية على إثر ذلك، كان الرد القرشي ليس عسكرياً لعلمهم بقوة النبي ﷺ المتعاضمة عما كانت في بدر، فكان الرد سياسياً تفاوضياً غير مباشر، ولم تجدِ المفاوضات الغير مباشرة عبر العرب نفعاً لقريش بل كانت وبالأعلى عليهم وأضعفت موقفهم أمام داعمهم -كما جاء في المبحث السابق-، فرضخت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو ليفاوض النبي ﷺ مباشرة.

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ التَّنْفِيلِ، وَفِدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَسَارَى، مج ٨٣٨/٢، رقم الحديث ١٧٥٥].

٤ - تحقيق الانضباط

الانضباط العسكري والأمني وفق الخطط المرسومة، سبب رئيس في تحقق النصر بالتزام أمر القائد والتزام الخطة في الميدان، فالخطط التي رسمها النبي ﷺ لمعاركه والتي كانت مبنية على مشاورة أصحابه، أتقن تخطيطها بإحكام من خلال الخبرة العسكرية التي اكتسبت في الإعداد التجهيز المسبق من خلال إرسال السرايا وتدريبها على القتال قبيل غزوة بدر، ومنها: (غزوة الأبواء^(١))، غزوة بواط^(٢))، غزوة ذي العشيرة^(٣))، ولقد كان حذيفة ؓ في انضباطه الأمني، بعدم مخالفة أمر النبي ﷺ في المهمة التي كُفِّفَ بها في غزوة الأحزاب مثلاً يحتذى به على ذلك^(٤).

الوجهة الثانية: التخطيط للحياة الاجتماعية داخل المدينة

لقد أرسى النبي ﷺ أسس الحياة الاجتماعية داخل المدينة بين المسلمين وغيرهم ممن كان في المدينة أو خارج المدينة، فكانت الوثيقة السياسية المذكورة آنفاً.

كما أن النبي ﷺ رسم ملامح الحياة الاجتماعية لما على المسلم أن يمتثل في معاملاته داخل المجتمع المسلم فكان قولاً مُجَوِّداً، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَنِعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"^(٥).

فما كان يترك النبي ﷺ أمراً فيه تعاضدٌ وتكاتفٌ للمجتمع المسلم إلا وله فيه كلمة تُرسي مكارم الأخلاق في ذلك الأمر.

(١) راجع: المعجم الكبير للطبراني، (ج١٧/١٦-١٧)، رقم الحديث ١٢، ١٣ .

(٢) راجع: شرح مشكل الآثار، (ج١٦٩/٩)، رقم الحديث ٣٥٣٩ .

(٣) راجع: [صحيح البخاري، كتاب المغازي/باب غزوة العشيرة أو العسيرة، ص: ٩٧٠، رقم الحديث ٣٩٤٩] .

(٤) راجع: موضوع بناء الحس الأمني السابق، (ص ٣٥٦) .

(٥) سبق تخريجه، (ص ٢١٢) .

لقد كانت مجتمعات الجزيرة كما يذكر المؤرخون قائمة على الأحلاف، فأراد النبي ﷺ أن يوجد حلاً يذهب فيه هذه الأحلاف إلى نظام إداري اجتماعي يحل محله بروابط أقوى، فما كان من النبي ﷺ إلا أن ابتدر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وجعل الرابطة الأقوى من رابطة الدم هي رابطة الأخوة الإسلامية النابعة من عقيدة التوحيد ووحدة الدين الإسلامي، فكان نظام المؤاخاة الذي ابتدره النبي ﷺ نظاماً منقلاً مَجُوداً، برزت آثاره في المعاملات بين أهل المدينة على اختلاف أعراقهم وألوانهم ومستوياتهم الاجتماعية، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالاً، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَرَوِّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سَوْقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سَوْقٌ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ" (١).

لقد كان للتجويد في التخطيط النبوي في وضع اللبنة الأولى والأساس الأول لبناء المجتمع باستثمار رابط الأخوة المتين نزولاً تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢) أثر عظيم على أفعال المسلمين ومعاملاتهم فيما بينهم، فرسخ النبي ﷺ وفق هذا التخطيط المحكم أعمدة رصينة يقوم عليها سقف الإسلام، حيث أطلق النبي ﷺ بعد ذلك كلماته الثاقبة والمؤثرة في المسلمين لتقوية هذا الصرح الأخوي العظيم، حيث انطلق النبي ﷺ بعد التخطيط المتقن والمُحْكَم إلى مرحلة التنظيم الإداري للدولة الإسلامية .

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ البُيُوعِ/بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَسِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة: ١١]، وَقَوْلِهِ: {لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: ٢٩]، ص: ٤٩٣، رقم الحديث ٢٠٤٨ .

(٢) [الحجرات: ١٠] .

المطلب الثالث

الجودة في التنظيم الإداري النبوي

إن التنظيم الإداري عند النبي ﷺ كان له الأثر العظيم في إبحار سفينة الإسلام في لبحر بحار الكفر الغارق فيه أهل الجزيرة آن ذاك، وكان له الأثر أيضًا في إنارة ذلك الطريق اللجبي لمريدي دعوة الإسلام، فقد انتهج النبي ﷺ أن ينظم أمر التخطيط للدعوة أولًا، وصولًا إلى تحقيق الأهداف المرحلية التي وضعها لإقامة الدولة الإسلامية، ووضع السياسات العامة لإدارة الدولة على جميع أصعدتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية .

فالتنظيم الإداري إنما يعنى بتصميم الهيكل التنظيمي للدولة الإسلامية، وإعطاء كل فرد في هذه الدولة الدور والمهمة اللتين يُكَلَّفُ بإنجازهما، وفق طبيعة العمل الاستراتيجي لمفاتيح الدولة الكبرى من السياسة والاقتصاد والاجتماع، والتي يجب أن يراعى حال تصميمها الأساس العقائدي والشرعي بشكل متماثل ومتكامل.

ولقد استمد النبي ﷺ التنظيم الإداري من الشريعة الإسلامية التي جاءت مُنظمة من عند الله ﷻ بالوحي، وقد ظهر ذلك التنظيم في الحكم والإدارة جليًا في كتاب الله ﷻ، فالحكم في ديننا الحنيف يُمارَسُ نزولًا تحت حكم الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ (1) .

ومن هنا؛ فإن الإطار العام للسياسة والحكم -كما ذكرت سابقًا- يكون وفق حدود شريعة الله ﷻ، وبذلك فهي لا تعني التسلط على المرؤوسين، وهي في نفس الوقت لأولي الأمر الذين أوجب الله طاعتهم.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

(1) الفقرات الثلاث السابقة: هي عبارة عن تعبير إنشائي من الباحث نتيجة الاستقراء والبحث في كتب السيرة والتاريخ .

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(١)، وإن الأدوار التي يؤديها التنظيم الإداري في الإسلام كثيرة وأذكر منها:

- الحرص على إشاعة روح التعاون بين الأفراد والتغلب على أي نوع من أنواع الصراعات الطبقية أو الطائفية بين أفراد المجتمع.
- قصر التعامل على النشاطات التي لا تتعارض مع مقصود الشارع.
- تسيير العملية الإدارية بجوانبها الثلاثة: البشرية والمالية والفنية {الإمكانات} تحت مظلة عبادة الله تعالى وحده، والتي هي سرُّ وجود الإنسان على وجه الأرض.
- الحرص على تحقيق الأهداف المشروعة .
- العمل على توظيف أدوار التنظيم وفقاً لأحكام وأنظمة مصدرها الشريعة الإسلامية أو على الأقل لا تتعارض مع فحواها .

ولقد طبق النبي ﷺ التنظيم الإداري في الإسلام منذ بدء الرسالة حتى توفاه الله ﷺ، فقد بدأ النبي ﷺ دعوته بالتأسيس العقائدي للمسلمين في مكة، بما يؤسس لجيل رباني الوجهة مقارنة بما كانت عليه الجزيرة من الشرك وعبادة الأوثان، ختاماً بإقامة الدولة الإسلامية وإقامة شعائر الإسلام، ويظهر ذلك في القرآن الكريم من التفريق بين الآيات المكية والآيات المدنية، من حيث: نوع الخطاب، الأهداف المرجوة، الأخلاق، وضرب الأمثلة، وغير ذلك مما عملت الشريعة على تنظيمه في حياة الناس في مكة والمدينة .

كما يظهر التنظيم في الترتيب التوقيفي لسور القرآن الكريم على القول الراجح بعد الخلاف الحاصل بين العلماء^(٢)، قال السيوطي: "وَالَّذِي يَنْشُرُ لَهُ الصَّدْرُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَيْهَقِيُّ وَهُوَ أَنَّ جَمِيعَ السُّورِ تَرْتِيبُهَا تَوْقِيفِيٌّ إِلَّا بَرَاءَةً وَالْأَنْقَالَ"^(٣) .

(١) [النساء: ٥٨-٥٩] .

(٢) راجع: الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي (ج٢/٤٠٥) .

(٣) السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن (ج٢/٤١١) .

وقد برز التنظيم في سنة النبي ﷺ في مواطن كثيرة، انتظمت بها الدولة الإسلامية من خلال معرفة كل فرد في المجتمع دوره المنوط به، وما عليه من واجبات، كما أن النبي ﷺ قنن نظام الحكم من خلال التنظيم الإداري للدولة الإسلامية، فبين ما للحاكم على الرعية، وما للرعية على الحاكم، وما الحد الفاصل بين الحاكم والمحكوم، والمتبصر في سيرة النبي ﷺ يجد أن سياسته في إدارة شؤون الدعوة الإسلامية وصولاً إلى إدارة الدولة الإسلامية، كل ذلك كان تنظيمه تدريجياً .

فتنظيم أمر الدعوة كان ببديها بالسرية المطلقة لثلاث سنوات لم يُدعَ فيها غير الموثوقين عنده ﷺ، ومن ثمَّ انطلق النبي ﷺ ليدعو أقاربه بدرجة أولى ثم أصحابه ثم لينتقل إلى مرحلة الصدع بالدعوة وينذر عشيرته الأقربين بأمر من ربه ﷺ، والمرحلة المدنية بعد إقامة الدولة كانت قد اعتمدت في الأحكام على التدرج في إسقاطها على الواقع وفق فقه المصالح والمفاسد أيضاً^(١) .

برز التنظيم الإداري في حياة النبي ﷺ في عدم أمور، منها:

١ - العبادات

تتعدد العبادات في الإسلام، وتتعدد شروط وأركان قبولها، فالتنظيم في كثير من العبادات ركن، كما تترتب العبادات حسب الأهم فالمهم، وبهذا يكون الترتيب فيها بناءً على وصفها وكيونتها.

فالصلاة -على سبيل المثال- هي عمود الدين، وهي بذلك أهم العبادات على الإطلاق، والتنظيم فيها أساس في كل أركانها بدءاً بالطهارة من خلال الوضوء الذي أحد شروط صحته الترتيب والمواولة امتثالاً لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»^(٢)، فالتنظيم في العبادات أساس في إدارتها وقد نَظَمَ النبي ﷺ إدارته للشؤون الدينية للدولة من خلال تنظيم

(١) راجع: المطلب الثالث من الفصل الرابع، بعنوان/ الجودة في تقدير المصالح والمفاسد السياسية (ص ٣١٢).

(٢) [المائدة: ٦] .

العبادات وفق التخطيط الاستراتيجي الذي بدأه ببدء دعوته ﷺ، وإن من الفوائد العظمى التي يجنيها المسلم من الصلاة بنظامها الرباني هو تنظيم شؤون حياته وإدارة وقته وتنظيمه وفقها، وبذلك يكون التجويد في استثمار العبادات في إدارة شؤون الأمة وإدارة الدولة .

٢ - الحياة الاجتماعية

لقد خطط النبي ﷺ لتنظيم الحياة في المدينة، وبدأ بتفعيل عنصر التنظيم فيها، فكان أول ما نظم النبي ﷺ هو الأخوة فأخى بين المهاجرين والأنصار مذكلاً بذلك كل العقبان التي ستواجه الدعوة، ليتم بعد ذلك إصدار الصحيفة^(١) (الدستور) الذي يمثل الهيكلية التي ستكون عليها المدينة في علاقاتها الداخلية والخارجية بما يمنح كل ذي حق حقه، كما أن الوثيقة نظمت العلاقات الدينية بين المسلمين واليهود في المدينة، كما نظمت نظام الأحلاف والتحالفات السياسية، جاء في الموسوعة الإسلامية العربية: "ويعد هذا العقد أول نظام مكتوب قامت على أساسه دولة منذ أول تكوينها، كما يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتماع والسياسة، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة، وعلى غير أساس رابطة الدم"^(٢) وقد شبه النبي ﷺ التنظيم الإداري للدولة الإسلامية بالجسد الواحد، لتكون الحياة الاجتماعية وحدة واحدة، فجاء عن النعمان بن بشير، يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى"^(٣)، فقد أجاد النبي ﷺ في تقديم الصورة التي يريد رؤية مجتمعه الإسلامي عليها، مقارنة بالمجتمعات الأخرى التي يلفها التناحر والفرقة وتعيش الطبقة الجاهلية، فيأكل القوي الضعيف ويتسلط الغني على الفقير.

(١) سبق بيانها، (ص ٣٥٥) .

(٢) الجندي، الموسوعة الإسلامية العربية - الإسلام وحركة التاريخ (مج ٣٨/٥) .

(٣) سبق تخريجه، (ص ١٣٩) .

٣- تنظيم الدولة بإصدار الدستور

تم تقديم ورقة بحثية^(١) في مؤتمر الندوة الدولية لليونسكو، جاء فيها: "والأعجب من كل ذلك أن هذه الصحيفة قد اشتملت لأول مرة في التاريخ على مبادئ وقواعد دولية وأحكام إنسانية لم يعرفها العالم القديم من قبل"، وكان من أبرزها:

- أ- ابتكار النظام المكتوب للدولة تبعًا لحاجاتها الزمنية، وإعلانه للناس.
- ب- الإعلان عن حرية العقيدة.
- ت- الإعلان عن مفهوم الأمة السياسي في الإسلام.
- ث- الإعلان عن حدود هذه الأمة.
- ج- الإعلان عن التكامل بين الموسرين والمعسرين.
- ح- الالتزام بوحدة المسؤولية .
- خ- توزيع الأعباء المالية في حالات الحرب والدفاع قبل تكوين الخزينة المشتركة للدولة .
- د- تحريم الجريمة فيما بين أهل هذه الصحيفة .
- ذ- الشريعة هي التي تحسم كل خلاف بين أهل الصحيفة .

وبدوره علّق الضحيان^(٢) بقوله: "فالصحيفة أو دستور الدولة الإسلامية الأول نظم ووضع الأسس والأصول التي يجب ان تقوم عليها الحياة الإسلامية في دولة الإسلام، وبشكل منظم يكفل للجميع الاستقرار في جميع مناحي الحياة"^(٣).

ومن ذلك، فإن التنظيم الإداري للدولة الإسلامية قد بُني على قواعد راسخة، ومبادئ عامة ظاهرة علناً للناس كافة، نظمت سير شؤون الدولة وحذرت المخالف ضمناً.

(١) الدواليبي، الدولة والسلطة في الإسلام (ص ٣٨).. بتصرف .

(٢) الضحيان: د. عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان، أستاذ الإدارة العامة المشارك بقسم العلوم الإدارية، عميد كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها-سابقاً. الضحيان، الإدارة والحكم في الإسلام الفكر والتطبيق (الواجهة) .

(٣) الضحيان، الإدارة والحكم في الإسلام الفكر والتطبيق (ص ١٠١) .

٤ - تنظيم الجيش الإسلامي

ارتكزت الدولة الإسلامية في قوتها وتمدها على تنظيم القوة العسكرية بدرجة أولى، التي هي مدعومة بالرصانة الأمنية والاستخبارية، فقد نظم النبي ﷺ الأدوار المنوطة بجيش الإسلام من الدفاع والهجوم والاستقرار الأمني والاجتماعي في المدينة .

ولذلك فإن النبي ﷺ قد أجاد في تنظيم الجهاد، وذلك ببناء التشكيلات العسكرية وفق أفضل النظم للجيوش العالمية، حيث كان لهذا التنظيم أثر بارز في انتصار النبي ﷺ في غزواته ومعاركه وسراياه المرسله.

وإن التكتيك العسكري القائم على التنظيم المسبق، والذي يُعرّف كل جندي في الجيش دوره المنوط به، بدءاً بالقائد العام وانتهاءً بمن يعد الطعام، لِيُعِينُ على ثبات الجيش واستقراره رغم أي طوارئ حربية مفاجئة قد تباغته، فيكون على أتم الجهوزية لقتال العدو المباغت .

والجودة في التنظيم النبوي للجيش الإسلامي - وإن لم يكن على الشكل الحالي ولكنه يماثله من حيث الأهداف- كان على شكل إدارات متكاملة، لكل منها دورها الخاص بها، ولربما يشترك في أكثر من مهمة، وكان المشرف والقائد العام لهذه الإدارات مجتمعة هو النبي ﷺ، بل كان ﷺ المبادر إلى تنفيذ متطلباتها قبل جنوده، ومن هذه الإدارات أذكر خمساً ذكرًا لا حصرًا، وهي:

أ. التعبئة والتحريض على الجهاد

إن للتعبئة والتحريض دورًا كبيرًا في حث جنود الجيش الإسلامي على الاستبسال في القتال والذود عن حياض الدين وقد كان النبي ﷺ أشد المحرضين على قتال المشركين بأمر من الله ﷻ، وقد كانت استجابة الصحابة ﷺ لذلك التحريض عظيمة.

ومن ذلك ما جاء عن سهل بن سعد رضي الله عنه، سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: يوم خيبر: "لأُعطيَنَّ الرّايةَ رجلاً يفتحُ اللهَ على يديه"، فقاموا يَرجونَ لذلكَ أيُّهم يُعطى، فعدّوا وكلُّهم يَرجونَ أن يُعطى" (١).

فقول سهل رضي الله عنه: "فعدّوا وكلُّهم يَرجونَ أن يُعطى" دليل على استجابتهم المستحثة والمباشرة ل طرح النبي صلى الله عليه وسلم تسليم الراية والقيادة لرجل يفتح الله على يديه، رغم علمهم صلى الله عليه وسلم بما في القتال بالقيادة من خطورة الجرح أو القتل المباشر بالاستهداف، إلا أنهم لم يظهروا خوفاً أو جبناً أو تراجعاً عن تسلمها، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها بعد ذلك لعلي رضي الله عنه.

ب. الاستطلاع العسكري (الاستخبارات)

حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يرسل سراياه الاستطلاعية قبيل وصول جيشه إلى المكان الذي سيمكث فيه، ليتم تأمين خط سير الجيش من أي كمان قد يقع فيها تعمل على فت عضده، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟" قال الزبير: أنا، ثم قال: "من يأتيني بخبر القوم؟"، قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير" (٢).

ت. التخطيط والتنظيم

لقد برز التخطيط والتنظيم من النبي صلى الله عليه وسلم مُجوداً من النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الغزوات، وأبرزها بدر والخندق وحنين وغيرها من الغزوات الفاصلة في التاريخ الإسلامي، وقد طبق المسلمون هذا المبدأ في مواقف عسكريه كثيرة كان أولها في بدر؛ حيث نظم الرسول قواته بطرق عسكرية تدل على الاحتراف والتميز، حيث تكونت القوات من:

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الجهادِ والسَّيرِ/بابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنَّ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، ص: ٧٢٦، رقم الحديث ٢٩٤٢].

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الجهادِ والسَّيرِ/بابُ فَضْلِ الطَّلِيعَةِ، ص: ٧٠٤، رقم الحديث ٢٨٤٦].

- حرس مُقدمة تسبقه دوريات الاستطلاع التي تهدف إلى جمع المعلومات، بالإضافة إلى حماية القوات من مباغطة العدو.
- يليها الجسم الرئيسي للقوات، وكان يتكون من سريتين: سرية المهاجرين، ورايتها مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وسرية الأنصار ورايتها مع سعد بن معاذ عليه السلام.
- ثم حرس المؤخرة الذي يعمل على حماية القوات من الخلف.
- كذلك فقد عين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائداً للميمنة وهو الزبير بن العوام عليه السلام، وقائداً للميسرة هو المقداد بن عمرو عليه السلام.
- كانت هناك راية عامة للمسلمين حملها مصعب بن عمير عليه السلام.

ث. إدارة القوى البشرية

لم يكن يحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه كل من رغب في القتال، بل كان يتفقد أفراد الجيش، بما لا يدع ثغرة يوتى المسلمون من قبلها، وفي ذلك يبين ابن هشام الهدي النبوي في قبول المقاتلين الاستثنائيين ممن لا تنطبق عليهم شروط المقاتل المطلوب كاملة، قال ابن هشام: "وَأَجَّازَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمَئِذٍ سَمْرَةَ بِنْتُ جُنْدُبِ الْفَزَارِيِّ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، أَحَا بَنِي حَارِثَةَ، وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ رَدَّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَافِعًا رَامٍ، فَأَجَّازَهُ، فَلَمَّا أَجَّازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ سَمْرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَّازَهُ. وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَالْبِرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ، وَعَمْرُو بْنَ حَزْمٍ، أَحَدَ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأُسَيْدَ بْنَ ظُهَيْرٍ، أَحَدَ بَنِي حَارِثَةَ، ثُمَّ أَجَّازَهُمْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً" (١).

ج. الخدمات الطبية والدعم اللوجستي

إن الخدمات الطبية التي تقدم للجرحى في ساحة المعركة تكون بمثابة دعامة لاستمرار القتال بل الحفاظ على أرواح الجرحى بتطبيب جراحهم، كما أن تقديم الدعم اللوجستي المتمثل بالطعام والشراب وإعداده وتقديمه، ولذلك اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الإدارة بالغ الأهمية، حيث أن

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج ٢/٦٦).

النبي ﷺ أوكل هذه المهمة إلى النساء والتي ليس لهن القوة على حمل السلاح والقتال، فأوكل النبي ﷺ لهن مهمة تتناسب مع طبيعتهن الأنثوية، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْزُو بِأُمَّ سُلَيْمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ إِذَا غَزَا، فَيَسْقِيَنَّ الْمَاءَ، وَيُدَاوِيَنَّ الْجَرْحَى" (١).

إن التكامل الحاصل بين التخطيط والتنظيم الإداري، يعد رافعة للعمل الميداني لأمير الدولة والقائمين على تسيير شؤونها، الأمر الذي يجعل القائد الأعلى للدولة يضمن سير الخطط الاستراتيجية المرسومة على حسب التقدير المراد، مما يسهل عليه أمر التدقيق والتوجيه والرقابة على تلك الإدارات المنظمة .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/بَابُ غَزْوَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ، مج ٢/٨٧٧، رقم الحديث ١٨١٠] .

المطلب الرابع

الجودة في التوجيه الإداري النبوي

لا بد للحاكم أن يتابع مجريات الخطة الاستراتيجية للدولة لضمان بقاء الدولة مستديمة على قوائمها، لأن أي خلل في التخطيط والتنظيم الإداري سيعمل على عرقلة عجلة سير أمور الدولة والحكم، ولذلك كان من أهم أركان إدارة الدولة التوجيه والرقابة، والتي يحافظ الحاكم الإداري في الدولة على الهيكلية التنظيمية للدولة في رعاية شؤونها .

التوجيه: هو فن وقدرة المدير على السير الصحيح بمن تحت غمرته، وهدايتهم وتوجيههم، مع إشاعة روح الود، والحب، والرضا، والتفاني، والانتماء للعمل، حتى يتحقق الهدف المطلوب تحقيقه^(١) .

والتوجيه إما أن يكون من المدير بشكل مباشر، وإما أن يكون بتفويض غيره من الموظفين وإما أن يكون على شاكلة لوائح ترسل للمعنيين، ومن ذلك فإن كل ما صدر عن النبي ﷺ يكون في إطار التوجيه النبوي وحسن إدارة النبي ﷺ للرعية، وأضرب في هذا الباب الواسع من باب الإدارة ثلاثة أمثلة على سبيل الذكر لا الحصر، فمن التوجيه النبوي للصحابة ﷺ وللأمة الإسلامية من بعده ﷺ:

المثال الأول: التوجيه النبوي في الحكم

عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُفْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي فُرْيَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ"^(٢).

فالنبي ﷺ يوجه كل من كان ذا سلطان إلى أن يقسط في رعيته فلا يظلم أحداً منهم، مُبِينًا ﷺ جزاء العدل والإقسط في حكم الناس بما استأمن الله ﷻ عليه واليه وشرعه.

(١) الضحيان، الإدارة والحكم في الإسلام الفكر والتطبيق (ص ١١٩) .

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، مج ٢/١٣١٠، رقم الحديث ٢٨٦٥] .

المثال الثاني: التوجيه النبوي في الحرب

عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ بَدْرٍ: "إِذَا أَكْتَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبِقُوا نَبْلَكُمْ"^(١).

هنا تظهر خبرة النبي صلى الله عليه وسلم العسكرية، فيجود توجيهه بإكساب صحابته تلك الخبرة من خلال التوجيه المباشر لهم بالتكتيك العسكري المطلوب منهم أن يفعلوه حال القتال.

المثال الثالث: التوجيه النبوي في التجارة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تَشْفُوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تَشْفُوا"^(٢) بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ"^(٣)^(٤)، فَجَوَّدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم التوجيه الإداري من خلال وضعه معيارًا ينظم عملية البيع والشراء بين المسلمين، بحيث لا يُخْلُ بها فيدخل المسلم في معاملة مالية مُحَرَّمَةٌ .

وإن النفس البشرية لا تتقبل التوجيه غالبًا بسهولة ويسر، ولذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أحسن استخدام المقومات التي تُدعم التوجيه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يناسب بين مقام التوجيه وبين مَقَوْمِهِ الذي يعين على يُسر تقبله من الآخر، فمن المقومات التي استثمرها النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهه لأصحابه رضي الله عنهم الحوافز بنوعيتها، ومنها:

١- الحوافز المادية: عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ، فَلَهُ سَلْبُهُ"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْمَغَازِي/ (بَابُ: ١٠)، ص: ٩٧٨، رقم الحديث ٣٩٨٤].

(٢) تَشْفُوا: أَي لَا تَفْضَلُوا وَالشَّفُّ يَكْسِرُ الشَّيْنَ وَيَطْلُقُ أَيضًا عَلَى النُّقْصَانِ فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٠/١١) .

(٣) نَاجِزٍ: الْمُرَادُ بِالنَّاجِزِ الْحَاضِرُ . النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (ج ١٠/١١) .

(٤) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ وَالْمُزَارَعَةِ/بَابُ الرَّيَا، مج ٧٤٣/٢، رقم الحديث ١٥٨٤].

(٥) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ/بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلْبِ الْقَتِيلِ، مج ٨٣٦/٢، رقم الحديث ١٧٥١].

فتلك تشجع على القتال والجهاد في سبيل الله والإثخان في العدو، بما يحقق النصر للمسلمين .

٢- الحوافز المعنوية: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رِجْمَهُ"^(١).

فذلك التحفيز يشجع المسلم على الحفاظ على حق كل ذي حق عليه من الرحم، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم جَوَّدَ التحفيز في هذا الباب من خلال الحث على الصدقة والإجزال بها على ذي الرحم، فهو مما يحفز على تقوية أواصر الأقارب والأرحام، فَعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "صَدَقْتُكَ عَلَى الْمُسْلِمِ صَدَقَةً، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ"^(٢).

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب البرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ/بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، مج ١١٩١/٢، رقم الحديث ٢٥٥٧].

(٢) [الطبراني: المعجم الكبير، بَابُ السَّيْنِ/سَلْمَانُ بْنُ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ رضي الله عنه كَانَ يَنْزِلُ الْبَصْرَةَ وَبِهَا مَاتَ، ج ٢٧٥/٦، رقم الحديث ٦٢٠٦].

• سند الحديث/ حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ الْمُثَنَّى، ثنا مُسَدَّدٌ، ثنا يَحْيَى، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ

• تخريج الحديث/

أخرجه الترمذي في سننه بنحوه (٣٧/٣)، وأخرجه النسائي في المجتبى بنحوه (٩٢/٥)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى بنحوه (٧٣/ ٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه بنحوه (٥٩١/١)، وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بنحوه (٢٧٥/٦)، و(٢٧٦/٦)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بنحوه مختصراً (٣٩/٤)، وأخرجه الحاكم في مستدرکه بنحوه (٥٦٤/١) . كلهم من طريق أم الرائج الضبية .

وأخرجه الطبراني في معجمه الكبير بنحوه مختصراً (٢٧٤/٦)، و(٢٧٥/٦)، من طريق محمد بن سيرين .

وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط بمعناه مطولاً (٨٧/٨)، من طريق حفصة بنت سيرين .
كلهم عن سلمان بن عامر الضبي به بنحوه .

كما كان التحفيز المعنوي من النبي ﷺ في أحلك الظروف وأشدّها، والتي بلغت فيها القلوب الحناجر، وهنا تظهر الإجابة الحقيقية للتوجيه النبوي، فيوم الخندق كان مُجَوِّدًا بِكَدِّ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَمَلِ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١)، فَعَنِ الْبِرَاءِ بْنِ عَارِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ ، وَهُوَ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْتُمَا * * وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا * * وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَأَقِينَا

وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَعَّوْا عَلَيْنَا * * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا^(٢)

فالجودة في التوجيه الإداري، هو أن يجيد القائد أو المدير التوجيه للرعية ممن حُمِّلُوا أمانة المسؤولية على وجه الخصوص، بحيث تتحقق الأهداف الكبرى لإدارة الدولة من خلال التوجيه التقويمي الذي يدفع المسلم للاهتمام ومعرفة ثغراته وما ينقصه من التدريب لإجادة العمل والتمكن منه .

ولقد كان النبي ﷺ موجهاً إدارياً بحثاً، يسوس أمور الدولة وفق السياسة التي يضمن بها إزاحة العراقيل من أمام التمدد الإسلامي، وكان الفضل بعد توفيق الله ﷻ لنبيه ﷺ هو تجويد النبي ﷺ للرقابة الإدارية .

• ترجمة الرواة/

- رواته ثقات .

• الحكم على الإسناد/

إسناد صحيح.

(١) [الأحزاب: ١٠-١١] .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْقَدْرِ/بَابُ «وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ»، «لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»، ص: ١٦٤١، رقم الحديث ٦٦٢٠] .

المطلب الخامس

الجودة في الرقابة الإدارية النبوية

إن الرقابة الإدارية التي كان يمارسها النبي ﷺ هي تتويج لما خطه ونظمه ووجهه ﷺ بهدف إقامة مجتمع إسلامي يمتثل أخلاق الإسلام في شتى الميادين، ويلتزم خلق الإحسان بمراقبة الله ﷻ قبل مراقبة العباد، وإن الإدارة لا تستقيم دون هذا العنصر الذي يعد بمثابة التتويج للملك على ملكه .

ولكن هذا العنصر الإداري مهم جداً في الإدارة، وذلك أن النفس البشرية قلما تلتزم الأوامر دون موجه ورقيب -إلا من اتقى-، فكان للرقابة دور فعّال في الحفاظ على المجتمع من الزل، وسد الثغرات والخلل، وإقامة النفس على القسط والعدل.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً رائعاً في توصيفه لدور الإداري القائد في النجاة برعيته ومن استؤمن عليهم، عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَزَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"^(١).

فالجودة في الرقابة الإدارية بأن يطّلع القائد على سير أمور رعيته لا أن يدعهم وما يشاؤون دون رقابة، فحُسن الإدارة لشؤون الرعية يكون بحُسن التدبير والتقدير، والحكمة في اتخاذ القرارات المناسبة في الأوقات المناسبة .

وقد كان النبي ﷺ يمارس عنصر الرقابة الإدارية بنفسه أو من خلال عماله على الأمصار، وكان بهذا يضع يده على مواطن الزلل والخطأ، فيعالج الأمر قبل أن يقع القصور أو الانحراف عن الخطة الاستراتيجية المرسومة، وبذلك كان النبي ﷺ يحمي مؤسسته الإدارية

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشَّرِكَةِ/بَابُ هَلْ يُفْرَعُ فِي الْقِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، ص: ٦٠٤، رقم الحديث

للدولة الإسلامية في المدينة من الانهيار، وقد أرشد النبي ﷺ إلى دور كل فرد مسلم في الرقابة، فوجه النبي ﷺ الحاكم والمحكوم إلى الدور المنوط به، فصرح ﷺ بدور كل من الحاكم والمحكوم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (١) .

وبتقديره فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يخضع لقاعدة المصالح والمفاسد وتقدير آثار كل منهما، فالتغيير باليد يكون لمن كان ذا سلطة ويستطيع أن يغير المنكر دون مفسدة تكون أكبر من مصلحة إنكاره للمنكر، وهكذا إلى كل من كان صاحب منعة يستطيع بها تغيير المنكر، وأما التغيير باللسان فهو لمن كان له القدرة على الدعوة والإرشاد والإصلاح، دون أن يكون لكلامه مفسد أكبر من المصلحة المترتبة عليه وكذلك الأمر في حق الطاعة (٢) للحاكم، أما التغيير بالقلب فهو بالإنكار وبغض المنكر الواقع لعدم قدرة المسلم على التغيير باللسان لعله في المنعة أو المفسدة المترتبة على النفس من أثر ذلك الإنكار كالقتل أو السجن أو غيرهما .

وقد نحا الخلفاء من الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين هذا النحو، فكان هدياً نبوياً يقام به العدل ويرفع به الظلم وتسوى به المظالم، وإن الرقابة الإدارية لا بد وأن تكون في كثير من المواطن، وأذكر هنا أربعة من المواطن التي جود النبي ﷺ بممارسة عنصر الرقابة الإدارية فيها:

أولاً: الرقابة على الاقتصاد

يعد المال عصب الحياة، وبه يقوم اقتصاد الدول لتفرض سيادتها وهيمنتها على أرضها ومحيطها الخارجي، ولذلك كان اقتصاد الدول يحتاج إلى رقابة إدارية يُحفظ بها الاستقرار الاقتصادي، ولقد مارس النبي ﷺ الرقابة على الاقتصاد الإسلامي بما يحفظ حقوق الناس فيما

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإيمان/باب بيان كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، مج ١/٤١، رقم الحديث ٤٩] .

(٢) راجع: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي (ج٨/٦١٩٠) .

بينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَأَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلًّا فَقَالَ: "مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟" قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي" ^(١).

إن التجويد في هذا المقام جاء من الممارسة الرقابية الإدارية من النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واستخدامه الأداة المناسبة للرقابة، ومن ثم التوجيه الإداري لصاحب صبرة الطعام، ختاماً بالتحذير من عواقب هذا الأمر، ولنا في قصة يوسف عليه السلام مثلاً يحتذى به في إدارة الاقتصاد. وإن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوسف عليه السلام نجح في الخروج من أزمة اقتصادية عصفت بمصر لا بمراد جديدة، وإنما بتجويده عليه السلام الاستخدام للموارد، وبحسن إدارة الموارد الموجودة بين يديه .

ثانياً: الرقابة على موظفي الدولة

لكي لا يقع الفساد الإداري في مؤسسات الدولة، وجب على أمير الدولة ومن يسوسها أن يراقب عماله، ففي ذلك حفظ لهم من الوقوع على أموال الدولة بغير حق، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يراجع عماله ويطبق الرقابة الإدارية عليهم بإتقان لكي لا يقع أحد منهم على أموال المسلمين ظلمًا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُجَوِّدُ رِقَابَتَهُ الإِدَارِيَّةَ عَلَى عَمَالِهِ بِعَدَمِ مَحَابَاةِ أَحَدٍ أَوْ التَّهَافُونَ مَعَهُ، لِحِرْصِهِ عَلَى أَدَاءِ كُلِّ شَيْءٍ بِحَقِّهِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، وَمِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهَا الْجُودَةُ مِنَ الْحَبِيبِ صلى الله عليه وسلم مَا جَاءَ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى: ابْنُ الْأُنْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسِبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا"، ثُمَّ حَطَبْنَا، فَحَمَدَ اللَّهُ، وَأَنْتَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي اسْتَعْمَلْتُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللَّهُ، فَيَأْتِيَنِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيْتُ لِي، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ

(١) سبق تخريجه، (ص ١٩٣) .

الْقِيَامَةِ، فَلَا عَرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَبْعُرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَى بَيَاضَ إِبْطِيئِهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ، هَلْ بَلَغْتُ؟" بَصُرَ عَيْنِي، وَسَمِعَ أُذُنِي (١).

ثالثًا: الرقابة على الرعية

لقد كان النبي ﷺ خير حافظ لحقوق الرعية من المسلمين الذين استرعاها الله ﷻ عليهم، فقد أجاد النبي ﷺ في رقابته على أداء الحقوق لأهلها، بل كان النبي ﷺ يتفقد أمور الرعية متحسسًا ما عندهم من هموم أو مشاكل أو غير ذلك، فكان النبي ﷺ يقضي في المظالم بين الناس ويرد الحقوق إلى أصحابها، وكان يتخلل تلك الرقابة على الرعية، التوجيه بالقرارات المباشرة والصارمة من النبي ﷺ، ومثال ذلك ما جاء عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ، فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِحَالِدٍ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟" قَالَ: اسْتَكْرَهْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "ادْفَعْهُ إِلَيْهِ"، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بَرْدَانِيهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْصَبَ، فَقَالَ: "لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أَمْرَائِي؟ إِنَّمَا مَتْلُكُمْ وَمَتْلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَرْعَى إِبِلًا، أَوْ عَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيئَهَا، فَأُوزِدَهَا حَوْضًا، فَسَرَعَتْ فِيهِ فَسَرِبَتْ صَفْوُهُ، وَتَرَكْتَ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ" (٢).

فكان أمر النبي ﷺ بإعادة السلب لصاحبه، وبذلك ردَّ النبي ﷺ الحق لأهله من خلال ما جاءه من عوف بن مالك ﷺ .

رابعًا: الرقابة العسكرية

لقد كان النبي ﷺ يتفقد أمر جنده بنفسه، فكان يقسم الجيش كلَّ حسب تخصصه، فيصف الصفوف ويتفقد السلاح، فلا يدع صغيرة ولا كبيرة تلزم المجاهدين في القتال إلا ويتفقدوها، وقد كان النبي ﷺ على اطلاع بأحوال جنده، في الحضور والتخلف أو التغيب عن القتال لأعدار أو

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإمامة/بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ، مج ٢/٨٨٩، رقم الحديث ١٨٣٢].

(٢) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير/بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلْبَ الْقَتِيلِ، مج ٢/٨٣٧، رقم الحديث ١٧٥٣].

لغير ذلك، وبعد ذلك تجويدًا من النبي ﷺ، فمن أحداث بدر أن رجلاً جاء يطلب سلاحًا ليشترك في الغزوة فأشار عليه النبي ﷺ أن يذهب لرجل قد تجهز للغزوة ثم تعذر لمرضه، فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن فتى من أسلم قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: "أنت فلان، فإنه قد كان تجهز، فمرض"، فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ يفرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزت به، قال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله، لا تحبسي منه شيئًا، فيبارك لك فيه" (١) .

فعلم النبي ﷺ بمن حضر ومن تعذر عن الحضور يدل على أن النبي ﷺ كان يطبق الإدارة بحذافيرها في كل ميدان من الميادين التي يخوض غمارها .

ولقد مثل النبي ﷺ في ميادين الإدارة والسياسة نموذجًا رائعًا يحتذى به، فقد شملت إدارة النبي ﷺ كل أمور الحياة السياسية والإدارية، بدءًا من إدارة النبي ﷺ لشؤون حياته الخاصة في القسمة بالعدل بين أزواجه في كل شيء سوى ما لا يملك، وختامًا بتأسيسه دولة الإسلام بمرافقتها وأنظمتها وكيנותها الإدارية والسياسية، والتي شكلت أرضية لبدء علاقاته الدولية مع القبائل والدول والممالك المجاورة .

(١) [مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، كتاب الإمامة/باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير، مج ٢/٩١٤، رقم الحديث ١٨٩٤] .

المطلب السادس

الجودة في إدارة العلاقات الدولية (نموذجًا)

تمثل العلاقات الدولية محورًا مهمًا في إدارة الدولة الإسلامية، بل لا أبالغ إن قلت إنها المحور الأكثر أهمية على صعيد شؤون الدولة في تحقيق استقرارها الإقليمي.

لقد برع النبي ﷺ سياسيًا في إدارة العلاقات الدولية، من خلال السياسة العامة للدولة الإسلامية التي رسم ملامحها الشرعية من منطلق الشريعة الإسلامية، فخطط النبي ﷺ لتأسيس شبكة علاقات أشرف على تنظيمها بنفسه، ووجه سفراءه بالكتب والمراسلات إلى الأمراء والملوك.

وقد بين الإمام النووي أسماء رُسلِ وسفراء النبي ﷺ إلى الأقطار فقال: "أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ووضع على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب وحسن إسلامه، وأرسل ﷺ دحية بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، فقال خيرًا، وقارب أن يُسلم، وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القبطية وأختها شيرين، فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان فأسلما وخليًا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفى رسول الله ﷺ، وأرسل سليط بن عمرو العلوي إلى اليمامة وإلى هودبة بن علي الحنفي، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء من أرض الشام، وأرسل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فصدق وأسلم، وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن ملكوهم وسوقتهم" (١).

(١) النووي، تهذيب الأسماء واللغات (ج ٣٠/١).

ولقد نسج النبي ﷺ أيضاً العلاقات على مبدأ المصالح المشتركة بما لا يتعارض مع أصل الدين (العقيدة)، وبما يحقق المصلحة العامة للمسلمين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وأمنياً ومجتمعيًا، فكان التركيز من النبي ﷺ على إرسال السفراء قبل فتح مكة، وفي ذلك إشارة إلى التمهيد منه ﷺ لمرحلة الدولة الكبرى الممتدة والمتوسعة والفارضة لهيمنتها، لإظهار دين الله ﷻ في مشارق الأرض ومغاربها.

إن العلاقات الخارجية التي بدأ النبي ﷺ في نسجها، كانت من الآثار الإيجابية المترتبة على صلح الحديبية، حيث أن النبي ﷺ اطمأن بعد الصلح على الأوضاع الأمنية في المدينة، وتحول الموقف العربي الذي كان ضده بالإجماع إلى صالحه من بعض القبائل، وبذلك ضَعَفَ موقف قريش أمام التمدد الإسلامي.

جَوَّدَ النبي ﷺ إدارته للمرحلة التي كانت قبيل الفتح، فاستثمرها خير استثمار من خلال إرسال السفراء إلى الدول والممالك العظمى آن ذاك وهي: الروم والفرس والحبشة، فبعث بالرسائل المحمدية الداعية إلى الإسلام، رغم أن النبي ﷺ لم تكن قوته تعادل ولا تماثل قوة أحد منهم، إلا أنه ﷺ كان يهدف إلى تثبيت أركان الدولة بالهبة الاستراتيجية التي سيصنعها بوصول رسائله إلى مثل هذه البلاد التي كان التناحر بينها على النفوذ والهيمنة على ربوع الأرض ونواحيها -وخصوصاً الروم والفرس-، وقد ظهرت ملامح الجودة في العلاقات الخارجية وحسن الإدارة والتدبير في رسائل النبي ﷺ في كل قُطْر أرسل النبي ﷺ إليه رسولاً من أصحابه ﷺ وأذكر ثلاثة من الأقطار وهي الآتي:

أولاً: رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي

أرسل النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري^(١) سفيراً إلى النجاشي، حاملاً رسالة الحبيب ﷺ ودعياً النجاشي إلى تحقيق العدل في المسلمين إذا ما وصلوه، وقد كان اختيار النبي ﷺ متقناً

(١) عمرو بن أمية الضمري: عمرو بن أمية الضمري بن خويلد بن ناشر بن كعب بن جندع بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ابن قانع، معجم الصحابة (ج٢/٢١٠)، رقم ٧١٢ .

وَمُجَوِّدًا، حيث أن المصادر التاريخية تذكر أن النجاشي كان مملوكًا من بني ضمرة^(١) بعد قتل والده وتتويج عمه مكانه.

يقول ابن هشام: " قال ابن إسحاق: قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر ابن عبد الرحمن، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قوم، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم، له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا، فتوارثوا ملكه من بعده، بقيت الحبشة بعده دهرًا، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه، وملكوا أخاه، فمكتوا على ذلك حيناً.

-غلبة النجاشي عمه على أمره، وسعي الأحباش لإبعاده-

ونشأ النجاشي مع عمه - وكان لبيبا حازما من الرجال - فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وأنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه.

فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإننا قد خفناه على أنفسنا، قال ويلكم قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم بل أخرجه من بلادكم. قالت فخرجوا به إلى السوق فباعوه إلى رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من سحائب الخريف فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته. قالت ففرغت الحبشة إلى ولده فإذا هو محمق ليس في ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم.

(١) بنو ضمرة: ولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة: كعب، وجدى، ومليل، وعوف، وحندب. ومنهم: عمارة بن مخشي بن خويلد بن عبد نهم بن يعمر بن عوف بن جدي بن ضمرة . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب (ج١/١٨٥) .

تولية الملك برضا الحبشة

فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله إن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره الذي بعتم غدوة فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن، قالت فخرجوا في طلبه وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه^(١).

فكان اختار النبي ﷺ عمرو ؓ بعناية فائقة يحفها الإتقان، لأنه كان من سادات قومه قبل الإسلام وبعده، ومن الطبيعي معرفة النجاشي برجال بني ضمرة، لذلك فإن قدرة عمرو ؓ على التأثير في النجاشي أكبر من قدرة أي شخص آخر غيره .

وقال السهيلي^(٢) أيضًا في بيان ما قال عمرو ؓ للنجاشي: "وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية فإنه لما قدم عليه قال له يا أصحمة إن علي القول وعليك الاستماع إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرًا قط إلا نلناه ولم نخفك على شيء إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وإن العيان له ليس بأشقى من الخبر عنه ولكن أعواني من الحبش قليل فأنظرنني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب"^(٣) .

فقد أجاد عمرو محاوره النجاشي لما سلمه كتاب رسول الله ﷺ، مخاطبًا إياه بألفاظ العبارات وأحسنها تأثيرًا في القلوب، فقد خاطب الصفات النبيلة في النجاشي، وهيج قلبه لما

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (ج١/٣٣٩) .

(٢) السهيلي ت (٥٨١ هـ): عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح. الإمام الحبر أبو القاسم، وأبو زيد، الخثعمي السهيلي، الأندلسي المالقي، النحوي، الحافظ . الذهبي، تاريخ الإسلام (مج ١٢/٧٣١)، رقم ٢٢ .

(٣) السهيلي، الروض الأنف (ج٦/٣٨٧) .

عرف عنه من التدين بالنصرانية، فما كان منه إلا أن تأثر بما جاء به عمرو من النبي ﷺ وشهد بصدق النبي ﷺ .

ثانياً: رسالة النبي ﷺ لإمبراطورية الروم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى^(١) لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ^(٢).

لقد جَوَّد النبي ﷺ الطريقة التي أرسل بها الرسالة إلى ملك الروم، حيث أنه لم يرسلها إليه مباشرة، وإنما دفعها إلى عظيم بصرى ليسلمه إياها .

وكانت هذه الطريقة حيلة من النبي ﷺ بذكاء وفتنة السياسي المحنك، لإجبار ملك الروم على التعامل الدبلوماسي والسياسي مع النبي ﷺ وفق الأعراف الدولية للحكام والملوك، فقد حرص النبي ﷺ أن تكون الرسالة ليست سرية، وليست مباشرة، لكي لا يستغل ملك الروم هيمنة دولته العظمى فيقتل رسول رسول الله ﷺ أو يتغافل عن رد رسمي للنبي ﷺ، ولذلك كان رده بإرسال الهدايا للنبي ﷺ وتصرف ببعض الأفعال أمام حاشيته حيث أظهر إسلامه أمام دحية ﷺ وأرسل برسالة للنبي ﷺ يعلن إسلامه^(٣)، فكذبه النبي ﷺ .

(١) بَصْرَى: بضم الباء الموحدة، وسكون الصاد المهملة، وراء مقصور: جاء ذكرها من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه مع عمه أبي طالب إلى الشام، فلما نزل الركب «بصرى» من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرى. . إلخ.

قلت: كانت بصرى مدينة حوران، وهي في منتصف المسافة بين عمان ودمشق، وهي اليوم آثار قرب مدينة «درعة» التي احتلت محلها حتى ظن بعض الناس أنها هي، وبصرى ودرعة داخل حدود الجمهورية السورية على أكيال من حدود المملكة الأردنية الهاشمية الشمالية . ابن عطية، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص ٤٤) .

(٢) [البخاري: صحيح البخاري، كتابُ الجهادِ والسَّيرِ/بابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّبُوءَةِ، وَأَنَّ لَا يَتَّخِذُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [آل عمران: ٧٩]، ص: ٧٢٤، رقم الحديث ٢٩٤٠] .

(٣) راجع: صحيح ابن حبان، حديث رقم ٤٥٠٤، حيث أن الحديث إسناده صحيح، رواه كلهم ثقافت.

ثالثاً: رسالة النبي ﷺ لمملكة الفرس

كذلك كان الأمر من النبي ﷺ في رسالته لمملكة فارس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ "بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى"، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى مَرْقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنْ يُمَرَّقُوا كُلُّ مَمَرَّقٍ"^(١).

يقول ابن سعد^(٢): "وَكَتَبَ كِسْرَى إِلَى بَادَانَ^(٣) عَامِلِهِ عَلَى الْيَمَنِ أَنْ ابْعَثْ مِنْ عِنْدِكَ رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بِالْحِجَازِ فَلْيَأْتِيَانِي بِخَبْرِهِ، فَبِعَثَ بَادَانُ قَهْرْمَانَهُ^(٤) وَرَجُلًا آخَرَ وَكَتَبَ مَعَهُمَا كِتَابًا، فَقَدِمَا الْمَدِينَةَ فَدَفَعَا كِتَابَ بَادَانَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَفَرَأَيْتُهُمَا تُزْعَدُ وَقَالَ: ارْجِعَا عَنِّي يَوْمَكُمْ هَذَا حَتَّى تَأْتِيَانِي الْعَدَا فَأُخْبِرَكُمَا بِمَا أُرِيدُ. فَجَاءَهُ مِنَ الْعَدَا. فَقَالَ لَهُمَا: أْبَلِغَا صَاحِبَكُمَا أَنَّ رَيِّ قَدْ قَتَلَ رَبَّهُ كِسْرَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِسَبْعِ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْهَا، وَهِيَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مَضِيَةٍ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ سَبْعٍ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنَهُ شَيْرَوِيهِ فَقَتَلَهُ، فَرَجِعَا إِلَى بَادَانَ بِذَلِكَ فَأَسْلَمَ هُوَ وَالْأَبْنَاءُ الَّذِينَ بِالْيَمَنِ"^(٥).

(١) [البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَحَادِيثِ/بَابُ مَا كَانَ يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالرُّسُلِ وَاجِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَيَّةِ الْكَلْبِيِّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى، أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، ص: ١٧٩٤، رقم الحديث [٧٢٦٤].

(٢) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله مولى بني هاشم وهو كاتب الواقدي سمع: سفيان بن عيينة، وإسماعيل ابن علية، ومحمد بن أبي فديك، وأبا حمزة أنس بن عياض، ومعن بن عيسى، والوليد بن مسلم، ومن بعدهم. وكان من أهل الفضل والعلم، وصنف كتابا كبيرا في طبقات الصحابة والتابعين والخالقين إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن روى عنه: الحارث بن أبي أسامة، والحسين بن فهم، وأبو بكر بن أبي الدنيا. البغدادي، تاريخ بغداد (مج ٣/٢٦٦)، رقم ٨٦٥.

(٣) بَادَانُ: باذان الفارسي من الأبناء وهم من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة، فأقاموا باليمن، وكان باذان بصنعاء، فأسلم في حياة النبي ﷺ وله أثر كبير في قتل الأسود العنسي، وقد أتينا على خبره في الكامل في التاريخ. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة (مج ١/٣٤٩)، رقم ٣٥٩.

(٤) قَهْرْمَانُ: هو كالحازن والوكيل والحافظ لما تحت يده، والقائم بأمور الرجل، بلغة الفرس. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ٤/١٢٩).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج ١/٢٢٣).

كان الرد النبوي مُجَوِّدًا وامتزناً بحكمة السياسي الخبير بعيد النظر، بعدما أُخبر ﷺ بأن كسرى فارس قد مزق كتابه ﷺ، فقد شقت الحكمة السياسية طريقها في صدر النبي ﷺ مستهدفاً طرفاً دولياً سيكون ركناً للدولة الإسلامية ألا وهو ركن اليمن، فكما ذكر ابن سعد أن النبي ﷺ أثبت نبوته وصدق دعوته من خلال إبلاغ باذان بمقتل كسرى على يد ولده بالتوقيت مضبوطاً.

خلاصة المبحث:

وفي ختام المبحث فإنني أخلص بأن هنالك علاقة وثيقة ومشاركة بين السياسة وإدارة الدولة تتمثل في أن:

- **السياسية:** هي تدبير شؤون الأمة في الداخل، بتوفير الأمن والطمأنينة والعيش الكريم، وحماية الحدود، وهي أيضاً تدبير شؤون الأمة مع الخارج -العلاقات الدولية-، بما يخدم المصالح المشتركة مع الأمم الأخرى على أساس الاحترام وتبادل الخير بين الجميع.
- **إدارة الدولة:** هي تنفيذ السياستين الداخلية والخارجية، بتوفير وسائل الإنجاز البشري والمادي.

فبذلك تكون العلاقة وطيدة، والأهداف مشتركة بين السياسة والإدارة لتحقيق مصالح الأمة وتأمين سلامتها داخلياً وعلى حدودها وخارجياً .

كذلك نسج العلاقات وقيادة مركب المسلمين إلى بر الأمان لا تكون إلا من قائد فذ ملهم، سجيته الحكمة، وديده التآني والحزم، بدمائة أخلاقه المستمدة من أخلاق النبوة.

المبحث الثالث

آثار تطبيق الجودة في السياسة وإدارة الدولة

تمهيد:

إن الآثار المترتبة على تطبيق الجودة في السياسة وإدارة الدولة تمثل تقييماً شاملاً لما سيترتب على تجويد تطبيقها في الحياة العملية للفرد المسلم والجماعة والدولة بشكل عام.

حيث أن تجويد السياسة التي تختص في حياة الناس العامة لها دور بارز في استقرار ورخاء المجتمع، أما تجويد إدارة الدولة بكافة مؤسساتها فإنها تعمل على تنظيم حياة الناس وقضاء حوائجهم.

ويتخلل المبحث مطلبين:

المطلب الأول هو بيان آثار تطبيق الجودة في السياسة، والمطلب الثاني هو بيان آثار تطبيق الجودة في إدارة الدولة.

المطلب الأول

آثار تطبيق الجودة في السياسة

إن عقلية النبي ﷺ الفذة والتي أهلتها ليكون قائداً سياسياً وعسكرياً ودعويّاً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً وإدارياً، وغير ذلك من الألقاب والصفات الاعتبارية الكبيرة والتي تُوجِّت بالنبوة؛ جعلت العدو قبل الصديق والبعيد قبل القريب يشهد ويُقدِّر جهد النبي ﷺ في تثبيت أركان الدعوة بدءاً بالتأسيس العقائدي وختاماً بإدارة دولة عقيدتها وشريعتها الإسلام .

فمن الشهادات الغربية لغير المسلمين بان الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ مُصلحٌ لكل زمان ومكان، فكانت هذه الشهادات حجة على المعاندين، يقول مايكل هارت^(١) في كتابه الخالدون المائة: "لقد اخترت محمداً ﷺ في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار -ومعهم حق في ذلك-، ولكن محمداً ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي، ... وربما بدا شيئاً غريباً حقاً أن يكون الرسول محمد ﷺ في رأس هذه القائمة، رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين، وربما بدا غريباً أن يكون الرسول ﷺ هو رقم واحد، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ثلاثة وموسى عليه السلام رقم ستة عشر؛ ولكن لذلك أسباب: من بينها أن الرسول محمداً ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية، .. والرسول محمد ﷺ هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية"^(٢) .

وإن الثمرة العظمى من إنقاذ النبي ﷺ سياسته للدولة الإسلامية هي خلود هذه الدعوة واستمرار الطلب عليها من مريديها، حتى بلغت تلك السياسية مشارق الأرض ومغاربها تحت

(١) مايكل هارت: ولد في ٢٨ أبريل ١٩٣٢م، وهو فيزيائي فلكي أمريكي، صاحب كتاب الخالدون المئة. يصف نفسه بأنه ذو توجهات سياسية فلسفية كتلك التي لدى جيفرسون بينما يصفه منتقدوه أنه محافظ وانفصالي عرقي عنصري، ومتزوج وله ولدان. المصدر: ويكيبيديا (مايكل هارت) .

(٢) مايكل هارت، الخالدون المائة (ص ١٣، ١٦، ١٧) .

عنوان (مدرسة محمد ﷺ السياسية)، وإن الآثار التي تترتب على تجويد النبي ﷺ للسياسة، ذكرًا لا حصرًا، تتنمل في الآتي:

- ١- ترسيخ مبدأ الشورى، التي هي أصل في السياسة واتخاذ القرارات السياسية والعمل بمفهوم (تعدد الأفكار المنمّرة ينأتى بتعدد العقول وتعدد الأفهام) .
- ٢- اكتساب المسلم السياسي الخبرة المُحكمة، من خلال العمل بالمفاهيم السياسية بالرؤية النبوية .
- ٣- تقدير الأمور ووضعها في نصابها، دون أن يكون هنالك قرارات ارتجالية غير محسوبة.
- ٤- التمكن من تلافي الأخطار المحدقة بالأمة من أي كيان كائن .
- ٥- تقدير إمكانات الدولة على جميع الأصعدة، عسكريًا وسياسيًا وأمنيًا .
- ٦- بُعد النظر وتوقع السيناريوهات المستقبلية للعملية السياسية وما ستؤول إليه الأمور، وفي قصة أبي بصير خير دليل، حيث أن النبي ﷺ لم يكن قد وقّع على الصلح أي أنه لم ينعقد، فجاءه أبو بصير مسلمًا وكان من ضمن بنود الاتفاق أن يرد من جاء مسلمًا من مكة، وفي ذلك جاء عند البخاري عن المسور بن مخرمة، ومروان، يُصدّق كل واحدٍ منهما حديث صاحبه، قالوا: فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستلّه الآخر، فقال: أجل، والله إنه لحيد، لقد جرت به، ثم جرت به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: "لقد رأى هذا دُعرًا" فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله نمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: "ويل أمه مسعر حرب، لو كان له أحد" فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر

قَالَ: وَيَنْقَلِبُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ فُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِفُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَفَتَلَوْهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ فُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أُرْسِلَ، فَمَنْ أَنَاهُ فَهُوَ آمِنٌ^(١).

٧- الارتقاء بالدولة إقليمياً مهما كانت مساحتها، من خلال العلاقات الدولية على الصعيدين المحلي والإقليمي .

٨- نسج العلاقات الدبلوماسية من خلال الوفود والسفراء كما في الهجرتين الأولى والثانية للحبشة .

٩- مواجهة التحديات بالحكمة ورجاحة العقل وكسب أطراف معادية لصالح الدولة، من خلال الدراسة الإقليمية لمحيط الدولة والأفراد القائمين على السياسة العامة للدول المجاورة.

١٠- إقامة الأحلاف السياسية التي تدعم المواقف الموحدة للجهة المتحالفة .

١١- السيطرة على مفاصل العمل السياسي للدول المجاورة وتحديد السياسات العامة لها في التعامل مع الدولة الإسلامية من خلال فرض السيادة على الحدود والأرض .

١٢- تنظيم العلاقات واتخاذ القرارات وفق القدرات المادية والإمكانات المتاحة للدولة الإسلامية .

١٣- الاستفادة النظرية في تقنين الشريعة وتحديد لغة الخطاب وفق السياسة الإقليمية.

(١) سبق تخريجه، (ص ١٢٥) .

المطلب الثاني

آثار تطبيق الجودة في إدارة الدولة

ترتبط إدارة الدولة ارتباطاً وثيقاً في السياسة المحلية للدولة والتي بُنيت سياستها المحلية وفقاً للسياسة الإقليمية، ولذلك كان استقرار الدولة إدارياً وسياسياً مرتبطاً باستقرار دول الجوار.

وإن الحنكة الإدارية لسياسة الدولة تتقل الدولة من مرحلة التطور إلى مرحلة النضوج، حيث أن الإداري المميز هو من ينتقل ببلده من الاستهلاك إلى الإنتاج ومن العالة إلى المعيل، ولنا في يوسف عليه السلام مثلاً في تميزه وتجويده لإدارة الموارد المتاحة كما سبق ذكره .

ولحسن الإدارة وتجويدها آثار تترتب عليها، وترتقي بها الدولة ذكراً لا حصراً، ومنها

الآتي:

- ١- تطور قدرات الدولة الانتاجية في شتى المجالات المدنية والعسكرية والأمنية.
- ٢- الخلاص من الفساد الإداري الذي يترتب عليه انهيار الدول.
- ٣- قوة اقتصاد الدولة، وذلك يعني قدرتها على الاكتفاء الذاتي من الانتاج المحلي أو القدرة على التصدير للخارج، سواء أكان هذا المنتج مادياً كالسلع الاستهلاكية، أو معنوياً كالثقافة والعلوم والابتكارات .
- ٤- العدالة الاجتماعية، بين الأغنياء والفقراء، وبين الأقوياء والضعفاء، وبين الأصحاء وذوي الاحتياجات الخاصة .
- ٥- إنجاز المهام والأعمال على الوجه المطلوب، دون أن تشوبها شائبة النقص أو التقصير .
- ٦- تحقيق أعلى مستوى من التقدم على المستوى الإقليمي في النواحي: السياسية والعسكرية و الاجتماعية المحلية .
- ٧- جعل الدولة محط أنظار الاستثمار، لما للاستقرار الإداري فيها من أثر.
- ٨- توزيع الأدوار الوظيفية على أفراد الدولة بما يزيل البطالة من الشارع .
- ٩- تنصيب الموظف المناسب في المكان المناسب دون محاباة أو محسوبية .

١٠- القضاء على الاستغلال المحلي أو الخارجي من المغرضين للعبث في الوطن.

١١- الحفاظ على مقدرات الدولة .

خلاصة المبحث:

إن الآثار المترتبة على تطبيق الجودة في السياسة وإدارة الدولة كما ذكرت في التمهيد تمثل تقييماً شاملاً لما سيترتب على تجويد تطبيقها في الحياة العملية للفرد المسلم والجماعة والدولة بشكل عام.

ولأن السياسة عامة بين الفرد والمجتمع فإن آثارها تكون ممتزجة بينهما، وتتلخص آثار تجويد السياسي في كونها ترسخ مبدأ الشورى الذي يكتسب منها المسلم خبرة سياسية للتعامل مع الخصوم السياسيين، كما أنها تزيد من القدرة تقدير الأمور ووضعها في نصابها الحقيقي الذي يناسبها لتلافي أي خطر يُحدق بالدولة وحمايتها للارتقاء بها إقليمياً، لتستطيع نسج علاقات دبلوماسية واسعة تقوم على التحالفات التي تعزز الواقع الإقليمي للدولة، والتأثير في الواقع السياسي العالمي.

كما أن إدارة الدولة لها ارتباط وثيق بالسياسة، لأن إدارة الدولة يتحدد كنهها من خلال السياسة العامة للدولة المتعلقة بالسياسة الإقليمية، وتتلخص آثار تطبيق الجودة في إدارة الدولة من خلال ما ينتج عن هذا التجويد، ليكون من نتاج الدولة أن تتطور قدرات الدولة الانتاجية، والذي ينم عن اندثار أي فساد إداري، وبناء صرح اقتصادي قوي للدولة يعمل على اكتفائها ذاتياً، مما يحقق العدالة الاجتماعية، الأمر الذي يحفز على الإنجاز و تحقيق أعلى مستوى من التقدم على المستوى الإقليمي في جميع النواحي، مما يجعل الدولة محطاً أنظار الاستثمار، ليتم بذلك توزيع الأدوار الوظيفية، ليكون الموظف المناسب في المكان المناسب، والقضاء على الاستغلال المحلي أو الخارجي من المغرضين للعبث في الوطن، مما يعين في الحفاظ على مقدرات الدولة من الهدر لتكون دولة قائمة على أسس سياسية منظمة تصلب عودها عليها.

وفي الختام، فما كان من توفيق فمن الله ﷻ وحده لا شريك له، ثم من توجيهات مشرفي الفاضل، وما كان من خطأ أو زلل فمن نفسي ومن الشيطان، أعاذني الله وإياكم منه. فأسأل الله العلي العظيم، أن يجعل هذا العمل مخلصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله مني، وأن يتجاوز عني فيما زللت فيه، وأن يستخدم هذا العمل في خدمة الإسلام والمسلمين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، هو ربنا عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير وحسبنا ربنا أن يوتينا خيراً .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).



(١) [الصفات: ١٨٠-١٨٢] .

الخاتمة

الحمد لله من قبل ومن بعد، أن أتممت هذه الرسالة العلمية بعد بحث مستفيض ودراسة انتقائية ذات طابع استنباطي تحليلي، فقد بذلت فيها كل ما أعانيه الله ﷻ به من جهد و طاقة، تكلفت بهذا الناتج الذي أسأل الله ﷻ أن يكون عنده عظيمًا، وأسأل الله أن يستخدمني وعلمي في خدمة دينه وأن يزيدني من تقواه وهداه.

وبعد هذا الجهد الكبير، كان لا بد أن تختتم الرسالة بجملة من النتائج والتوصيات، التي توصلت إليها من خلال هذا البحث "الجودة في ضوء السنة النبوية".

أولاً: النتائج

- ١- إن تجويد الإيمان يعد انطلاقة للمسلم لتجويد حياته العملية في شتى المجالات الدينية و الدنيوية.
- ٢- لا يمكن أن يوجد الإيمان دون الفهم.
- ٣- الأخلاق أساس في كل المعاملات التي يسعى المسلم فيها لرضا الله ﷻ.
- ٤- الأخلاق لا تتفصل عن الإيمان، بل هي جزء لا يتجزأ منه، وإن مرآة إيمان المؤمن أخلاقه.
- ٥- الجودة الحقيقية لا تظهر في الشعارات، وإنما في التطبيق العملي لها في العبادات تقريبًا إلى الله ﷻ، وفي المعاملات بكافة أنواعها.
- ٦- الاطمئنان الإيماني الكامل يكون بأداء العبادة على الوجه الذي وجه النبي ﷺ إليه.
- ٧- السعي إلى تطبيق الجودة في المعاملات يحتاج إلى مجاهدة النفس وكبح جماحها عن التقصير في حق كل ذي حق.
- ٨- تحقيق خلق الإحسان بمراقبة الله ﷻ من خلال تجويد الإيمان به ﷻ.
- ٩- الصبر وطول النفس في تحمل مشاق الدعوة سبب في الظهور والهيمنة.
- ١٠- نجاح الدعوة لا يكون إلا بإعلام قوي يدعمها.

- ١١- الإعلام سلاح فتاك للدول القوية، فمن خلاله يتم برمجة المجتمع على الرؤية التي تريدها الدولة.
- ١٢- القوة الإعلامية تختصر الكثير من الوقت والجهد والمال في إيصال أي رسالة أو فكرة يراد إيصالها لأي جهة كانت.
- ١٣- السياسة الدولية تعتمد على الذكاء والفتنة وتقدير المواقف بشكل آني.
- ١٤- اتخاذ القرارات السياسية يحتاج إلى فكر عميق، وامتلاك فن السيطرة على المواقف المفاجئة، دون ردات فعل.
- ١٥- التخطيط الاستراتيجي هو الأساس في النجاح الإداري.
- ١٦- اتباع الخطط المرسومة إدارياً يحافظ على مقدرات الدول من الإهدار، ويقدم النموذج المتوقع.

هذا مما منَّ الله عليَّ به من نتائج استنبطتها من خلال دراستي وبحثي.

ثانياً: التوصيات

- ١- أفراد كل مطلب من المطالب ببحث في الجودة في ضوء السنة النبوية.
- ٢- التطعيم السياسي للمناهج الدراسية بما يتناسب مع المراحل التعليمية.
- ٣- الاستفادة من سياسات النبي ﷺ (الاقتصادية، والعسكرية، والمدنية، والمجتمعية) من خلال القراءة المستفيضة لكتب السيرة والتاريخ.
- ٤- اتباع الهدي النبوي في الدعوة بالأساليب والوسائل التي استخدمها النبي ﷺ في دعوته.
- ٥- الحرص على الجانب الإعلامي في نشر السنة لما له من دور كبير في تثبيت الفهم السليم لها بين العوام من الناس.
- ٦- التدرج التعليمي من خلال التعليم النظري للعقيدة الإسلامية والعبادات والمعاملات، وغيرها، ومن ثمَّ السعي إلى تطبيق الجودة فيها.

الفهارس العامة

أولاً

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أبو حنيفة، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه. (١٩٩٩م). *الفقه الأكبر*. ط١. دبي: مكتبة الفرقان .

أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. (٢٠٠٩م). *سنن أبي داود*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط١. بيروت: دار الرسالة العالمية.

أبو زيد، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد. (١٩٨٧م). *طبقات النسابين*. ط١. الرياض: دار الرشد .

أبو النجا، اللجنة العلمية بجمعية الترتيل بإشراف محمد عبد العزيز أبو النجا. (٢٠١١م). *العلمانية - الليبرالية - الديمقراطية - الدولة المدنية في ميزان الإسلام*. تقديم: محمد نعيم محمد هاني الساعي. ط٣. الناشر: جمعية الترتيل للخدمات الثقافية والدينية .

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. (١٩٧٩م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي. ط١. بيروت: المكتبة العلمية .

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير. (١٩٩٤م). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم. (١٩٥٢م). كتاب الجرح والتعديل. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم. (١٩٩٨م). كتاب المراسيل. تحقيق: شكر الله نعمة الله قوجاني. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة .

ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. (١٩٨٩م). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١. الرياض: مكتبة الرشد .

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز. (٢٠٠٨م). تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام. ط٤. السعودية: مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية .

ابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك. (٢٠٠٣م). شرح صحيح البخاري. لابن بطلال. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (١٩٩٦م). الإيمان. ط٥. بيروت: المكتب الإسلامي .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (١٤٠٦هـ). كتاب الصفة. تحقيق: محمد رشاد سالم. القاهرة: مكتبة ابن تيمية .

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (١٩٩٥م). مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط١. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج. (١٩٧٦م). الوفا بأحوال المصطفى. تحقيق: محمد زهري النجار. الرياض: المؤسسة السعودية .

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي. (١٩٧٣م). كتاب الثقات. إشراف: محمد عبد المعيد خان. ط١. الهند، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية .

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي. (١٩٨٨م). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (١٩٨٦م). تقريب التهذيب. تحقيق: محمد عوامة. ط١. دمشق: دار الرشيد .

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (١٣٧٩هـ). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. بيروت: دار المعرفة .

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (٢٠٠١م). هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد القادر شيبه الحمد. ط١. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (١٩٩٥م). الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني. (١٤١٩هـ). المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية. تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري. ط١. السعودية: دار العاصمة، دار الغيث.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري. (١٩٨٣م). جمهرة
أنساب العرب. تحقيق: لجنة من العلماء. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (٢٠٠١م). مسند
الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد. ط١. بيروت: مؤسسة
الرسالة .

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي.
(١٩٩٤م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار
صادر .

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم
الدمشقي، الحنبلي. (١٩٩٦م). فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق: مكتب تحقيق
دار الحرمين - القاهرة. ط١. المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية .

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف
بابن سعد. (٢٠٠١م). الطبقات الكبرى. تحقيق: علي محمد عمر. ط١. القاهرة: مكتبة
الخانجي.

ابن السكيت، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (٢٠٠٢م). إصلاح المنطق. ط١.
بيروت: دار إحياء التراث العربي .

ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمر، تقي الدين المعروف بابن الصلاح.
(١٩٨٦م). علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح. تحقيق: نور الدين عتر. دمشق:
دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر .

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.
(١٩٨٩م). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى بن أحمد
العلوي، محمد عبد الكبير البكري. المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية .

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.
(١٩٩٢م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد الجاوي. ط١. بيروت:
دار الجيل .

ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي. (١٤٠٤هـ). العقد الفريد. تحقيق: د. مفيد محمد قميحة.
ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي. (١٤٢١هـ). شرح
العقيدة الواسطية. اعتنى به: سعد بن فواز الصميل. ط٦. السعودية: دار ابن الجوزي .

ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي. (٢٠٠٣م). شرح
ثلاثة الأصول. تحقيق: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان. ط٣. السعودية: دار الثريا.

ابن عدي، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. (١٩٩٧م). الكامل في ضعفاء
الرجال. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. ط١. بيروت: الكتب
العلمية .

ابن العراقي، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي
الدين، ابن العراقي. (١٩٩٩م). تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل. تحقيق: عبد الله
نواره. ط١. الرياض: مكتبة الرشد .

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر. (١٩٩٥م). تاريخ دمشق.
تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. دمشق: دار الفكر .

ابن عطية، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي.
(١٩٨٢م). معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. ط١. مكة المكرمة: دار مكة،

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي.
(٢٠٠٣م). أحكام القرآن. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط٣. بيروت: دار الكتب
العلمية.

ابن الغزي، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي. (١٩٩٠م). ديوان
الإسلام. تحقيق: سيد كسروي حسن. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا. (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام
محمد هارون، دمشق: دار الفكر .

ابن فتوح، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله
بن أبي نصر. (١٩٩٥م). تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: زبيدة
محمد سعيد عبد العزيز. ط١. القاهرة: مكتبة السنة.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية.
(١٩٩٦م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد المعتصم
بالله البغدادي. ط٣. بيروت: دار الكتاب العربي .

ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي.
(١٤١٨هـ). معجم الصحابة. تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي. ط١. المدينة المنورة:
مكتبة الغرباء الأثرية .

ابن قُطُوبَعَا، أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطُوبَعَا السُّودُونِي (نسبة إلى معتق أبيه سودون
الشيخوني) الجمالي الحنفي. (٢٠١٠م). الثقات ممن لم يقع في الكتب السنة. تحقيق:
شادي بن محمد بن سالم آل نعمان. ط١. صنعاء: مركز النعمان للبحوث والدراسات
الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة .

ابن الكيال، بركات بن أحمد بن محمد الخطيب، أبو البركات، زين الدين ابن الكيال.
(١٩٩٩م). الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات. تحقيق: عبد القيوم
عبد رب النبي. ط٢. مكة المكرمة: المكتبة الأمدادية .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (١٩٩٩م).
تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢. الرياض: دار طيبة .

ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد. (٢٠١٤م).
سنن ابن ماجه. تحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات. ط١. القاهرة: دار التأسيس.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي
الإفريقي. (١٤١٤هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر .

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين.
(١٩٩٠م). السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط٣. بيروت: دار
الكتاب العربي .

ابن يونس، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدي، أبو سعيد. (٢٠٠٠م). تاريخ ابن يونس
الصدي. تحقيق: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي. (١٩٨٩م). الرسل والرسالات. ط٤.
الكويت: دار النفائس .

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني.
(١٩٩٨م). معرفة الصحابة. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط١. الرياض: دار الوطن
للنشر .

الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. (١٤١٢هـ). المفردات في غريب
القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط١. بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية .

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني. (١٩٩٢م). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. ط١. الرياض: دار المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. (٢٠٠٢م). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. ط١. دمشق - بيروت: دار ابن كثير .

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. (١٩٩٨م). الأدب المفرد. تحقيق: سمير بن أمين الزهيري. ط١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. (١٩٨٦م). التاريخ الكبير. تحقيق: محمد عبد المعيد خان. الهند، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية .

البيزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكي المعروف بالبيزار. (١٩٨٨م). البحر الزخار المعروف بمسند البيزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨). ط١. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم .

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. (٢٠٠١م). تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد. تحقيق: بشار عواد معروف. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

البيغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البيغوي الشافعي. (١٩٨٣م). شرح السنة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش. ط١. دمشق، بيروت: المكتب الإسلامي .

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي. (١٤٠٣هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط٣. بيروت: عالم الكتب .

البوطي، محمد سعيد رمضان البوطي. (١٤٢٦هـ). *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*. ط٢٥. دمشق: دار الفكر.

بييز، آلان و باربارا بييز. (٢٠٠٨م). *المرجع الأكيد في لغة الجسد*. (ترجمة مكتبة جرير). السعودية: مكتبة جرير.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. (١٩٧٥م). *الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة (ج ٤، ٥). ط٢. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي .

التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري. (٢٠٠٩م). *موسوعة الفقه الإسلامي*. ط١. الرياض: بيت الأفكار الدولية .

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ. (١٩٩٨م). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٧. القاهرة: مكتبة الخانجي .

الجدع، أحمد الجدع. (٢٠٠٠م). *معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين*. عمان: دار الضياء. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. (١٩٨٣م). *معجم التعريفات*. تحقيق: محمد صديق المنشاوي. الرياض: دار الفضيلة .

الجندي، أنور الجندي. (١٩٨٠م). *الموسوعة الإسلامية العربية - المجلد ٥ - الإسلام وحركة التاريخ*. ط١. بيروت: دار الكتاب اللبناني، القاهرة: دار الكتاب المصري.

الجهني، د. مانع بن حماد الجهني. (١٤٢٠هـ). *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*. إشراف: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤. الناشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. (١٩٩٠م). *المستدرک علی الصحیحین*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية .

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. *تاريخ نيسابور*. المترجم: بهمن كريمي. الناشر: كتابخانه ابن سينا . تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري .

الحلايقة، عادة الحلايقة. (٢٠١٧م، ٢ يوليو). *ما هي الحكومة الائتلافية*. تاريخ الاطلاع: (٣١ يوليو ٢٠١٧م). الموقع: <http://cutt.us/M6D88> .

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (١٩٩٣م). *معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (١٩٩٥م). *معجم البلدان*. ط٢. بيروت: دار صادر .

الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. (١٩٩٤م). *مفاتيح للتعامل مع القرآن*. ط٢. دمشق: دار القلم .

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي. (١٩٣٢م). *معالم السنن*. تحقيق: محمد راغب الطباخ. ط١. حلب: المطبعة العلمية .

الخليلي، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني. (١٩٨٩م). *الإرشاد في معرفة علماء الحديث*. تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس. ط١. الرياض: مكتبة الرشد .

الخن وآخرون، الدكتور مصطفى الخن، الدكتور مصطفى البغا، علي الشرجي. (١٩٩٢م).
الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي. ط٤. دمشق: دار القلم .

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار
البغدادي الدارقطني. (١٩٨٥م). العلل الواردة في الأحاديث النبوية. تحقيق: محفوظ
الرحمن زين الله السلفي. ط١. الرياض: دار طيبة .

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي،
التميمي السمرقندي. (٢٠٠٠م). مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي). تحقيق: حسين
سليم أسد الداراني. ط١. الرياض: دار المغني .

الدواليبي، محمد معروف الدواليبي. (١٩٨٢م، ٧-١٠ ديسمبر). الدولة والسلطة في الإسلام.
بحث ألقى في الندوة الدولية. باريس. اليونسكو.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. (١٩٨٢م).
سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. (١٩٩٢م).
الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر
الخطيب. ط١. جدة: مؤسسة علوم القرآن.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي. (٢٠٠٣م).
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد معروف. ط١. بيروت: دار
الغرب الإسلامي .

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي. (٢٠٠٢م).
الأعلام. ط١٥. بيروت: دار العلم للملايين .

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. (٢٠٠٩م). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. تحقيق: خليل مأمون شيحا. ط٣. بيروت: دار المعرفة .
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. (١٩٧١م). *الفائق في غريب الحديث*. تحقيق: علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢. القاهرة: عيسى البابي الحلبي.
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي. (٢٠٠٩م). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط١٠. دمشق: دار الفكر .
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي. (١٩٨٥م). *الفقه الإسلامي وأدلته*. تحقيق: وهبة بن مصطفى الزحيلي. ط٢. دمشق: دار الفكر.
- السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل. (١٩٧٨م). *مشارك الأثوار على صحاح الآثار*. القاهرة: دار التراث.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (٢٠٠٢م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة .
- السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد. (١٩٦٢م). *الأنساب*. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني. ط١. الهند، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية .
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (١٩٢٧م). *نظم العقيان في أعيان الأعيان*. تحقيق: فيليب حتي. بيروت: المكتبة العلمية.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (١٩٩٦م). *الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج*. تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري. ط١. الخُبَر: دار ابن عفان .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (١٩٧٤م). *الإتقان في علوم القرآن*. تحقيق: مركز الدراسات القرآنية. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي. (١٩٧٢م). *خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى*. المدينة المنورة: المكتبة العلمية .

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي. (١٤١٢هـ). *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية*.

الشابي، أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي، شاعر تونسي. (٢٠٠٥م). *ديوان أبو القاسم الشابي*. تقديم وشرح: أحمد حسن بسج. ط٤. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. (١٤١٧هـ). *الموافقات*. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. ط١. الخَبَر: دار ابن عفان.

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (١٩٩٧م). *تفسير الشعراوي*. مصر: مطابع أخبار اليوم.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي. (١٩٩٨م). *أعيان العصر وأعوان النصر*. تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عظمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد. تقديم: مازن عبد القادر المبارك. ط١. دمشق: دار الفكر، بيروت: دار الفكر المعاصر .

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي. (٢٠٠٠م). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرنبوط، تركي مصطفى. ط١. بيروت: دار إحياء التراث .

الصلابي، علي محمد الصلابي. (٢٠١٣م). *أركان الإيمان*. ط١. القاهرة: دار التوزيع والنشر.

الصلابي، علي محمد محمد الصلابي. (٢٠٠٨م). *السيرة النبوية، عرضٌ وقائعٌ وتحليلٌ أحداث*. ط٧. بيروت: دار المعرفة.

الضحيان، عبد الرحمن بن إبراهيم الضحيان. (١٩٩١م). الإدارة والحكم في الإسلام الفكر والتطبيق. ط٣. أبها، السعودية.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي. (١٩٩٤م). شرح مشكل الآثار. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة .

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (١٩٩٥م). المعجم الأوسط. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. القاهرة: دار الحرمين .

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (١٩٩٤م). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري. (١٣٨٧هـ). تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢. مصر: دار المعارف .

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري. (١٩٨٣م). تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار. تحقيق: محمود محمد شاكر. القاهرة: مطبعة المدني.

الطنطاوي، عبد الله بن محمود الطنطاوي. (٢٠٠١م). اللواء الركن - محمود شيث خطاب - المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه (محمود شيث خطاب). ط١. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

العجلوني، إبراهيم طه العجلوني. إدارة الجودة الشاملة في الإسلام. ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر العربي الأول حول جودة الجامعات ومتطلبات الترخيص والاعتماد. (pdf). الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة .

العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي. (٢٠٠٥م). عون المعبود شرح سنن أبي داود. تحقيق: أبو عبد الله النعماني الأثري. ط١. بيروت: دار ابن حزم.

العلائي، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي، (١٩٩٦م). المختلطين. تحقيق: د. رفعت فوزي عبد المطلب، علي عبد الباسط مزيد، ط١. القاهرة: مكتبة الخانجي.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني. (٢٠٠١م). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

الغنيان، عبد الله بن محمد الغنيان. (١٤٠٥هـ). شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. ط١. المدينة المنورة: مكتبة الدار .

الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. (١٩٩٠م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.

الفتلاوي، سهيل حسين الفتلاوي. (٢٠٠٥م، ٦ نوفمبر). موقع الدكتور سهيل حسين الفتلاوي. تاريخ الاطلاع: (١٣ يناير ٢٠١٧م). الموقع: <http://m233.blogspot.com> .

الفتلاوي، سهيل حسين الفتلاوي. (٢٠٠١م). دبلوماسية النبي ﷺ. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي .

الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. (١٩٨٥م). كتاب العين. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال .

الفيروزآبادي، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (١٩٩٨م). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي. ط٦. بيروت: مؤسسة الرسالة .

القاري، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري. (٢٠٠١م). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. تحقيق: جمال عيتاني. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية .

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. (١٩٥٧م). تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط١. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية .

القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل. (١٩٨٤م). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الكتاب العربي .

القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني. (١٤١٥هـ). مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق. ط١. الرياض: مطبعة السفير .

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (٢٠٠٣م). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري. ط٢. الرياض: دار عالم الكتب.

القرعاوي، ديوانية الشيخ عبد الله القرعاوي. (٢٠١٥م، ١٨ ديسمبر). الهدي النبوي في السياسة. تاريخ الاطلاع: (١٤ أبريل ٢٠١٧).

الموقع: <https://www.youtube.com/watch?v=4VknAc8F118> .

القرني، عائض بن عبد الله القرني. (د. ت). لا تحزن. ط ٢. السعودية: مكتبة العبيكان.

القرني، فصيح الحجار الشيخ علي القرني. (٢٠١٤، ٢٧ مارس). شجاعة النبي ﷺ في غزوة حنين، مقطع صوتي على [youtube]. تاريخ الاطلاع: (٢ يناير ٢٠١٧). الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=GzStb8HmHkE>

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين. (١٣٠٤هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ط ٦. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية .

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي. (١٩٨٢م). قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان. تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط ٢. القاهرة: دار الكتاب المصري.

المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. (١٩٩٠م). تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية .

المزجاجي، أحمد بن داود المزجاجي الأشعري. (٢٠٠٠م). مقدمة في الإدارة الإسلامية. ط ١. جدة، السعودية .

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي. (١٩٨٣م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق: بشار عواد معروف. ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة .

المنائي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المنائي القاهري. (١٩٩٠م). التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان. ط ١. القاهرة: عالم الكتب .

الموصلية، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي،
الموصلية. (١٩٨٧م). مسند أبي يعلى الموصلية. تحقيق: حسين سليم أسد. ط١. دمشق:
دار المأمون للتراث .

النايلسي، محمد راتب النايلسي. الدرس (٢٤-٦٣) (١٩٨٧م، ٢٢ فبراير). الإيمان بالأنبياء
والرسل، وبما أنزل عليهم. تاريخ الاطلاع: ١٧ يوليو ٢٠١٦م.

الموقع:

<http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=361&id=55&sid=56&ssid=79>

النجدي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي. (١٣٩٧هـ). حاشية
الروض المربع شرح زاد المستقنع. ط١. (د. ن).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي. (٢٠٠١م). كتاب
السنن الكبرى. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بإشراف شعيب الأرنؤوط. ط١. بيروت:
مؤسسة الرسالة.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي. (١٩٢٩م). المنهاج شرح صحيح مسلم بن
الحجاج. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي .

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف النووي. تهذيب الأسماء واللغات. القاهرة: إدارة الطباعة
المنيرية.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. (د. ت). مَجْمَعُ الرُّوَائِدِ
وَمَنْبَعُ الْقَوَائِدِ. تحقيق: حسام الدين القدسي. (د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي.
(١٩٨٩م). مغازي رسول الله ﷺ. تحقيق: مارسدن جونز. ط٣. بيروت: دار الأعلمي .

- حسان، محمد بن إبراهيم بن حسان. (٢٠١٠م). الإحسان. ط١. المنصورة: مكتبة فياض .
- حسين، صاحب حسين. (١٩٧٨م، ٧ أغسطس). الإعلام والإعلام المضاد. منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية. العدد (١٧). ص ٢٠، ٢١ .
- حجازي، سليم عبد الله حجازي. (١٩٨٦م). منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية. ط١. جدة: دار المنارة .
- خطاب، محمود شيت خطاب. (٢٠٠٢م). الرسول القائد. ط٦. بيروت: دار الفكر .
- خطاب، محمود شيت خطاب. (١٩٧٥م). دروس في الكتمان من الرسول القائد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- خلاف، عبد الوهاب خلاف. (١٩٨٨م). السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية. الرياض: دار القلم .
- دوزي، رينهارت بيتر آن دوزي. (١٩٧٩م). تكملة المعاجم العربية. ترجمة: محمد سليم النعيمي (ج١-٨)، جمال الخياط (٩-١٠). الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام. (١٩٧٩م).
- سابق، السيد سابق. (٢٠٠٠م). العقائد الإسلامية. ط١٠. القاهرة: الفتح للإعلام العربي .
- صفي الرحمن، صفي الرحمن المباركفوري. (٢٠١٠م). الرحيق المختوم. ط٢١. المنصورة: دار الوفاء .
- عمر وآخرون، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل. (٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١. بيروت: عالم الكتب .
- عيشوني، محمد عيشوني. (٢٠٠٤م). ورقة بحثية بعنوان مفاهيم أساسية عن الضبط الشامل للجودة و إدارة الجودة الشاملة .

قاسم، حمزة محمد قاسم. (١٩٩٠م). *منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري*. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، بشير محمد عيون. دمشق: مكتبة دار البيان، الطائف: مكتبة المؤيد .

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. (١٤١٢هـ). *في ظلال القرآن*. ط١٧. القاهرة: دار الشروق.

قنبيبي و قلعجي، محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنبيبي. (١٩٨٨م). *معجم لغة الفقهاء*. ط٢. بيروت: دار النفائس .

محمد، عمر. (٢٠١٦م، ١٤ فبراير). *المقامات العربية الأصلية*. تاريخ الاطلاع: ٢٠ يونيو ٢٠١٦ .

الموقع: مدونة http://music311world.blogspot.com/2016/02/blog-post_14.html .

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. (٢٠٠٦م). *صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ*. تحقيق: نظر محمد الفيبرابي. ط١. الرياض: دار طيبة .

مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (٢٠٠٤م). *المعجم الوسيط*. ط٤. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

مهدي أحمد، مهدي رزق الله أحمد. (١٩٩٢م). *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية*. تقديم: زيد عبد المحسن آل حميد. ط١. السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

نبيل، سارة نبيل. (٢٠١٥م، ١٤ أكتوبر). *المواصفة القياسية الدولية لمصطلحات الجودة*. تاريخ الاطلاع: ١٧ يونيو ٢٠١٦ .

الموقع: <https://hrdiscussion.com/hr106986.html> .

هارت، مايكل هارت. (١٩٧٨م). *الخالدون المائة*. أنيس منصور. مصر: المكتب المصري الحديث.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. آخر تعديل على الصفحة (٢٠١٧م، ١ يوليو). مايكل هارت. تاريخ الاطلاع: (١٧ يوليو ٢٠١٧م). الموقع: <http://cutt.us/VPQy7>.



ثانياً

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	ر
الفاحة			
٢٦	٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	.١
٣٦	٦-٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	.٢
٤٣	٥-٢	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..﴾	.٣
البقرة			
٢	١٣٢-١٣٠	﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ...﴾	.٤
٣٠	١١٧	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾	.٥
٢١٩ ، ٥٥	٢٨٥	﴿عَٰمِنَ الرُّسُولِ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾	.٦
٨١ ، ٦٥	١٣٦	﴿قُولُوا ۗ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن قَبْلِهِ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	.٧
٨٢	٢٥٣	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾	.٨
١٥٢ ، ١٠٠	٤-٢	﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾	.٩
١١١	١٩٧	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾	.١٠
١٥٥	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	.١١
١٥٥	١٩٥	﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	.١٢

١٥٥	٢٧٦	﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	١٣
١٧٣	٤٣	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾	١٤
١٨١	٢٦٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	١٥
١٩٣	٢٧٥	﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾	١٦
٢٢٦	٤٤	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...﴾	١٧
٣٠٦	١٩٠	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا...﴾	١٨
٣٠٦	١٩٤	﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ...﴾	١٩
٣٢٢	٢٨٦	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	٢٠
٣٤٤	٢٨٢	﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾	٢١
آل عمران			
٢	١٠٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ...﴾	٢٢
٢٩	٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾	٢٣
٦٦	٥٠	﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم...﴾	٢٤
٧٨	٥٥	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ...﴾	٢٥
٨٣	١١٢	﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَةَ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ...﴾	٢٦
٢٦٣	١٤٣-١٣٨	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾	٢٧
٣٠٩، ٢٩٧	١٥٩	﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	٢٨

النساء			
٣٩، ٢٦	١٢٥	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	٢٩.
٣٦٥، ٧٣	٥٩	﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾	٣٠.
٧٨	٤٦	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...﴾	٣١.
٨١	١٥١-١٥٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ...﴾	٣٢.
١٥٥	٣٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	٣٣.
٣٠٦	٩٠-٨٨	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَّكَسَهُمْ...﴾	٣٤.
٣٦٤	٥٩-٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾	٣٥.
المائدة			
٦٦، ٦٥	٤٨	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	٣٦.
٨٦	٦٧	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾	٣٧.
٩٠	٦٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ...﴾	٣٨.
١٣٨	٥٤	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ...﴾	٣٩.
١٥٣، ١٣٩، ١٣٨	٥٤	﴿أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٠.
٢٣٠	٤١	﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ...﴾	٤١.
٣١٢	٨	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ...﴾	٤٢.
٣٦٦	٦	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا...﴾	٤٣.

الأَنْعَامُ			
٢	٧٩-٧٨	﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ...﴾	.٤٤
٢٠٦، ٢٦	١٦٣-١٦٢	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ...﴾	.٤٥
٥١	١٠٣	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	.٤٦
٨٤	١٢٤	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	.٤٧
١٤٩	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾	.٤٨
الأَعْرَافُ			
١١٧	٢٠٤	﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	.٤٩
١٣٧	٦٨	﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾	.٥٠
١٥٢	١٥٩	﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْذَلُونَ﴾	.٥١
الْأَنْفَالُ			
١٥٥	٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾	.٥٢
٢٤٥	٣٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ...﴾	.٥٣
التَّوْبَةُ			
١٧٣	٥	﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾	.٥٤
١٧٥	١٠٣	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾	.٥٥
١٧٧	٦٠	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا...﴾	.٥٦

١٩١	١٢٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾	٥٧.
يونس			
٣٤٥	٣	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥٨.
٣٤٥	٣١	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ...﴾	٥٩.
هود			
٢٦	٧	﴿لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٦٠.
٣١	١	﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	٦١.
يوسف			
٥٠	١٠٦	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾	٦٢.
٢١٩، ٢١٦	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ...﴾	٦٣.
الرعد			
٥٨	١١	﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ...﴾	٦٤.
٣٤٥	٢	﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾	٦٥.
إبراهيم			
ح	٧	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٦٦.
٢٢٤	٢٥-٢٤	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٦٧.
الحجر			

٦٦، ٦٤	٩	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٦٨
٢٣٨، ٢٢٦	٩٤	﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾	٦٩
النحل			
١٨، ث	٩٠	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾	٧٠
٥٧	٥٠-٤٩	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ...﴾	٧١
٢١٧	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	٧٢
الإسراء			
١٨	٧	﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾	٧٣
٢٠١	٢٣	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾	٧٤
٣٠٤	٣٤	﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٧٥
الكهف			
٢٦	١١٠	﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ﴾	٧٦
مريم			
١٨٢	٢٦	﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾	٧٧
طه			
٨٥	٤١	﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	٧٨
الأنبياء			

٨٦، ٥٥	١٠٧	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	٧٩.
٥٧	٢٠-١٩	﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	٨٠.
٢٩٦	٧٩-٧٨	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ...﴾	٨١.
المؤمنون			
٢٧	٦٠	﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى...﴾	٨٢.
٣٠	١٤-١٢	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ...﴾	٨٣.
١٩٧	٩-١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَادِعُونَ﴾	٨٤.
النور			
٢٣٨	٥٥	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾	٨٥.
الفرقان			
٢٦	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	٨٦.
الشعراء			
٦٣	١٩٤-١٩٣	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾	٨٧.
النمل			
٣٠، ٢١، ٣، ث	٨٨	﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	٨٨.
٢٤٢	١٤	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ...﴾	٨٩.
القصص			

٢٢٨	٥٦	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾	٩٠
العنكبوت			
٥٠	٦١	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ﴾	٩١
٨٩	٣٦	﴿وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمَ آعْبُدُوا اللَّهَ..﴾	٩٢
١٤١	٤٦	﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	٩٣
١٧٤	٤٥	﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٩٤
الأحزاب			
٨٤	٢١	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾	٩٥
٣٧٦ ، ٣٢٥	١١-١٠	﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ...﴾	٩٦
الصفات			
٣٩٥ ، ٥٣	١٨٠	﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	٩٧
ص			
١٢	٣١	﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتِ الْجِيَادِ﴾	٩٨
الزمر			
٣٩	٥٤	﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمْ...﴾	٩٩
٤٠	٢	﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	١٠٠
٥٠	٣	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا﴾	١٠١

فصلت			
٢١٥	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾	.١٠٢
الشورى			
٥٢	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	.١٠٣
٦٥	١٣	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا...﴾	.١٠٤
٣٢٩، ٢٩٦	٣٨	﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾	.١٠٥
محمد			
٧١	٢٤	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	.١٠٦
الحجرات			
٣٥	٧	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنَّ وَرَيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	.١٠٧
١١٤	١٧	﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِمَا أَسْلَمْتُكُمْ﴾	.١٠٨
١٢٤	٢	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾	.١٠٩
٣٦٣، ١٥٢، ١٣٦	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	.١١٠
الذاريات			
٢١٥	٥٨	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	.١١١
٢٢٥	٥٥	﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	.١١٢
القمر			.١١٣

٩٩، ٣٠	٤٩	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	١١٤
المجادلة			
٩٠	٢٢	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ..﴾	١١٥
الحشر			
١١٧	٨	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾	١١٦
١٣٨	٩	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ...﴾	١١٧
المتحنة			
١٩٢، ١٥٥	٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	١١٨
المنافقون			
١٥٠	١١	﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا..﴾ الآية	١١٩
٣١٦	٨-٧	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ..﴾	١٢٠
التغابن			
٣٦	١١	﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٢١
التحريم			
١١٦، ٥٧	٦	﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ...﴾	١٢٢
الملك			
٣٠	٣	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ...﴾	١٢٣

القلم		
١٥٥، ١١٢	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
المدثر		
٢٤٢	٢٥-١١	﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾
الشمس		
٩٩	٨-٧	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾
العلق		
١٧٠	١٩	﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾
البيّنة		
٢٤	٥	﴿وَمَا أَمْرُوهُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾



ثالثاً

فهرس الأحاديث النبوية

أبدأ بالكتب الستة ثم المصنفات حسب تاريخ وفاة المصنف، مراعيًا بذلك ترتيب حروف الهجاء

رقم الصفحة	رقم الحديث	طرف الحديث	ر
صحيح البخاري ت (٢٥٦ هـ)			
٢٢٣	٧٤١٦	أَتَعْجُبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَعْيَرُ مِنْهُ	.١
١٩٥	٢٧٢١	أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحَلَّتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ	.٢
٢٠٢	٦١٤٤	أَخْبَرُونِي بِشَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ	.٣
٥٢	٧٣٧٥	أَخْبَرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ	.٤
٣٠٤	٣٤	أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا	.٥
٢٩٢	٦٦٣٦	أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمَّكَ، فَنَظَرْتَ أَيُّهُدَى لَكَ	.٦
٧٤	٣٦٢٤، ٣٦٢٣	أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ	.٧
٢٨٠	٣٩١١	أَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ	.٨
٥٧	٣٢١٨	أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا	.٩
٦٥	٣٤٤٣	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ	.١٠
١٨٩	١٥١٦	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مَعَهَا أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ	.١١
١٥١، ٩١، ١٩	٥٠	أَنَّ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ	.١٢

٩٤	٦١٧١	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟	١٣
٢٣٥	٧٥٣٤	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟	١٤
٣٨٦	٢٩٤٠	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَتَبَ إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ	١٥
٣٧	بَابُ مَا جَاءَ فِي الْجَنَائِزِ	أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ	١٦
٨٤	٣٤٢١	أَنْسُجُدُ فِي ص؟	١٧
٢٤٤	٧	أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟	١٨
٥٩	٣٢١١	إِذَا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ	١٩
٦٢	٧٨٠	إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ، فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ تَأْمِينٌ	٢٠
١٥٤، ٢١١، ٦٢	٣٢٠٩	إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا	٢١
١٣٣	٩٤	إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا	٢٢
١١٦	٩٠٨	إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَأَتُوهَا	٢٣
١١٦	٤٠٦	إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ،	٢٤
١١٦	١٢١٤	إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ	٢٥
٣٧٤	٣٩٨٤	إِذَا أَكْتَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ	٢٦
١٩٦	٣٩	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ	٢٧
١٥٤	٣٧٥٩	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاخِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا	٢٨
١٠٣	٦٠٣٥	إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا	٢٩

٢٨٦	١٨٣٢	إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ	٣٠
٥٣	٧٣٩٢	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا	٣١
١٩٠، ٥٤	٦٥٠٢	إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ	٣٢
٢٦٦	١٢٢	إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي	٣٣
٢٦٩	٦١	إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مِثْلُ	٣٤
١٣٩	٥٩٨٧	إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَعٌ مِنْ خَلْفِهِ	٣٥
٢٣٧	٣٦٦١	إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فُقُلْتُمْ كَذَبْتُمْ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ	٣٦
١٩٤	٢٠٦١	إِنْ كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ كَانَ نِسَاءً فَلَا يَصْلُحُ	٣٧
٢٢٦	٧٢٩٨	إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَنَبَذَهُ	٣٨
٦١	٧٢٢	إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ	٣٩
٢١٨، ٢٤	١	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى	٤٠
٢٣٦	١٣٩٥	ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةٍ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ	٤١
١٩٦	٥١٨٦	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلْفُنَّ مِنْ ضِلَعٍ	٤٢
٢٨٢	٢٢٦٣	اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ	٤٣
١٠٠	٣٤٠٩	اِحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي	٤٤
٦٩	٥٠٥٥	اقْرَأْ عَلَيَّ، قَالَ: قُلْتُ: اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ	٤٥
١٥٣	٦٩٥٢	انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا	٤٦
٣٥٧	٣٦	انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانًا	٤٧

٢٨٤	٤١١٠	الآن نغزؤهم ولا يغزؤننا، نحن نسير إليهم	٤٨
١٩٤	٢٠٨٢	البيعان بالخيار ما لم يتفرقا	٤٩
١٨٤	١٨٩٤	الصيام حنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله	٥٠
٢٨٢	٣٧٤٣	اللهم يسر لي جليسا صالحا	٥١
٤٥	١٠١٣	اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا	٥٢
١٣٧	٦٠٢٦	المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا	٥٣
٦٦	باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل	المهيمن: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله	٥٤
٧٨	٥٠٥٩	المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به: كالأترجة، طعمها	٥٥
١٣٦	٥٧	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة	٥٦
٢٢٦	٧١٩٩	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط	٥٧
٣٨٧	٧٢٦٤	بعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم	٥٨
١٧٣	٨	بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله	٥٩
٢٠٣	٥٩٧٤	بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى	٦٠
١٤٥	٣٤٧١	بيننا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها	٦١
١٣٩،١٥٢،٣٦٦	٦٠١١	تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل	٦٢
١٩٧	٥٠٩٠	تضح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها	٦٣
١٤٣	٢٩١٦	توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي	٦٤

٤٨ ، ٤٠	١٦	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ	٦٥
٥٥	٦٠٠٠	جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ	٦٦
٢٣١	١٢٧	حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ	٦٧
١٥٦	٣٢٠٨	حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ	٦٨
ح	٥٠٢٧	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	٦٩
٣١١	٤١٧٨، ٤١٧٩	خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ	٧٠
١٥٧	٢٢٠	دَعَاؤُهُ وَهَرِيفُهَا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ	٧١
١٩٤ ، ١٩١	٢٠٧٦	رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا	٧٢
١٩٦	٦٢١٠	رُوِيَكَ يَا أَنْجَشَةَ سَوَّكَ بِالْفَوَارِيرِ	٧٣
٧٠	١٨٦٤	زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ	٧٤
٣١٢	٦٦٠	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ	٧٥
١٧٦	١٤٢٣	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ	٧٦
٢٣٤	١٥١٩	سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاللَّهِ	٧٧
٢٣٤	٦٤٦٥	سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟	٧٨
١٧٥	١٤٤٥	عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ	٧٩
٢٥٢	٣٠٩١	فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ رَيْدٌ	٨٠
٣٥١	٣	فَانْطَلَقْتُ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ	٨١
٣٣١ ، ٢٦٨ ، ١٢٥	٢٧٣١	فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ	٨٢

١٩٦	٥٠٦٩	فَتَرَوُجَ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً	٨٣
١١٥	٤٤٨٢	قَالَ اللَّهُ: "كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي،	٨٤
١٠١	٧٥٠٥	قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِ بِي	٨٥
٣٠٧	٢٢٩٣	قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَخَى رَسُولُ اللَّهِ	٨٦
٢٠٢	٢٦٢٠	قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ	٨٧
٢٩	٧٢٨٠	كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى	٨٨
٥٥	٣٥٨٥	كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْفُوفًا عَلَى جُدُوعٍ مِنْ نَخْلِ	٨٩
٦٣	٦	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ	٩٠
٦٧	٤٩٢٨	كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ إِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ	٩١
٧٩	٤٤٩٨	كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، وَلَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَّةُ	٩٢
٩٤	١٣٧٧	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ	٩٣
١٣٣	٣٥٦٧	كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَحْصَاةٍ	٩٤
١٤٦	٣٥٨٣	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ	٩٥
١٧٦	٤٢٦	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَانَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ	٩٦
١٨٥	١٩٠٢	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا	٩٧
٢٣٩، ٢١٩	٣٦١٢	كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ	٩٨
٢٣٠	٣٠	كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ	٩٩
٢٣١	بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ	كُونُوا رَبَّانِيِّينَ حُكَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي	١٠٠

	يُرَبِّي	الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ	
٢٤٨	٣٥٤٨	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا	١٠١.
٢٨٣	٢٩٤٨	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَى	١٠٢.
٣٠٣	١٦٦٥	كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عِزَّةً إِلَّا الْخُمْسَ	١٠٣.
٢٨٥	٣٧٤٥	لَأَبْعَثَنَّ، يَغْنِي عَلَيْكُمْ، يَغْنِي أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ	١٠٤.
٣٧٠	٢٩٤٢	لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ	١٠٥.
٢٣٤	٦١١٦	لَا تَعْضَبْ " فَرَدَدَ مِرَارًا	١٠٦.
٢٧٧	٤٠٤٣	لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا	١٠٧.
٥٤	٧٤٠١	لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيُحْلِفْ بِاللَّهِ	١٠٨.
٧٩	٤٤٨٥	لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكْذِبُوهُمْ	١٠٩.
١٠١	٥٧٥٥	لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأَلُ	١١٠.
١٠١	٥٧٥٦	لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ الصَّالِحُ: الْكَلِمَةُ	١١١.
١٣١	٥٣٩٩	لَا أَكُلُ وَأَنَا مُتَكَيِّئٌ	١١٢.
١٦٥	١٣٥	لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ	١١٣.
٢١١	١٣	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ	١١٤.
٢٢٤	٣٢٣١	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ	١١٥.
٤٠	٩٩	لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ	١١٦.
٣٥٣، ٢٨١	٢١٣٨	لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتٌ	١١٧.

١٨٨	١٨٦١	لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الْحَجُّ، حَجٌّ مَبْرُورٌ	١١٨.
٣٥٩	٣٩٥١	لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي	١١٩.
١٢٤	٧٣٠٢	لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَى بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا	١٢٠.
٢٠٠	٧١٦٢	لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ	١٢١.
٣٦٣	٢٠٤٨	لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَحَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ	١٢٢.
١٣٢	١٤١	لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا	١٢٣.
١٧٢	٣٨٩	لَوْ مِتُّ مَتًّا عَلَى غَيْرِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ	١٢٤.
١٩٩	٤٥٥٢	لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ	١٢٥.
٢٢٨	٢٨٣٧	لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلْنَا	١٢٦.
١٨٩	١٦١٠	لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ	١٢٧.
٧٠	٧٥٢٧	لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ"، وَزَادَ غَيْرُهُ: "يَجْهَرُ بِهِ	١٢٨.
٢٠٦، ١٣٩	٥٩٩١	لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِي، وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ	١٢٩.
٢٦٧	٧٥٠	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي	١٣٠.
٢٢١	٣٦٨٧	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ حِينَ قُبِضَ	١٣١.
١٣٢	٣٥٦٣	مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا	١٣٢.
١٨٧	١٨٦٣	مَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَجِّ؟	١٣٣.
١٠٠	٤٩٤٩	مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ	١٣٤.
٢٢٧، ٣٩	١٢٨	مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ	١٣٥.

٣٧٧	٢٤٩٣	مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ	١٣٦.
٣٨	٧٩	مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ	١٣٧.
١٠١	١٠٣٩	مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا	١٣٨.
٦٧	٤٦١٢	مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ	١٣٩.
١١٤	٨٥٥	مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا - أَوْ قَالَ: فَلْيَعْتَزِلْ	١٤٠.
١٣٦	١١	مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ	١٤١.
١٣٩	٢٠٦٧	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ،	١٤٢.
٣٧٠	٢٨٤٦	مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمَ الْأَحْزَابِ؟	١٤٣.
١٤٤	٣١٦٦	مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ	١٤٤.
١٨٤	١٩٠٣	مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ	١٤٥.
١٨٥	١٩٠٥	مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعْضُ لِلْبَصْرِ	١٤٦.
١٨٩	١٥٢١	مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ	١٤٧.
٢٠١	٥٩٧١	مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟	١٤٨.
١٥٥	٦٠٢٤	مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ	١٤٩.
١٤٢	٢٣٣٨	نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا سَنُنَا	١٥٠.
١٨١	٥٦٠٨	نِعْمَ الصَّدَقَةُ الْفَقْهُ الصَّفِيُّ مَنَحَةً	١٥١.
٣١٨	٤١٠٩	نَغْرُوهُمْ، وَلَا يَغْرُونَنَا	١٥٢.
٦٨	٤٩٣٧	وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ، لَهُ أَجْرَانِ	١٥٣.

٧٢	٥٠٠٢	وَاللّٰهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ	١٥٤.
١٧٢	٦٢٥١	وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ	١٥٥.
٣٧٦	٦٦٢٠	وَاللّٰهُ لَوْلَا اللّٰهُ مَا اهْتَدَيْنَا * * وَلَا صَمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا	١٥٦.
١٦٤، ١٢٧	١٦٥	وَيَلِّ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ	١٥٧.
٨٢	٢٤١٢	يَا أَبَا الْقَاسِمِ ضَرْبَ وَجْهِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ	١٥٨.
١١٤	٢٩٩٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ	١٥٩.
٢٦٤، ٢٦٠	٤٧٧٠	يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ	١٦٠.
١٣٠	٥٣٧٦	يَا غُلَامَ، سَمَّ اللّٰهُ، وَكُلَّ بِيَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ	١٦١.
٢٣١، ٤٠	١٢٨	يَا مُعَاذَ بَنِ جَبَلٍ"، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَسَعْدَيْكَ	١٦٢.
٤٧	٧٣٧٣	يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّٰهِ عَلَيَّ الْعِبَادِ؟"	١٦٣.
٩٣	٧٠٦١	يَتَقَارِبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ	١٦٤.
٢٢٣	٣٠٣٨	يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَيَسْرًا وَلَا تُتَفَرَّأَ، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَحْتَلِفًا	١٦٥.
١٨٢	٧٤٩٢	يَقُولُ اللّٰهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ	١٦٦.
صحيح مسلم ت (٢٦١ هـ)			
٢٠١	٢٥٤٩	أُبَايِعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ	١٦٧.
٢٦٩	٢٥٨١	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ	١٦٨.
٣١٣	١٦٨٨	أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللّٰهِ؟	١٦٩.
١٦٥	٢٧٦٥	أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ	١٧٠.

٣٧	٢٧	١٧١. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ
٣٦٠	١٧٨٨	١٧٢. أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَيْرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ
١٩٨	١٧١٩	١٧٣. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ
١٥١	٢١٥	١٧٤. أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَغْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءِ
٢٥٤	٨٦٧	١٧٥. أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ
٢٩٦	٢٣٦٣	١٧٦. أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ
٢٩٨	١٧٧٦	١٧٧. أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اللَّهُمَّ نَزَّلْ
٨٥	١٦٢	١٧٨. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ
٢٢١	١٧	١٧٩. أَنْهَأَكُمْ عَمَّا يُنْبَذُ فِي الدُّبَاءِ
٣٧٣	٢٨٦٥	١٨٠. أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٍ مُتَّصِدِّقٌ مُوَفَّقٌ
٢٧٦	١٧٧٥	١٨١. أَيُّ عَبَّاسٍ، نَادِ أَصْحَابِ السَّمْرَةِ
١٣١	٢٠٢٠	١٨٢. إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ
١٧١	٤١٠	١٨٣. إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمُّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينَهُ
١٨٤	١١٥١	١٨٤. إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَانِمًا، فَلَا يَزِفْتُ وَلَا يَجْهَلُ
٩٤	٥٨٨	١٨٥. إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعِ يَقُولُ
٥٩	٩١٩	١٨٦. إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ، أَوْ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ
١٤٥	١٩٢٦	١٨٧. إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنْ
٢٥	١٩٠٥	١٨٨. إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ

٣٠٣	١٦٧٩	إِنَّ الرِّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ	١٨٩.
١٣١	٢٠١٧	إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ	١٩٠.
٩٢	٢٩٠٥/٥٠	إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا" وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ	١٩١.
١٥٥	٢٩٦٥	إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْعَنِيَّ، الْخَفِيَّ	١٩٢.
٢٥٠	٩١	إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ	١٩٣.
١٤٦، ١٩، ٣	١٩٥٥	إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَاتَلْتُمْ	١٩٤.
٢٦١	٥٢٦	إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ، وَقَدْ أَمَرَ أَنْ	١٩٥.
١٣٠، ٧٧، ١٦	٧٤٦	إِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ	١٩٦.
٢٦٥، ١٣٣	٨٦٩	إِنَّ طَوْلَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مِئْتَةٌ مِنْ فَقْهِهِ	١٩٧.
١٤٥	٢٥٩٤	إِنَّ الرَّفِيقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ	١٩٨.
٥٨	٦٤٩	إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ	١٩٩.
١٤١	٢٥٤٣	إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ	٢٠٠.
٢٠٣	٢٥٥٢	إِنَّ مِنْ أَبْرَ الْأَبْرِ صَلَاةَ الرَّجُلِ أَهْلٌ وَدٌّ أَبِيهِ	٢٠١.
٢٢٢	٥٣٧	إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ	٢٠٢.
٢٦٥	٢٢٩٦	إِنِّي فَرَطْتُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ	٢٠٣.
٣٨١	١٨٩٤	أَنْتِ فُلَانًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّرَ، فَمَرِضَ	٢٠٤.
١٨٠	٩٩٧	أَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ	٢٠٥.
١٤٣	١٦٠٣	اشْتَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا بِنَسِيئَةٍ	٢٠٦.

٩١	٢٩٠١	٢٠٧. اَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكُرُ
١٠٤، ٣٦	٣٥	٢٠٨. الْإِيمَانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضَعٍّ وَسِتُّونَ شُعْبَةً
١٠٤	٣٧	٢٠٩. الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ
١٧١	٨٥	٢١٠. الصَّلَاةُ لَوْفَتِهَا
١٧١	٨٥	٢١١. الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا
١٧٤	٢٢٣	٢١٢. الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ
٦٨	٧٩٨	٢١٣. الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَفْرَأُ
٣٥٤	١٣٧٠	٢١٤. الْمَدِينَةَ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا
٦١	١٩٧	٢١٥. آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ:
٧٤	٧٩٠	٢١٦. بِسْمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ
١١٣	٨٧٠	٢١٧. بِسْمِ الْخَطِيبِ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
٩٢	٢٩٠٣	٢١٨. تَبْلُغُ الْمَسَاكِينَ إِهَابٌ أَوْ يِهَابٌ
٢٧٢	١٨٧٦	٢١٩. تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا
٩٩	٢٦٤٨	٢٢٠. جَاءَ سِرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ
٥٠	٢٧٨٩	٢٢١. خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا
٥٦	٢٩٩٦	٢٢٢. خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ
٩٤	٥٨٦	٢٢٣. دَخَلَتْ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجْرٍ يَهُودِ الْمَدِينَةِ
١٧٦	٩٩٥	٢٢٤. دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ

١٦١، ٤٨	٣٤	ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا	٢٢٥.
٩٢	٢٩٠٥/٤٨	رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ	٢٢٦.
١٧٠	٦٤٩	صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ	٢٢٧.
٢٦٧	٢٨٩٢	صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا	٢٢٨.
٧١	٧٧٢	صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَفْتَحَ الْبُقْرَةَ، فَقُلْتُ	٢٢٩.
١٤٩	٢٩٩٩	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ	٢٣٠.
٣٦١	١٧٥٥	عَزَوْنَا فَرَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْنَا	٢٣١.
٩٧	١٤٧٩	فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ	٢٣٢.
١١٢	١٩٣	فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا أَنَا رَأَيْتُهُ	٢٣٣.
٣٧٩	١٨٣٢	فَهَلَّا جَلَسْتُ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيكَ هَدْيُكَ	٢٣٤.
٢٥١	١٠٦٢	قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ	٢٣٥.
٧٣	١٢١٨	قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ	٢٣٦.
٢٣٣	٣٨	قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمْ	٢٣٧.
٣٥٩، ٢٧٢	١٩٠١	فُؤِمُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ	٢٣٨.
٢٥٣	٢٩٨٣	كَافِلِ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ	٢٣٩.
٢٤٩	٢٣٣٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عِرْقَهُ اللَّوْلُؤُ	٢٤٠.
٣٧٢	١٨١٠	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَغْرُو بِأَمِّ سَلِيمٍ وَنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ	٢٤١.
٤١	٤٤	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وُلْدِهِ	٢٤٢.

١٦٣	٢٢٧	لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ	٢٤٣.
٣٧٤	١٥٨٤	لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تُشِفُّوا	٢٤٤.
٢٠٦	٩٩٩	لَوْ أُعْطِيَتْهَا أَحْوَالِكِ، كَانَ أَكْبَرَ لَأَجْرِكَ	٢٤٥.
١١٧، ٧٠	٧٩٣	لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاعَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ	٢٤٦.
٦٩	٧٩٢	مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ	٢٤٧.
٢٧٧، ٢٧٤	٢٨٧٣	مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعُ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ	٢٤٨.
٣١٧	٢٥٨٤	مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟	٢٤٩.
٢٥٠	٢٣٣٠	مَا شَمَمْتُ عَنَبًا قَطُّ، وَلَا مِسْكَ، وَلَا شَيْئًا أَطِيبَ	٢٥٠.
١٣٣	٢٧٣١	مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ	٢٥١.
٦٠	٤٣٠	مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ	٢٥٢.
١٦٥	٢٢٨	مَا مِنْ أَمْرٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ	٢٥٣.
١٥٠	٢٦٤٧	مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ	٢٥٤.
٣٨٠	١٧٥٣	مَا مَنَعَكَ أَنْ تُغْطِيَهُ سَلْبُهُ؟	٢٥٥.
١٦٣	٢٣٤	مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهُ	٢٥٦.
٣٧٩، ١٩٣	١٠٢	مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟	٢٥٧.
٢٢٥	٢٥٨٨	مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ	٢٥٨.
٣٦٢، ٢١٢	٢٥٨٦	مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ	٢٥٩.
١١٧	٥٦٤	مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ، الثُّومِ، وَقَالَ مَرَّةً: مَنْ أَكَلَ	٢٦٠.

١٦٤	٢٢٦	مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ	٢٦١.
٢٩٠	٢٦٧٤	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ	٢٦٢.
٣٧٨	٤٩	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ	٢٦٣.
٣٧٥	٢٥٥٧	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ	٢٦٤.
٢٦٢	٥٦٨	مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ	٢٦٥.
٢٣٣	٤٠	مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ	٢٦٦.
٢٥٣	٢٦٣١	مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا	٢٦٧.
٣٧٤	١٧٥١	مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيْتَةٌ، فَلَهُ سَلْبُهُ	٢٦٨.
١٣٧	١٧٢٨	مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ	٢٦٩.
٣٧	٢٦	مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ	٢٧٠.
٣٨	٣١	مَنْ لَقِيَ مَنْ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ	٢٧١.
٩٨	٢٨٥٨	وَاللَّهُ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدَكُمْ	٢٧٢.
١٦٤	٢٤١	وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ	٢٧٣.
١٢٥	١١٩	يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَيْ؟	٢٧٤.
١٢٨	٨٤	يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟	٢٧٥.
سنن أبي داود ت (٢٧٥ هـ)			
٢٠٤	١٦٩٤	قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحْمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا	٢٧٦.
سنن الترمذي ت (٢٧٩ هـ)			

٢٧٧.	٤١٣	١٦٦	إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ
٢٧٨.	٣٥٤٦	١١٨	الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ
٢٧٩.	٢٠٠٤	١١١	سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ
٢٨٠.	٢٣٧٧	٩٥	مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاجِبٍ اسْتَنْظَلَ
٢٨١.	٢٤٥٧	١٢٠	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ
سنن النسائي ت (٣٠٣ هـ)			
٢٨٢.	٦١٦	١٦٨	مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً
٢٨٣.	٨٠٠٢	٧٥	يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتَلُ
سنن ابن ماجه ت (٢٧٣ هـ)			
٢٨٤.	١٠٠	٨٧	أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
٢٨٥.	٦١	١٠٢	كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ
٢٨٦.	٤١٩٨	٢٧	لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ: لَا يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ
مصنف ابن أبي شيبة ت (٢٣٥ هـ)			
٢٨٧.	١٠٥٨٨	١٤٢	اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ عَلَى الْمَارَةِ فَكُنْتُ أَعْشَرُ مَنْ أَقْبَلَ
مسند أحمد بن حنبل ت (٢٤١ هـ)			
٢٨٨.	١٠١٠٦	١٠٧	أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ
٢٨٩.	٢٢٢١١	١٥٤	إِنَّ فِتْنَى شَابَأَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْتِنِّي
٢٩٠.	١٨٧	٤١	إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا رَجُلٌ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ

١٨٣	٨٨٥٦	رَبِّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ	٢٩١.
٣٠٠	١٦٥٥	شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومِي وَأَنَا عَلَامٌ	٢٩٢.
١٣٤	١٧٣٧	مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ	٢٩٣.
سنن الدارمي ت (٢٥٥هـ)			
٢٠٦، ١٧٩	١٧٢١	أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّدَقَاتِ أَيُّهَا أَفْضَلُ؟	٢٩٤.
الأدب المفرد - البخاري ت (٢٥٦هـ)			
١١٠	٣١٢	لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ	٢٩٥.
مسند البزار (البحر الزخار) ت (٢٩٢هـ)			
٢٩١، ١١٨، ١٠٥	٨٩٤٩	إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ	٢٩٦.
مسند أبي يعلى الموصلي ت (٣٠٧هـ)			
٢٤٠	٤٢٢٧	أَتَرُونَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: مَا أَنَا بِأَقْدَرِ	٢٩٧.
٢٢	٤٣٨٦	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ	٢٩٨.
١٢٢	٥٢٩٦	نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ	٢٩٩.
شرح مشكل الآثار - الطحاوي ت (٣٢١هـ)			
١٧٧	٣٠١٤	أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْفُهُ	٣٠٠.
المعجم الكبير - الطبراني ت (٣٦٠هـ)			
٣٢٧	٥٤٠٩	إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ	٣٠١.
٣٧٥	٦٢٠٦	صَدَقْتُكَ عَلَى الْمُسْلِمِ صَدَقَةً، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ	٣٠٢.

المعجم الأوسط - الطبراني ت (٣٦٠ هـ)			
٣٢٣	١٥٠٨	أَبَشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ	٣٠٣.
١٢٨	٢٦٦٣	إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى	٣٠٤.
المستدرک علی الصحیحین ت (٤٠٥ هـ)			
١٨٦	٢٠٣٦	الصِّيَامُ وَالْفَرَانُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: رَبِّ إِنِّي	٣٠٥.
١٠٩	١٧٣	وَاللِّطْفُهِمْ بِأَهْلِهِ	٣٠٦.
السنن الكبرى - البيهقي ت (٤٥٨ هـ)			
٣١٠	١٣٣٠٣	مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	٣٠٧.



رابعًا

فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم

١- فهرس الرواة

رقم الصفحة	الرواة	ر
٢٢	مصعب بن ثابت	.١
٢٣	مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت	.٢
٤٢	مجالد بن سعيد	.٣
٧٥	عاصم بن بهدلة	.٤
٨٧	أبو جُحَيْفَةَ	.٥
٨٨	عبد القدوس بن بكر بن خنيس	.٦
٨٨	صالح بن الهيثم الواسطي	.٧
٩٦	إبراهيم النخعي	.٨
٩٦	المسعودي	.٩
٩٧	زيد بن الحباب	.١٠
١٠٢	حماد بن نجيح	.١١
١٠٥	محمد بن عجلان	.١٢
١٠٦	عبد العزيز بن محمد	.١٣
١٠٦	محمد بن رزق الله الكلِّوْدَانِي	.١٤

٣٢٨،١٠٨	محمد بن عمرو	.١٥
١١٠	أبو بكر بن عياش	.١٦
١١٢	يزيد بن عبد الرحمن (أبو إدريس)	.١٧
١١٩	عبد الله بن علي بن الحسين	.١٨
١١٩	عمارة بن غزية	.١٩
١٢١	عبد الله بن محمد بن عقيل	.٢٠
١٢١	قبيصة بن عقبة	.٢١
١٢٢	سماك بن حرب	.٢٢
١٢٩	محمد بن الحسن الهمداني	.٢٣
١٢٩	إسحاق بن عمر المؤدب	.٢٤
١٣٤	عبد الله بن عمر (أبو عبد الرحمن العمري)	.٢٥
١٣٥	موسى بن داود الضبي	.٢٦
١٦٧	حريث بن قبيصة	.٢٧
١٦٧	همام بن يحيى	.٢٨
١٦٧	سهل بن حماد	.٢٩
١٦٩	سعيد بن أبي هلال	.٣٠
١٧٨	محمد بن عمار المؤذن	.٣١

١٨٠	سفيان بن حسين	.٣٢
١٨٣	عمرو بن أبي عمرو ميسرة	.٣٣
١٨٦	حيي بن عبد الله	.٣٤
٣١٠، ٢٠٥	سفيان بن عيينة	.٣٥
٢٤١	طلحة بن يحيى	.٣٦
٢٤١	يونس بن بكير	.٣٧
٢٦٥	واصل بن حيان	.٣٨
٢٦٦	نوف البكالي	.٣٩
٣٠١	عبد الرحمن بن إسحاق	.٤٠
٣٢٣	أبو الزبير	.٤١
٣٢٤	مسلم بن إبراهيم	.٤٢
٣٢٤	إبراهيم بن عبد العزيز المقوم	.٤٣
٣٢٨	عثمان بن عثمان الغطفاني	.٤٤
٣٢٨	عقبة بن سنان الدراع	.٤٥
٣٨٣	عمرو بن أمية الضمري	.٤٦

٢- فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الأعلام	ر
١٣	ذو الرمة	.١
١٣	الباهلي	.٢
١٤	الجرجاني	.٣
٢٠	ابن طباطبا العلويّ	.٤
٢٤	ابن رجب الحنبلي	.٥
٢٥	البلقيني	.٦
٢٥	ناتِلُ أَهْلِ الشَّامِ	.٧
٢٦	ابن قيم الجوزية	.٨
٢٦	الفضيل بن عياض	.٩
٣١	النووي	.١٠
٣٤	أبو حنيفة	.١١
٣٥	طلّقُ بن حبيب	.١٢
٣٧	وَهْبُ بنِ مُنَبِّه	.١٣
٤٤	السعدي	.١٤
٤٤	ابن عثيمين	.١٥

٤٨	ابن بَطَّال	.١٦
٤٨	عتبة الغلام	.١٧
٤٩	القاضي عِيَّاض	.١٨
٥٤	بدر الدين العَيْني	.١٩
٥٨	الزمخشري	.٢٠
٧٦	ابن حَجَر العسقلاني	.٢١
٧٧	القاري	.٢٢
٨١	الخطابي	.٢٣
٨٨	ابن حزم الأندلسي	.٢٤
١٥٨	السيوطي	.٢٥
١٦١	الطحاوي	.٢٦
٢١١	جَمَال الدين القاسمي	.٢٧
٢١٦	الشعراوي	.٢٨
٢٢٣	الجُلندي	.٢٩
٢٢٣	وثيمة	.٣٠
٢٣٤	القرطبي	.٣١
٢٣٩	ابن هشام	.٣٢

٢٤١	ابن كثير	.٣٣
٢٤٥	العظيم آبادي	.٣٤
٢٤٩	الجاحظ	.٣٥
٢٥٧	السّمهودي	.٣٦
٢٧٤	الواقدي	.٣٧
٢٧٩	ابن الأثير	.٣٨
٢٩٨	محمد أبو زهرة	.٣٩
٣٠١	ابن الجوزي	.٤٠
٣١٠	ابن تيمية	.٤١
٣٣٠	عروة بن مسعود	.٤٢
٣٣٣	الحليس بن علقمة	.٤٣
٣٣٦	سهيل بن عمرو	.٤٤
٣٤١	الأشعري	.٤٥
٣٤٦	ورقة بن نوفل	.٤٦
٣٤٧	المباركفوري	.٤٧
٣٥٤	خطاب	.٤٨
٣٦٤	الضحيان	.٤٩

٣٨٢	السهيلي	.٥٠
٣٨٤	ابن سعد	.٥١
٣٨٤	باذان الفارسي	.٥٢
٣٨٧	مايكل هارت	.٥٣



تم بحمد الله